المَثْنَوِيّ المَعْنَوِيّ

تأليف

جلال الدّين الرُّوميّ

ترجمة

د. علي عبَّاس زليخة

الكتاب الرَّابع

نسخة رينولد نيكلسون

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحيم

الظَّعْنُ الرَّابِع، إلى أحْسَنِ المرابِع، وَأَجَلِّ المَنافِع، تُسَرُّ قُلوبُ النَّاظِرِينَ بِمُطالَعَتِه، كَسُرُورِ الرِّياضِ بِصَوْبِ الغَمام، وَأُنْسِ العُيُوْنِ بِطِيْبِ المَنام، فِيْهِ ارْتياحُ الأرواح، وَشِفاءُ الأَشْباح، وَهُوَ كما يَشْتَهِيْهِ المُخْلِصُون وَيَهْوَوْنَهُ، وَيَطْلُبُهُ السَّالِكُوْنَ وَيَتَمَنَّوْنَهُ، لِلْعُيُونِ قُرَّةٌ، ولِلنُّفُوْسِ مَسَرَّةٌ، أَطْيَبُ الثِّمارِ لِمَنِ اجْتَنى، وَأَجَلُّ المُراداتِ والمُنى، مُوْصِلُ العليلِ إلى طَبيبِهِ، وهادي المُحِبِّ إلى حَبيبِهِ، وَهُوَ بِحَمْدِ اللهِ مِنْ أعْظَمِ المواهِبِ، وَأَنْفَسِ الرَّغائِبِ، مُجَدِّدُ عَهْدِ الأُلْفَة، مُسَهِّلُ عُسْرِ أَصْحابِ الكُلْفَةِ، يَزِيدُ النَّظَرُ فيهِ أَسَفاً لِمَنْ بَعُد، وَسُرُوراً وَشُكْراً لِمَنْ سَعِد، تَضَمَّنَ صَدْرُهُ ما لَمْ يَتَضَمَّنْ صُدُورُ الغانياتِ مِنَ الحُلَل، جَزاءً لأهْلِ العِلْمِ والعَمَل، فَهُوَ كَبَدْرٍ طَلَعَ، وَجَدٍّ رَجَعَ، زائدٌ على تَأْمِيْلِ الآمِلين، رائدٌ لِرَوْدِ العامِلين، يَرْفَعُ الأمَلَ بَعْدَ انْخِفاضِهِ، وَيَبْسُطُ الرَّجاءَ بَعْدَ انْقِباضِهِ، كَشَمْسٍ أشْرَقَتْ، مِنْ بَيْنِ غَمامٍ تَفَرَّقَتْ، نُوْرٌ لأصْحابِنا، وَكَنْزٌ لأعْقابِنا، وَنَسْأَلُ اللهَ التَّوْفيقَ لِشُكْرِهِ، فإنَّ الشُّكْرَ قَيْدٌ للعَتيد، وَصَيْدٌ لِلْمَزيد، ولا يَكُونُ إلاّ ما يُريد.

وَمِمَّا شَجاني أَنَّني كُنْتُ نائماً   أُعَلَّلُ مِنْ بَرْدٍ بِطِيْبِ التَّنَسُّمِ
إلى أنْ دَعَتْ وَرْقاءُ في غُصْنِ أَيْكَةٍ   تُغَرِّدُ مَبْكاها بِحُسْنِ التَّرَنُّمِ
فَلَوْ قَبْلَ مَبْكاها بَكَيْتُ صَبابَةً   لِسُعْدى شَفَيْتُ النَّفْسَ قَبْلَ التَّنَدُّمِ
ولكِنْ بَكَتْ قَبْلي فَهَيَّجَ لي البُكا   بُكاها ، فَقُلْتُ الفَضْلُ لِلْمُتَقَدِّمِ

رَحِمَ اللّهُ المُتَقَدِّمينَ والمُتَأَخِّرينَ والمُنْجِزِيْنَ والمُتَنَجِّزِيْنَ بِفَضْلِهِ وَكَرَمِه، وَجَزيلِ آلائِهِ وَنِعَمِه، فَهُوَ خَيْرُ مَسْؤولٍ وَأَكْرَمُ مَأمُولٍ، واللّهُ خَيْرٌ حافِظاً وَهُوَ أرْحَمُ الرَّاحِمين، وَخَيْرُ المُؤنِسينَ وَخَيْرُ الوارِثين، وَخَيْرُ مُخْلِفٍ رازِقٍ للعابِدِينَ الزَّارِعِيْنَ

الحارِثين، وَصَلَّى اللهُ على سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ وآلِهِ الأكْرَمين، وَعلى جَميعِ الأنبياءِ والمُرْسَلِيْنَ، آمينَ يا رَبَّ العالَمِين.

بسم الله الرّحْمن الرّحيم

أي ضياءَ الحَقِّ حُسامَ الدِّيْن أَنْتَ، فائقٌ على القَمَرِ بِنُوْرِكَ المَثْنَوِيّ؛

هِمَّتُكَ العالِيَةُ أَيْ مُرْتَجى، تَسْحَبُ هذا، اللهُ يَعْلَمُ أَيْن؛

أنتَ آخِذٌ بِعُنُقِ المَثْنَوِيّ هذا، تَسْحَبُهُ الوُجْهَةَ الَّتي عَلِمْت؛

جاذِبُ طُلاَّبِ المَثْنَوِيّ الخَفِيُّ، لِجاهِلٍ غَيْرِ مُبْصِرٍ غَيْرُ مَرْئِيّ؛

المَثْنَوِيُّ إذا زادَ أنْتَ لَهُ المُزيدُ، ما دُمْتَ كُنْتَ المَبْدَأَ لَهُ؛

هكذا طَلَبْتَ وهكذا اللهُ أراد، إنَّ اللهَ يُعْطي المُتَّقِيْنَ المُراد؛

كُنْتَ في ما مَضى *كانَ لله*، حَتَّى أَتى في الجَزاء *كانَ اللهُ*؛

المَثْنَوِيُّ مَدِيْنٌ لَكَ بِأَلْفِ شُكْرٍ، رافِعٌ كَفَّيْهِ بالدُّعاءِ لَكَ والشُّكْر؛

رأى اللهُ شُكْرَكَ في كَفِّهِ وشَفَتِهِ يَزيد، فَتَفَضَّلَ وَتَلَطَّفَ وأعطى المَزيد؛

ذاكَ أنَّ الشَّاكِرَ بالزِّيادَة مَوْعُوْد، هكذا كما هُوَ القُرْبُ أجْرُ السُّجُود؛

اللهُ قالَ لنا *واسْجُدْ واقْتَرِبْ*، سَجْدَةُ أَبْدانِنا صارَتْ قُرباً للرُّوْح؛

إنْ كانَتْ زِيادَةٌ فقد كانَتْ مِنْ هذا الوَجْه، لَمْ تَكُنْ لأَجْلِ جاهٍ وَفَخْرٍ وَضَوضاء؛

نَحْنُ مَعَكَ كالكَرْمِ في الصَّيْفِ سُعَداء، الحُكْمُ لَكَ قُمْ بالجَذْبِ لنا فَنَنْجَذِب؛

قُمْ بِسَحْبِ هذِهِ القافِلَةِ بِرِفْقٍ إلى الحَجّ، أَيْ أَمِيْرَ *الصَّبْرُ مِفْتاحُ الفَرَج*؛

الحَجُّ هُوَ الزِّيارَةُ للبَيْت، الحَجُّ لِرَبِّ البَيْتِ شُغْلُ الرِّجال؛

مِنْ ذلِكَ الضِّياءِ سَمَّيْتُكَ حُسامَ الدِّيْن، فأَنتَ شَمْسٌ وَهَذانِ لَها وَصْفان؛

الحُسامُ والضِّياءُ هذانِ واحِدٌ، سَيْفُ الشَّمْسِ يَقيناً مِنَ الضِّياء؛

النُّورُ مِنْ ذلِكَ القَمَرِ وهذا الضِّياءُ، مِنَ الشَّمْسِ اِقْرَأْ هذا في النَّبَأ؛

القُرْآنُ سَمَّى الشَّمْسَ ضِياءً أَيْ أَب، وَسَمَّى القَمَرَ نُوراً تَأَمَّلْ في هذا؛

وبِما أنَّ الشَّمْسَ أَعْلى مِنَ القَمَرِ رُتْبَةً، اعْتَبِرِ الضِّياءَ زائداً على النُّوْرِ بالجاه؛

كَمْ شَخْصاً لَمْ يَرَ بِنُوْرِ القَمَرِ المَنْهَجَ، وحِيْنَ طَلَعَتِ الشَّمْسُ صارَ ذلِكَ ظاهِراً؛
الشَّمْسُ قامَتْ بِإظْهارِ العُرُوضِ كامِلَةً، لا جَرَمَ الأَسْواقُ تكونُ في النَّهار؛
حَتَّى يَصِيْرَ ظاهِراً الزَّيْفُ والصَّحيح، ويكُونَ البَيْعُ بَعِيْدَاً عَنِ الغَبْنِ والحِيَل؛
إذا صارَ نُوْرُها كامِلاً في الأرْض، فَهُوَ للتُّجَّارِ رَحْمَةٌ للعالَمِيْن؛
لكِنَّهُ لِلْمُزَيِّفِ مَبْغُوْضٌ وَعَسِيْر، لأنَّ بِضاعَتَهُ وَمَتاعَهُ يَصِيرانِ مِنْهُ كاسِدَيْن؛
فالزَّيْفُ هُوَ العَدُوُّ اللَّدُودُ للصَّرّاف، غَيْرَ الكَلْبِ مَنْ هُوَ العَدُوُّ الدَّرْويش؛
يَشْتَبِكُ الأنْبياءُ مَعَ الأعْداء، فَتُنادي الملائكُ رَبِّ سَلِّمْ؛
السِّراجُ الَّذي لنا مِنْ وُجُوْدِهِ النُّوْر، احْفَظْهُ مِنْ أَنْفاسِ السُّرَّاقِ والشُّرُور؛
اللِّصُّ والمُزَيِّفُ خَصْمانِ للنُّور، مِنْ هذينِ الاِثْنَينِ غوثاهُ غَوْثاه؛
أُسْكُبِ الضِّياءَ على الدَّفْتَرِ الرَّابِع، فالشَّمْسُ طَلَعَتْ مِنَ الفَلَكِ الرَّابِع؛
أَعْطِ مِنَ الرَّابِعِ النُّوْرَ مِثْلَ الشَّمْس، حَتَّى يُشِعَّ على البلادِ وَعَلى الدِّيار؛
كُلُّ مَنْ دَعاهُ خُرافَةً هُوَ خُرافَةٌ، وَذاكَ الَّذي رآهُ صَحيحاً شَهْمُ الرِّجال؛
إنَّهُ ماءُ النِّيْلِ ظَهَرَ دَماً للقِبْطِيِّ، وَلَمْ يَكُنْ لِقَوْمِ مُوسى دَماً بَلْ ماءً؛
عَدُوٌّ هذا الحَرْفِ الآنَ في النَّظَر، صارَ مُمَثَّلاً بالمَنْكُوسِ في سَقَر؛
أيْ ضَياءَ الحَقِّ أَنْتَ رَأَيْتَ حالَهُ، الحَقُّ أَبْدى لَكَ جوابَ أَفْعالِه؛
نَظَرُ الغَيْبِ لَكَ كالغَيْبِ أُسْتاذ، لا قَلَّ مِنْ هذا العالَمِ هذا النَّظَرُ والعَطاء؛
هذِهِ الحِكايَةُ الَّتي هِيَ نَقْدُ الوَقْتِ لنا، جائزٌ إذا قُمْتَ بِإتْمامِها لَنا هاهُنا؛
أُتْرُكِ اللُّؤماءَ مِنْ أَجْلِ الأَكْفاء، اِمْضِ بالقِصَّةِ للنِّهايَةِ اجْعَلْ لها مَخْلَصاً؛
هذِهِ الحِكايَةُ الَّتي لَمْ يَكُنْ لَها هُناكَ تَمام ، اِحْمِلْ لَها الكِتابَ الرَّابِعَ في النِّظام؛

تَمامُ حِكايَةِ ذلِكَ العاشِقِ الَّذي فَرَّ مِنَ العَسَسِ إلى حَدِيْقَةٍ مَجْهُوْلَةٍ فَوَجَدَ في الحِديقَةِ مَعْشُوْقَ نَفْسِه وَراحَ يَدْعُوْ مِنَ السُّرُوْرِ للعَسَسِ وَيَقُولُ أنْ عسى *أنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُم*

كُنَّا في ذلِكَ وأنَّ ذلِكَ الشَّخْصَ ساقَ الفَرَس، إلى الحَديقَةِ خَوْفاً مِنَ العَسَس؛
كانَ في تلكَ الحَدِيْقَةِ ذاتُ الجَمال، الَّتي كانَ في عَناءِ غَمِّها ثَمانِيَةَ أَعْوام؛
لَمْ يَكُنْ لَهُ الإمْكانُ لِرُؤيَةِ ظِلِّها، كأنَّها العَنْقاءُ كانَ يَسْمَعُ بِوَصْفِها؛
إلاَّ لُقْيةً واحِدَةً كانَتْ أوَّلاً مِنَ القَضاءِ، وَقَعَتْ لَهُ وَصارَ مِنْها مَسْلُوْبَ القَلْب؛
مِنْ بَعْدِ ذلِكَ كَمْ كانَ مِنْهُ مِنْ سَعْي، وَحادَّةُ الطَّبْعِ تِلْكَ لَمْ تَكُنْ تُعْطِيْهِ المَجال؛
لَمْ تَكُنْ وَسِيْلَةٌ بالتَّوَسُّلِ ولا بِمال، تِلْكَ الشَّجَرَةُ كانَتْ مُمْتَلِئَةَ العَيْنِ وبلا طَمَع؛
العاشِقُ لِكُلِّ حِرْفَةٍ وَمَطْلَب، الحَقُّ يَمْزِجُ أَوَّلَ أمْرِهِ بالعَذْب؛
حِيْنَ يَصيرُوْنَ في البَحْثِ في ذلِكَ الأَلَمْ، يَجْعَلُ مِنْ أمامِ أَقْدامِهِمْ سَدَّاً كُلَّ يَوم؛
حِيْنَ أَلْقاهُ في البَحْثِ وَطَلَبِ الأَمْر، أَغْلَقَ البابَ مِنْ بَعْدِ ذلِكَ أنْ هاتِ المَهْر؛
هُمْ على ذلِكَ العَبيرِ يَروحُون وَيَدُورونَ، وهُمْ في كُلِّ لَحْظَةٍ آمِلونَ ويائِسُون؛
كُلُّ شَخْصٍ لَهُ أَمَلٌ بالفَوْز، وَأنْ يُفْتَحَ لَهُ في ذلِكَ اليَوْمِ بابٌ؛
أُغْلِقَ البابُ مِنْ جَديدٍ وعابِدُ البابِ ذاك، على الأمَلِ ذاتِهِ تَشْتَعِلُ النَّارُ بِقَدَمِه؛
ذلِكَ الشَّابُّ حِيْنَ دَخَلَ في ذلِكَ البُستانِ مَسْروراً، عَثَرَتْ قَدَمُهُ فَجْأَةً بالكَنْز؛
جَعَلَ اللهُ العَسَسَ سَبَباً لِذاكَ، لِيَجْرِيَ خَوْفاً مِنْهُم إلى الحَدِيْقَةِ في اللَّيْل؛
فَرَأى مَعْشُوْقَتَهُ تِلْكَ مَعَها السِّراج، تَطْلُبُ خاتَماً في جَدْوَلِ الماءِ في الحَدِيْقَة؛
راحَ في تِلْكَ اللَّحْظَةِ يَقْرِنُ ثَناءَ الحَقِّ، مِنَ السُّرورِ بالدُّعاءِ لِؤلئكَ العَسَس؛
أنْ سَبَّبْتُ ضَرَراً لِلْعَسَسِ بالفرار، صُبَّ عَلَيْهِ عِشْرِيْنَ ضِعْفاً الذَّهَبَ والفِضَّةَ؛
خَلِّصْهُ مِنْ طَبْعِ الظُّلْمِ واجْعَلْهُ حُرَّاً، وأَسْعِدْهُ يا رَبِّ كما أَسْعَدْتَني؛

أَسْعِدْهُ في هذا العالَمِ وفي ذاكَ العالَم، وَخَلِّصْهُ مِنْ طَبْعِ الكِلابِ وَطَبْعِ الظُّلْم؛

أي اَللّهُ رَغْمَ أَنَّ طَبْعَ أُولئِكَ الشُّرَطِ، أَنَّهُمْ يَطلُبُونَ دائماً أذى الخَلْق؛

فَلَو جاءَ خَبَرٌ أَنَّ الشَّاهَ جَعَلَ غُرْماً، على المُسْلِمينَ صاروا مِنْ ذاكَ سُعَداء؛

ولَو جاءَ خَبَرٌ أنَّ الشَّاهَ أَظْهَرَ رَحْمَةً، وَأَسْقَطَ ذلِكَ عَنِ المُسْلِمِيْنَ مِنَ الجُوْد؛

وَقَعَ في أرواحِهِم مِنْ ذلِكَ مَأْتَمٌ، الأعْوانُ والشُّرَطُ لَهُمْ مِئاتُ مِثْلِ هذا الإدبار؛

وَهُوَ ماضٍ في الدُّعاءِ للشُّرَطَ، فَمِنْ أولئكَ الشُّرَطِ وَصَلَتْهُ مِثْلُ تِلْكَ الرَّاحَة؛

الشُّرَطُ للجَمِيْعِ سُمٌّ وكانوا لَهُ التِّرياق، كانوا صِلَةَ الوَصْلِ لِذلِكَ المُشْتاق؛

فَلَيْسَ هُناكَ في الكَوْنِ شَرٌّ مُطْلَقٌ، الشَّرُّ يكُونُ بالنِّسْبَةِ اعْلَمْ أَيْضاً هذا؛

لا شَيْءَ في الزَّمانِ لَيْسَ سُمَّاً وَسُكَّراً، لا شَيْءَ لَيْسَ لِواحِدٍ قَدَماً ولآخَرَ قَيْداً؛

يَكُونُ لِواحِدٍ قَدَماً ولآخَرَ قَيْدَ قَدَمٍ، يَكُونُ لِواحِدٍ سُمَّاً ولِآخَرَ كأنَّهُ الشَّهْد؛

سُمُّ الحَيَّةِ للحَيَّةِ حَياة، وَمِنْ نِسْبَةٍ إلى الآدَمِيِّ فَهُوَ المَمات؛

البَحْرُ مِثْلَ حَدِيْقَةٍ للخَلْقِ المائِيِّ، والبَحْرُ مَوْتٌ وَمَيْسَمٌ لِلْخَلْقِ التُّرابِيّ؛

وهكذا اعْتَبِرِ الأمْرَ أي رَجُل، وانْسِبْ هذا مِنْ شَخْصٍ واحِدٍ إلى أَلْف؛

زَيْدُ كانَ في حَقِّ ذاكَ الشَّخْصِ شَيْطاناً، وكانَ في حَقِّ شَخْصٍ آخَرَ سُلْطاناً؛

ذاكَ قالَ زَيْدُ صِدِّيْقٌ سَنِيّ، وهذا قالَ زَيْدُ ظَلُوْمٌ مَجُوسي؛

زَيْدُ بالذَّاتِ واحِدٌ وهُوَ لِذاكَ الواحِدِ جِنان، وهُوَ لِهذا الآخَرِ كُلُّهُ أَلَمٌ وَخُسْران؛

إذا ما أَرَدْتَ أَنْ يَكُوْنَ لَكَ سُكَّراً، اُنْظُرْ إِلَيْهِ مِنْ عَيْنِ عُشَّاقِهِ إِذَنْ؛

لا تَنْظُرْ إلى ذاكَ الجَمِيْلِ مِنْ عَيْنِ نَفْسِكَ، اُنْظُرْ إلى الْمَطْلُوْبِ بِعَيْنِ الطَّالِبين؛

أَغْلِقْ عَيْنَ النَّفْسِ عَنْ ذلِكَ الجَمِيْل، واسْتَعِرْ لَهُ عَيْناً مِنْ عُيُوْنِ عُشَّاقِه؛

بَلْ اسْتَعِرْ لَهُ مِنْهُ عَيْناً وَنَظَراً، ثُمَّ قُمْ بالنَّظَرِ مِنْ عَيْنِهِ إلى وَجْهِه؛

حَتَّى تَصِيْرَ آمِناً مِنَ الشِّبَعِ مِنْهُ والملال، مِنْ هذا قالَ *كانَ اللهُ لَهُ* ذُو الجلال؛

أَصِيْرُ عَيْناً لَهُ وَيَداً وَقَلْباً، حَتَّى يَنجُوَ إِقْبالُهُ مِنَ الإِدْبار؛
كُلُّ مَكْرُوهٍ صارَ لَكَ الدَّليل ، إلى مَحْبُوْبِكَ حَبيبٌ وَخَلِيْل؛

حِكايَةُ ذلِكَ الواعِظِ الَّذي كانَ يَقُوْمُ في بِدايَةِ كُلِّ تَذْكِيْرٍ بالدُّعاءِ للظَّالِمِينَ وقُساةِ القُلُوْبِ والكافِرِين

ذاكَ واحِدٌ مِنَ الوُعَّاظِ كانَ كُلَّما صَعَدَ المَنْبَر، انْطَلَقَ بالدُّعاءِ لِقُطَّاعِ الطَّرِيق؛
رافِعاً اليَدَ يقولُ رَبِّ سُقْ رَحْمَتَكَ، إلى المُسيئينَ والمُفْسِدِيْنَ والطُّغاة؛
وإلى كُلِّ المُسْتَهْزِئينَ أَهْلِ الخَيْر، وإلى كُلِّ كافِرِي القَلْبِ وَأَهْلِ الدَّيْر؛
لَمْ يَكُنْ يَقُوْمُ بالدُّعاءِ للأَصْفِياء، لَمْ يَكُنْ يَقُومُ بالدُّعاءِ إلاَّ للخَبيثين؛
قالوا لَهُ لَيْسَ هذا مِنَ المَعْهُوْد، الدُّعاءُ لأَهْلِ الضَّلالَةِ لَيْسَ مِنَ الجُوْد؛
قالَ رَأَيْتُ المَحاسِنَ مِنْ هؤلاء، مِنْ هذا السَّبَبِ اخْتَرْتُ لَهُمُ الدُّعاء؛
كم فَعَلُوا مِنَ الخُبْثِ والظُّلْمِ والجَوْر، حَتَّى أَلْقَوا بِيْ مِنَ الشَّرِّ إلى الخَيْر؛
في كُلَّ مَرَّةٍ وَجَّهْتُ الوَجْهَ للدُّنْيا، كُنْتُ أَتَلَقَّى مِنْهُمُ الضَّرْبَ والأَذى؛
فَكُنْتُ مِنَ الأذى أَلُوذُ بِذلِكَ الجانِب، تِلْكَ الذِّئابُ هِيَ الَّتي أعادَتْني للطَّرِيق؛
بِما أَنَّهُمْ أوجَدُوا السَّبَبَ لِصَلاحِي، صارَ الدُّعاءُ لَهُمْ واجِباً عَلَيَّ أَيْ ذَكِيّ؛
العَبْدُ يَشْكُو إلى الحَقِ مِنَ الأَلَمِ والجُرْح، يَقُوْمُ مِنْ أَلَمِهِ بِمِئَةِ شِكايَة؛
قالَ الحَقُّ أَخِيراً المَرَضُ والأَلَم، جَعَلاكَ مُتَضَرِّعاً لي وَجَعَلاكَ مُسْتَقِيْماً؛
اِجْعَلِ الشِّكايَةَ مِنْ نِعْمَةٍ أَصابَتْكَ، فَجَعَلَتْكَ مُبْعَداً عَنْ بابِنا وَمَطْرُوْداً؛
كُلُّ عَدُوٍّ هُوَ لَكَ بالحَقِيْقَةِ دَواء، هُوَ لَكَ نافِعٌ وَمُواسٍ لِلْقَلْبِ وَكِيْمِياء؛
فَأَنْتَ تَقُوْمُ بالهَرَبِ مِنْهُ للخلاء، وَتَبْحَثُ عَنِ الاِسْتِعانَةِ مِنْ لُطْفِ الله؛
أَصْدِقاؤكَ في الحَقيقَةِ أعْداءٌ لَكَ، يُبْعِدُوْنَكَ عَنِ الحَضْرَةِ وَيَشْغَلُونَكَ عَنْها؛
إِنَّ هُناكَ حَيَواناً اِسْمُهُ الأُشْغُر، يَصِيرُ مِنْ ضَرْبِ العِصِيّ ضَخْماً قَوِيَّ هَيْكَل؛

إذا ضَرَبْتَهُ بالعَصا صارَ أَفْضَلَ حالاً، وصارَ مِنْ ضَرْبِ العِصِيّ أَكْثَرَ سِمَناً؛
نَفْسُ المُؤمِنِ جاءَتْ كالأُشْغُرِ يَقيناً، تَصيرُ مِنْ سِياطِ الألَمِ أَضْخَمَ وَأَسْمَن؛
مِنْ هذا السَّبَبِ كانَ الألَمُ والكَسْرُ في الدُّنيا، للأنبياءِ زائداً على جَمِيْعِ الخَلْق؛
كَيْ تَصيرَ أرواحُهُمْ أَكْبَرَ مِنَ الأرْواح، فَما رأى قَوْمٌ آخَرُون ذاكَ البلاء؛
الجِلْدُ يَصيرُ مليحاً مِنْ عَقارِ البَلاء، يَصِيْرُ مَليحاً كالأديمِ الطَّائفِيّ؛
وإذا لَمْ يَكُنْ مُسِحَ بالمُرِّ والحادّ، صارَ مُنْتِناً عَفِناً وَسَيِّئَ الرَّائِحَة؛
اِعْرِفِ الآدَمِيَّ جِلْداً غَيْرَ مَدْبُوغٍ، يَصِيْرُ قَبيحاً مِنَ الرُّطُوباتِ وَثَقِيلاً؛
قُمْ بِفَرْكِهِ كَثيراً بالمُرِّ والحادّ، حَتَّى يَصيرَ طاهِراً وَلَطِيْفاً وَزائِدَ الجَمال؛
وإنْ كُنْتَ لا تَسْتَطيعُ كُنْ راضِياً أَيْ عَيَّار، إذا أعْطاكَ اللهُ الألَمَ دُوْنَ اخْتِيار؛
فإنَّ بلاءَ الحَبيبِ لَكَ تَطْهِيْر، عِلْمُهُ فَوْقَ ما لَدَيْكَ مِنْ تَدْبير؛
مَنْ نَظَرَ إلى الصَّفاءِ عَذُبَ لَهُ البلاء، وَمَنْ نَظَرَ إلى الصِّحَّةِ طابَ لَهُ الدَّواء؛
البَرَدُ رَأَى النَّفْسَ في عَيْنِ المَمَات، فَكانَ قَولُهُ اقْتُلُوني يا ثِقات؛
هذا الظَّالِمُ في حَقِّ الغَيْرِ جاءَ نافِعاً، لكِنَّهُ في حَقِّ نَفْسِهِ صارَ مَرْدُوداً؛
رَحْمَةُ الإيمانِ مَقْطُوْعَةٌ عَنْهُ، عَداوَةُ الشَّيْطانِ مَعْقُوْدَةٌ عَلَيْه؛
صارَ صَدْرُكَ مَعْمَلاً لِلْغَضَبِ وللحِقْد ، اِعْلَمْ أَنَّ الحِقْدَ أَصْلُ الضَّلالِ والكُفْر؛

السُّؤالُ لِعِيْسى عَلَيْهِ السَّلامُ ما هُوَ الأَصْعَبُ مِنْ كُلِّ صَعْبٍ في الوُجُود

قالَ واحِدٌ كانَ ذَكِيَّاً لِعِيسى، ما الأَصْعَبُ في الوُجُوْدِ مِنْ كُلِّ صَعْبٍ؛
قالَ أيْ عَزيزُ الأَصْعَبُ غَضَبُ الله، فإنَّ جَهَنَّمَ مِنْ ذَلِكَ تَرْتَعِدُ مِثْلَنا؛
قالَ مِنْ غَضَبِ اللهِ ما الأمان، قالَ تَرْكُ غَضَبِ النَّفْسِ في الحال؛
فالظَّالِمُ الَّذي صارَ مَعْدِناً لَهُ الغَضَبُ، جازَ مِنْ غَضَبِهِ القَبيحِ السَّبُع؛
ما لَمْ يَعُدْ مِنْ تِلْكَ الصِّفَةِ أَيُّ أَمَلٍ، بالرَّحْمَةِ يَكُونُ لِذلِكَ العَدِيْمِ الفَضْل؛

رَغْمَ أَنَّ العالَمَ لا عِلاجَ لَهُ مِنْهُم، هذا الحَديثُ هُوَ إلقاءٌ في الضَّلال؛
إنَّهُ لا بُدَّ للعالَمِ مِنْ أنْ يَكُوْنَ بِهِ البَوْلُ، ولكِنَّ هذا البَوْلَ لا يصيرُ ماءً مَعِيْناً؛

قَصْدُ العاشِقِ الخِيانَةَ وَصُراخُ المَعْشُوْقَةِ بِه

عِنْدَما رآها وَحِيْدَةً ذلِكَ الرَّجُلُ الغِرّ، قامَ سَريعاً بِقَصْدِها وَحَضْنِها وَتَقْبيلِها؛
صَرْخَتْ بِهِ تِلْكَ المَعْشُوْقَةُ صَرْخَةً مَهِيْبَةً، لا تَمْضِ بلا حَياءٍ واحْفَظِ الأَدَب؛
قالَ أخيراً هِيَ الخَلْوَةُ ولا خَلْقَ هُنا، والماءُ حاضِرٌ وَأَنْتِ ظامِئَةٌ وأنا؛
لا شَخْصَ هُنا يَتَحَرَّكُ سِوى الرِّيْح، مَنِ الحاضِرُ ومَا المانِعُ مِنْ هذا البَسْط؛
قالَتْ أَيُّها الوالِهُ لَقَدْ كُنْتَ أَبْلَهاً، أنْتَ أَبْلَهٌ وَلَمْ تَسْتَمِعْ مِنَ العاقِلين؛
رَأَيْتَ الرِّيْحَ تَتَحَرَّكُ إذَنْ فاعْلَمْ، أنَّ هُناكَ مُحَرِّكاً للرِّيْحِ وَسائقاً للرِّيْح؛
إلٰهُ الرِّيْحِ صانِعُ مِرْوَحَةِ التَّصْريف، أرْسَلَ عَلَيها الرِّيْحَ فَهِيَ تُحَرِّكُها دائماً؛
جُزْءُ الرِّيْحِ الَّذي هُوَ كائِنٌ في حُكْمِنا، ما لَمْ تُحَرِّكْهُ مِرْوَحَةُ الرِّيْحِ لا يَتَحَرَّك؛
حَرَكَةُ جُزْءِ الرِّيْحِ أَيْ رَجُلاً ساذَجاً، مِنْ دُونِكَ وَمِنْ دُوْنِ المِرْوَحَةِ لا تَكُون؛
حَرَكَةُ رِيْحِ النَّفَسِ داخِلَ الشِّفاه، تابِعَةٌ لِتَصْريفِ الرِّيْحِ والقالَب؛
حِيْناً تَجْعَلُ النَّفَسَ مَدْحاً وَدُعاءً، حِيْناً تَجْعَلُ النَّفَسَ هَجْواً وَلِعاناً؛
فاعْلَمْ إذَنْ أَحْوالَ الرِّياحِ الأُخْرى، مِنَ الجُزْءِ دائماً تَرى الكُلَّ النُّهى؛
الحقُّ يَجْعَلُ الرِّيْحَ في زَمَنٍ رَبيعاً، وفي كانونَ يَجعَلُها عارِيَةً مِنْ هذا اللُّطْف؛
يَجْعَلُها ريحاً صَرْصَراً على قَومِ عادٍ، ويَجْعَلُها ريحاً مُعَطَّرَةً على هُوْد؛
يَجْعَلُ ريحاً حامِلَةَ الوَباءِ والسُّمُوم، وَيَجْعَلُ ريحَ الصَّبا مُبارَكَةَ القُدُوم؛
جَعَلَ مِنْ ريحِ النَّفَسِ لَكَ أساساً، لِتَعْمَلَ على كُلِّ ريحٍ مِنها قياساً؛
النَّفَسُ لا يَصيرُ كلاماً بلا لُطْفٍ وَقَهْر، هُوَ لِجَماعَةٍ شَهْدٌ وَلِجَماعَةٍ سُمّ؛
حَرَكَةُ المَرْوَحَةِ مِنْ أجْلِ إنعامِ الأشخاص، ومِنْ أجْلِ قَهْرِ كُلِّ بَعوضَةٍ وَذُبابَة؛

مَرْوَحَةُ التَّقْديرِ الرَّبَّانِيّ لِمَ لا تَكُونُ، مَملوءَةً بالإمْتِحانِ وبالإبْتِلاء؛
ما دامُ جُزْءُ الرِّيْحِ مِنْ نَفَسٍ أو مَرْوَحَة، لا يَكُوْنُ إلاَّ مَفْسَدَةً أوْ مَصْلَحَة؛
هذِهِ الشِّمالُ وَهذِهِ الصَّبا وَهذِهِ الدَّبُور، مَتى كانَتْ بَعيدَةً عَنْ لُطْفٍ وعَنْ إنعام؛
أُنْظُرْ إلى حَفْنَةٍ مِنَ القَمْحِ مِنَ المَخْزَن، وافْهَمْ أنَّ جُمْلَةَ القَمْحِ تَكُونُ هكذا؛
كُلُّ الرِّيْحِ مِنْ بُرْجِ الرِيّحِ السَّماويّ، مَتى تَحَرَّكَ مُحَرِّكُ الرِّيْح بلا مِرْوَحَةِ ذاكَ؛
على رَأْسِ البَيْدَرِ وَقْتَ دِراسِ القَمْحِ، ألا يَطْلُبُ الفلاَّحونَ مِنَ الحَقِّ الرِّيْح؛
كَيْ يَصيرَ مَفْصُولاً التِّبْنُ عَنِ الحَبّ، حَتَّى يَذْهَبَ إلى المَخْزَنِ أو إلى الآبار؛
إذا تَأَخَّرَ هُبُوبُ تِلْكَ الرِّيْحِ تَرى الجَمِيْعَ، جُمْلَةً في ضَراعَةٍ يَشْتَكُونَ إلى الحَقّ؛
كذلِكَ في الطَّلْقِ فَريحُ الوِلادِ إذا لَمْ تَجِئْ، جاءَ صُراخُ اسْتِغاثَةِ الأُمَّ مِنَ الأَلَم؛
إذا كانوا لا يَعْلَمُونَ أنَّهُ مُرْسِلُ الرِّيْح، فما هذِهِ السَّجِيَّةُ في التَّضَرُّعِ طَلَباً للرِّيح؛
أَهْلُ السَّفِيْنِ كذلِكَ طالِبُونَ للرِّيْحِ، يَطْلُبُونَها جُمْلَةً مِنْ رَبِّ العِباد؛
هكذا في وَجَعِ الأسْنان مِنَ الرِّيْح، تَطْلُبُ الدَّفْعَ في حُرْقَةٍ واعْتِقاد؛
وأولئكَ الجُنُودُ يَطْلُبُونَ في ضَراعَةٍ مِنَ الله، أعْطِنا ريحَ الظَّفَرِ أَيْ مُنَوِّلَ المُراد؛
كما أَنَّهُمْ يَقُومُونَ بِطَلَبِ رُقْعَةِ التَّعْويذ، في أوجاعِ طَلْقِ المَرْأَةِ مِنْ كُلِّ عَزيز؛
فَهُمْ جَمِيْعاً يَعْلَمُونَ ذلِكَ عَنْ يَقين، أنَّ الَّذي أَرْسَلَ الرِّيْحَ رَبُّ العالَمين؛
فاليَقينُ في عَقْلِ كُلِّ عالِمٍ مَوْجُود، أنَّ كُلَّ مُتَحَرِّكٍ لَهُ مُحَرِّكٌ مَوْجُود؛
إنْ كُنْتَ لا تَراهُ في النَّظَر، اِفْهَمْ ذاكَ بِإظْهارِ الأَثَر؛
البَدَنُ يَتَحَرَّكُ بالرُّوحِ وأَنْتَ لا تَرى الرُّوح، أنْتَ مِنْ تَحَرُّكِ البَدَنِ فَلْتَعْرِفِ الرُّوح؛
قالَ لها إذا كُنْتُ أَبْلَهاً في الأَدَب، أنا ذكِيٌّ في الوَفاءِ وفي الطَّلَب؛
قالَتِ الأَدَبُ كانَ ما رُئِيَ مِنْك، أمَّا ذاكَ الآخَرُ فَأَنْتَ نَفْسُكَ تَعْلَمُهُ أيْ لُدّ؛

قِصَّةُ ذلِكَ الصُّوفِيِّ الَّذي أَمْسَكَ زَوْجَتَهُ مَعَ غَريب

جاءَ صُوفِيٌّ إلى جِهَةِ المَنْزِلِ نَهاراً، كانَ المَنْزِلُ بِبابٍ واحِدٍ والمَرْأَةُ مَعَ حَذَّاء؛
صارَتْ المَرْأَةُ مَعَ الغُلامِ مُجْتَمِعَةً، داخِلَ تِلْكَ الحُجْرَةِ مِنْ وَسْواسِ الجَسَد؛
لَمَّا قَرَعَ الصُّوْفِيُّ البابَ في الضُّحى بِجِدٍّ، بَقِيَ الاِثْنانِ بلا حِيْلَةٍ ولا سَبيل؛
لَمْ يَكُنْ مِنْ مَعْهُوْدِهِ أَبَداً ذلِكَ الزَّمان، أنْ يَعُوْدَ إلى جِهَةِ المَنْزِلِ مِنَ الدُّكَّان؛
قامَ بالرُّجُوعِ للمَنْزِلِ قاصِداً ذلِكَ اليَوْمَ، مِنْ خَيالٍ بلا مَوْعِدٍ ذلِكَ المَرُوع؛
كانَ اعْتِمادُ المَرْأَةِ على أنَّهُ لَمْ يكُنْ أَبَداً، عادَ للمَنْزِلِ مِنَ العَمَلِ في هذا الوَقْت؛
قِياسُها ذاكَ لَمْ يَجِئْ صَحيحاً مِنَ القَضاء، فَرَغْمَ أَنَّهُ سَتَّارٌ يُعْطي أيضاً الجزاء؛
إذا ما عَمِلْتَ السُّوءَ لا تَكُنْ آمِناً وَخَفْ، ذلِكَ أنَّ تِلْكَ بِذْرَةٌ وأنماها الله؛
كَمْ مَرَّةً قامَ بِالسَّتْرِ مِنْ أَجْلِ أنْ، يَجيئكَ خَجَلٌ مِنْ ذلِكَ السُّوءِ وحَياء؛
في عَهْدِ عُمَرَ سَلَّمَ أميرُ المُؤمِنينَ ذاك، سارِقاً إلى الجلادِ والمُحْتَسِبِ العُوان؛
صاحَ ذلِكَ السَّارِقُ أنْ أي أميرَ الدِّيار، هذا أَوَّلُ جُرْمٍ أقومُ بِهِ، الأمان؛
قالَ عُمَرُ حاشَ للهِ أنْ يكونَ الله، مِنْ أوَّلِ مَرَّةٍ أمْطَرَ عَلَيْكَ القَهْرَ في الجزاء؛
إنَّهُ يَقومُ بالسَّتْرِ مَرَّاتٍ لإظْهارِ الفَضْل، ثُمَّ يَقُومُ بَعْدَها بالأَخْذِ لإظْهارِ العَدْل؛
حتَّى تَصيرَ هاتانِ الصِّفَتان ظاهِرَتَيْن، ذاكَ صارَ مُبَشِّراً وهذا صارَ مُنْذِراً؛
المَرْأَةُ كانَتْ فَعَلَتْ فِعْلَ السُّوءِ هذا لِمَرَّاتٍ، فَعَلَتْهُ سَهلاً وسَهْلاً بَدا لها ذاكَ؛
واهِيَةُ العَقْلِ والقَدَمِ تِلْكَ لَمْ تَكُنْ تَعْلَم، أنَّ الجَرَّةَ لا تَخْرُجُ دوماً مِنَ النَّهْرِ سالِمَةً؛
وهكذا ضَيَّقَ عَلَيْها ذلِكَ القَضاء، فإنَّهُ يأتي لِلْمُنافِقِ بالمَوْتِ فَجْأَةً؛
فلا طَريقَ ولا رَفيقَ ولا أمان، إذا مَدَّ اليَدَ للرُّوحِ ذاكَ المَلَك؛
هكذا حَتَّى صارَتِ المَرْأةُ وَحَريفُها، يابِسَيْنِ في حُجْرَةِ الجَفاءِ تِلْكَ مِنَ الابتِلاء؛
قالَ الصُّوفِيُّ في قَلْبِهِ أيُّها المَجُوْسِيَّان، سَوْفَ أَنْتَقِمُ مِنْكُما ولكِنْ بِصَبْر؛

لكِنَّني سَأُظْهِرُ عَدَمَ العِلْمِ هذا النَّفَس، حتَّى لا تَسْمَعَ كُلُّ أُذُنٍ هذا الجرَس؛
شَيْئاً فَشَيْئاً يَنْتَقِمُ مِنْكُما المُحِقّ، خِفْيَةً كما يَكُونُ مَرَضُ الدِّق؛
مَريضُ الدِّقِّ ينقُصُ كُلَّ لَحْظَةٍ كالثَّلْج، لكِنَّهُ يَظُنُّ في كُلِّ لَحْظَةٍ أَنَّهُ أَحْسَن؛
مِثْلَ ضَبُعٍ يُمْسِكُونَ بِهِ وَهُوَ مَخْدُوعٌ، بِقَوْلِهِمْ ذاكَ أَنْ أَيْنَ هُوَ الضَّبُع؛
لَمْ يَكُنْ في المَنْزِلِ مَخْبَأٌ لِتِلْكَ المَرْأَة، لا سِرْدابَ فيهِ وَلا دِهْليزَ وَلا مَنْفَذ للسَّطْح؛
ولا تَنُّورَ حَتَّى تَصيرَ مُخْتَفِيَةً فيه، ولا جوالَ لِكَيْ تَتَّخِذَ مِنْهُ حِجاباً؛
مِثْلَ العَرْصَةِ الواسِعَةِ لِيَوْمِ القِيامَةِ، لا حُفْرَةَ فيها ولا تَلَّةَ ولا مكانَ للهَرَب؛
قالَ اللهُ في وَصْفِ هذا المَكانِ الحَرَج ، مِنْ أَجْلِ المَحْشَرِ لا تَرى فِيْهِ عِوَجا؛

إخْفاءُ المَعْشُوقِ تَحْتَ الحِجابِ جِهَةَ التَّلْبيس وَتَعَلُّلُ المَرْأة أنْ إنَّ كَيْدَهُنَّ لَعَظِيْم

أَلْقَتْ عَلَيْهِ بِحِجابِها مُسْرِعَةً، جَعَلَتْ مِنَ الرَّجُلْ امْرَأَةً وَفَتَحَتِ الباب؛
تَحْتَ الحِجابِ رَجُلٌ مَفْضُوحٌ وَعِيان، ظاهِرٌ بِشِدَّةٍ مِثْلَ جَمَلٍ على سُلَّمٍ؛
قالَتْ هذِهِ امْرَأَةٌ مِنْ أعْيانِ المَدِيْنَة، وهِيَ ذاتُ نَصِيْبٍ مِنَ المالِ وَمِنَ الإقْبال؛
أَغْلَقْتُ البابَ حَتَّى لا يَكُونَ غَريْبٌ، يَدْخُلُ البابَ عَجِلاً جَهْلاً بِغَيْرِ عِلْم؛
قالَ الصُّوفِيُّ ما خِدْمَةٌ لَها هُنا، حَتَّى أَقُوْمَ بِقَضائها بلا شُكْرٍ ولا مِنَّة؛
قالَتْ هِيَ طالِبَةٌ للمُصاهَرَةِ والقُرْبى، إنَّها امرأَةٌ حَسَنَةٌ، الحَقُّ يَعْلَمُ مِنْ تَكُون؛
أرادَتْ أنْ تَرى البِنْتَ على غَفْلَةٍ مِنْها، اتِّفاقاً كانَتِ البِنْتُ في المَكْتَب؛
أعادَتِ القَوْلَ سواءً كانَتْ نُخالَةً أمْ طَحِيْناً، سَأَجْعَلُ مِنْها بالقَلْبِ والرُّوحِ عَرُوساً؛
عِنْدَها وَلَدٌ لَيْسَ مَوْجُوداً في المَدِيْنَة، جَميلٌ وَذَكِيٌّ وَماهِرٌ وَحَسَنُ المَكْسَب؛
قالَ الصُّوفِيُّ نَحْنُ فُقَراءُ ضُعَفاءُ وَأَقَلُّون، وَقَوْمُ السَّيِّدَةِ أغْنياءُ وَمُحْتَشِمُون؛

مَتى كانَتْ هَذِهِ كُفُواً لَهُمْ في الزَّواج، أَفَرْدَةُ بابٍ مِنَ الخَشَبِ وَأُخْرى مِنَ العاج؛
يَجِبُ أنْ يَكُونَ الزَّوْجَانِ كُفُوَينِ في النِّكاح، أوْ يَحْصَلَ ضِيْقٌ ولا يَكُونَ ارْتياح؛

قَوْلُ المَرْأَةِ هِيَ لَيْسَتْ في قَيْدِ الجَهاز، مُرادُها السَّتْرُ والصَّلاح، وَجَوابُ الصُّوْفِيّ على هذا كِنايَةً

قالَتْ لَقَدْ قُلْتُ لها هذا العُذْرَ فَقالَتْ، أنا لَسْتُ طالِبَةً للجَهازِ والأسباب؛
بِنا مَلَلٌ مِنَ المالِ وَالذَّهَبِ وَتُخْمَة، لَسْنا في الحِرْصِ والجَمْعِ مِثْلَ العامَّة؛
قَصْدُنا السّتْرُ والطَّهارَةُ والصَّلاح، مِنْ ذاكَ يَكُوْنُ في العالَمَيْنِ الفَلاح؛
وَعادَ الدَّرْوِيشُ فَذَكَرَ عُذْرَ الدَّرْوَشَة، وَكَرَّرَ ذاكَ حَتَّى لا يَكُوْنَ مَخْفِيَّاً؛
قالَتِ المَرْأَةُ أنا أَيْضاً قُلْتُ لها مُكَرَّراً، وَجَعَلْتُ مِنْ عَدَمِ الجَهازِ مُقَرَّراً؛
فكانَ اعْتِقادُها أَكْثَرَ رُسُوخاً مِنَ الجَبَل، أنَّ شِكايَةً لَنْ تَجِيْءَ مِنْها مِنْ مِئَةِ فَقْرٍ؛
كانَتْ تَظَلُّ قائِلَةً مُرادِي العِفَّة، مَقْصَدي مِنْكُمُ هُوَ الصِّدْقُ والهِمَّة؛
قالَ الصُّوفِيُّ قَدْ رَأَتْ جِهازَنا وَمالَنا، وَرَأَتْ ما ظَهَرَ وَما خَفِيَ مِنَّا؛
المَنْزِلُ ضَيِّقُ المَقامِ يَتَّسِعُ لِشَخْص، حَتَّى أنَّهُ لا تَضِيْعُ فِيْهِ الإِبْرَة؛
ثُمَّ هِيَ بالسِّتْرِ والطَّهارَةِ والزُّهْدِ والصَّلاح، أفْضَلُ مَعْرِفَةً مِنَّا في الاِنْتِصاح؛
تَعْرِفُ أَحْوالَ السِّتْر أَفْضَلَ مِنَّا، وَتَعْرِفُ السِّتْر مِنْ أمامٍ وخَلْفٍ وأعلى وأسْفَل؛
ظاهِرٌ أنَّها بلا جَهازٍ وَخادِمَة، وأَنَّها بالصَّلاحِ والسِّتْرِ عالِمَة؛
شَرْحُ السِّتْرِ مِنَ الأَبِ لَيْسَ شَرْطاً، بِما أنَّهُ ظاهِرٌ عَلَيْها كالنَّهارِ المُضِيْء؛
قُلْتُ لَكَ هذِهِ الحِكايَةَ حَتَّى تُقِلَّ مِنْ نَسْجِ الدَّعاوي فَقَدْ صارَ مَفْضُوحاً الخَطَأُ؛
فَلَكَ مِنَ الدَّعْوى أيْضاً مُسْتَزاد، إنَّ هذا لَكَ اجْتِهادٌ واعْتِقاد؛
أنْتَ كُنْتَ خائِناً كَزَوْجَةِ الصُّوْفِيّ، لَقَدْ نَشَرْتَ للخَديعَةِ شِباكَ المَكْر؛
فَأَنْتَ مِنْ كُلِّ بَذيءٍ غَيْرِ مَغْسُولِ وَجْهٍ ، تَسْتَحي ولا تَسْتَحِيْ مِنْ إلهِ نَفْسِك؛

الغَرَضُ مِنَ القَوْلِ أَنَّ اللهَ سَمِيعٌ وَبَصير

مِنْ أَجْلِ ذلِكَ سَمَّى الحَقُّ نَفْسَهُ بَصيراً، لِتَكُوْنَ رُؤْيَتُهُ لَكَ في كُلِّ لَحْظَةٍ نَذيراً؛
مِنْ أَجْلِ ذلِكَ سَمَّى الحَقُّ نَفْسَهُ سَمِيْعاً، لِتُغْلِقَ الشَّفَةَ فلا تَقُوْلَ قَولاً شَنيعاً؛
مِنْ أَجْلِ ذلِكَ سَمَّى الحَقُّ نَفْسَهُ عَليماً، حَتَّى لا تُفَكِّرَ فِكْرَ الفَسادِ خَوْفاً مِنْه؛
هذِهِ لَيْسَتْ أَسْماءَ عَلَمٍ للهِ، فالكافُوْرُ يُسَمَّى كذلِكَ الأَسْوَد؛
الإِسْمُ مُشْتَقٌّ والأَوصافُ قَديمَة، لَيْسَتْ مِثالَ العِلَّةِ الأولى سَقيمَة؛
وإلاَّ يَكُوْنُ سُخْرِيَّةً ومَهْزَلَةً وَدَهاءً، تَسْمِيَةُ الأَصَمِّ سَامِعاً وفاقِدِ البَصَرِ ضِياءً؛
أو أَنْ يَكُونَ الحَيِيُّ عَلَماً على اِسْمٍ وَقيح، أو يُعْطى الأَسْوَدُ القَبيحُ اِسْمَ صَبيح؛
أو أَنْ يُلَقَّبَ الطُّفَيْلُ الوَليدُ حاجّاً، أوْ أَنْ تُسَمِّيَهُ مِنْ أجْلِ النَّسَبِ غازِياً؛
لَو قالُوا هذِهِ الأَلْقابَ في المَدِيْح، لِغَيْرِ صاحِبِ الصِّفَةِ لَمْ يَكُنْ ذاكَ بِصَحيح؛
يَكُوْنُ ذاكَ سُخْرِيَّةً وَدُعابَةً أو مِنْ جُنُون، تَنَزَّهَ الحَقُّ *عَمَّا يَقُوْلُ الظَّالِمُون*؛
أنا كُنْتُ على عِلْمٍ بِكَ قَبْلَ الوِصال، أَنَّكَ جَمِيْلُ الوَجْهِ وَلكِنَّكَ رَدِيْءُ الخِصال؛
أنا كُنْتُ على عِلْمٍ بِكَ قَبْلَ اللِّقاء، أَنَّكَ مُعانِدٌ راسِخٌ وَأَنَّكَ في الشَّقاء؛
إذا صارَتْ عَيْني مِنَ العَمَشِ حَمْراءَ، أَعْرِفُها مِنَ الأَلَمِ ذاكَ مِنْ دُوْنِ أَنْ أَراها؛
أَنْتَ رَأَيْتَني مِثْلَ حَمَلٍ بلا راعٍ، أَنْتَ ظَنَنْتَ مِنْ ذاكَ أَنِّي بلا حارِسٍ؛
العاشِقُونَ كانوا في الأنينِ مِنْ أَلَمِ ذاكَ، أنْ مَسَحُوا النَّظَرَ بمَقامٍ لَيْسَ جائزاً لَهُم؛
لَقَدْ رَأَوا ذلِكَ الظَّبْيَ مِنْ غَيْرِ راعٍ، فاعْتَبَروا ذلِكَ السَّبْيَ مُلْكَهُمْ مَجّاناً؛
حَتَّى مِنْ غَمْزَةٍ جاءَ سَهْمٌ على الكَبِد، أنْ أنا حارِسٌ أَقِلَّ مِنَ النَّظَرِ جُزافاً؛
مَتى كُنْتُ أَقَلَّ مِنْ حَمَلٍ وَأَقَلَّ مِنْ جَدْيٍ، حتَّى لا يَكُونَ لي حارِسٌ مِنْ ورائي؛
إنَّ لي حارِساً هُوَ بمُلْكي جَديرٌ، إنَّهُ عالِمٌ بالرِّيْحِ الَّتي عَلَيَّ تَهُبُّ؛
أَبارِدَةٌ تِلْكَ الرِّيْحُ أَمْ حارَّةٌ هُوَ عَليم، لَيْسَ بالغافِلِ وَلَيْسَ بالغائبِ أَيْ سَقيم؛

النَّفْسُ الشَّهْوانِيَّةُ صَمَّاءُ عَنِ الحَقِّ عَمْياءُ،أنا بالقَلْبِ كُنْتُ أرى عماكَ مِنْ بَعيد؛
ثَمانِيَ سِنينَ لَمْ أَسْأَلْكَ مِنْ ذلِكَ عَنْ شَيْءٍ، رَأَيْتُكَ مَمْلُوءاً مِنَ الجَهْلِ وَذا عِوَج؛
وأيُّ سُؤالٍ لي عَنْ كائنٍ في الأتُون ، أنْ كَيْفَ حالُكَ ما دامَ كانَ مَنْكُوساً؛

مِثالُ الدُّنيا كالأتُون والتَّقْوى كالحَمَّام

شَهْوَةُ الدُّنيا على مِثالِ أتُون، يَكُونُ حارَّاً مِنْهُ حَمَّامُ التَّقْوى؛
لكِنَّ قِسْمَ المُتَّقي مِنْ هذا الأُتُونِ الصَّفاء، لأنَّهُ كائنٌ في الحَمَّامِ وفي النَّقاء؛
الأغْنياءُ على مِثالِ حامِلي البَعْر، يَحْمِلُوْنَهُ مِنْ أجْلِ إشْعالِ نَارِ الحَمَّام؛
جَعَلَ اللهُ في دَواخِلِهِمُ الحِرْص، حَتَّى يَصيرَ الحَمَّامُ ذا رَوْنَقٍ وحارَّاً؛
أُتْرُكْ مَكانَ الأتون وامْضِ للحَمَّام، واعْلَمْ أنَّ تَرْكَ الأتُونِ عَيْنُ ذاكَ الحَمَّام؛
كُلُّ مَنْ في الأتُونِ هُوَ مِثْلَ خادِم، لِمَنْ هُوَ صابِرٌ وَمَنْ هُوَ حازِم؛
كُلُّ مَنْ في الحَمَّامِ صارَ سِيْماهُ، وَصارَ ظاهِراً على وَجْهِهِ الجَمِيْل؛
أَهْلُ الأُتُونِ أَيْضاً سِيْماهُمْ ظاهِرَةٌ، مِنَ اللِّباسِ وَمِنَ الدُّخانِ وَمِنَ الغُبار؛
إذا كُنْتَ لا تراهُ اذْهَبْ وَشُمَّ العَبير، فإنَّ العَبيرَ جاءَ كالعَصا لِكُلِّ ضَرير؛
وإنْ كُنْتَ لا تَشُمُّ العَبيرَ جُرَّهُ للحَديث، واعْرِفِ السِّرَّ القَديمَ مِنْ جَديدِ الحَديث؛
فَسَوْفَ يَقُوْلُ الأُتُوْنِيُّ صاحِبُ الذَّهَب، قَدْ حَمَلْتُ عِشْرينَ سَلَّةِ قُمامَةٍ إلى اللَّيْل؛
الحِرْصُ مِنْكَ كَأَنَّهُ النَّارُ في الدُّنيا، كُلُّ شُعْلَةٍ مِنْها فَتَحَتْ مِئاتِ الأفْواه؛
هذا الذَّهَبُ أمامَ العَقْلِ مِثْلَ زِبْلٍ قَبيح، لا جَرَمَ تَشْتَعِلُ النَّارُ مِنْهُ كالزِّبْلِ؛
الشَّمْسُ الَّتي تُشْعِلُ أَنْفاسَ النَّار، تَجْعَلُ مِنَ الزِّبْلِ الطَّرِيِّ لائقاً بالنَّار؛
الشَّمْسُ أَيْضاً تَجْعَلُ ذلِكَ الحَجَرَ ذَهَباً، حَتَّى يَقَعَ في أتُونِ الحِرْصِ بِمِئَةِ شَرَر؛
ذاكَ الَّذي قالَ أنا جَمَعْتُ مالاً كَثيراً، مَعْنى قَوْلِهِ أَنا حَمَلْتُ كَثيراً مِنَ الزِّبْل؛
هذا القَوْلُ رَغْمَ أَنَّهُ يَزيدُهُ افْتِضاحاً، هُوَ بَيْنَ أَهْلِ الأتُوْنِ زَيْنُ أنواعِ الفَخْر؛

أنْ أَنْتَ قَدْ حَمَلْتَ سِتَّ سِلالٍ إلى اللَّيْل، وَأنا قَدْ حَمَلْتُ عِشْرِينَ سَلَّةً بلا كُرَب؛
ذاكَ الَّذي وُلِدَ في الأتُونِ وَلَمْ يَرَ طَهارَةً ، رائِحَةُ المِسْكِ تَجْلُبُ لَهُ أَلَماً ظاهِراً؛

قَصَّةُ ذلِكَ الدَّبَّاغِ الَّذي أُغْمِيَ عَلَيْهِ في بازارِ العَطَّارينَ وَصارَ مَريضاً مِنْ عَبيرِ العِطْرِ والمِسْك

ذاكَ واحِدٌ وَصَلَ إلى بازارِ العَطَّارِيْن، وَسُرْعانَ ما مالَ وَوَقَعَ مُغْمىً عَلَيْه؛
شَمَّ عَبيرَ العِطْرِ مِنْ كِبارِ العَطَّارين، فَأصابَ رَأْسَهُ الدُّوارُ وَسَقَطَ في المَكان؛
سَقَطَ كالمَيْتِ غائباً عَنِ الوَعْي، في وَسَطِ المَعْبَرِ في مُنْتَصَفِ النَّهار؛
تَجَمَّعَ الخَلْقُ حَوْلَهُ ذلِكَ الزَّمان، والكُلُّ يقُولُ لا حَوْلَ وَيَسْعَى في العِلاج؛
ذاكَ واحِدٌ كانَ يَضَعُ على صَدْرِهِ اليَدَ،وذاكَ واحِدٌ آخَرُ يَرُشُّ عَلَيْهِ مِنَ الجُلاَّب؛
جاهِلاً أنَّ إصابَتَهُ في تِلْكَ الواقِعَة، جاءَتْ مِنَ الجُلاَّبِ في تِلْكَ المَرْتَعَة؛
وذاكَ واحِدٌ ظَلَّ يَدلُكُ رَأْسَهُ وَيَدَهُ، وذاكَ واحِدٌ راحَ يَجْلبُ لَهُ الوَرْدَ الغَضّ؛
وذاكَ واحِدٌ يَخلطُ السُّكَّرَ بِبُخُوْرِ العُوْد، وذاكَ واحِدٌ آخَرُ يَنْزِعُ عَنْهُ بَعْضَ لِباسِه؛
وذاكَ واحِدٌ يَفْحَصُ النَّبَضَ مِنْهُ، وذاكَ واحِدٌ راحَ يَشْتَمُّ رائِحَةَ فَمِه؛
أتُراهُ شَرِبَ خَمْراً أمْ مُخَدِّراً وَحَشيشاً، وَظَلَّ الخَلْقُ حائرينَ في غِيابِ وَعْيِه؛
ثُمَّ حَمَلوا الخَبَرَ عَنْهُ مُسْرِعِيْنَ لأهْلِهِ، أنَّهُ واقِعٌ في ذلِكَ المَكانِ مُغْمىً عَلَيْه؛
لا شَخْصَ يَعْلَمُ كَيْفَ صارَ مَصْرُوعاً، أو ما الَّذي جَرى لَهُ حَتَّى وَقَعَ منكوساً؛
كانَ لِذلِكَ الدَّبَّاغِ السَّمِيْنِ أخٌ ذكِيٌّ، كانَ ماهِراً وعالِماً جاءَ في لَهْفَةٍ مُسْرِعاً؛
يَحْمِلُ في كُمِّهِ القَلِيْلَ مِنْ حَدَثِ الكَلْبِ، شَقَّ جَمْعَ الخَلْقِ وجاءَ في حَنين؛
قالَ أنا عالِمٌ بِمَرَضِهِ الخَفِيّ، إذا عُلِمَ السَّبَبُ عَمَلُ الدَّواءِ جَلِيّ؛
إذا صارَ مَعْلُوماً السَّبَبُ لا يَدُومُ إشكال، في دواءِ الألَمِ الَّذي فيهِ مِئَةُ احْتِمال؛
إذا عَلِمْتَ السَّبَبَ فالأمْرُ سَهْل، مَعْرِفَةُ الأَسْبابِ دَفْعٌ لِلْجَهْل؛

قالَ لِنَفْسِهِ عِنْدَهُ في العُرُوقِ والمُخِّ، في كُلِّ ثَنْيَةٍ ثَنْيَةٍ رائِحَةُ حَدَثِ الكَلْب؛
إنَّهُ إلى اللَّيْلِ في حَدَثِهِ إلى وَسَطِه، غارِقٌ في الطَّلَبِ في الدِّباغَةِ إلى اللَّيْل؛
هكذا قالَ جالينُوسُ الكبيرُ ذاكَ، أَعْطِ المَريضَ ما كانَ مُعْتاداً عَلَيْه؛
مَرَضُهُ جاءَ مِنْ خِلافِ العادَةِ لَدَيْه، فاطْلُبْ دَواءَ مَرَضِهِ فيما اعْتادَ عَلَيْه؛
صارَ مِثْلَ الجُعَلِ مِمَّا حَمَلَ مِنَ الرَّوْثِ،الجُعَلُ مِنَ الجُلَّابِ يُصابُ بِفَقْدِ الوَعْي؛
إنَّ مِنْ حَدَثِ الكَلْبِ لَدَواءٌ أَيْضاً، لِمَنْ كانَ مُعْتاداً عَلَيْهِ وَصارَ لَهُ طَبْعاً؛
الخَبيثاتُ لِلْخَبيثينَ اِقْرَأْ، هذا الكلامَ ظَهْراً وَبَطْناً اعْرِفْ؛
النَّاصِحُوْنَ يَعْمَلُونَ مِنَ العَنْبَرِ والجُلَّاب، دواءً عَسى أَنْ يَكُوْنَ مِنْهُ فَتْحُ باب؛
لكِنَّ الخَبيثِيْنَ لا تُوائِمُهُمُ الطَّيِّبات، ولا تَليقُ بِهِمْ ولا تُوافِقُهُمْ أَيْ ثِقات؛
حِيْنَ صارُوا مُنْحَرِفِيْنَ وَضالِّيْن مِنْ عِطْرِ الوَحْيِ، علا صُراخُهُمْ *إِنَّا تَطَيَّرْنا بِكُمْ*؛
أَصابَنا الأَلَمُ وَالمَرَضُ مِنْ هذا المَقال، وَعْظُكُمْ لَيْسَ فالَ سَعْدٍ وَلَيْسَ ذا جَمال؛
لَوْ بَدَأْتُمْ بالنُّصْحِ لنا جَهاراً، لَرَجَمْناكُمْ بالحِجارَةِ في الحال؛
صِرْنا كِباراً كَبِرْنا على اللَّغْوِ واللَّهْو، وَلَمْ نَطْبَعْ أَنْفُسَنا على النَّصيحَة؛
قُوَّتُنا مِنَ الكَذِبِ والغُرورِ والسُّخْرِيَة، وَهِياجُ مَعِدَتِنا مِنْ هذا البَلاغ؛
تَجْعَلُوْنَ الأَلَمَ مِئَةَ ضِعْفٍ وَأَكْثَر ، وَتَجْعَلُونَ الدَّواءَ لِلْعَقْلِ مِنَ الأَفْيُون؛

مُعالَجَةُ أَخِ الدَّبَّاغِ لِلدَّباغِ خِفْيَةً بِرائِحَةِ البَعْر

راحَ يُبْعِدُ عَنْهُ الخَلْقَ ذلِكَ الشَّابُّ، حَتَّى لا يَرى عِلاجَهُ أولئِكَ الأَشْخاص؛
قَرَّبَ الرَّأْسَ مِنْ أُذُنِهِ كَمَنْ يَقُوْلُ لَهُ سِرَّاً، ثُمَّ قامَ بِوَضْعِ ذلِكَ الشَّيْءِ على أَنْفِه؛
كانَ في كَفِّهِ بَعْرُ كَلْبٍ مَدْقُوقٌ، لَقَدْ كانَ رَأى فِيْهِ دَواءَ مُخِّهِ المُلَوَّث؛
بَعْدَ ساعَةٍ بَدَأَ الرَّجُلُ بالحَراك، قالَ الخَلْقُ إنَّ هذا سِحْرٌ وَإنَّ هذا عَجيب؛
أنْ هذا قَرَأَ عَلَيْهِ رُقْيَةً دَمْدَمَ بِها في أُذُنِه، قَدْ كانَ مَيْتاً وَأَنْقَذَتْهُ الرُّقْيَةُ مِنَ المَوت؛

حَراكُ أهْلِ الفَسادِ كانَ مِنْ تِلْكَ الجِهَة، كانَ مِنَ الفَخْرِ والغَمْزِ واللَّمْز؛
كُلُّ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مِسْكُ النَّصِيْحَةِ نافِعاً، لا جَرَمَ عَوَّدَ الطَّبْعَ على رائِحَةِ السُّوء؛
الحَقُّ مِنْ ذاكَ دعا المُشْرِكِيْنَ نَجَساً، إنَّهُمْ وُلِدُوا مِنَ السَّبْقِ في البَعْر؛
الدُّوْدَةُ الَّتي هِيَ مَوْلُوْدَةٌ في البَعْرِ أَبَداً، لَنْ يَتَحَوَّلَ طَبْعُها أَبَداً مِنَ العَنْبَر؛
بِما أَنَّها لَمْ يُصِبْها نِثارُ رَشِّ النُّوْر، فإنَّها كُلَّها بلا قَلْبٍ كالقُشُور؛
لَوْ أَعْطاها الحَقُّ مِنْ رَشِّ النُّوْرِ قِسْماً، وُلِدَتْ طَيْراً مِنَ البَعْرِ كما رَسْمُ مِصْر؛
لا ذلِكَ الطَّائِرَ المَنْزِلِيَّ الخَسيس، بَلْ طائِرَ العِلْمِ والحِكْمَةِ العالِيَة؛
أَنْتَ بِتِلْكَ شَبيهٌ فَأَنْتَ خالٍ مِنْ ذلِكَ النُّور، لأَنَّكَ تَضَعُ الأَنْفَ على النَّجاسات؛
صِرْتَ أَصْفَرَ وَجْهٍ وَخَدٍّ مِنَ الفِراق، أنتَ وَرَقَةٌ صَفْراءُ وَأَنْتَ فاكِهَةٌ فَجَّةٌ؛
القِدْرُ اسْوَدَّتْ مِنَ النَّارِ وعلاها الدُّخان، وَظَلَّ اللَّحْمُ هكذا فَجّاً مِنْ قَساوَتِه؛
جَعَلْتُكَ تَجِيْشُ في الفِراقِ ثَمانِيَةَ أعْوام، لَمْ تَقِلَّ فَجاجَتُك والنِّفاقُ ذَرَّةً أَيُّها الخام؛
حِصْرَمُكَ صارَ كالصَّخْرِ قاسِياً فَمِنَ السَّقام ، الحِصْرَمُ الآنَ زَبيبٌ وَأَنْتَ خام؛

طَلَبُ العاشِقِ المَعْذِرَةَ عَنْ ذَنْبِهِ بالتَّلْبيس وَخِفْيَةً وَفَهْمُ المَعْشُوْقةِ ذلِكَ أَيْضاً

قالَ العاشِقُ لا تُؤاخِذيني كُنْتُ أَمْتَحِنُكِ، لأرى هَلْ أَنْتِ حَريفَةٌ أَمْ أَنْتِ عَفيفَة؛
وأنا كُنْتُ بِكِ عالِماً مِنْ دُوْنِ امْتِحان، لكِنْ مَتى كانَ الخَبَرُ كما يَكُوْنُ العِيان؛
أَنْتِ فاشِيَةُ الشُّهْرَةِ واسْمُكِ الشَّمْسُ، أيُّ ضَرَرٍ يَكُونُ إذا قُمْتُ بالإبْتِلاء؛
أَنْتِ أنا، وأنا كُلَّ يَوْمٍ لي امْتِحان، أَمْتَحِنُ بِهِ النَّفْسَ في رِبْحٍ وَفي خُسْران؛
لَقَدْ قامَ بامْتِحانِ الأنبياءِ العُداة، حَتَّى صارَتْ ظاهِرَةً مِنْهُمُ المُعْجِزات؛
قُمْتُ بامْتِحانِ عَيْنيَ بالنُّور، أيْ مَنْ عَيْنُ السُّوء عَنْ عُيُوْنِكِ بَعيْدَة؛
هذا العالَمُ كالخَرابِ وَأَنْتِ الكَنْز، لا تَأْلَمِي إذا قُمْتُ بالتَّفَحُّصِ عَنِ الكَنْز؛
لَقَدْ قُمْتُ بِفِعْلِ ذاكَ بلا تَعَقُّلٍ جُزافاً، كَيْ أَفْتَخِرَ وَأَتَباهى كُلَّ حِيْنٍ أمامَ الأعْداء؛

حَتَّى إذا ما ذَكَرَ اسْمَكِ لِساني، تُقَدِّمُ العَيْنُ عَنْ هذِهِ الرُّؤيَةِ الأدِلَّة؛
إنْ كُنْتُ في طَريقِ حَرَمِكِ قاطِعَ طَريق، فَقَدْ جِئْتُ أيْ عظِيْمَةُ بالسَّيْفِ والكَفَن؛
لا تَقْطَعِيْ الرَّأْسَ والقَدَمَ مِنِّي إلَّا بِيَدِكِ، فَأَنا أكُوْنُ مِنْ هذِهِ اليَدِ لا مِنْ يَدٍ أُخْرى؛
تَتَحَدَّثينَ الحَديثَ مِنْ جَديدٍ عَنِ الهَجْر، اِفْعَلي كُلَّ ما شِئْتِ لكِنْ هذا لا تَفْعَلي؛
في عامِرِ الكلام ضاعَ هذِهِ اللَّحْظَةَ الطَّريق، لا إمْكانَ للكلامِ لا وَقْتَ للكلام؛
قُلْتُ قُشُوراً وَجاءَ دَفيناً اللُّبُّ، إذا بَقِيْنا فَلَنْ يَظَلَّ هذا هكذا؛

رَدُّ المَعْشُوْقَةِ عُذْرَ العاشِقِ وَمَسْحُها تَلْبِيْسَهُ في وَجْهِه

فَتَحَتْ تِلْكَ الحَبيبَةُ في جَوابِهِ الشَّفَة، أنِ الأمْرُ مِنْ جِهَتِنا نَهارٌ وَمِنْ جِهَتِكَ لِيْلٌ؛
لِمَ تأتي إلى أمامِ المُبْصِرِيْنَ، بالحِيَلِ السَّوْداءِ في الأحكام؛
ما عِنْدَكَ مِنْ مَكْرٍ وَرُمُوزٍ في القَلْبِ، ظاهِرٌ كُلُّهُ لنا ومَفْضُوحٌ كَالنَّهار؛
إنْ كُنَّا سَتَرْناهُ مِنْ تَرْبِيَةٍ لِلْعَبْد، لِمَ تَقُوْمُ بلا خَجَلٍ بِتَجاوُزِ الحَدّ؛
تَعَلَّمْ مِنَ الأبِ فآدَمُ في الذَّنْب، هَبَطَ جَميلاً إلى المنزلِ الأدنى؛
عِنْدَما رأى عالِمَ الأسرارِ ذاكَ، وَقَفَ على قَدَمَيْهِ للاِسْتِغْفار؛
جَلَسَ على صعيدِ الأرْضِ مهموماً، لَمْ يَنْتَقِلْ للتَّعَلُّلِ مِنْ غُصْنٍ لِغُصْن؛
قالَ *رَبَّنا إنَّا ظَلَمْنا* وَحَسْب، إذ رأى الأحياءَ مِنْ أمامٍ وَخَلْف؛
رأى الأحياءَ مُخْتَفينَ كما الرُّوح، مَعَ كُلِّ واحِدٍ عصاً مِنْ حديدٍ تصِلُ لِلسَّماء؛
فَهلاَّ صِرْتَ نَمْلَةً أمامَ سُلَيْمان، كيلا تُمَزِّقَكَ عصا الحديدِ هذِه؛
لا تَقِفْ بِلا مقامِ الصِّدْقِ لَحْظَةً واحِدَةً، لَيْسَ كالعَيْنِ للعَبْدِ مِنْ شَيءٍ؛
الأعمى وإنْ صارَ طاهِراً بالنَّصِيحَة، سَوفَ يَتَلَوَّثُ في كُلِّ لَحْظَةٍ مِنْ جَديد؛
أَيْ آدَمِيٌّ لَسْتَ أعْمىً مِنَ النَّظَرْ، لكِنْ *إذا جاءَ القضاءُ عَمِيَ البَصَر*؛
تَجِبُ أعمارٌ وَيَنْدُرُ مِنْ حِينٍ لِحِين، أنْ يَقَعَ مُبْصِرٌ مِنَ القضاءِ في البِئر؛

وهذا القضاءُ مُرافِقٌ للأعمى، فالسُّقوطُ لَهُ سَجِيَّةٌ وَطَبْع؛
وَقَعَ في الحَدَثِ وَلَمْ يَدْرِ ما هذِهِ الرَّائحَة، أهذِهِ الرَّائحَةُ مِنّي أمْ مِنَ الحَدَث؛
لو قامَ شَخْصٌ بِنَثْرِ المِسْكِ عَلَيْهِ، رأى ذاكَ مِنَ النَّفْسِ لا مِنْ إحسانِ الصَّديق؛
إذَنْ فَعَينانِ مُضِيئَتَانِ أيْ صاحِبَ النَّظَرْ، تكونانِ لكَ مئةَ أُمٍّ وَمِئةَ أب؛
خاصَّةً عَيْنُ القَلْبِ فَتِلْكَ لَكَ سَبْعُونَ، وَعَينا الحِسِّ هاتانِ تَجْنيانِ مِنْها؛
أي أسفاً أنَّ قُطَّاعَ الطَّريقِ قَعَدُوا، مِئةَ عُقْدَةٍ تَحْتَ اللِّسانِ عَقَدُوا؛
كَيْفَ يُحْسِنُ سالِكٌ مُقَيَّدُ القَدَمِ السَّيْر، ألا كُنْ عاذِرَ المُقَيَّدِ بقَيْدٍ ثَقيل؛
يا قَلْبُ هذا الحديثُ يَخْرُجُ مُكَسَّراً، فهذا الحديثُ دُرٌّ والغَيْرَةُ طاحُون؛
الدُّرُّ إذا صارَ صَغيراً مُكَسَّراً، صارَ كُحْلاً لِعَينٍ بها الأذى؛
أيْ دُرُّ مِنْ تَكَسُّرِكَ لا تَضْرِبِ الرَّأْسَ، إنَّ مِنَ التَّكَسُّرِ يُولَدُ الضِّياء؛
مِثْلَ الكلامِ المُكَسَّرِ غَيْرِ الصَّحيحِ، جَعَلَهُ الحَقُّ في الآخِرِ صَحيحاً فَهُوَ الغَنِيّ؛
القَمْحُ إذا صارَ مُكَسَّراً وَمَطْحُوناً، جاءَ إلى الدُّكَّانِ خُبْزاً جَميلاً صَحيحاً؛
وَأَنْتَ أَيْ عاشِقُ أيضاً إذا فَشا جُرْمُك، أُتْرُكِ الماءَ والزَّيْتَ وانكَسِرْ؛
أولئكَ الَّذينَ هُمْ خَواصُّ أبناءِ آدَم، يُدَندِنُونَ بِنَفْحَةِ *إنَّا ظَلَمْنا*؛
اِعْرِضْ حاجَتَكَ لا تَقُلْ حُجَّتَكَ، لا تَفْعَلْ فِعْلَ إبليسَ اللَّعينِ بلا أدَب؛
لو أنَّ جُرْأَتَهُ كانَتْ ساتِراً لِعَيْبِه، اِسْعَ في الخِصامِ وَقِلَّةِ الحياءِ السَّعْي؛
أبو جَهْلٍ ذاكَ طَلَبَ مِنَ النَّبِيّ، مُعْجِزَةً فِعْلَ تُرْكِيٍّ مِنَ الغَزِّ حاقِدٍ؛
لكِنَّ صِدِّيْقَ الحَقِّ ذاكَ لَمْ يَطْلُبِ المُعْجِز، قالَ هذا الوَجْهُ لا يَقُولُ غَيْرَ الصِّدْق؛
مَتى يكونُ لِواحِدٍ مِثْلِكَ مِنْ مَنِيٍّ ، أنْ يَصِلَ لامْتِحانِ حبيبٍ مِثْلي فَيَمْتَحِنَه؛

قَوْلُ ذلِكَ اليَهُودِيّ لِعَلِيّ عَلَيْهِ السَّلام: إذا كانَ لَكَ اعْتِمادٌ على حِفْظِ الحَقّ اِرْمِ بِنَفْسِكَ مِنْ على هذا القَصْرِ وَجَوابُ أميرِ المُؤمِنينَ عَلَيْهِ السَّلامُ لَه

قالَ للمُرْتَضى عَنُودٌ يَوماً، وكانَ بلا خَبَرٍ عَنْ تَعْظيمِ الله؛
مِنْ على سَطْحِ قَصْرٍ شَديدِ العُلُوّ، هَلْ أنْتَ واقِفٌ على حِفْظِ الحَقّ أي ذكيّ؛
قالَ نَعَمْ إنَّهُ حفيظٌ وَغَنِيّ، يَحْفَظُنا جَميعاً مِنْ طِفْلٍ وَمِنْ مَنِيّ؛
قالَ إذَنْ أَلْقِ بِنَفْسِكَ مِنْ على السَّطْحِ، واعْتَمِدْ تمامَ الإعْتِمادِ على حِفْظِ الحَق؛
حَتَّى يصيرَ لِيَ اليَقينُ مِنْ إيقانِك، والإعْتِقادُ الحَسَنُ مِنْ بُرْهانِك؛
فقالَ لَهُ الأميرُ اقطَعِ الكلامَ واذْهَبْ، كي لا تصيرَ رُوْحُكَ رهِيْنَةَ هذِهِ الجُرْأة؛
متى كانَ لِعَبْدٍ أنْ يَحِقَّ لَهُ، القِيامُ بامتِحانِ اللهِ مِنَ الإبتِلاء؛
متى تكونُ للعَبْدِ الجُرْأَةُ مِنَ الفُضُول، لامتِحانِ الحَقّ أي ذا العَوَجِ الأحْمَق؛
إنَّ ذاكَ مِنْ شَأْنِ اللهِ سُبْحانَهُ، أنْ يَقُومَ بالإمْتِحانِ مَعَ العَبيدِ في كُلّ لَحْظَة؛
حَتَّى يُظْهِرَ لنا بِنا ظاهِراً، ذاكَ الَّذي نَمْلِكُ مِنَ العَقيدَةِ في السَّريرة؛
وَلَمْ يَقُلْ أَيُّ آدَمِيّ لِلْحَقّ أَبَداً، أنا كُنْتُ أمْتَحِنُكَ بِذلِكَ الجُرْمِ والخَطَأ؛
كَيْ أرى غايَةَ الحِلْمِ مِنْكَ أيْ مَلِك، مَنْ لَهُ المَجالُ هناك، ذا مَنْ يَكُون؛
مِنْ شِدَّةِ ما بِعَقْلِكَ مِنَ القُصُورِ أي أحْمَق، عُذْرُكَ صارَ أقْبَحَ مِنْ ذَنْبِك؛
ذاكَ الَّذي رَفَعَ السَّقْفَ مِنَ السَّماء، ما عِلْمُكَ أَنْتَ كَيْ تَقُومَ بامتِحانِه؛
أيْ أنتَ الَّذي لا تَعْرِفُ الشَّرَّ والخَيْر، امْتَحِنِ النَّفْسَ أوَّلاً ثُمَّ امْتَحِنِ الغَيْر؛
حِيْنَ تَقُوْمُ بامْتِحانِ النَّفْسِ أيْ فُلان، تَصيْرُ فارِغاً مِنْ امْتِحانِ الآخَرين؛
إذا كُنْتَ تَعْلَمُ أنَّكَ حَبَّةٌ مِنَ السُّكَّر، اِعْلَمْ أنَّكَ أهْلٌ لِمَنْزِلِ السُّكَّر؛
إذَنْ فاعْلَمْ مِنْ غَيْرِ امْتِحانٍ أنَّ الإله، لَنْ يُرْسِلَكَ إلى مكانٍ لا يليقُ وأنتَ سُكَّر؛

اِعْلَمْ بِغَيْرِ امْتِحانٍ هذا مِنْ عِلْمِ الله، إذا كُنْتَ رأساً لَنْ يُرْسِلَكَ اللهُ إلى العَتَبَة؛
ما مِنْ عاقِلٍ يُلقي بِدُرٍّ ثمينٍ، في وَسَطِ مُسْتراحٍ مليءٍ بالبَوْل؛
ذلِكَ أنَّهُ لَمْ يَقُمْ حَكيمٌ وَذو خِبْرَةٍ، بإرسالِ القَمْحِ أَبَداً إلى مُسْتَوْدَعِ التِّبْن؛
والشَّيْخُ الَّذي كانَ مُقَدَّماً وكانَ دَليلاً، المُريدُ الَّذي يُريدُ أنْ يَمْتَحِنَهُ حِمار؛
فإذا قُمْتَ بامتِحانِهِ في طَريقِ الدِّيْن، صِرْتَ أنتَ المُمْتَحَنَ أي بلا يقين؛
جُرْأَتُكَ وَجَهْلُكَ صارا عُريانَيْنِ وفاشِيَيْن، وهُوَ لا يصيرُ عارياً مِنْ ذلِكَ التَّفتيش؛
إذا جاءَتْ ذَرَّةٌ لِتَزِنَ الجَبَلَ أيْ فَتى، يَتَحَطَّمُ ميزانُها مِنْ ذلِكَ الجَبَل؛
إنَّهُ يَصْنَعُ الميزانَ مِنْ قياسِ نَفْسِهِ، وَيَضَعُ رَجُلَ الحَقِّ في هذا الميزان؛
بِما أنَّ ميزانَ العَقْلِ لَيْسَ يَسَعُه، فإنَّ ميزانَ العَقْلِ يَتَحَطَّمُ مِنْ ذلِك؛
اعْرِفِ امْتِحانَهُ مِثْلَ التَّصَرُّفِ بِهِ، أنتَ لا تَبْحَثْ عَنِ التَّصَرُّفِ بِمِثْلِ هكذا شاه؛
فأَيُّ تَصَرُّفٍ تَطْلُبُ أنْ تَقُومَ بِهِ النُّقُوش، بِمِثْلِ ذاكَ النَّقَّاشِ لأجْلِ الإبْتِلاء؛
إذا كانَتْ عَرِفَتِ الامْتِحانَ وَأَدْرَكَتْهُ، أَلَيْسَ هُوَ النَّقَّاشُ مَنْ فَتَحَ لها ذلِك؛
أيُّ قَدْرٍ يَكُونُ لِهذِهِ الصُّوْرَةِ الَّتي خَلَقَها، أمامَ كُلِّ تِلْكَ الصُّوَرِ الكائنَةِ في عِلْمِه؛
وَسْوَسَةُ هذا الإمْتِحانِ إذا جاءَتْكَ، اعْرِفْها بَخْتَ سُوءٍ جاءَكَ وَضَرَبَ عُنُقَك؛
إذا رَأَيْتَ مِثْلَ هذا الوَسْواسِ أَسْرِعْ سَريعاً، وارْجِعْ إلى اللهِ وَقُمْ بالسُّجُود؛
واجْعَلْ مَوضعَ السُّجُودِ رَطْباً مِنَ الدَّمْع، أنْ أَيْ اللهُ حَرِّرْني مِنْ هذا الظَّنّ؛
لَحْظَةَ صارَ الإمْتِحانُ لَكَ مَطْلُوباً ، مَسْجِدُ الدِّيْنِ مِنْكَ صارَ كُلُّهُ خَراباً؛

قِصَّةُ المَسْجِدِ الأَقْصى والخرُّوب وعزْمُ داؤودَ قَبْلَ سُلَيْمانَ عَلَيْهِما السَّلامُ على بِناءِ ذلِكَ المَسْجِد

حينَ صارَ لِداؤودَ عَزْمٌ راسِخٌ، على أنْ يَقُومَ بِبِناءِ المَسْجِدِ الأَقْصى بالحِجارَة؛
أوحى لَهُ الحَقُّ قُلْ بِتَرْكِ هذا، فَهذا المَكانُ سَوْفَ لَنْ يَقُوْمَ على يَدِك؛

فَلَيْسَ في تَقْديرِنا أنْ تَكُونَ أنْتَ، مَنْ يَقُومُ بِبِناءِ المَسْجِدِ الأقْصى أيْ مُنْتَجَب؛
قالَ جُرْمي ما يَكُونُ أيْ عالِمَ السِّرِّ، حَتَّى تَقُولَ لي لا تَقُمْ بِبِناءِ المَسْجِد؛
قالَ قَدْ أَرَقْتَ دِماءً بِغَيْرِ جُرْمٍ، وَحَمَلْتَ دِماءَ المَظْلُومينَ في رَقَبَتِك؛
إنَّ ما لا يُعَدُّ مِنَ الخَلْقِ مِنْ غِناءِكَ، صارُوا صَيْداً لِصَوْتِكَ وَأَسْلَموا الرُّوح؛
كَمْ مِنْ دَمٍ ضاعَ مِنْ غِناءِكَ، على صَوْتِكَ الجَميلِ الآخِذِ بالرُّوح؛
قالَ كُنْتُ لَكَ مَغْلُوباً وَبِكَ سَكْراناً، كانَتْ يَدي مُقَيَّدَةً مِنْ يَدِك؛
أيْ مَليكُ أَلَيْسَ كُلُّ مَغْلُوبٍ بِمَرْحُوم، أَلَيْسَ المَغْلُوبُ أَشْبَهَ بالمَعْدوم؛
قالَ هذا المَغْلُوبُ المَعْدُومُ أيْنَ هُوَ، أَيْقِنوا أنَّهُ لَيْسَ مَعْدُوماً إلاَّ بالنِّسْبَة؛
مِثْلَ هذا المَعْدُومَ الَّذي تَحَرَّرَ مِنَ النَّفْس، أفْضَلُ مِنَ المَوجُوداتِ كُلِّها وَأعْظَم؛
هُوَ بالنِّسْبَةِ لِصِفاتِ الحَقِّ الفناء، وَهُوَ في الحَقيقَةِ ذُو البَقاءِ في الفَناء؛
في تَدْبيرِهِ تَكُونُ جُمْلَةُ الأرواح، وَتَحْتَ سَهْمِهِ تَكُونُ جُمْلَةُ الأشْباح؛
ذاكَ الَّذي هُوَ في لُطْفِنا مَغْلُوبٌ، لَيْسَ بالمُضْطَرِّ بَلْ مُخْتارَ الولاء؛
مُنْتَهى الاِخْتيارِ ذاكَ إنَّما يَكُونُ، لِمَنْ صارَ اختيارُهُ ها هُنا مُفْتَقَداً؛
وما كانَ هُناكَ مِنْ ذَوقٍ واختيارٍ، لِمَنْ لَمْ يَصِرْ آخِراً مَحْواً مِنِّي؛
كُلُّ ما يكونُ في العالَمِ مِنْ لُقْمَةٍ وَشُرْبَة ، لَذَّتُهُ فَرْعٌ لِمَحْوِ اللَّذَّة؛
رَغْمَ أنَّهُ صارَ بلا تأثيرٍ مِنَ اللَّذَّات ، فَقَدْ صارَ لَذَّةً وَصارَ آخِذَ لَذَّات؛

شَرْحُ إنَّما المُؤمِنُونَ إخْوَةٌ، والعُلَماءُ كَنَفْسٍ واحِدَةٍ، خاصَّةً اتِّحادُ داؤودَ وَسُلَيمانَ وسائرُ الأنبياءِ عَلَيْهِمُ السَّلام بِحَيْثُ إذا كُنْتَ مُنْكِراً لِواحِدٍ مِنْهُمْ لا يكونُ إيمانُكَ بِأيِّ نَبِيٍّ صحيحاً، وهذِهِ علامَةُ اتِّحادٍ، فإذا ما خَرَبْتَ مَنْزِلاً مِنْ آلافِ المَنازِلِ تِلْكَ تَصيرُ جَميعُها خراباً ولا يبقى جِدارٌ واحِدٌ قائماً، أنْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ، والعاقِلُ تَكْفيهِ الإشارَة، وَقَدْ جَرَتْ الإشارَةُ إلى هذا

رَغْمَ أنَّ هذا المَسْجِدَ لَنْ يَقُومَ بِجُهْدِكَ وَقُوَّتِك، إنَّ هذا المَسْجِدَ سَيَبْنيهُ وَلَدُك؛
فِعْلُهُ كائنٌ مِنْ فِعْلِكَ أي حكيم، اِعْلَمْ أنَّ الاِتِّصالَ بَيْنَ المُؤمِنينَ قَديم؛
المُؤمِنونَ مَعْدُودونَ لكِنِ الإيمانُ واحِد، الأجسامُ مِنْهُمْ مَعْدُودَةٌ وَرُوحُهُمْ واحِد؛
إنَّ للآدَمِيِّ عَقْلاً آخَرَ وَرُوحاً أُخْرى، غَيْرَ الفَهْمِ والرُّوحِ في الحِمارِ والثَّوْر؛
وَهُناكَ غَيْرَ رُوحِ وَعَقْلِ الآدَمِيّ، رُوحٌ أُخْرى بازِغَةٌ في الوَلِيّ؛
الرُّوحُ الحَيَوانِيُّ لَيْسَ لَهُ اتِّحاد، لا تَبْحَثْ عَنِ الاِتِّحادِ في رُوحِ الهواء؛
إذا أَكَلَ هذا خُبْزاً لا يَشْبَعُ مِنْهُ ذاك، وإذا حَمَلَ هذا حِمْلاً لا يَجِدُ ثِقْلَهُ ذاك؛
بَلْ هذا يَجِدُ السَّعادَةَ مِنْ مَوْتِ ذاك، وَيَمُوتُ مِنَ الحَسَدِ إذا رأى لَهُ إقْبالاً؛
أرواحُ الذِّئابِ والكِلابِ أرواحٌ مُنْفَصِلَة، وأرواحُ أُسُوْدِ اللهِ مُتَّحِدَة؛
لَقَدْ قُلْتُ أرواحَهُمْ بالجَمْعِ بالاِسْم، فَتِلْكَ الرُّوحُ الواحِدَةُ صارَتْ مِئَةً نِسْبَةً لِلْجِسْم؛
مِثْلَ نُوْرِ شَمْسِ السَّماءِ الواحِدِ ذاك، صارَ مِئَةً بالنِّسْبَةِ إلى أَفْضِيَةِ البُيُوت؛
لكِنَّ أنوارَها جَميعاً تَصيرُ واحِداً، عِنْدما تَقُومُ بِرَفْعِ الجُدرانِ مِنْ بَيْنِ البُيُوت؛
حِيْنَ لا يبقى للبُيُوتِ قاعِدَة، المُؤمِنُونَ مِثْلَ نَفْسٍ واحِدَة؛
وَيَطْلَعُ مِنْ هذا المَقالِ فَرْقٌ وإشْكال، ذلِكَ أنَّهُ لا يُوْجَدُ لِمِثْلِ هذا مِثال؛
فَهُناكَ فُرُوقٌ بلا حَدٍّ مِنْ شَخْصِ الأَسَدِ، إلى شَخْصِ المَخْلُوقِ الآدَمِيِّ الشُّجاع؛

لكِنْ في وَقْتِ المِثالِ أَيْ حَسَنَ النَّظَرِ، أُنْظُرْ إلى الاِتّحادِ مِنْ وَجْهِ الشَّجاعَة؛
فإنَّ ذلِكَ الشُّجاعَ كانَ مِثالاً للأسَد، لا أنَّهُ مِثْلَ الأَسَدِ في جُمْلَةِ الحُدُود؛
هذِهِ الدَّارُ لا تَمْلِكُ رَسْماً مُتَّحِداً، حَتَّى أَقُومَ بِعَرْضِ مِثْلٍ لَكَ مِنْها؛
كما أنَّ المِثالَ الَّذي قَدَّمْتُهُ ناقِصٌ، قَدَّمْتُهُ لأُخَلِّصَ العَقْلَ مِنَ الحَيْرَة؛
إنَّهُمْ يَضَعُونَ السِّراجَ في كُلِّ مَنْزِلٍ ليلاً، حَتَّى يَتَحَرَّرُوا مِنَ الظُّلْمَةِ بِنُورِ ذاكَ؛
البَدَنُ هُوَ السِّراجُ وَنُورُهُ كالرُّوح، هُوَ في حاجَةٍ للفَتيلِ ولِهذا وذاك؛
ذاكَ سِراجٌ بِسِتِّ فتائلَ هِيَ الحَواسّ، لها جُمْلَةً مِنَ النَّومِ وَمِنَ الطَّعامِ أساس؛
لا يَعيشُ نِصْفَ لَحْظَةٍ بلا طعامٍ ونَوم، كما لا يعيشُ كذلِكَ مَعَ الطَّعامِ والنَّوم؛
لا بقاءَ لَهُ بلا فَتيلٍ وَزَيْت، كما لا وَفاءَ لَهُ مَعَ الفَتيلِ والزَّيْت؛
ذلِكَ لأنَّ نُورَ عِلَّتِهِ طَلَبُ المَوت، كَيْفَ يعيشُ مَنْ مَوتُهُ مِنَ النَّهارِ المُضيء؛
جُمْلَةُ أحاسيسِ البَشَرِ كذلِكَ بلا بقاء، لأنَّها أمامَ نُورِ يَوْمِ الحَشْرِ فَناء؛
أنوارُ الحِسِّ والأرواحُ مِنْ آبائنا، لَيْسَتْ كُلُّها فانِيَةً وَلَيْسَتْ كالنَّبات؛
لكِنَّها مِثْلَ النُّجُومِ وَمِثْلَ ضَوْءِ القَمَر، مَمْحُوَّةٌ جُمْلَةً مِنْ شُعاعِ الشَّمْس؛
على مِثالِ أَلَمِ وَوَجَعِ لَدْغَةِ بَعُوضَةٍ، يَصيرُ مَحْواً إذا جاءَتْ إِلَيْكَ الحَيَّة؛
مِثْلَ ذاكَ العارِي الَّذي قَفَزَ إلى الماء، لِيَنْجُوَ بالماءِ مِنْ لَدْغِ الزَّنابير؛
والزَّنبورُ قائمٌ فَوْقَ رَأْسِهِ بالطَّواف، وحينَ يَرْفَعُ الرَّأْسَ لا يعِفُّ عَنْه؛
الماءُ ذِكْرُ الحَقِّ والزَّنبورُ الزَّمان، وذِكْرُ فُلانَةٍ وَذِكْرُ فُلان؛
اِجْرَعِ الدَّمَ في ماءِ الذِّكْرِ واصْبِرْ، حَتَّى تنْجُوَ مِنَ الفِكْرِ والوَسْواسِ القَديم؛
بَعْدَ ذلِكَ بِطَبْعِ ماءِ الصَّفاءِ ذاكَ، تَطَبَّعْ جُمْلَةً مِنَ الرَّأْسِ إلى القَدَم؛
وهكذا يَفِرُّ زَنبورُ الشَّرِّ ذاك، هارِباً مِنَ الماءِ وَيَأْخُذُ حِذْرَهُ مِنْكَ أيضاً؛
بَعْدَ ذلِكَ ابْتَعِدْ عَنِ الماءِ إنْ شِئت، فَقَدْ صِرْتَ سِرَّاً شَريكَ طَبْعِ الماءِ أي عَبْد؛
الأشْخاصُ الَّذينَ عَبَروا مِنَ العالَم، لَمْ يَفْنَوا بَلْ صاروا مُخالَطِيْنَ بالصِّفات؛

صِفاتُهُمْ جُمْلَةً في صِفاتِ الحَقّ، كالنَّجْمِ لا أَثَرَ لَهُ أمامَ تِلْكَ الشَّمْس؛
إنْ تَطْلُبْ نَقْلاً مِنَ القُرآنِ أيْ حَرُون، اِقْرَأْ *هُمْ جَمْيْعٌ لَدَيْنا مُحْضَرُون*؛
المُحْضَرونَ لَيْسُوا بِمَعْدُومِيْنَ أمعِنْ، حَتَّى تَعْلَمَ بِبَقاءِ الأرواحِ يقيناً؛
الرُّوحُ المَحْجُوبُ عَنِ البَقاءِ في عَذاب،الرُّوحُ الواصِلُ للبَقاءِ تَجَرَّدَ مِنَ الحِجاب؛
قُلْتُ لَكَ المُرادَ عَنْ سِراجِ حِسّ الحَيوانِ، حتَّى لا تكُونَ باحِثاً عَنِ الاتِّحاد؛
فاجْعَلِ الرُّوحَ مِنْكَ مُتَّصِلاً سَريعاً، بأرواحِ قُدْسِ السَّالِكِيْنَ أي فُلان؛
مئاتُ السُّرُجُ مِنْكَ مُطْفَأَةً أمْ مُشْتَعِلَةً، مُنْفَصِلَةٌ مُتباعِدَةٌ وَلَيْسَتْ سِراجاً واحِداً؛
مِنْ هُنا كانَ أصْحابُنا جَميعاً في حَرْبٍ، وَلَمْ يَسْمَعْ شَخْصٌ بِحَرْبٍ بَيْنَ الأنبياء؛
ذلِكَ لأنَّ نُورَ الأنبياءِ هُوَ الشَّمْس، وَنُوْرُ حِسِّنا نَحْنُ السِّراجُ والشَّمْعُ والدُّخان؛
فواحِدٌ ماتَ وواحِدٌ بَقِيَ إلى النَّهار، واحِدٌ كانَ ذابِلاً وآخَرُ كانَ وهَّاجاً؛
الرُّوحُ الحَيوانِيُّ حَيٌّ مِنَ الغِذاء، وَيَمُوتُ مِنْ كُلِّ جَميلٍ وَبَذِيّ؛
إذا ماتَ هذا السِّراجُ وَصارَ طَيَّاً، مَنْزِلُ الجارِ متى يصيرُ مُظْلِماً؟؛
نُوْرُ ذلِكَ المَنْزِلِ قائمٌ بلا هذا، فَسِراجُ حِسِّ كُلِّ مَنْزِلٍ إِذَنْ مُنْفَصِل؛
هذا مِثالٌ على الرُّوْحِ الحَيَوانِيّ، وَلَيْسَ بِمِثالٍ على الرُّوحِ الرَّبَّانِيّ؛
ثُمَّ إذا مِنَ اللَّيْلِ الهِنْدِيّ وُلِدَ قَمَرٌ، سَقَطَ مِنْهُ على كُلِّ نافِذَةٍ نُوْر؛
كانَ ذاكَ نُوراً واحِداً في مِئَةِ مَنْزِلٍ، فَنُوْرُ هذا لا يبقى بلا نُوْرِ ذاك؛
حتَّى إذا أَشْرَقَتِ الشَّمْسُ على الأُفُق، صارَ نُوْرُها ضَيْفاً على كُلِّ مَنْزِلٍ؛
فإذا صارَ نُوْرُ شَمْسِ الرُّوْحِ آفِلاً، صارَ نُوْرُ جُمْلَةِ المَنازِلِ زائلاً؛
هذا أتى مِثالاً على النُّوْرِ لا مِثْلاً، لِيَكُونَ قاطِعَ دَرْبٍ لِلْعَدُوّ وَلَكَ هادِياً؛
سَيِّئُ الطَّبْعِ ذاكَ على مِثالِ العَنْكَبُوت، لَقَدْ قامَ بِنَسْجِ حُجُبٍ مُتَعَفِّنَة؛
عَمِلَ حِجاباً على النُّوْرِ مِنْ لُعابِهِ، فَأَعْمى مِنْ نَفْسِهِ بَصَرَ الإدراك؛
مَنْ أَخَذَ بِعُنُقِ الحِصانِ وافَقَهُ، وَمَنْ أَخَذَ بِقَدَمِ الحِصانِ رَفَسَهُ؛

لا تَجْلِسْ على الجَوادِ الحَرُوْنِ بلا لِجام، اِجْعَلِ العَقْلَ والدِّيْنَ قائداً والسَّلام؛
بهذا المَقْصَدِ لا تَنْظُرْ بِوَهَنٍ وَضَعْف،إنَّ في هذا الطَّرِيقِ الصَّبْرَ وَشِقَّ الأنْفُس؛

بَقِيَّةُ قِصَّةِ بناءِ المَسْجِدِ الأَقْصى

عِنْدَما بَدَأَ سُلَيْمانُ بِبِناءِ ذاكَ البِناء، الطَّاهِرِ كالكَعْبَةِ المَيْمُونِ كَمِنى؛
كانَ يَرى في بِنائِهِ الكَرَّ والفَرَّ، لَمْ يَكُنْ قَميئاً كما الأبْنِيَةُ الأُخْرى؛
في بِنائِهِ كُلُّ حَجَرٍ يُقْطَعُ مِنَ الجَبَل، كانَ يَقُولُ جهاراً مِنَ البِدايَةِ سِيْروا بي؛
كما مِنَ الماءِ والطِّيْنِ مِنْ مَوْضعِ آدَمٍ، كانَ النُّوْرُ يُشِعُّ مِنْ قِطَعِ الآجُرّ؛
الحَجَرُ كانَ يَجيءُ مِنْ دُوْنِ حَمَّالٍ، صارَتْ حَيَّةً تِلْكَ الأبوابُ والجُدران؛
الحَقُّ قالَ عَنْ جِدارِ الجَنَّةِ، أَنَّهُ حِيٌّ وَلَيْسَ كالجُدرانِ القَبيحَة؛
حِيْنَ يَكُونُ بابُ وَجِدارُ البَدَنِ مُدْرِكَيْن، تَكُونُ الدَّارُ حَيَّةً كَمَلِكِ المُلُوك؛
فالأشْجارُ والفَواكِهُ والماءُ الزُّلال، مَعَ ساكِنِ الجَنَّةِ في حَديثٍ وَفي مَقال؛
ذلِكَ لأنَّ الجَنَّةَ لَمْ تُعْمَلْ مِنَ الآلَة، بَلْ عُمِلَتْ مِنَ الأعْمالِ وَمِنَ النِّيَّة؛
هذا بِناءٌ مَيِّتٌ مِنَ الماءِ والطِّيْن، وَذاكَ البِناءُ حَيٌّ مِنَ الطَّاعَة؛
ذا بَقِيَ على أَصْلِ نَفْسِهِ مَلؤهُ الخَلَل، وَذاكَ على أَصْلِ نَفْسِهِ مِنَ العِلْمِ والعَمَل؛
السَّريرُ والقَصْرُ كما التَّاجُ والثِّياب، مَعَ ساكِنِ الجَنَّةِ في سُؤالٍ وَفي جَواب؛
الفُرُشُ تَصيرُ مَطْوِيَّةً بلا فَرَّاش، والمَنْزِلُ يَصيرُ مَكْنُوساً بلا كَنَّاس؛
أُنْظُرْ إلى مَنْزِلِ القَلْبِ مُخْتَلّاً مِنَ الغَمّ، صارَ نَظيفاً مُرَتَّباً مِنَ التَّوْبَةِ بلا كَنَّاس؛
تَخْتُ ساكِنِ الجَنَّةِ سَيَّارٌ بلا حَمَّال، الحَلْقَةُ والبابُ كلاهُما مُطْرِبٌ وَقَوَّال؛
إنَّ حَياةَ دارِ الخُلُودِ في القَلْب، ما النَّفْعُ ولا أَقْدِرُ على قَوْلِ ذلِكَ باللِّسان؛
عِنْدَما كانَ سُلَيْمانُ يَدْخُلُ كُلَّ فَجْرٍ، داخِلَ المَسْجِدِ مِنْ أَجْلِ إرْشادِ العِباد؛
كانَ يَنْصَحُ حِيْناً بالمَقالِ واللَّحْنِ والنَّغَم، وَحِيْناً بالفِعْلِ أَعْني بالرُّكُوعِ أو الصَّلاة؛

النُّصْحُ بالفِعْلِ أَكْثَرُ جَذْباً لِلْخَلْق، فإنَّهُ يَصِلُ إلى رُوْحِ كُلِّ ذي سَمْعٍ وَأَصَمّ؛
وفي ذاكَ يَقِلُّ الوَهْمُ بالإمارَة ، وَيَكُونُ تَأْثِيرُ ذاكَ في الحَشَمِ مُحْكَماً؛

قِصَّةُ بِدايَةِ خِلافَةِ عُثْمان(رض) وخِطْبَتُهُ في بيانِ أنَّ

النَّاصِحَ الفَعَّالَ بالفِعْلِ خَيْرٌ مِنَ النَّاصِحِ القَوَّالِ بالقَوْل

قِصَّةُ عُثْمانَ حِيْنَ صَعِدَ المَنْبَر، عِنْدَما وَلِيَ الخِلافَةَ جاءَ في قَلَق؛
المَنْبَرُ الأعْظَمُ كانَ ثلاثَ دَرَجاتٍ، كانَ أبُو بَكْرٍ يَجْلِسُ على الدَّرَجَةِ الثَّانِيَة؛
وَعلى الدَّرَجَةِ الثَّالِثَةِ عُمَرُ في دَوْرَتِهِ، جَلَسَ مِنْ أَجْلِ حُرْمَةِ الإسلامِ والشَّعائر؛
وَجاءَ دَوْرُ عُثْمانَ فاعْتَلى التَّخْت، وَجَلَسَ عَلَيْهِ ذلِكَ المَحْمُودُ البَخْت؛
فقامَ بِسُؤالِهِ شَخْصٌ ذُو فُضُول، أَنِ الإثْنانِ لَمْ يَجْلِسا في مَحَلِّ الرَّسُول؛
فَكَيْفَ طَلَبْتَ أنْ تَكُونَ أَعْلى رُتْبَةً مِنْهُما، ما دُمْتَ في الرُّتْبَةِ أَقَلَّ مِنْهُما؛
قالَ لَوْ أنِّيْ أَخَذْتُ الدَّرَجَةَ الثَّالِثَةَ، لَصارَ وَهْمٌ أنَّني مِثالُ عُمَر؛
وَلَوْ أنَّني رُحْتُ في طَلَبِ الدَّرَجَةِ الثَّانِيَة، لَقِيْلَ كَأَنَّهُ أبُو بَكْرٍ، إنَّهُ مِثْلُه؛
هذا المَقامُ العالي مَقامُ المُصْطَفى، ولا يَقَعُ الوَهْمُ أنَّني مِثْلُ ذلِكَ الشَّاه؛
بَعْدَ ذلِكَ مَحَلَّ الخُطْبَةِ ذاكَ الوَدُوْد، ظَلَّ صامِتَ الشَّفَةِ إلى قُرْبِ العَصْر؛
وَلَمْ تَكُنْ لِشَخْصٍ جُرْأَةٌ لِيَقُولَ قُلْ، أو لِيَخْرُجَ مِنَ المَسْجِدِ ذلِكَ الزَّمان؛
كانَتْ هَيْبَةٌ أصابَتِ الخاصَّ والعامّ، وامْتَلأَ مِنْ نُوْرِ اللهِ ذلِكَ الصَّحْنُ والمَقام؛
كُلُّ مُبْصِرٍ كانَ إلى نُوْرِهِ ناظِراً، كما أنَّ الأعْمى أحَسَّ بِحَرارَةِ تِلْكَ الشَّمْس؛
فَمِنَ الحَرارَةِ كانَتْ عَيْنُ الأعمى تَفْهَمُ، أنَّ الشَّمْسَ قَدْ طَلَعَتْ بلا فُتُور؛
لكِنَّ هذِهِ الحَرارَةَ فَتَحَتِ العَيْنَ، حَتَّى تَرى العَيْنُ كُلَّ مَسْمُوع؛
كانَ مِنْ حرارَتِها ضَجَرٌ وَحالَة، وَلِلْقَلْبِ مِنْ تِلْكَ الحرارَةِ فَتْحٌ وَفُسْحَة؛
الأعْمى وَقَدْ سَخِنَ مِنْ نُورِ القِدَمِ، كانَ يَقُولُ مِنَ الفَرَحِ أنا صِرْتُ بَصيراً؛

أنتَ مُحْكَمُ سُكْرٍ جَميلٍ لكِنْ *با* حَسَن، هُناكَ مراحِلُ في الطَّريقِ حَتَّى البَصَر؛
هذا نَصيبُ الأعْمى مِنَ الشَّمْسِ، ومِئةٌ مِثْلُهُ واللهُ أعْلَمُ بالصَّواب؛
وذلِكَ الَّذي كانَ مُبْصِراً لِذلِكَ النُّور، متى كانَ الشَّرْحُ لَهُ شُغْلَ ابْنِ سينا؛
وَلَو كانَ لَهُ مِئةُ لِسانٍ كهذا اللِّسان، متى يَهِزُّ بالكَفِّ حِجابَ العيان؛
الوَيْلُ لَهُ إذا قَدَّ ذاكَ الحِجاب، فإنَّ سَيْفَ اللهِ يَقْطَعُ يَدَه؛
اليَدُ ما تَكُونُ إنَّهُ يَقْطَعُ رَأْسَهُ، تِلْكَ الرَّأْسَ الَّتي مِنَ الجَهْلِ تُفْشي الأسرار؛
قُلْتُ لَكَ هذا بِتَقْديرِ الكلام، وإلَّا فَأَيْنَ هِيَ يَدُهُ مِنْ ذاك؛
لَو كانَ للخالَةِ خِصْيَةٌ صارَتْ خالاً، هذا جاءَ بِتَقْديرِ لَو كانَ لها؛
بَيْنَ اللِّسانِ والعَيْنِ الطَّاهِرَةِ مِنَ الشَّكّ، إنْ أَقُلْ بِوُجُودِ مِئَةِ أَلْفِ عامٍ قَليل؛
ألا لا تَكُنْ يائساً مِنَ النُّورِ مِنَ السَّماء، إنَّهُ يَصِلُ في اللَّحْظَةِ إذا شاءَ الحَقّ؛
إنَّ للنُّجُومِ مِئاتِ الآثارِ في المَناجِم، تُوصِلُها قُدْرَتُهُ لها في كُلِّ لَحْظَة؛
نَجْمُ الفَلَكِ للظُّلْمِ ناسِخ، نَجْمُ الحَقِّ في صِفاتِهِ راسِخ؛
طَريقُ الفَلَكِ مِنْ خَمْسِمائةِ عامٍ أي مُسْتَعين، وجاءَ في الأَثَرِ قريباً مِنَ الأرْض؛
ثلاثَةُ آلافٍ وَخَمْسُمائةِ عامٍ إلى زُحَلْ، وخاصِّيَّتُهُ لَحْظَةً بِلَحْظَةٍ تَعْمَلُ العَمَل؛
يَرْجِعُ بِهِ كأنَّهُ الظِّلُّ في الإياب، طُوْلُ الظِّلِّ أمامَ الشَّمْسِ ما يكون؛
وَمِنَ النُّفُوسِ الطَّاهِرَةِ شَبيهَةِ النُّجُوم، يَصِلُ المَدَدُ إلى نُجُومِ الفَلَك؛
في الظَّاهِرِ تِلْكَ النُّجُومُ قَوَّامَةٌ عَلَيْنا ، في الباطِنِ نَحْنُ قَوَّامُونَ على السَّماء؛

في بيانِ ما قالَتِ الحُكَماءُ مِنْ أنَّ الآدَمِيَّ هُوَ العالَمُ الأَصْغَر، والحُكَماءُ الإلـهِيُّونَ يَقُولُونَ أنَّ الآدَمِيَّ هُوَ العالَمُ الأكْبَر، ذلِكَ لأنَّ عِلْمَ أولئكَ الحُكَماءِ مَقْصُورٌ على صُوْرَةِ الآدَمِيّ، وَعِلْمُ هؤلاءِ الحُكَماءِ مَوْصُولٌ بِحَقيقَةِ الآدَمِيّ

إذَنْ أنتَ بالصُّوْرَةِ عالَمٌ أَصْغَر، وإذَنْ أنتَ بالمَعْنى عالَمٌ أكْبَر؛
ظاهِراً ذلِكَ الغُصْنُ أصْلُ الفاكِهَة، باطِناً الثَّمَرُ كانَ يَملِكُ الغُصْن؛
لَوْ لَمْ يَكُنْ هُناكَ مَيْلٌ وَرَغْبَةٌ بالثَّمَر، متى كانَ البُسْتانِيُّ غَرَسَ جَذْرَ الشَّجَر؛
الشَّجَرَ مَولُودٌ مِنَ الفاكِهَةِ بالمَعْنى، وإنْ كانَ للفاكِهَةِ ولادَةٌ مِنَ الشَّجَرِ بالصُّورَة؛
المُصْطَفى مِنْ هذا قالَ إنَّ آدَمَ والأنبياءَ، يكونونَ مِنْ ورائي وَتَحْتَ لِوائي؛
مِنْ أجْلِ هذا رَمَزَ ذُو الفُنُون، رَمْزَ *نَحْنُ الآخِرُونَ السَّابِقُون*؛
إذا كُنْتُ وُلِدْتُ مِنْ آدَمَ صُوْرَةً، فأنا بالمَعْنى جَدُّ جَدٍّ لآدَم؛
فإنَّهُ مِنْ أجْلي كانَتْ سَجْدَةُ المَلَك، وَفي إثْري صَعَدَ إلى سابِعِ فَلَك؛
إذَنْ فَمِنِّيْ وُلِدَ الأبُ بالمَعْنى، ومِنَ الفاكِهَةِ وُلِدَ الشَّجَرُ بالمَعْنى؛
أوَّلاً كانَ الفِكْرُ وآخِراً جاءَ العَمَل، خاصَّةً الفِكْرُ الَّذي كانَ وَصْفاً للأزَل؛
الحاصِلُ أنَّهُ في كُلِّ لَحْظَةٍ مِنَ الزَّمان، تأتي مِنَ السَّماءِ قافِلَةٌ وَتَذْهَبُ قافِلَة؛
هذا الطَّريقُ على هذِهِ القافِلَةِ قصير، متى تكونُ المَفازَةُ ضَخْمَةً مع المَفازة؛
القَلْبُ في كُلِّ لَحْظَةٍ يَرُوحُ للكَعْبَة، والجِسْمُ يَأْخُذُ طَبْعَ القَلْبِ مِنَ الإمْتِنان؛
الطُّوْلُ والقِصَرُ هذانِ يَكُونانِ للجِسْم، أيُّ طُولٍ وَأَيُّ قِصَرٍ هُناكَ حَيْثُ الله؛
إذا بَدَّلَ اللهُ الجِسْمَ تَبْديلاً، جَعَلَ مَسيرَهُ بلا فَرْسَخٍ ولا مِيْل؛
مِئاتُ الآمالِ هذِهِ اللَّحْظَةَ انْقُلِ الخُطى، يا أَيُّها الفَتى بِعِشْقٍ وَخَلِّ الكلام؛
فَرَغْمَ أنَّكَ مُطْبَقُ أجْفانِ العَيْن ، أنتَ نائمٌ في السَّفينَةِ وَمُسافِرٌ في الطَّريق؛

تَفْسيرُ هذا الحَديثِ أنْ مَثَلُ أُمَّتي مَثَلُ سَفينَةِ
نُوحٍ مَنْ تَمَسَّكَ بِها نَجا وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْها غَرِق

مِنْ أجْلِ هذا قالَ النَّبِيُّ أنا كائنٌ، مِثْلَ السَّفينَةِ في طُوفانِ الزَّمَن؛
أنا وَأَصْحابي مِثْلَ سَفينَةِ نُوح، مَنْ تَمَسَّكَ بِها باليَدِ وَجَدَ الفُتُوح؛
أنتَ بَعيدٌ عَنِ القُبْحِ ما دُمْتَ مَعَ شَيْخٍ، سَيَّارٌ في اللَّيْلِ والنَّهارِ وفي سَفينَة؛
أنتَ في حِمايَةِ الحَبيبِ واهِبِ الحَياة، نائمٌ في السَّفينَةِ وَسائرٌ في الطَّريق؛
لا تَنْقَطِعْ عَنْ نَبِيّ أَيَّامِك، ولا تَتَّكِئْ على فَنِّكَ وَمُرادِك؛
وَلَو كُنْتَ أَسَداً وَتَسْلُكُ الطَّريقَ بلا دَليل، أنتَ مَغْرُورٌ وأنتَ في ضلالٍ وَذليل؛
ألا لا تَطِرْ إلَّا بأجْنِحَةِ الشَّيْخ، حَتَّى تَرى العَوْنَ مِنْ عساكِرِ الشَّيْخ؛
ففي لَحْظَةٍ يَكُونُ مَوْجُ لُطْفِهِ لَكَ جَناحاً، وفي لَحْظَةٍ تكونُ نارُ قَهْرِهِ لَكَ حَمَّالا؛
ولا تَعُدَّنَ قَهْرَهُ ضِدّاً لِلُطْفِه، أُنْظُرْ إلى الاتِّحادِ بَيْنَ الإِثْنَيْنِ في الأَثَر؛
في لَحْظَةٍ يَجْعَلُكَ كالتُّرابِ الأخْضَر، وفي لَحْظَةٍ يَمْلَؤكَ بالرِّيْحِ وَيَجْعَلُكَ قَوِيّاً؛
لَقَدْ أعْطى جِسْمَ العارِفِ وَصْفَ الجَماد، كي يَطْلَعَ مِنْهُ الوَرْدُ والنِّسْرينُ البَهيج؛
لكِنَّهُ هُوَ رأى ولَمْ يَرَ غَيْرُهُ، الخُلْدُ لا يُعْطي العَبيرَ إلَّا لِمُخٍّ طاهِرٍ؛
فاجْعَلِ المُخَّ خالِياً مِنْ إنكارِ الحَبيب، حتَّى يَجِدَ الرَّيْحانَ مِنْ رَوْضِ الحَبيب؛
حتَّى تَجِدَ عَبيرَ الخُلْدِ مِنْ حبيبي، كما وَجَدَ مُحَمَّدٌ ريحَ الرَّحمنِ مِنَ اليَمَن؛
إذا وَقَفْتَ في صَفِّ أهْلِ المِعْراج، يَسْحَبُكَ العَدَمُ كَأَنَّهُ البُراق؛
لَيْسَ كالمِعْراجِ مِنَ الأرْضِ إلى القَمَر، بَلْ كالمِعْراجِ مَنَ القَصَبِ إلى السُّكَّر؛
لَيْسَ كَمِعْراجِ البُخارِ إلى السَّماء، بَلْ كَمِعْراجِ الجَنينِ إلى النُّهى؛
نِعْمَ البُراقُ الحِصانُ الأبيَضُ لِلعَدَمِ، يَأتي بِكَ للوُجُودِ حِيْنَ تَصيْرُ عَدَما؛
حافِرُهُ يَجْعَلُ الجَبالَ والبِحارَ نُحاساً، حَتَّى يَجْعَلَ مِنْ وراءِهِ عالَمَ الحِسّ؛

ضَعِ القَدَمَ في السَّفينَةِ وَسِرْ مُسْرِعاً، سَيْرَ الرُّوحِ مُسْرِعَةً إلى مَعْشُوقِ الرُّوح؛
سِرْ إلى القِدَمِ بلا يَدٍ ولا قَدَم، كما جاءَتِ الأرواحُ مُسْرِعَةً مِنَ العَدَم؛
وَكُنْتُ لأُمَزِّقَ في الحَديثِ حُجُبَ القِياس، لَوْ لَمْ يَكُنْ على سَمْعِ السَّامِعِ نُعاس؛
أيْ فَلَكُ لأجْلِ قَوْلِهِ أمْطِرِ الجَواهِرَ، أيْ عالَمُ مِنْ عالَمِهِ كُنْ على خَجَل؛
فإنْ أمْطَرْتَ زادَتْ جَواهِرُكَ مِئَةَ ضِعْفٍ، وَصارَ جامِدُكَ مُبْصِراً وناطِقاً؛
فيكونَ النِّثارُ الَّذي نَثَرْتَ لأجْلِ نَفْسِك، ما دامَ كُلُّ رأسِمالٍ لَكَ يَزيدُ مِئةَ ضِعْف؛

قِصَّةُ إرسالِ بَلْقيسَ هَدِيَّةً مِنْ مَدينَةِ سَبَأَ إلى سُلَيْمانَ عَلَيْهِ السَّلام

هدِيَّةُ بَلْقيسَ كانَتْ أربعينَ جَمَلاً، حُمُولَتُها كانَتْ مِنَ الذَّهَبِ الخالِص؛
عِنْدَما وَصَلوا إلى صَحْراءِ سُلَيمان، وَجَدُوها مفروشَةً بالذَّهَبِ الخالِص؛
ظَلَّتْ تَسيرُ على الذَّهَبِ أربَعينَ مَنْزِلاً، حتَّى لَمْ يَعُدْ للذَّهَبِ في النَّظَرِ رَونَق؛
قالوا مِراراً فَلْنَعُدْ راجِعينَ بالذَّهَبِ، إلى مَخازِنِنا فَنَحْنُ في عَمَلٍ بلا نتيجَة؛
العَرْصَةُ الَّتي كانَ تُرابُها مِنْ ذَهَبٍ، حَمْلُ الذَّهَبِ إلَيْها هَدِيَّةً بَلَه؛
أيْ مَنْ حَمَلْتَ العَقْلَ هَدِيَّةً إلى الله، العَقْلُ هُناكَ أَقَلُّ مِنْ تُرابِ الطَّريق؛
عِنْدما صارَ كسادُ الهَدِيَّةِ هُناكَ مَرْئيَّاً، صارَ خَجَلُهُمْ يَشُدُّهُمْ للرُّجُوعِ للوراء؛
ثُمَّ عادوا وقالوا كَسادٌ أمْ رَواجٌ، ما عَلَيْنا وَنَحْنُ عَبيدٌ مَأمورون؛
أكانَ ما نَحْمِلُ ذَهَباً أمْ تُراباً، نَحْنُ نَقُومُ بإنفاذِ أمْرٍ بِهِ أُمِرْنا؛
إذا أمَرُوا أنْ عُودوا بِها راجِعِين، عُدْنا راجِعِيْنَ بِهذِهِ التُّحْفَةِ عَنْ أمْر؛
جاءَتْ سُلَيْمانَ ضُحْكَةٌ عِنْدَما رأى ذاك، قالَ متى كُنْتُ طَلَبْتُ مِنْكُمُ الثَّريد؛
أنا لَمْ اَقُلْ لَكُمْ قَدِّموا لي هَدِيَّةً، بَلْ قُلْتُ لَكُمْ كونوا لائقينَ بالهَدِيَّة؛
فإنَّ لي مِنَ الغَيْبِ هدايا نادِرَةً، لا يَجْرُؤُ البَشَرُ حَتَّى على طَلَبِها؛
إنَّكُمْ تَعْبُدُونَ كَوكَباً يَصْنَعُ الذَّهَب، فَلْتُوَجِّهُوا الوَجْهَ لِلَّذي صَنَعَ الكَوْكَب؛

إنَّكُمْ تَعبُدُونَ شَمْسَ الفَلَك، وأرْخَصْتُمُ الرُّوحَ غالِيَةَ الثَّمَن؛
الشَّمْسُ طَبَّاخٌ لَنا عَنْ أمْرِ الحَقّ، إنَّ مِنَ البَلَهِ أنْ نَقُوْلَ هِيَ الله؛
إذا أصابَ الشَّمْسَ الكُسُوفُ ما تَفْعَل، كَيْفَ تَرْفَعُ عَنْها ذلِكَ السَّوادَ خارِجاً؛
أَلَيْسَ إلى عَتَبَةِ الحَقّ تَذْهَبُ بالصُّداع، أنْ أذْهِبِ السَّوادَ أي حَقُّ وَأَعِدِ الشُّعاع؛
وإنْ قَتَلُوكَ وَسطَ اللَّيْلِ أيْنَ هِيَ الشَّمْس، كي تَشْكُوَ إليها أو تَطْلُبَ مِنْها الأمان؛
والحادِثاتُ غالِباً تَقَعُ في اللَّيْلِ، وَفي ذلِكَ الزَّمانِ مَعْبُودُكَ غائبٌ؛
وإنَّكَ إذا اتَّجَهْتَ للحَقّ في خُضُوع، تتحَرَّرُ مِنَ النُّجُومِ وَتَصيرُ مُحْرِماً؛
حينَ تَصيرُ مُحْرِماً أَفْتَحُ مَعَكَ شَفَةَ الحَديثِ، لِتَرى الشَّمْسَ في مُنْتَصَفِ اللَّيْل؛
شَمْساً لا تُشْرِقُ إلَّا في الرُّوحِ الطَّاهِرَة، ولا فَرْقَ لَها بالطُّلُوعِ بينَ النَّهارِ واللَّيْل؛
النَّهارُ يكونُ ذاكَ الَّذي تُشْرِقُ بِه، واللَّيْلُ لا يبقى ليلاً فَهِيَ تُبْرِقُ بِه؛
كَيْفَ تَبْدُو الذَّرَّةُ أمامَ الشَّمْسِ، هكذا تكونُ الشَّمْسُ في اللُّباب؛
أمامَ الشَّمْسِ الَّتي تَكُونُ ساطِعَةً، تكونُ العَيْنُ كليلَةً وحائرَةً؛
تراها مِثْلَ ذَرَّةٍ أمامَ نُوْرِ العَرْش، أمامَ النُّورِ المَوفورِ للعَرْش؛
تراها ذليلَةً مِسْكينَةً بلا قَرار، فَقَدْ صارَ للعَيْنِ قُوَّةٌ مِنَ الفَعَّال؛
الكيمياءُ الَّتي هِيَ مَأْثَرَةٌ مِنْ مآثِرِه، وَقَعَتْ على الدُّخانِ فصارَ كَوكباً؛
وإكْسيراً نادِراً سَقَطَ مِنْهُ نِصْفُ ضَوْءٍ، على الظَّلامِ فَتَحَوَّلَ إلى شَمْس؛
أَعْجِبْ بِذلِكَ الكيميائِيّ الَّذي بِعَمَلٍ واحِدٍ، رَبَطَ مِثْلَ هذِهِ الخَواصَّ الكَثيرَةِ بِزُحَل؛
واعْرِفْ بَقِيَّةَ الكواكِبِ وَجَواهِرِ الرُّوح، على مِثالِ هذا المِقياسِ أي طالِبُ أيْضاً؛
العَيْنُ الحِسِّيَّةُ أمامَ الشَّمْسِ خاسِئَةٌ، فابْحَثْ عَنِ العَيْنِ الرَّبَّانِيَّةِ تَجِدْها؛
حتَّى تَصيرَ خاسِئَةً أمامَ ذاكَ النَّظَرْ، شَعْشَعاتُ الشَّمْسِ ذاتِ الشَّرَر؛
فذاكَ النَّظَرُ نُورِيٌّ وهذا نارِيٌّ ، والنَّارُ أمامَ النُّورِ سَوداءُ جِدّاً؛

كراماتُ ونُوْرُ الشَّيْخِ عَبْدِ اللهِ المَغْرِبِيّ قُدِّسَ سِرُّهُ

قالَ عَبْدُاللهِ الشَّيْخُ المَغْرِبِيّ،: لِستِّيْنَ سَنَةً لَمْ أَرَ لَيْلَةً مِنَ اللَّيالي؛
لِستِّيْنَ سَنَةً لَمْ أرَ ظُلْمَةً قَطّ، لا في نَهارٍ ولا بِلَيْلٍ ولا مِنْ عِلَّة؛
الصُّوفِيُّونَ قالوا مقالُهُ صِدْقٌ، فَقَدْ كُنَّا نَسيرُ في اللَّيْلِ في إِثْرِهِ؛
عَبْرَ الصَّحاري المَليئَةِ بالوِهادِ والشَّوك، كُنَّا نَسيرُ خَلْفَهُ وكانَ يسيرُ كالبَدْر؛
كانَ يقولُ في اللَّيْلِ دُونَ أنْ يُديرَ الوَجْهَ، انْتَبِهْ هُناكَ حُفْرَةٌ مِلْ جِهَةَ اليسار؛
ثُمَّ بَعْدَ لَحْظَةٍ كانَ يَقُولُ مِلْ إلى اليَمين، فإنَّ شَوكَةً تُوْجَدُ أمامَ قَدَمِك؛
وَعِنْدَ الصَّباحِ كانَتْ قَدَمُهُ مُقَبَّلاً لَنا، وكانَتْ قَدَماهُ كَقَدَمَيِ العَروس؛
ما عَلَيْهِما أَثَرٌ مِنْ تُرابٍ ولا طِيْنٍ، ولا خَدْشٌ مِنَ الشَّوكِ ولا أَذِيَّةٌ مِنْ حَجَر؛
لَقَدْ جَعَلَ اللهُ المَغْرِبِيَّ مَشْرِقِيّاً، شُعاعُ النُّورِ جَعَلَ المَغْرِبَ كالمَشْرِق؛
نُورُ شَمْسِ الشُّمُوسِ هذِهِ فارِس، لِنَهارِ الخاصِّ والعامِّ حارِس؛
كَيْفَ لا يَكُونُ ذلِكَ النُّورُ المَجيدُ حارِساً، وَقَدْ أَوْجَدَ آلافَ الشُّمُوسِ ظاهِرَةً؛
أنتَ بَيْنَ الحَيَّاتِ وَبَيْنَ العقارِبِ، داوِمِ السَّيْرَ على نُورِهِ في أمان؛
فذلِكَ النُّورُ الطَّاهِرُ مِنْ أمامِكَ يَمْضي، يُقَطِّعُ كُلَّ قاطِعٍ للطَّريقِ إرباً؛
اِعْرِفْ *يومَ لا يُخْزي اللهُ النَّبِيَّ* بِصِدْق، اقْرَأْ *نُورُهُمْ يَسْعى بَيْنَ أيدِيْهِمْ* بِحَقّ؛
رَغْمَ أنَّ ذلِكَ يصيرُ زائداً يَومَ القيامَةِ، أُطْلُبْ تَجْرِبَتَهُ مِنَ اللهِ هاهُنا الآن؛
فَهُوَ الَّذي أعطى للسَّحابِ وللضَّباب ، نُورَ الحَياةِ واللهُ أَعْلَمُ بالصَّواب؛

إرجاعُ سُليمانَ عَلَيْهِ السَّلامُ رُسُلَ بلقيسَ وَهداياها إلى بَلقيس، وَدَعْوَتُهُ بلقيسَ للإيمانِ وَتَرْكِ عِبادَةِ الشَّمْس

ارجِعُوا أيُّها الرُّسُلُ خَجِلين، لكُمُ الذَّهَبُ وَلِيَ القَلْبُ أيتوني بالقَلْب؛
واجْعَلُوا ذَهَبي هذا فَوْقَ ذَهَبِكُم ذاكَ، وَضَعُوهُ مِنَ العَمى على فُرُوجِ الإبِل؛
فَرْجُ البَعيرِ لائقٌ بِحَلْقَةِ الذَّهَب، إنَّ ذَهَبَ العاشِقِ وَجْهٌ شاحِبٌ أَصْفَر؛
فإنَّ ذلِكَ مَوضِعُ نَظَرِ اللهِ المُتَعال، إنَّ مِنْ وُقُوعِ نَظَرِ الشَّمْسِ يكونُ المَنْجَم؛
أيْنَ مَوقِعُ نَظَرِ شُعاعِ الشَّمْسِ، مِنْ مَوْقِعِ النَّظَرِ مِنْ إلهِ اللُّباب؛
اِجْعَلُوا مِنَ الرُّوحِ وِقايَةً مِنْ أخْذي، رَغْمَ أنَّكُمُ الآنَ أُسارى عِنْدي؛
الطَّائرُ المَفْتُونُ بالحَبَّةِ واقِفٌ على السَّطْح،مَعَ فَتْحِ الجَناحِ سَيَصيرُ في الشِّباك؛
ما دامَ قَدْ أعطى القَلْبَ للحَبَّةِ بالرُّوح، اعْرِفْهُ مَأْسُوراً وَلَمَّا يُؤْسَر بَعْد؛
تِلْكَ النَّظَراتُ مِنْهُ إلى الحَبَّة، اعْرِفْها عُقَداً يَعْقِدُها على قَدَمِه؛
وتَقُولُ الحَبَّةُ أنتَ تَسْتَرِقُ النَّظَرَ إليَّ، وأنا أسرقُ مِنْكَ الصَّبْرَ وأَسْلُبُكَ القرار؛
مِثْلَما يَسْحَبُكَ ذلِكَ النَّظَرُ في إثْري ، اِعْلَمْ إذَنْ أنَّني لَسْتُ غافِلَةً عَنْك؛

قِصَّةُ العَطَّارِ الَّذي كانَ حَجَرُ الميزانِ عِنْدَهُ مِنَ الطِّيْن وَسَرِقَةُ المُشْتَري آكِلِ الطِّيْنِ مِنْ ذلِكَ الطِّيْنِ في أثْناءِ وَزْنِ السُّكَّر

آكِلُ طِيْنٍ ذَهَبَ إلى عَطَّارٍ، لِكَيْ يَشْتَرِيَ قِطْعَةً كبيرَةً مِنَ السُّكَّرِ الأبْيَض؛
العَطَّارُ الطَّرَّارُ كانَ بِقَلْبَيْنِ، كانَ حَجَرُ الميزانِ عِنْدَهُ مِنَ الطِّيْن؛
قالَ اعْلَمْ حَجَرُ المِيزانِ عِنْدِي مِنَ الطِّيْن، إذا كانَتْ لَكَ رَغْبَةٌ بِشِراءِ السُّكَّر؛
قالَ أنا في طَلَبِ السُّكَّرِ لأمْرٍ مُهِمٍّ، وَلْيَكُنْ حَجَرُ الميزانِ عِنْدَكَ ما يَكُون؛
وقالَ للنَّفْسِ ما الحَجَرُ عِنْدَ آكِلِ الطِّيْنِ، إنَّ الطِّيْنَ عِنْدَهُ أحْسَنُ مِنَ الذَّهَب؛

مِثْلَ تِلْكَ الدَّلّالَةِ الَّتي قالَتْ أيْ وَلَد، وَجَدْتُ لَكَ عَرُوساً جَميلَةً فائقَةَ الجَمال؛
فائقَةُ الجَمالِ لكِنْ هُناكَ شَيْءٌ واحِدٌ، إنَّ تِلْكَ العَفيفَةَ بِنْتُ صانِعِ حَلْوى؛
قالَ إنَّ كَوْنَها بِنْتَ صانِعِ حَلْوى أجْمَل، بِنْتُ صانِعِ الحَلْوى تَكُونُ أجْمَلَ وَأَوسَم؛
إنْ كُنْتَ لا تَمْلِكُ حَجَراً وَحَجَرُكَ مِنْ طِيْن، فهذا أجْمَلُ فالطِّيْنُ لي فاكِهَةُ القَلْب؛
وفي تِلْكَ الكَفَّةِ للميزانِ مِنَ الاعْتِداد، قامَ بِوَضْعِ ذلِكَ الطِّيْنِ بَدَلَ الحَجَر؛
وراحَ يَقْطَعُ بِقَدْرِ ذلِكَ مِنَ السُّكَّرِ، بِيَدِهِ لِيَضَعَهُ في الكَفَّةِ الأُخْرى؛
وَبِما أنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَدَيْهِ شَفْرَةٌ تَأَخَّرَ، وَأَجْلَسَ المُشْتَري بالإنتِظارِ هُناك؛
وَجْهُهُ لِتِلْكَ الجِهَةِ وآكِلُ الطِّيْنِ المَحروم، راحَ يَسْرِقُ خِفْيَةً عَنْهُ مِنْ ذلِكَ الطِّيْن؛
كانَ خائفاً وَوَجِلاً أنْ قَدْ يَجيءُ فَجْأَةً، وَتَقَعُ عَيْنُهُ عَلَيَّ مِنَ الامْتِحان؛
العَطَّارُ رأى ذلِكَ وَراحَ يَشْغَلُ النَّفْسَ، أنْ هَيَّا اسْرِقْ أكْثَرَ أيْ أَصْفَرَ الوَجْه؛
إذا كُنْتَ تَسْرِقُ وَأَخَذْتَ مِنْ طِيْني، اِذْهَبْ فَأَنْتَ إنَّما تَأْكُلُ مِنْ جانِبِك؛
أنتَ تَخافُ مِنّي لكِنْ مِنْ حَماقَتِك، وأنا أخافُ أنْ تَأْكُلَّ أقَلَّ مِنَ الطِّيْن؛
إذا كُنْتُ مَشْغُولاً فَأَنا لَسْتُ أحْمَقاً، لِتَأْخُذَ زيادَةً أكْثَرَ مِنَ السُّكَّرِ مِنْ قَصَبي؛
حِيْنَ تَرى ذلِكَ السُّكَّرَ وَقَدْ وُزِنَ، تَعْلَمُ حِيْنَها مَنْ كانَ أحْمَقاً وَغافِلاً؛
الطَّائِرُ يَنْظُرُ إلى تِلْكَ الحَبَّةِ نَظَرَ الحُبّ، والحَبَّةُ مِنَ البَعيدِ تَقْطَعُ لَهُ الطَّريق؛
أَلَيْسَ حِيْنَ تَأْخُذُ حَظّاً مِنْ زِنا العَيْنِ، تَكُونُ تَأْكُلُ اللَّحْمَ المَشْوِيَّ مِنْ جَنْبِك؛
فإنَّ هذا النَّظَرَ مِنْ بَعيدٍ كالسَّهْمِ والسُّمّ، وَعِشْقُكَ يصيرُ زائداً وَصَبْرُكَ يَقِلّ؛
مالُ الدُّنيا شَبْكَةُ الطُّيُورِ الضَّعيفَة، مُلْكُ العُقْبى شَبْكَةُ الطُّيُورِ الشَّريفَة؛
حتَّى بِهذا المُلْكِ وَهُوَ شَبْكَةٌ شاسِعَةٌ، يُوقِعُوا بالشِّباكِ الطُّيُورَ العَجيبَة؛
أنا سُلَيْمانُ لَسْتُ طالِبَ مُلْكِكُمْ، بَلْ أُريدُ أنْ أُحَرِّرَكُمْ مِنْ كُلِّ هلاك؛
فإنَّكُمْ في هذا الزَّمانِ مماليكُ للمُلْك، والمالِكُ للمُلْكِ هُوَ مَنْ يَفِرُّ مِنَ الهلاك؛

ثُمَّ على العَكْسِ أَيْ أسيرَ هذِهِ الدُّنيا، سَمَّيْتَ نَفْسَكَ أميراً على هذِهِ الدُّنيا؛
أيْ أنْتَ عَبْدُ هذِهِ الدُّنيا وَمَحْبُوسُها بالرُّوحِ ، إلامَ تَدْعُو نَفْسَكَ سَيِّداً للدُّنيا؛

مُعامَلَةُ سُلَيْمانَ عَلَيْهِ السَّلامُ أولئكَ الرُّسُلَ بالمَحَبَّةِ

وَمُلاطَفَتُهُ لَهُمْ وَدَفْعُهُ الوَحْشَةَ والأذى عَنْ قُلُوبِهِم

وَشَرْحُهُ لَهُمُ العُذْرَ لِعَدَمِ قَبُولِ هَدِيَّتِهِم

أيْ رُسُلُ أنا مُرْسِلُكُمْ أنتُمْ لي رَسُول، رَدِّي لَكُمْ أفْضَلُ لَكُمْ مِنَ القَبُول؛
عُودُوا إلى بَلْقيسَ بِما رَأَيْتُمْ مِنْ عَجَب، تَحَدَّثوا لها عَنْ صَحْراءِ الذَّهَب؛
كَيْ تَعْلَمَ أنَّا غَيْرُ طامِعِيْنَ بالذَّهَب، نَحْنُ أَتَيْنا بالذَّهَبِ مِنْ خالِقِ الذَّهَب؛
مِنْ ذاكَ الَّذي لَو شاءَ جَعَلَ تُرابَ الأرْض، كُلَّهُ جُمْلَةً ذَهَباً وَدُرَّاً ثَميناً؛
أي مَنِ اخْتَرْتَ الذَّهَبَ الحَقُّ لأجْلِ ذلِكَ،جَعَلَ الأرْضَ يَومَ المَحْشَرِ مِنَ الفِضَّة؛
نَحْنُ فارِغُونَ مِنَ الذَّهَبِ مَليئونَ بفُنون، بِما نَجْعَلُ بِهِ أهْلَ الأرْضِ جَميعاً ذَهَبا؛
متى كُنَّا اسْتَجْدَينَا مِنْكُمْ عطاءَ الذَّهَب، نَحْنُ نَجْعَلُ مِنْكُمْ كيمياءَ تَصْنَعُ الذَّهَب؛
فاترُكُوا ذلِكَ وَلَو كانَ مُلْكَ سَبَأ، فَهُناكَ ممالِكُ كثيرَةٌ خارِجَ الماءِ والطِّيْن؛
ذلِكَ الَّذي تُسَمِّيْهِ سَريرَ مُلْكٍ رباطٌ، تَظُنُّهُ الصَّدْرَ وَبَقيتَ على الباب؛
إنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ سُلْطانٌ على لِحْيَتِكَ، كَيْفَ يَكُونُ لَكَ سُلْطانٌ على حَسَنٍ وقَبيح؛
لِحْيَتُكَ صارَتْ بلا مُرادِكَ بيضاءَ، فاخْجَلْ مِنْ لِحْيَتِكَ أيْ أعْوَجَ المُراد؛
إنَّهُ مالِكُ المُلْكِ وَكُلُّ مَنْ وَضَعَ لَهُ الرَّأْسَ، أعطاهُ مِئَةَ مُلْكٍ خارِجَ عالَمِ التُّراب؛
لكِنَّ ذَوقَ سَجْدَةٍ أمامَ الله، يجيءُ أعْذَبَ مِنْ مائتَيْ دَوْلَة؛
وَعِنْدَ ذلِكَ تَضْرَعُ لا أُريدُ الأملاكَ، اِجْعَلْ مُلْكَ تِلْكَ السَّجْدَةِ لي مُسَلَّماً؛
مُلوكُ الدُّنيا مِنْ دناءَةِ أَصْلِهِمْ، لَمْ يَشُمُّوا العَبيرَ مِنْ شَرابِ العُبُودِيَّة؛
وَإِلَّا لَصارُوا كأَدْهَمَ وَلِهِيْن، وَلَضَرَبوا المُلْكَ بَعْضَهُ على بَعْضٍ بلا إبطاء؛

لكِنَّ الحَقَّ مِنْ أجْلِ ثَباتِ هذا العالَمِ، جَعَلَ الخَتْمَ عَلَيْهِمْ على العُيُونِ والأفْواه؛
حَتَّى يَصيرَ حُلْواً لَهُمُ التَّخْتُ والتَّاج، حَتَّى نأخُذَ مِنْ مالِكِي الدُّنيا الخِراج؛
لَوْ قُمْتَ بِجَمْعِ الذَّهَبِ كالرَّمْلِ مِنَ الخِراج، في الآخِرِ يبقى ذاكَ ميراثاً مِنْك؛
المُلْكُ والذَّهَبُ لَنْ يُرافِقا رُوحَكَ، اِدْفَعِ الذَّهَبَ وَخُذِ الكُحْلَ لأجْلِ النَّظَر؛
كَيْ تَرى هذِهِ الدُّنيا بِئراً ضَيِّقَةً، أي يُوسُفِيُّ تَمَسَّكْ بِذلِكَ الحَبْلِ بِقُوَّةٍ باليَد؛
وَحِيْنَ تَصْعَدُ مِنَ البِئْرِ إلى السَّطْحِ، تَقُولُ الرُّوحُ *يا بُشْرى هذا غُلام*؛
إنَّ في البِئْرِ انْعِكاساتِ النَّظَر، وَأَقَلَّ ما تُظْهِرُ حَجَرَ الذَّهَب؛
وَقْتَ اللَّعِبِ تَظْهَرُ للأطْفالِ اخْتِلالاً، قِطَعُ الخَزَفِ تِلْكَ ذَهَباً ومالاً؛
عارِفُوها غَدَوا صانِعِي إكْسير ، حَتَّى صارَتِ زَهيدَةً لَهُمْ المَناجِمُ؛

رُؤيَةُ دَرْويشٍ لِجَماعَةٍ مِنَ المَشايِخِ بالنَّوم وَطَلَبُهُ الرِّزْقَ الحلالَ مِنْ دُونِ اشْتِغالٍ بالكَسْبِ وَمِنْ دُونِ تَوَقُّفٍ عَنِ العِبادَةِ وإرشادُهُمْ لَهُ وَتَحَوُّلُ فاكِهَةِ الجِبالِ المُرَّةِ والحامِضَةِ إلى حُلْوَةٍ لَهُ مِنْ عَطاءِ أولئكِ المشايخ

ذاكَ دَرويشٌ قالَ في سَمَرٍ، رَأَيْتُ في النَّومِ جَماعَةَ الخِضْر؛
قُلْتُ لَهُمْ دُونَ أنْ يَكُونَ هُناكَ وَبال، مِنْ أَيْنَ أحْصَلُ على الرِّزْقِ الحلال؛
فساروا بي إلى مكانٍ كَثُرَتْ فيهِ الجِبال، وكانَتِ الفَواكِهُ فيهِ تَساقَطُ مِنَ الغابات؛
قالوا اللهُ جَعَلَ تِلْكَ الفواكِهَ، حُلْوَةً في فَمِكَ بالهِمَمِ مِنَّا؛
كُلْ طاهِراً وحلالاً وبلا حسيب، بلا صُداعٍ وَنَقْلٍ وَصُعُودٍ وَنُزول؛
كما كانَ لي مِنْ ذلِكَ الرِّزْقِ نُطْقٌ، ذَوْقُ الكلامِ اخْتَطَفَ مِنِّي العُقُول؛
قُلْتُ هذِهِ فِتْنَةٌ أي رَبّ، أعْطِها هِبَةً خِفْيَةً لِكُلِّ خَلْقِ العالَم؛
ضاعَ مِنِّي الكلامُ وَجَدْتُ سَعادَةَ القَلْب، وَتَفَتَّحْتُ كالرُّمَّانِ مِنْ لَذَّةِ الطَّعْم؛

قُلْتُ لَوْ لَمْ يَكُنْ في الجَنَّةِ شَيْءٌ غَيْرُ هذا، واسُروري بما عِنْدِيَ في الأصْل؛
كانَ بَقِيَ لي مِنَ الكَسْبِ حَبَّتانِ مِنْ ذَهَبٍ ، مَخيطَتانِ في الكُمِّ مِنْ جُبَّتي؛

تَبْييتُهُ النِّيَّةَ أنْ سَأُعْطي هذا الذَّهَبَ إلى حامِلِ الحَطَبِ ذاك
بِما أنَّني وَجَدْتُ رِزْقي بِكراماتِ المِشايِخِ وَشَكْوى ذلِكَ الحامِلِ
للحَطَبِ مِنْ ضَميرِهِ وَنِيَّتِه

كانَ ذلِكَ الدَّرْويشُ يَحْمِلُ الحَطَبَ، كالّاً وَمُتْعَباً مُقْبِلاً مِنَ الغابَة؛
فقُلْتُ إنَّني فارِغٌ مِنَ الرِّزْق، ليسَ لي بَعْدَ هذا غَمٌّ مِنْ أجْلِ الرِّزْق؛
مكروهُ الفواكِهِ صارَ حُلْواً لأجْلي، الرِّزْقُ الخاصُّ بالجِسْمِ جاءَني باليَد؛
بما أنَّني صِرْتُ فارِغاً مِنَ الحَلْق، فلأُعْطِ هذِهِ الحَبَّاتِ القليلَةَ لِهذا الدَّرويش؛
لأُعْطِ هذا الذَّهَبَ لِهذا الواقِعِ تَحْتَ التَّكليف، لِيَسْعَدَ بالقُوتِ يومَيْنِ أو ثلاثَة؛
فإذا بِهِ وَقَدْ كانَ عالِماً بِضَميري، لأنَّ سَمْعَهُ كانَ يَمْلِكُ النُّورَ مِنْ شَمْعِه؛
كانَ عِنْدَهُ سِرُّ كُلِّ فِكْرَة، مِثْلَما السِّراجُ في داخِلِ الزُّجاجَة؛
ما مِنْ شَيْءٍ يكونُ مَخْفِيّاً عَنِ الضَّمير، إنَّهُ على مَضْمونِ القُلُوبِ أمير؛
ثُمَّ راحَ يُتُمْتِمُ مَعَ النَّفْسِ تَحْتَ الشَّفَة، في جوابِ فِكْرَتي أبو العَجَبِ ذاك؛
أيُّ فِكْرٍ مِنْكَ مِنْ أجْلِ المُلُوك   كَيْفَ تلقى الرِّزْقَ إنْ لَمْ يَرْزُقُوك
أنا لَمْ أكُنْ أفْهَمُ كلامَهُ ولكِنْ، كانَ عِتابُهُ يَقَعُ جَيِّداً على قَلْبي؛
أقْبَلَ صَوبي بِهَيْبَةِ الأسَد، وَألْقى حِمْلَ الحَطَبِ عِنْهُ للأسْفَل؛
شُعاعُ الحالَةِ الَّتي ألقى بِها الحَطَبَ، أرْجَفَ كُلَّ عُضْوٍ مِنْ أعْضائيَ السَّبْعَة؛
قالَ يا رَبِّ إنْ كانَ لَكَ قَوْمٌ خاصُّون، دَعْوَتُهُمْ مُبارَكَةٌ وَأقْدامُهُم مَيْمُونَةٌ؛
أَسْأَلُكَ لُطْفَكَ الَّذي مِنْهُ فِعْلُ الإكْسير، اِجْعَلْ حِمْلَ الحَطَبِ هذا مِنْ ذَهَبٍ الآن؛
في اللَّحْظَةِ رَأَيْتُ حَطَبَهُ صارَ ذَهَباً، يَلْمَعُ اللَّمَعانَ الجَميلَ على الأرْضِ كالنَّار؛

أنا مِنْ ذاكَ غِبْتُ عَنِ الوَعْيِ لَحْظَةً طَويلَةً، إلى أنْ عُدْتُ إلى نَفْسي مِنَ الوَلَه؛

بَعْدَها قالَ إلهي إذا كانَ أولئكَ الكِبار، غَيورينَ جِدّاً وَهارِبينَ مِنَ الإشْتِهار؛

اِجْعَلْ هذا حُزْمَةً مِنَ الحَطَبِ سَريعاً، بلا تَوَقُّفٍ وعلى الحالِ الَّتي كانَتْ عَلَيْها؛

وفي اللَّحْظَةِ صارَتْ أغْصانُ الذَّهَبِ تِلْكَ حَطَباً، وَسَكِرَ مِنْ فِعْلِهِ العَقْلُ والنَّظَر؛

بَعْدَ ذلِكَ حَمَلَ الحَطَبَ وَمَضى، مِنْ أمامي إلى المَدينَةِ بِسُرْعَةٍ وَنَشاط؛

أرَدْتُ أنْ أسيرَ في إثْرِ ذلِكَ الشَّاه، أسْأَلَهُ عَنْ مُشْكِلاتٍ وَأَسْمَعَ مِنْهُ؛

لكِنَّ هَيْبَتَهُ تِلْكَ جَعَلَتني مُقَيَّداً، إلى أمامِ الخاصَّةِ لا طريقَ للعامَّة؛

وإنْ كانَ لِشَخْصٍ الطَّريقُ قُلْ صَحِّ بالرَّأْس، فإنَّ ذلِكَ كانَ مِنْ جَذْبِهِم وَرَحْمَتِهِم؛

ألا فاغْتَنِمْ ذلِكَ التَّوفيق، إذا وَجَدْتَ صُحْبَةَ الصِّدِّيْق؛

لا كذلِكَ الأَبْلَهِ الَّذي استَسْهَلَ قُرْبَ الشَّاهِ،وَخَرَجَ تِلْكَ اللَّحْظَةَ مِنَ الدَّرْبِ بِسُهُولَة؛

إذا زادُوا لَهُ في العَطاءِ مِنْ أُضْحِيَة، قالَ رُبَّما كانَ هذا فَخْذَ بَقَرَة؛

لَيْسَ هذا مِنْ فَخْذِ البَقَرِ أيْ مُفْتَرٍ، إنَّهُ ظَهَرَ لَكَ فَخْذَ بَقَرَةٍ مِنْ حَماقَتِك؛

بَذْلُ السَّلاطينِ هذا بلا رَشْوَة ، هذا عَطاءٌ مَحْضٌ مِنَ الرَّحْمَة؛

تَحريضُ سُلَيمانَ عليهِ السَّلامُ لِتَعْجيلِ هِجْرَةِ بلقيس مِنْ أجْلِ الإيمان، وكما يَفْعَلُ سُليمانُ في الحَرْب، قامَ بالجَذْبِ لِخَيْلِ بلقيسَ وَجَيْشِها، أنْ تعالَوا أي عزيزونَ مُسْرِعينَ ، فإنَّ الأمواجَ مِنْ بَحْرِ الجُودِ قَدْ عَلَتْ إلى جِهَةِ السَّاحِل ، جَيَشانُ مَوجِهِ يَنْثُرُ بلا خَطَر ، في كُلِّ لَحْظَةٍ مِئَةَ جَوْهَر

قُلنا أقْبِلُوا يا أَهْلَ الرَّشاد، فَقَدْ فَتَحَ رِضْوانُ بابَ الجَنَّةِ الآن؛

ثُمَّ قالَ سُلَيْمانُ أيُّها الرُّسُلُ اذْهَبُوا، إلى بلقيسَ وآمِنوا بِهذا الدِّين؛

ثُمَّ قُولوا لها أقبلي مُسْرِعَةً، إلى هُنا فاللهُ يَدعو للسَّلام؛

أي طالِبَ الدَّولَةِ هيَّا تعالَ مُسرِعاً، ففي هذِهِ اللَّحْظَةِ فُتُوحٌ وَفَتْحُ باب؛
ويا مَنْ لَسْتَ طالِباً تَعالَ أيضاً ، حتَّى تَحْصَلَ على الطَّلَبِ مِنْ حَبيبِ الوفاء؛

سَبَبُ هِجْرَةِ ابراهيم أدْهَم قَدَّسَ اللهُ سِرَّهُ، وَتَرْكُهُ مُلْكَ خُراسان

اضرِبِ المُلْكَ بَعْضَهُ بِبَعْضٍ سَريعاً كأدْهَم، حتَّى تَجِدَ مُلْكَ الخُلُودِ مِثْلَه؛
كانَ ذلِكَ الشَّاهُ نائماً في السَّريرِ لَيْلاً، والحُرَّاسُ على سَقْفِ القَصْرِ في حَرَكَة؛
قَصْدُ الشَّاهِ مِنْ أولئكَ الحُرَّاسِ لَمْ يَكُنْ، أنْ يقُوموا بِدَفْعِ اللُّصوصِ والمُحتالين؛
هُوَ كانَ يَعْلَمُ أنَّهُ كانَ عادِلاً، وكانَ فارِغاً مِنَ الوَقائعِ وكانَ آمِناً؛
إنَّ العَدْلَ هُوَ الحارِسُ للآمال، لا ضَرْبَ العِصِيِّ على السُّقُوفِ في اللَّيْل؛
ولكِنْ كانَ مَقصُودُهُ مِنْ صُراخِ الرَّباب، كالمُشتاقينَ خيالُ ذاكَ الخِطاب؛
أنينُ المِزمارِ وَتَهْديدُ الطَّبْل، شَيْءٌ شَبيهٌ بِذلِكَ النَّاقُورِ الكُلِّيّ؛
فإنَّ الحُكَماءُ قالُوا إنَّنا أخَذْنا، هذِهِ الألْحانَ مِنَ الفَلَكِ الدَّوَّار؛
إنَّ أصْواتِ دَورانِ الفَلَكِ هِيَ الَّتي، يقُومُ الخَلْقُ بِتَرْجيعِها في الطَّنبورِ والحَلْق؛
المُؤمِنونَ يَقُولُونَ إنَّها آثارُ الجَنَّةِ، تَجْعَلُ كُلَّ صَوتٍ قَبيحٍ جَميلاً؛
نَحْنُ جَميعاً كُنَّا أجْزاءَ آدَم، وكُنَّا نَسْمَعُ في الجَنَّةِ تِلْكَ الألحان؛
رَغْمَ أنَّ الماءَ والطِّيْنَ سَكَبا عَلَيْنا الشَّكَّ، فَقَدْ تَذَكَّرْنا شَيْئاً قَليلاً مِنْ تِلْكَ الأشياء؛
البَمُّ والزِّيْرُ متى يُعْطِيانِ ذاكَ الطَّرَب، وَقَدْ امْتَزَجا هُنا بِتُرابِ الكُرَب؛
الماءُ حِيْنَ امْتَزَجَ بالبَوْلِ والحَدَث، صارَ مِزاجُهُ مِنَ الإمْتِزاجِ مُرَّاً سَيِّئَ الطَّعْم؛
القَليلُ مِنَ الماءِ الَّذي عِنْدَهُ في الجَسَد، اعْتَبِرْهُ بَولاً مُطْفِئاً للنَّار؛
طَبْعُ الماءِ باقٍ وإنْ كانَ قَدْ تَنَجَّسَ، إنَّهُ مُطْفِئٌ لِنارِ الغَمّ بالطَّبْع؛
جاءَ السَّماعُ غِذاءَ العاقِلينَ، وَبِهِ كانَ خيالُ الإجْتِماع؛

أَخَذَتِ القُوَّةَ خيالاتُ الضَّمير، بَلْ صارَتِ الصُّوَرُ مِنَ الصَّوْتِ والصَّفير؛
نارُ العِشْقِ مِنَ الأَلْحانِ صارَتْ مُسْتَعِرَةً، مِثْلَ نارِ ذاكَ الَّذي كانَ يَرْمي الجَوز؛

حِكايَةُ ذلِكَ الرَّجُلِ الظَّمْآن الَّذي كانَ يَرْمي بالجَوْزِ مِنْ شَجَرَةِ الجَوْزِ في جَدْوَلِ ماءٍ مُنْخَفِض لَمْ يكُنْ يستطيعُ الوُصُولَ إلَيْه، وذلِكَ حَتَّى يَسْمَعَ صَوْتَ الماءِ مِنْ سُقُوطِ الجُوْزِ كَيْ يَطْرَب

كانَ الماءُ في غَوْرٍ وَذلِكَ الظَّامِئُ، تَسَلَّقَ على شَجَرَةِ جَوْزٍ وراحَ يَرْمي بالجَوز؛
الجَوْزُ كانَ يَقَعُ مِنْ شَجَرَةِ الجَوْزِ بالماء،وكانَ الصَّوتُ يَأتيهِ وكانَ يرى الحُباب؛
فقالَ لَهُ عاقِلٌ أيْ فَتى دَعْ هذا، إنَّ الجَوْزَ نَفْسَهُ يَجْعَلُكَ ظامِئاً أكْثَر؛
كُلَّما وَقَعَ المَزيدُ مِنَ الجَوْزِ في الماء، ابْتَعَدَ الماءُ عَنْكَ وَغارَ أكْثَر؛
وإلى أنْ تَنْزِلَ مِنَ الأعلى للأرْضِ بِعناء، يكونُ ماءُ الجَدْوَلِ أَخَذَ الجَوْزَ بَعيداً؛
قالَ لَيْسَ قَصْدي مِنْ إلقاءِ الجَوْزِ هذا، أُنْظُرْ أدَقَّ لا تَقِفْ عِنْدَ الظَّاهِر؛
قَصْدي مِنْ ذاكَ أنْ يَأتِيَ صَوْتُ الماء، وأنْ أرى على سَطْحِ الماءِ هذا الحُباب؛
الظَّمْآنُ أيُّ شُغْلٍ لَهُ في العالَم، إنَّهُ يَظَلُّ طائفاً حَوْلَ الحَوْضِ أَبَداً؛
حَوْلَ الجَدْوَلِ وَحَوْلَ الماءِ وَصَوْتِ الماء، كحاجٍّ طائفٍ حَوْلَ كَعْبَةِ الصَّواب؛
كذلِكَ أنا. مَقْصُودي مِنْ هذا المَثْنَويّ، أي ضِياءَ الحَقّ حُسامَ الدِّينِ هُوَ أنت؛
المَثْنَوِيُّ في الفُرُوعِ وفي الأُصُول، أنتَ الَّذي جَعَلْتَهُ جُمْلَةً في قَبُول؛
إنَّ المُلُوكَ يَقْبَلُونَ الحَسَنَ والرَّديء، فإذا ما قَبلوا لا يكونُ رَدٌّ كَثير؛
ما دُمْتَ غَرَسْتَ شَجَرَةً أعْطِها الماء، ما دُمْتَ جَعَلْتَها تَتَفَتَّحُ فَحُلَّ مِنْها العُقَد؛
قَصْدِي مِنْ ألفاظِهِ سِرُّك، قَصْدي مِنْ إنشائِهِ صَوْتُك؛

إنَّ صَوْتَكَ عِنْدي هُوَ صَوْتُ الله، حاشا يَنْفَصِلُ العاشِقُ عَنِ المَعشوق؛
إنَّ لِرَبِّ النَّاسِ مَعَ رُوحِ النَّاس، اتِّصالاً بلا تَكييفٍ ولا قياس؛
لكِنَّني قُلْتُ النَّاسَ لَمْ أَقُلِ النَّسْناس، والنَّاسُ لَيْسُوا سِوى الرُّوحِ العارِفَةِ بالرُّوح؛
النَّاسُ هُمُ الآدَمِيُّونَ وأيْنَ الآدَمِيّ، إنْ لَمْ تَكُنْ رَأَيْتَ الآدَمِيَّ فأنْتَ ذَيْل؛
ما رَمَيْتَ إذْ رَمَيْتَ قَرَأْتَ، لكِنَّكَ جِسْمٌ وفي التَّجزيءِ بَقَيْت؛
أُتْرُكْ مُلْكَ جِسْمِكَ أيْ غَبيّ، مِثْلَ بَلقيسَ مِنْ أجْلِ سُلَيمانَ النَّبيّ؛
أنا أُحَوقِلُ لا مِنْ قَوْلِ نَفْسي، بَلْ مِنْ وَسْواسِ ذلِكَ الَّذي مَذْهَبُهُ الظَّنّ؛
فإنَّهُ يَتَخَيَّلُ الخَيالَ في قَولي، مِنَ الوَسْواسِ في قَلْبِهِ وإنكاراتِ الظَّنّ؛
أَقُولُ لا حَوْلَ أي لا حِيْلَةَ، إذْ عِنْدَكَ في القَلْبِ حَديثٌ ضِدّي؛
بِما أنَّ قَولي قَدْ أَخَذَ بِكَ بالحَلْق، أنا سَكَتُّ قُلْ أنتَ ذلِك؛
كانَ واحِدٌ يَعْزِفُ سَعيداً على النَّاي، فَجْأَةً خَرَجَتْ مِنْ مَقْعَدِهِ ريحٌ؛
وَضَعَ النَّايَ على اِسْتِهِ أنْ إذا كُنْتَ، تُحْسِنُ العَزْفَ أكْثَرَ مِنّي خُذِ اعْزِفْ؛
أيُّها المُسْلِمُ، الأَدَبُ في الطَّلَب، لَيْسَ إلَّا تَحَمُّلُ كُلِّ مَنْ هُوَ بلا أدَب؛
كُلَّ مَنْ رَأَيْتَهُ يَقُومُ بالشِّكايَةِ يَقُول، فُلانٌ سيِّئُ السَّجِيَّةِ سَيِّئُ الطَّبْع؛
اِعْلَمْ أنَّ هذا الشَّاكي سَيِّئُ الطَّبْعِ، وَسُوءُ قَوْلِه دَليلٌ على سُوءِ طَبْعِهِ؛
ذلِكَ لأنَّ حَسَنَ الطَّبْعِ كائنٌ في خُمُول، هُوَ لِسَيِّئي الطَّبْعِ وَسَيِّئِ السَّجِيَّةِ حَمُول؛
لكِنَّ شِكايَةَ الشَّيْخِ تِلْكَ مِنْ أمْرِ الله، وَلَيْسَتْ مِنْ أَجْلِ الغَضَبِ والمُماراةِ والهَوى؛
تِلْكَ لَيْسَتْ شِكايَةً إنَّها إصْلاحٌ للرُّوح، إنَّها كالشِّكايَةِ الصَّادِرَةِ عَنِ الأنبياء؛
عَدَمُ تَحَمُّلِ الأنبياءِ اعْلَمْ مِنَ الأمْرِ، وإلَّا فإنَّ حِلْمَهُمْ حَمَّالٌ للأذى؛
لَقَدْ قَتَلُوا الطَّبْعَ في احتِمالِ الأذى، فإذا لَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ احْتِمالٌ فَمِنَ الله؛
أيْ سُلَيْمانُ وَسَطَ البُومِ والغربان، كُنْ حِلْمَ الحَقِّ توافَقْ مَعَ كُلِّ الطُّيُور؛
واهِيَةٌ أمامَ حِلْمِكَ مائتا بلقيس، أنْ اهْدِ قَومي إنَّهُمْ لا يَعْلَمون؛

إرسالُ سُلَيْمانَ عَلَيْهِ السَّلامُ التَّهْديدَ لِبَلْقيس، أنْ
لا تُفَكِّري بالإصرارِ على الشِّرْكِ ولا يَكُنْ مِنْكِ تأخير

أقبِلي سَريعاً بَلقيسُ أو يكُونَ سُوء، جَيْشُكِ يَرْتَدُّ وَيَصيرُ خَصْمَكِ؛
حاجِبُكِ بالبابِ يَقْتَلِعُ البابَ، رُوحُكِ تَصيرُ خَصْماً لَكِ بالرُّوح؛
جُمْلَةُ ذرّاتِ الأرْضِ والسَّماء، جُنْدٌ للحَقِّ وَقْتَ الإبْتِلاء؛
رَأَيْتِ ما صَنَعَتِ الرِّيْحُ بِعاد، وَرَأَيْتِ ما فَعَلَ الماءُ في الطُّوفان؛
وذاكَ الَّذي ضَرَبَ البَحْرُ بِهِ فِرْعَون، وذاكَ الَّذي أظْهَرَتْ هذِهِ الأَرْضُ لِقارون؛
وما الَّذي فَعَلَتْ تِلْكَ الأبابيلُ بالفيل، وما الَّذي أكَلَتِ البَعُوضَةُ مِنْ رأسِ نَمْرود؛
وَذاكَ الحَجَرَ الَّذي رَماهُ بِيَدِهِ داؤود، فَصارَ سِتَّمائةِ قِطْعَةٍ وَكَسَرَ جَيْشاً؛
وأنَّ الحِجارَةَ أمْطَرَتْ على أعْداءِ لُوط، حتَّى غاصُوا غَرقى بالماءِ الأسْوَد؛
وإذا قُلْتُ عَنْ جَماداتِ العالَم، وَكَيْفَ كانَتْ عَوناً للأنبياءِ عَنْ عَقْل؛
يصيرُ المَثْنَوِيُّ يَنوءُ بأربَعِيْنَ جَمَلاً، لَو أنَّها حَمَلَتْهُ مِنْ ثِقْلِ الحِمْل؛
اليَدُ تَقُومُ بالشَّهادَةِ على الكافِر، إنَّها تَصيرُ مِنْ جُنْدِ الحَقِّ فَيُطَأطِئُ الرَّأْس؛
أي مَنْ أظْهَرْتَ دَرْساً بالفِعْلِ ضِدَّ الحَقّ، أنتَ ما بَيْنَ عَسْكَرِهِ فَخَفْ؛
أجْزاءُ جُزْءِكَ جُنْدٌ لَهُ في وِفاق، إنَّها الآنَ مُطيعَةٌ لَكَ مِنْ نِفاق؛
لَوْ قالَ للعَيْنِ مِنْكَ آذِيْه، لَجاءَكَ وَجَعُ العَيْنِ بِمِئَةِ دَمار؛
أو قالَ للأسنانِ أظْهِري الوَبال، لَرَأَيْتَ مِنَ الأسنانِ فِعْلَ تَأديب؛
اِفْتَحْ كِتابَ الطِّبِّ واقْرَأْ بابَ العِلَل، كيما ترى جُنْدَ البَدَنِ في العَمَل؛
ما دامَ هُوَ رُوحَ الرُّوحِ لِكُلِّ شَيء، متى تكونُ العَداوَةُ مَعَ رُوحِ الرُّوحِ سَهْلَةً؛
انجي مِنْ عَسْكَرِ الشَّياطينِ والجِنّ، الَّذينَ يَشقُّونَ الصُّفُوفَ بالرُّوحِ مِنْ أجْلي؛
أُتْرُكي المُلْكَ مِنَ البِدايَةِ بَلقيس، فإذا وَجَدْتِني فذاكَ المُلْكُ كُلُّهُ لَكِ؛

وَسَوْفَ تَعْلَمِيْنَ حينَ تَصِليْنَ إلَيَّ، أنَّكِ دُوني كُنْتِ نَقْشاً على حَمَّام؛

النَّقْشُ ولَو لِمَلِكٍ أو لِغَنِيٍّ بالذَّات، هُوَ بالذَّاتِ صُورَةٌ عَنِ الرُّوحِ مِنْ دُونِ طَعْم؛

زينَتُهُ هِيَ مِنْ أَجْلِ الآخَرين، فَتَحَ العَيْنَ والفَمَ مِنْ دُونِ طائل؛

أيْ مَنْ خَسِرْتَ في الحَرْبِ النَّفْس، وَلَمْ تُمَيِّزِ الآخَرينَ عَنِ النَّفْس؛

أنتَ بِكُلِّ صُورَةٍ وَقَفْتَ بِها قُلْتَ، هذِهِ أنا وَلَيْسَتْ واللهِ أنت؛

لَوْ بَقيتَ لَحْظَةً واحِدَةً فَريداً مِنَ الخَلْق، لَبَقيتَ في الغَمِّ والفِكْرِ إلى الحَلْق؛

أنتَ مَنْ تَكُونُ لِتَكُونَ ذلِكَ الأوحَدِيَّ، فأنْتَ سَعيدٌ وَجَميلٌ وَثَمِلٌ بالنَّفْس؛

طائرُ نَفْسِكَ وَصَيْدُ نَفْسِكَ وَفَخُّ نَفْسِك، صَدْرُ نَفْسِكَ وفَرْشُ نَفْسِكَ وَسَقَفُ نَفْسِك؛

الجَوْهَرُ ذاكَ الَّذي يكونُ قائماً بالنَّفْس، وذاكَ يكونُ عَرَضاً إذْ صارَ لَهُ فَرْعاً؛

إنْ كُنْتَ وَلَداً لآدَمَ اجْلِسْ مِثْلَهُ، وانظُرْ إلى جُمْلَةِ الذُّرِّيَّاتِ في نَفْسِك؛

أيُّ شَيْءٍ في الدَّنِّ ولَيْسَ في النَّهْر، وأيُّ شَيْءٍ في البَيْتِ ولَيْسَ في المدينَة؛

هذا العالَمُ دَنٌّ والقَلْبُ كَنَهْرِ الماء ، هذا العالَمُ حُجْرَةٌ والقَلْبُ مَدينَةٌ عُجاب؛

إظهارُ سُليمانَ عليهِ السَّلام أنْ جُهْدي في إيمانِكِ خالِصٌ لأمْرِ اللهِ لَيْسَ فيهِ ذَرَّةٌ مِنْ غَرَضٍ لا في نَفْسِكِ وَحُسْنِكِ ولا في مُلكِكِ وَسَوفَ تَرَيْنَ بِنَفْسِكِ حِيْنَ تنفَتِحُ عَيْنُكِ بِنُورِ الله

هيَّا أقبلي أنا رَسولُ دَعْوَةٍ، أنا قاتِلُ شَهْوَةٍ كالأجَلِ لا رَجُلُ شَهْوَة؛

وإنْ كانَتْ شَهْوَةٌ فأنا أميرُ شَهْوَتي، لا أسيرُ شَهْوَةٍ لِوَجْهِ حَسْناء؛

أصْلُ أَصْلِنا كانَ كاسِراً للأصنام، مِثْلَ خَليلِ الحَقِّ وَجُمْلَةِ الأنبياء؛

إذا دَخَلْنا أيْ سالِكُ في مَعْبَدِ الأصنام، الصَّنَمُ يَسْجُدُ لا نَحْنُ في المَعْبَد؛

أحْمَدُ وَأَبُو جَهْل ذهَبا لِمَعْبَدِ الأَصْنام، مِنْ ذهابِ هذا لِذهابِ ذاكَ فَرقٌ عظيم؛

هذا يَدْخُلُ فَتَسْجُدُ لَهُ الأصنام، وذاكَ يَدخُلُ فَيَسْجُدُ بالرَّأْسِ كالتَّابعين؛

عالَمُ الشَّهْوَةِ هذا مَعْبَدُ أَصْنام، وهُوَ مَسْكَنٌ للأنبياءِ والكافِرين؛
لكِنَّ الشَّهْوَةَ عَبْدٌ للطَّاهِرين، الذَّهَبُ لا يَحْتَرِقُ لأنَّهُ نقْدٌ صَحيحٌ مِنَ المَنْجَم؛
الكافِرونَ زائفُونَ والطَّاهِرُونَ كالذَّهَب، الاثنانِ يَدْخُلانِ كِلاهُما في البَوتَقَة؛
الزَّيْفُ لَمَّا دَخَلَ صارَ أسوَداً في اللَّحْظَة، وَدَخَلَ الذَّهَبُ فصارَتْ ذهَبيَّتُهُ عِياناً؛
ألقى الذَّهَبُ بِيَدِهِ وَقَدَمِهِ سَعيداً في النَّار، تَضْحَكُ العُرُوقُ مِنْهُ في جبينِ النَّار؛
جِسْمُنا غِطاءٌ لنا في هذِهِ الدُّنيا، نَحْنُ كالبَحْرِ في الخفاءِ تَحْتَ هذا القَشِّ؛
لا تنظُرْ إلى مَلِكِ الدِّيْنِ كالطِّيْنِ أي جاهِلُ، فهذا النَّظَرُ مِنْ فِعْلِ إبليسَ اللَّعين؛
مَنِ الَّذي يستَطيعُ أنْ يُغَطِّيَ هذِهِ الشَّمْسَ، بِكَفٍّ مِنَ التُّرابِ قُلْ لي أخيراً؛
لَوْ ذَرَوْتَ التُّرابَ وَمِئَةَ رَمادٍ، على النُّوْرِ يَعْلُوْ عَلَيْهِ النُّور؛
ما يكونُ القَشُّ كَيْ يُخْفِيَ وَجْهَ الماء، ما يَكُونُ الطِّيْنُ حَتَّى يُغَطِّيَ الشَّمْس؛
اِنْهَضي بَلْقيسُ مِثْلَ أدْهَمَ كالمُلُوك، أَشْعِلي النَّارَ في مُلْكٍ يَدُومُ يَومَيْنِ أو ثلاثَة؛

بَقِيَّةُ قِصَّةِ ابراهيم أدْهَمْ رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْه

مِنْ فَوْقِ سَريرِهِ سَمِعَ ذلِكَ الحَسَنُ الإسْم، طَقْطَقَةَ ضَجَّةٍ في اللَّيْلِ على السَّطْح؛
وَخُطىً مُسْرِعَةً على سَطْحِ القَصْر، قالَ لِلنَّفْسِ مَنْ لَهُ هذِهِ الجُرْأَة؛
رَفَعَ الصَّوْتَ عَبْرَ نافِذَةِ القَصْرِ مَنْ هذا؟، هذا لَيْسَ بالآدَمِيّ كأنَّهُ جِنِّيّ؛
فَدَلَّى رُؤوسَهُمْ قَوْمٌ عَجيبون، أنْ نَحْنُ في طَلَبٍ في اللَّيْلِ طائفُون؛
قالَ ما تَطلبونَ قالوا نَطلبُ جِمالاً، قالَ كَيْفَ تَطْلبونَ جَمَلاً على السَّطْحِ وَلِمَن؛
فقالُوا لَهُ أنتَ على سَريرِ الجاهِ، فَكَيْفَ تَطْلُبُ مُلاقاةَ الإله؛
بَعْدَ هذا لَمْ يَعُدْ يراهُ شَخْصٌ، كما هُوَ الجِنِّيُّ غَيْرُ مَرْئِيٍّ للآدَمِيّ؛
مَعْناهُ مُخْتَفٍ وَهُوَ مِنْ أمامِ الخَلْق، الخَلْقُ لا يرونَ غَيْرَ اللِّحْيَةِ والجُبَّة؛
حينَ غابَ عَنْ عُيُونِ الأهْلِ والخَلْق، صارَ مِثْلَ العَنْقاءِ مَشْهُورَ العالَم؛

كُلُّ طائرٍ رُوحُهُ مَضَتْ نَحْوَ قاف، العالَمُونَ أجْمَعُونَ يَنسُجُونَ عَنْهُ القِصَص؛
حينَ وَصَلَ إلى سَبَأَ نُوْرُ الشَّرْق، وَقَعَ الاِضْطِرابُ في بَلْقيسَ والخَلْق؛
الأرواحُ المَيْتَةُ رَفْرَفَتْ بِأَجْنِحَتِها جَميعاً، المَوتى رَفَعُوا الرُّؤوسَ مِنَ القُبُور؛
كانَ كُلُّ واحِدٍ يُعْطي البُشْرى للآخَر، أنَّ نِداءً جَميلاً يَصِلُ مِنَ السَّماء؛
الأديانُ مِنْ ذلِكَ النِّداءِ تَصيرُ أقْوى، أغْصانُ وأوراقُ القُلُوبِ مِنْهُ تَخْضَر؛
ذاكَ النَّفَسُ مِنْ سُلَيْمانَ كَنَفْخِ الصُّور، أطْلَقَ المَوتى أحراراً مِنَ القُبُور؛
مِنْ بَعْدِ هذا فَلْتَكُنْ لَكَ السَّعادَةُ ، هذا مَضى واللهُ أعْلَمُ باليَقين؛

بَقِيَّةُ قِصَّةِ أَهْلِ سَبَأ وَنَصيحَةُ وإرشادُ سُلَيْمانَ عَلَيْهِ السَّلام لآلِ بَلقيس، لِكُلِّ واحِدٍ بما يُناسِبُ مُشْكِلاتِ دينِهِ وَقَلْبِه، وَصَيْدُ كُلِّ جِنْسِ طائرِ ضَميرٍ بِصَفيرِ جِنْسِ ذلِكَ الطَّائرِ وَبِطَعامِه

أنا أقُصُّ القِصَّةَ عَنْ سَبَأَ كالمُشْتاق، وَقَدْ هَبَّتِ الصَّبا مِنْ جِهَةِ حَقْلِ الشَّقائق؛

لاقَتِ الأشْباحُ يَوْمَ وَصْلِها عادَتِ الأوْلادُ صَوْبَ أَصْلِها
أُمَّةُ العِشْقِ الخَفِيّ في الأُمَم مِثْلَ جُودٍ حَوْلَهُ لُؤْمُ السَّقَم
ذِلَّةُ الأرواحِ مِنْ أَشْباحِها عِزَّةُ الأشْباحِ مِنْ أرواحِها
أيُّها العُشَّاقُ السُّقْيا لَكُمْ أنتُمُ الباقُونَ والبُقْيا لَكُمْ
أيُّها السَّالُونَ قُومُوا واعْشَقُوا ذاكَ ريحُ يُوْسُفٍ فاسْتَنْشِقوا

مَنْطِقَ الطَّيْرِ السُّلَيْمانِيّ فَلْتُقْبِلْ، غَنِّ بِصَوْتِ كُلِّ طائرٍ يجيء؛
بِما أنَّ الحَقَّ أَرْسَلَكَ إلى الطَّيْر، فَقَدْ أَعْطاكَ في السَّبْقِ صَوْتَ كُلِّ طائرٍ؛
حَدِّثْ طائِرَ الجَبْرِ بِلِسانِ الجَبْر، حَدِّثِ الطَّائرَ كَسيرَ الجَناحِ عَنِ الصَّبْر؛
حافِظْ على الطَّائِرِ الصَّابِرِ سَعيداً مُعافىً، حَدِّثْ طائِرَ العَنْقاءِ بِأَوصافِ قاف؛
مُرِ الوَرْقاءَ أنْ تكُونَ في حَذَرٍ مِنَ الباز، وَمُرِ البازَ بالحِلْمِ والاِحْتِراز؛

وذلِكَ الخَفَّاشُ الَّذي ظَلَّ عاجِزاً، اجْعَلْهُ شَفيعاً للنُّورِ وعارِفاً بالنُّور؛
وَعَلِّمِ الحَجَلَ المُقاتِلَ الصُّلْح، واشْرَحْ للدِّيَكَةِ أَشْراطَ الصُّبْح؛
وامْضِ هكذا مِنَ الهُدْهُدِ للعُقاب ، أَظْهِرِ الطَّرِيقَ واللهُ أَعْلَمُ بالصَّواب؛

تَحَرُّرُ بَلقيسَ مِنَ المُلْكِ وَسُكْرُها مِنْ شَوْقِ الإيمان ، والتِفاتُ هِمَّتِها وانْقِطاعُها عن جَميعِ المُلْكِ وَقْتَ الهِجْرَة إلَّا مِنَ التَّخْت

عِنْدَما صَفَرَ سُلَيْمانُ صَفيراً واحِداً، إلى طُيُورِ سَبَأَ قَيَّدَها جَميعاً؛
خَلا طائِراً كانَ بلا رُوحٍ ولا جَناحٍ، أو كانَ أَبْكَمَ مِثْلَ سَمَكَةٍ مِنَ الأَصْلِ وأَصَمّ؛
قُلْتُ غَلَطاً فإنَّ الأَصَمَّ لَوْ خَضَعَ، وَأَصْغى إلى وَحْيِ الكِبْرياءِ أَعْطاهُ السَّمَع؛
حينَ صارَ لِبَلْقيسَ عَزْمٌ مِنَ القَلْبِ والرُّوح، تَحَسَّرَتْ على الزَّمانِ الَّذي مَضى؛
تَرَكَتِ المالَ وَتَرَكَتِ المُلْكَ كما، تَرَكَ الإسْمَ والسُّمْعَةَ أولئكَ العاشِقُون؛
صارَ الغِلمانُ المُدَلَّلُونَ والجَواري، أمامَ عَيْنِها كالبَصَلِ المُهْتَرِئ؛
والبَساتينُ والقُصُورُ والماءُ الجاري، ظَهَرَتْ أمامَ عَيْنِها مِنَ العِشْقِ كالمُسْتَوْقَد؛
العِشْقُ في وَقْتِ الإسْتيلاءِ والإشْتِداد، جَعَلَ الأشياءَ اللَّطيفَةَ قبيحَةً بالعَيْن؛
أَظْهَرَ الزُّمُرَّدَ لنا كالفِجْل، هذِهِ غَيْرَةُ العِشْقِ وَمَعْنى **لا**؛
لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، أي ملاذ، أَظْهَرَتْ لنا القَمَرَ قِدْراً سَوداء؛
فلا مالَ ولا مَخْزَنَ ولا مَتاعَ، تَأْسَفُ عَلَيْهِ إلَّا أنْ يَكُونَ التَّخْت؛
كانَ سُليمانُ عالِماً بِقَلْبِها، فَمِنْ قَلْبِهِ إلى قَلْبِها كانَتْ هُناكَ طَريق؛
ذَلِكَ الشَّخْصُ الَّذي سَمِعَ صَوْتَ النَّمْل، سَمِعَ صَوْتَ البعيدِينَ الخَفِيَّ أيضاً؛
ذاكَ الَّذي قالَ سِرَّ *قالَتْ نَمْلَةٌ*، عالِمٌ بِسِرِّ هذا الطَّاقِ القَديمِ أيضاً؛
رأى ذاتَ مَذْهَبِ التَّسْليمِ تِلْكَ مِنْ بَعيدٍ، تَشْعُرُ بالمرارَةِ لِفِراقِ تَخْتِ العَرْشِ ذاك؛
وَلَوْ ذَكَرْتُ سَبَبَ ذاكَ لَطالَ الحَديثُ، أنْ لِمَاذا كانَتْ تألَفُ ذلِكَ التَّخْتَ وَتَعْشَقُه؛

فهذا القَلَمُ رَغْمَ أَنَّهُ في ذاتِهِ بلا حِسٍّ، وَلَيْسَ مِنْ جِنْسِ الكاتِبِ فإنَّهُ مُؤنِسٌ لَه؛
وهكذا آلَةُ كُلِّ صاحِبِ مِهْنَةٍ، هِيَ بلا حَياةٍ وَمُؤنِسَةٌ للحَيّ؛
وكُنْتُ لأجْعَلَ هذا السَّبَبَ لَكَ مَعْلُوماً، لَوْ لَمْ يَكُنْ على عَيْنِ فَهْمِكَ رُطُوبَةٌ؛
تَخْتٌ مِنَ العَظَمَةِ زائدٌ عَنِ الحَدِّ، لَمْ يَكُنْ هُناكَ إمكانٌ لِنَقْلِ هذا التَّخْت؛
كانَ صُنِعَ مِنْ قِطَعٍ صَغيرَةٍ وَتَفريقُهُ خَطِرٌ، كما تَتَّصِلُ بِبَعْضِها أوصالُ البَدَن؛
فقالَ سُلَيْمانُ رَغْمَ أنَّهُ أخيراً، يصيرُ بارِداً عِنْدَها التَّاجُ والسَّرير؛
إذا أَطَلَّتِ الرُّوحُ بالرَّأْسِ للخارِجِ مِنَ الوَحْدَة، لا يَكُونُ للبَدَنِ مَعَ جَمالِها جَمال؛
عِنْدَما يَخْرُجُ الجَوْهَرُ مِنْ قَعْرِ البِحار، تَنْظُرُ إلى الزَّبَدِ والقَشِّ باحْتِقار؛
إذا أَطَلَّتْ بالرَّأْسِ الشَّمْسُ ذاتُ الشَّرَر، متى يبقى لِذَنَبِ العَقْرَبِ مُسْتَقَرّ؛
لكِنْ وَمَعَ كُلِّ هذا وفي الحالِ الحاضِرِ، يَجِبُ إيجادُ الوَسيلَةِ لِنَقْلِ تَخْتِها؛
كَيْ لا تكُونَ مَحْزونَةً في أثْناءِ اللِّقاء، صارَ لائقاً قَضاءُ حاجَتِها الطُّفُولِيَّةِ تِلْك؛
ذاكَ سَهْلٌ عَلَيْنا وَعَزيزٌ عَلَيْها، متى كانَ على مائدَةِ الحُوْرِ الشَّيْطانُ أَيْضاً؛
كانَتْ رُوحُها مُوْلَعَةً بِتَخْتِ الدَّلالِ ذاك، مِثْلَما كانَتْ خِرْقَةُ إيازَ وَحِذاؤُهُ عِنْدَه؛
حَتَّى تَعْلَمَ تِلْكَ المُبْتَلاةُ فيمَ كانَتْ، مِنْ أَيْنَ جاءَتْ وإلى أَيْنَ وَصَلَتْ؛
التُّرابَ والنُّطْفَةَ والمُضْغَةَ، جَعَلَ اللهُ دائماً أمامَ أَعْيُنِنا؛
أنْ مِنْ أَيْنَ جِئْتُ بِكَ أَيْ سَيِّئَ النِّيَّةِ، وَإِنَّكَ لَتَشْمَئِزُّ مِنْ ذلِكَ الَّذي جِئْتَ مِنْه؛
أنتَ كُنْتَ عاشِقَ ذاكَ في دَوْرِ ذاك، وكُنْتَ مُنْكِراً لِهذا الفَضْلِ في ذلِكَ الزَّمان؛
هذا الكَرَمُ كَأَنَّهُ دَفْعٌ لإنكارِكَ ذاك، لإنكارِكَ الَّذي كانَ مِنْكَ أَوَّلاً وأنتَ تُراب؛
حُجَّةً على الإنكارِ صارَ إنشاؤكَ، مِنَ الدَّواءِ ساءَ أَكْثَرَ مَرَضُك؛
مِنْ أَيْنَ يَكُونُ للتُّرابِ تَصْويرُ هذا، مِنْ أيْنَ يَكُونُ للنُّطْفَةِ خُصُومَةٌ وإنكار؛
ما دُمْتَ تِلْكَ اللَّحْظَةَ كُنْتَ بلا قَلْبٍ ولا رَأْس، وَكُنْتَ مُنْكِراً للفِكْرَةِ وللإنكار؛
لَمَّا تَحَرَّرَ إنكارُكَ مِنَ الجَمادِيَّةِ، مِنْ هذا الإنكارِ حَشْرُكَ صارَ صَحيحاً أَيْضاً؛

فَمِثالُكَ مِثالُ ذلِكَ الَّذي يَقْرَعُ باباً، فَيُجيبُهُ السَّيِّدُ مِنَ الدَّاخِلِ السَّيِّدُ غَيْرُ مَوجُود؛
قارِعُ البابِ يُدْرِكُ مِنْ هذا النَّفْيِ أَنَّهُ مَوجُودٌ، فلا يَرْفَعُ اليَدَ عنْ حَلْقَةِ البابِ أَبَداً؛
فإنكارُكَ إذَنْ مُبَيِّنٌ أيْضاً، أَنَّهُ يَقُومُ بِمِئَةِ فَنٍّ حَشْرٍ للجَماد؛
كَمْ صَنْعَةً مَضَتْ أيْ إنكارُ حَتَّى، وُلِدَ ماءُ وَطِيْنُ الإنكارِ مِنْ *هَلْ أتى*؛
الماءُ والطِّيْنُ مِنَ النَّفْسِ قائلانِ لا إنكار، فَيَصْرَخُ الجاهِلُ لا تُوْجَدُ أَخْبار؛
أنا أَقُولُ شَرْحَ هذا مِنْ مِئَةِ طَريق ، لكِنَّ الخاطِرَ انْزَلَقَ مِنَ القَوْلِ الدَّقيق؛

حِيْلَةُ سُلَيْمانَ عَلَيْهِ السَّلامُ في إحْضارِ تَخْتِ بَلقيسَ مِنْ سَبَأ

قالَ عِفْريتٌ أنا آتيكَ بِتَخْتِها، عَنْ فَنٍّ قَبْلَ انْقِضاءِ هذا المَجْلِس؛
قالَ آصِفُ أنا باسْمِهِ الأَعْظَم، أُحْضِرُهُ أمامَكَ في طُرْفَةِ عَيْن؛
مَعَ أنَّ العِفْريْتَ كانَ أُسْتاذاً في السِّحْر، إلَّا أنَّ ذلِكَ ظَهَرَ مِنْ نَفْخِ آصِف؛
وجاءَ تَخْتُ بَلْقيسَ حاضِراً في الآن، لَقَدْ جاءَ مِنْ آصِفَ لا مِنْ فَنِّ العفاريت؛
قالَ الحَمْدُ للهِ على هذا والمِئاتِ مِنْهُ، مِمَّا حَصَلْتُ عَلَيْهِ مِنْ رَبِّ العالَمين؛
ثُمَّ نَظَرَ سُلَيْمانُ نَظْرَةً إلى التَّخْت، قالَ حَقَّاً أنتِ صَيَّادَةُ الحَمْقى أي شَجَرَة؛
أمامَ الخَشَبِ والحَجَرِ المُزَيَّنَيْنِ بالنُّقُوش، كَمْ مِنَ الحَمْقى يَضَعُونَ الرُّؤوس؛
السَّاجِدُ والمَسْجُودُ لَهُ جاهِلانِ بالرُّوح، رَأَيا مِنَ الرُّوحِ حَرَكَةً وَأَثَراً ضَئيلاً؛
رأى إذْ صارَ حَيْرانَ وَأَبْلَهاً في وَقْت، كلاماً مِنَ الجَبَلِ وإشارَةً مِنَ الصَّخْر؛
الشَّقِيُّ لَعِبَ نَرْدَ الخِدْمَةِ في غَيْرِ مَوْضِعِه، لِذلِكَ رَأى الأَسَدَ مِنَ الصَّخْرِ أَسَداً؛
الأَسَدُ الحَقيقيُّ مِنَ الكَرَمِ قامَ بالجُود، وألقى بِعَظْمٍ سَريعاً إلى الكَلْب؛
قالَ ذلِكَ الكَلْبُ لَيْسَ على القَوام ، لكِنَّ العَظْمَ مِنَّا لُطْفٌ عامّ؛

قِصَّةُ طَلَبِ حَليمَةَ العَوْنَ مِنَ الأصْنام عِنْدَما فَقَدَتِ المُصْطَفى عَلَيْهِ السَّلام عَقيبَ الفِطام ، وارتِعاشُ الأصْنامِ وَسُجُودُها وَشَهادَتُها على عَظَمَةِ أمْرِ المُصْطَفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّم

سَأَقُصُّ لَكَ قِصَّةَ سِرِّ حَليمَة، حَتَّى تَجْلُوَ قِصَّتُها الغَمَّ عَنْك؛
عِنْدَما قامَتْ بِقَطْعِ اللَّبَنِ عَنِ المُصْطَفى، حَمَلَتْهُ على الكَفِّ كالرَّيْحانِ والوَرْد؛
تَهْرَبُ بِهِ مُبْتَعِدَةً عَنْ كُلِّ حَسَنٍ وَقَبيح، حَتَّى تُسَلِّمَ مَلِكَ المُلُوكِ ذاكَ إلى الجَدّ؛
كانَتْ آتِيَةً بِتِلْكَ الأمانَةِ وَمِنَ الخَوْف، صارَتْ إلى الكَعْبَةِ وَدَخَلَتْ في الحَطيم؛
سَمِعَتْ صَوتاً مِنَ الهَواءِ أي حَطيم، لَقَدْ شَعَّ عَلَيْكَ نُوْرُ شَمْسٍ عَظيم؛
أي حَطيمُ جاءَكَ اليَوْمَ مِنْ شَمْسِ الجُود، مِئاتُ أُلُوفِ الأنوارِ مُسْرِعَةً؛
أي حَطيمُ جاءَ إلَيْكَ بالرِّحالِ اليَوم، وَنَزَلَ فيكَ شاهٌ مُعَظَّمٌ رَسُولُهُ البَخْت؛
أي حَطيمُ اليَوْمَ بلا شَكٍّ مِنَ النَّوى، تَصيرُ مَنْزِلاً لِعالياتِ الأرواح؛
الأرواحُ الطَّاهِرَةُ طِلْبٌ طِلْبٌ وَجَوْقٌ جَوْق، تأتيهِ مِنْ كُلِّ ناحِيَةٍ سَكرى بالشَّوق؛
فَصارَتْ حَليمَةُ حَائرَةً مِنْ ذلِكَ الصَّوت، فلا شَخْصَ مِنْ أمامِها ولا مِنَ الوراء؛
الجِهاتُ السِّتُّ خالِيَةٌ مِنَ الصُّوَرِ والنِّداء، صارَ مُتَتالياً. فِداءً لِذاكَ النِّداءِ الرُّوح؛
فَوَضَعَتِ المُصْطَفى على الأرْضِ، لِتَقُومَ بالبَحْثِ عَنْ ذلِكَ الصَّوْتِ الجميل؛
تَنْظُرُ للجِهاتِ جِهَةً جِهَةً تِلْكَ اللَّحْظَةَ، أنْ أيْنَ هُوَ ذلِكَ الشَّاهُ النَّاطِقُ بالأسرار؛
مِثْلُ هذا الصَّوْتِ العالي مِنَ اليَمينِ واليَسارِ، يَصِلُ إلَيَّ أينَ مُوصِلُهُ يا رَبّ؛
وَلَمْ تَرَ شَيْئاً فَصارَتْ يائسَةً حَائرَةً، والجِسْمُ مُرْتَعِشٌ كَغُصْنِ شَجَرَةِ الصَّفْصاف؛
رَجَعَتْ ناحِيَةَ ذلِكَ الطِّفْلِ الرَّشيد، فَلَمْ تَرَ المُصْطَفى في المَكانِ حَيْثُ وَضَعَتْهُ؛
حَيْرَةٌ في حَيْرَةٍ نَزَلَتْ على قَلْبِها، صارَ مَنْزِلُها مُظْلِماً جِدَّاً مِنَ الغَمّ؛
فَراحَتْ تَجْري إلى المَنازِلِ صارِخَةً، مَنِ الَّذي اختارَ الغارَةَ على حَبَّةِ دُرّي؛

قالَ المَكِّيُّونَ لا عِلْمَ لنا، نَحْنُ لَمْ نَكُنْ نَعْلَمُ أَنَّ طِفْلاً هُناك؛
وَكَمْ بَكَتْ مِنْ دَمْعٍ وَصَرَخَتْ مِنْ صُراخٍ، حَتَّى صارَ يبكي لها أولئكَ الآخَرُون؛
تَضْرِبُ هكذا على الصَّدْرِ وَهِيَ تَبْكي ، حَتَّى صارَتِ النُّجُومُ لِبُكائها تَبْكِي؛

حِكايَةُ ذلِكَ الشَّيْخِ العَرَبِيِّ الَّذي دَلَّ حَليمَةَ على الاِسْتِعانَةِ بالأصْنام

رَجُلٌ شَيْخٌ على عصاً جاءَ إلى أمامِها، أنْ أَيْ حَليمَةُ أخيراً ما الَّذي جرى لَكِ؛
حَتَّى اشْتَعَلَتْ مِثْلُ هذهِ النَّارِ في قَلْبِكِ، وَأَحْرَقْتِ هذِهِ الأكبادَ مِنَ المَأْتَم؛
قالَتْ أَحْمَدُ رَضيعِيَ المُعْتَمَد، أَحْضَرْتُهُ لِكَيْ أُسَلِّمَهُ لِلْجَدّ؛
وَحِيْنَ وَصَلْتُ إلى الحَطيمِ وَصَلَتْني، أَصْواتٌ كُنْتُ أَسْمَعُها مِنَ الهَواء؛
وَإِذْ كُنْتُ أَسْمَعُ تِلْكَ الألحانَ مِنَ الهَواء،وَضَعْتُ الطِّفْلَ هُناكَ مِنْ ذلِكَ الصَّوت؛
كَيْ أرى هذا النِّداءُ صَوْتُ مَنْ، إذْ كانَ نِداءً لَطيفاً جِدّاً وَشَهِيّاً جِدّاً؛
فَلَمْ أَرَ مِنْ حَولي أَثَراً لِشَخْصٍ، ولا النِّداءُ كانَ يَنْقَطِعُ لَحْظَةً واحِدَةً؛
وَعِنْدَما رَجَعْتُ مِنْ حَيْراتِ قَلبي، لَمْ أَرَ الطِّفْلَ هُناكَ، واهاً لِقَلْبي؛
فقالَ لَها أَيْ بِنْتُ لا تَغْتَمِّي، فإنَّني دالُّكِ على مَلِكٍ؛
يَقْدِرُ أنْ يُخْبِرَكِ إنْ شاءَ عَنْ حالِ الطِّفْل، فَهُوَ عالِمٌ بِمَنْزِلِ وَتِرْحالِ الطِّفْل؛
فَقالَتْ حَليمَةُ أي فِداكَ الرُّوحُ، أَيُّها الشَّيْخُ الطَّيِّبُ حَسَنُ النِّداء؛
هيَّا دُلَّني على ذلِكَ الشَّاهِ ذي النَّظَر، الَّذي لَهُ الخَبَرُ عَنْ حالِ طِفْلي؛
فَأَخَذَها إلى أمامِ عُزَّى أنْ هذا الصَّنَم، هُوَ في أخبارِ الغَيْبِ مُغْتَنَم؛
فَنَحْنُ مِنْهُ وَجَدْنا آلافَ الضَّائعين، حينَ جِئنا إلى خِدْمَتِهِ مُسْرِعين؛
قالَ الشَّيْخُ مُسْرِعاً بَعْدَ أنْ قامَ بالسُّجُود، أيْ إلهَ العَرَبِ وأي بَحْرَ الجُود؛
قالَ أي عُزَّى أنتَ كَمْ مِنَ الإكرام، فَعَلْتَ لنا حتَّى تُحَرِّرُنا مِنَ القُيُود؛
إكرامُكَ على العَرَبِ حَقٌّ، طاعَتُكَ على العَرَبِ فَرْضٌ؛

هذِهِ حَليمَةُ السَّعْدِيَّةُ مِنَ الأمَلِ بِكَ، جاءَتْ إلى تَحْتِ ظِلِّ غُصْنِ صَفْصافِك؛
فَقَدْ ضاعَ لَها وَلَدٌ طِفْلٌ، واِسْمُ ذلِكَ الطِّفْلِ مُحَمَّد؛
لَمَّا ذَكَرَ مُحَمَّداً انقَلَبَتْ، كُلُّ الأصْنامُ في الآنِ وَسَجَدَتْ؛
أنِ اذْهَبْ أيْ شَيْخُ أيُّ بَحْثٍ وَفَحْص، عَنْ مُحَمَّدٍ وذاكَ الَّذي عَزْلُنا مِنْه؛
مِنْهُ نَصيرُ مَنكوسينَ وَمَرْجُومين، مِنْهُ نَصيرُ بلا عِيارٍ وكاسِدِين؛
وَتِلْكَ الخيالاتُ الَّتي كانَ يراها مِنَّا، وَقْتَ الفَتْرَةِ أهْلُ الهَوى مِنْ حِيْنٍ لِحين؛
تَصيرُ مَفْقُودَةً إذا وَصَلَ سُلْطانُهُ، لَقَدْ وَصَلَ الماءُ فاتْرُكِ التَّيَمُّم؛
ابْتَعِدْ يا شَيْخُ لا تُشْعِلِ الفِتْنَةَ، لا تُحْرِقْنا بِنارِ الحَسَدِ لأحْمَد؛
ابْتَعِدْ مِنْ أجْلِ اللهِ أيْ شَيْخُ أنتَ، كَي لا تَحْتَرِقَ مِنْ نارِ التَّقْديرِ أنتَ أيْضاً؛
أيْ ضَغْطٍ هذا على ذَنَبِ أفْعى، إنَّكَ لا تَدْري بأيِّ خَبَرٍ أَتَيْت؛
مِنْ هذا الخَبَرِ قَلْبُ البَحْرِ والمَنْجَمِ يَغلي، مِنْ هذا الخَبَرِ السَّمواتُ السَّبْعُ تَهْتَزّ؛
لِمَّا سَمِعَ الشَّيْخُ هذا الحَديثَ مِنَ الحِجارَةِ،رَمى العَصا ذلِكَ الشَّيْخُ القَديمُ آنذاك؛
ثُمَّ مِنَ الخَوْفِ والإرْتِعادِ مِنْ ذلِكَ النِّداء، راحَتْ أسنانُ ذلِكَ الشَّيْخِ تَصْطَكّ؛
مِثْلَ الرَّجُلِ العُريانِ في بَرْدِ وَسَطِ الشِّتاء، راحَ يَرْتَجِفُ وَهُوَ يَقُولُ أَيْ ثَبُور؛
عِنْدَما رَأَتِ الشَّيْخَ في تِلْكَ الحال، مِنْ ذلِكَ العَجَبِ فَقَدَتِ المَرْأَةُ التَّدبير؛
قالَتْ أي شَيْخُ رَغْمَ أنَّني في مِحْنَةٍ، فأنا في حَيْرَةٍ في حَيْرَةٍ في حَيْرَة؛
ساعَةً تَقُومُ الرِّيْحُ بِخِطابي، ساعَةً تَقُومُ الحِجارَةُ كالأديبِ بِتَكليمي؛
الرِّيْحُ تُحَدِّثُني الأحاديثَ بالحُرُوف، والحِجارَةُ والجِبالُ تُفْهِمُني الأشياء؛
سَريْرَ طِفْلي اخْتَطَفَ أَهْلُ الغَيْب، السَّماوِيُّونَ الغَيْبِيُّونَ خُضْرُ الأجْنِحَة؛
فَمِمَّنْ أَشْتَكي وَلِمَنْ أَقُولُ شَكواي، أنا صِرْتُ والِهَةً الآنَ بِمِئَةِ قَلْب؛
غَيْرَتُهُ أغْلَقَتْ شَفَتي عَنْ شَرْحِ غَيبي، لكِنْ هذا القَدْرَ أَقُولُ أنْ ضاعَ طِفْلي؛
ولَو أنِّي أقُولُ الآنَ شَيْئاً آخَرَ، لَقَيَّدَني بِزَنْجِيرِ الجُنونِ الخَلْق؛

فقالَ لها الشَّيْخُ أي حَليمَةُ اسْعَدي، واسْجُدي سَجْدَةَ الشُّكْرِ ولا تَخْمِشي الوَجْه؛
لا تَأْكُلِيْ الغَمَّ لَنْ تَفْقِدِيْه، إنَّ العالَمَ سيصيرُ حائراً فيه؛
كُلَّ لَحْظَةٍ لَهُ مِنْ أمامٍ وَخَلْفٍ، مِئاتُ أُلُوفِ الحُرَّاسِ مِنْ حَسَدِ الغَيْرَة؛
أَلَمْ تَرَيْ تِلْكَ الأَصْنامَ ذاتَ الفُنُون، وَكَيْفَ صارَتْ مِنْ اِسْمِ طِفْلِكِ مَقْلُوْبَةً؛
هذا قَرْنٌ عَجيبٌ على وَجْهِ الأَرْض، لَقَدْ شِخْتُ وَلَمْ أرَ مِنْ جِنْسِ هذا؛
الحِجارَةُ مِنْ هذِهِ الرِّسالَةِ تَبْكي، أنْ أيٌّ مِنْها سَيُنْتَخَبُ مَعْبُوداً لِلْمُجْرِمين؛
الحَجَرُ لا جُرْمَ لَهُ في كَوْنِهِ مَعْبُوداً، أنتَ لَسْتَ بالمُضْطَرِّ لِتَكُونَ لَهُ عَبْداً؛
الحَجَرُ وَهُوَ المُضْطَرُّ صارَ خائفاً هكذا ، مِمَّا سَوْفَ يَقَعُ مِنَ العَذابِ بالمُجْرِم؛

عِلْمُ جَدِّ المُصْطَفى عَبْدِ المُطَّلَب بِفُقْدانِ حَلِيْمَةَ لِمُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلام وَبَحْثُهُ عَنْهُ حَوْلَ المَدِيْنَةِ وأنينُهُ على بابِ الكَعْبَةِ، والطَّلَبُ مِنَ الحَقِّ وَعُثُورُهُ على مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلام

عِنْدَما وَجَدَ الخَبَرَ جَدُّ المُصْطَفى، عَنْ حَليمَةَ وَبُكائها على المَلأ؛
وَأَصْواتِها العالِيَةِ وَصَرَخاتِها، حَتَّى أَنَّ صَوْتَها كانَ يَصِلُ إلى مَسافَةِ مِيْل؛
عَلِمَ عَبْدُ المُطَّلَبِ سَرِيعاً بما حَصَلَ، فراحَ يَضْرِبُ باليَدِ على الصَّدْرِ وَيَبْكي؛
وَجاءَ مِنَ الغَمِّ إلى بابِ الكَعْبَةِ باحْتِراقٍ، أنْ أَيْ خَبيراً بِسِرِّ اللَّيْلِ وَسِرِّ النَّهار؛
إنَّني لا أرى في نَفْسِيَ الكفاءَةَ، لِكَيْ يَكُونَ مِثْلي لَكَ نَجِيَّاً؛
إنَّني لا أرى لِنَفْسِيَ فَضْلاً، لأَصِيْرَ مَقْبُولَ هذا البابِ المَسْعُوْد؛
أوْ أنَّ لِرَأْسي وَسَجْدَتي قَدْراً، لِتَصيرَ شَفَتايَ ضاحِكَتَيْنِ مِنْ دَمْعي؛
لكِنْ في سَيْماءِ ذلِكَ الدُّرِّ اليَتيم، شاهَدْتُ آثارَ لُطْفِكَ أيْ كَريم؛
هُوَ لَيْسَ شَبيهاً بِنا رَغْمَ أَنَّهُ مِنَّا، نَحْنُ جَميعاً نُحاسٌ وَأَحْمَدُ الكيمياء؛

تِلْكَ العَجائبُ الَّتي رَأَيْتُها عَلَيْهِ، لَمْ أَرَها على وَلِيٍّ ولا على عَدُوٍّ؛

ذاكَ الَّذي أعْطاهُ فَضْلُكَ مِنْ لُطْف، لَمْ يُبْدِ شَخْصٌ أَثَراً مِنْهُ بِمِئَةِ سَنَةِ جِهاد؛

وإذْ رَأَيْتُ عِناياتِكَ بِهِ يَقيناً، فإنَّما هُوَ دُرَّةٌ مِنْ بَحْرِك؛

فَأَنا أُقَدِّمُهُ شَفيعاً إِلَيْكَ أَيْضاً، اجْعَلْني على عِلْمٍ بِحالِهِ أَيْ عالِمَ الحال؛

مِنْ داخِلِ الكَعْبَةِ جاءَ صَوْتٌ سَريعاً، سَوْفَ يُظْهِرُ لَكَ الوَجْهَ حالاً الآن؛

إنَّهُ مَحْفُوظٌ لَدَيْنا بِمائتَيْ إقْبال، مَحْفُوظٌ بِمائَتَيْ مَلَكٍ طَلُوبٍ مِنَ الملائكَة؛

سَنَجْعَلُ ظاهِرَهُ مَشْهُوراً للعالَمِ، وَنَجْعَلُ باطِنَهُ مَخْفِيَّاً عَنْ جَمِيْعِ العالَمِيْن؛

ذَهَبُ المَنْجَمِ ماءٌ وَطِيْنٌ وَنَحْنُ صاغَةٌ، نَجْعَلُ مِنْهُ خلخالاً حِيْناً وَخاتَماً حِيْناً؛

حِيْناً نَجْعَلُ مِنْهُ حمائلَ سَيْف، حِيْناً نَجْعَلُ مِنْهُ طَوْقَ أَسَد؛

حِيْناً نَصْنَعُ مِنْهُ أُتْرُجَ التَّخْت، وَحِيْناً تاجاً لِمَفارِقِ طالِبي المُلْك؛

عِنْدِنا لِهذا التُّرابِ أنواعُ العِشْقِ، مِنْ ذلِكَ الوُقُوعُ في قَعْدَةِ الرِّضا؛

حِيناً نَجِدُ مِنْهُ مِثْلَ هذا المُلْك، وَحِيْناً نَجْعَلُ مِنْهُ والِهاً أمامَ المُلْك؛

مِئَةُ أَلْفِ عاشِقٍ وَمَعْشُوقٍ مِنْهُ، في صُراخٍ وفي عَويلٍ وَفي بَحْثٍ وفي فَحْص؛

شُغْلُنا هُوَ هذا وَغافِلٌ عَنَّا، مَنْ لا يَمِيْلُ بالرُّوحِ إلى شُغْلِنا؛

نُعطي هذِهِ الفَضِيْلَةَ للتُّرابِ مِنْ ذلِكَ الوَجْهِ، نَجْعَلُهُ نَوالاً نُقَدِّمُهُ لِمَنْ هُمْ بلا زاد؛

ذلِكَ أنَّ التُّرابَ في الظَّاهِرِ أَغْبَرُ الشَّكْل، وَهُوَ مِنَ الدَّاخِلِ أَنْوَرُ الصِّفات؛

ظاهِرُهُ مَعَ باطِنِهِ في صِراع، باطِنُهُ كالجَوْهَرِ وَظاهِرُهُ كالحَجَر؛

ظاهِرُهُ يَقُولُ نَحْنُ هُنا وَحَسْب، باطِنُهُ يَقُولُ انظُرْ حَسَناً للأمامِ والخَلْف؛

ظاهِرُهُ مُنْكِرٌ يَقُولُ: الباطِنُ لا شَيْء، باطِنُهُ يَقُولُ سَوْفَ نُظْهِرُ لَكَ انْتَظِرْ؛

ظاهِرُهُ مَعَ باطِنِهِ في جِدالٍ وَحَرْب، لا جَرَمَ يَسْتَجِرَّانِ النَّصْرَ بِهذا الصَّبْر؛

مِنْ وَجْهِ التُّرابِ العَبُوسِ نَصْنَعُ الصُّوَر، نَجْعَلُ ضُحْكَتَهُ الخَفِيَّةَ تَظْهَر؛

ذلِكَ أنَّ ظاهِرَ التُّرابِ الحُزْنُ والبُكاء، وفي داخِلِهِ مِئاتُ أُلُوفِ الضَّحِكات؛

وَنْحْنُ كاشِفو الأسْرارِ هذا لَنا شُغْلٌ، أنْ نَأْتِيَ بِهَذِهِ الأَسْرارِ ظاهِرَةً مِنَ الكَمين؛

رَغْمَ أنَّ السَّارِقَ يُصِرُّ على الإنكار، الشُّرَطِيُّ مِنَ الضَّغِطِ عَلَيْهِ يُظْهِرُ ذلِك؛

المَخْلُوقاتُ التُّرابِيَّةُ سَرَقَتِ الفَضائل، نَحْنُ نَدْفَعُها للإقْرارِ مِنَ الإبْتِلاء؛

كَمْ مِنْ وَلَدٍ عَجيبٍ وُلِدَ مِنَ التُّراب، إلَّا أَنَّ أَحْمَدَ زائدٌ على الجَميع؛

صارَتِ الأَرْضُ والسَّماءُ ضاحِكَتَيْنِ مَسْرُورتَيْن، أنْ مِثْلُ هذا المَلِكِ قَدْ وُلِدَ مِنَّا؛

السَّماءُ مِنْ سُرُورِها تَتَفَتَّحُ، التُّرابُ مِنْ حُرِّيَتِهِ صارَ كالسَّوْسَن؛

أَيُّها التُّرابُ الجَميلُ ظاهِرُكَ مَعَ باطِنِكَ، ما زالا في قِتالٍ وَفي صِراع؛

كُلُّ مَنْ كانَ يُصارِعُ النَّفْسَ لأجْلِ الحَقّ، حَتَّى صارَ مَعْناهُ خَصْمَ لَونِهِ ورائِحَتِه؛

تَصيرُ ظُلْمَتُهُ مَعَ نُوْرِهِ في قِتال، ولا يَكُونُ لِشَمْسِ رُوْحِهِ مِنْ زَوال؛

كُلُّ مَنْ سَعى مِنْ أجْلِنا في الإمْتِحان، جَعَلَ السَّماءَ تَجيءُ تَحْتَ قَدَمَيْهِ سَعْياً؛

ظاهِرُكَ مِنَ الظُّلْمَةِ قائِمٌ بالصُّراخ، وفي باطِنِكَ الرَّوْضُ في الرَّوض؛

هُوَ قاصِدٌ كالصُّوفِيّيْنَ عابِسي الوَجْه، كَيْ لا يَخْتَلِطَ مَعَ كُلِّ قاتِلٍ للنُّور؛

العارِفُونَ عابِسُو الوَجْهِ مِثْلَ القُنْفُذِ، أَخْفَوا سُرُورَ العَيْشِ تَحْتَ الشَّوكِ الخَشِنِ؛

الرَّوْضُ مَخْفِيٌّ وحَوْلَ الرَّوْضِ شَوْكٌ، يَقُولُ لِلِّصِ أيْ عَدُوُّ ابْعِدْ عَنْ هذا الباب؛

جَعَلْتَ مِنْ شَوْكِ الظَّهْرِ شَوكاً حارِساً، وَسَتَرْتَ الرَّأْسَ بالثَّوْبِ كالصُّوْفِيّ؛

حَتَّى يَضِيْعَ شَخْصٌ بِالنَّذْرِ اليَسيرِ مِنْ عَيْشِكَ، عَنْ وُجُوهِ الوَرْدِ بِطِباعِ الشَّوك؛

طِفْلُكِ رَغْمَ أنَّهُ بِطَبْعِ الأطْفالِ، فإنَّ كِلا العَالَمَيْنِ طُفَيْلٌ لَدَيْه؛

نَحْنُ نَجْعَلُ العالَمَ حَيَّاً مِنْهُ، وَنَجْعَلُ الفَلَكَ عَبْداً في خِدْمَتِهِ؛

قالَ عَبْدُ المُطَّلِبِ أَيْنَ هُوَ الآنَ، أَيْ عَليمَ السِّرِّ أعْطِنا إشارَةَ الطَّريقِ الصَّحيح؛

طَلَبُ عَبْدِ المُطَّلَبِ الإشارَةَ عَنْ مَوْضِعِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ، أنْ أَيْنَ أجِدُهُ، وَمَجيءُ الجَوابِ مِنْ داخِلَ الكَعْبَةِ، وَوُجْدانُهُ الإشارَةَ

مِنْ داخِلِ الكَعْبَةِ وَصَلَ صَوْتٌ، قالَ أيْ باحِثاً عَنْ ذلِكَ الطِّفْلِ الرَّشيد؛
إنَّهُ في ذلِكَ الوادي تَحْتَ تِلْكَ الشَّجَرَةِ، فَسارَ مُسْرِعاً ذلِكَ الشَّيْخُ حَسَنُ البَخْت؛
وكانَ في رِكابِهِ أعيانُ قُرَيْشَ، لأنَّ جَدَّهُ كانَ مِنْ أعْيانِ قُرَيْش؛
أسلافُهُ جَميعاً إلى ظَهْرِ آدَمَ، أسيادُ السِّلْمِ والحَرْبِ والمَلْحَمَة؛
هذا النَّسَبُ كانَ نَسَباً لِبَدَنِهِ، فَقَدْ كانَ صَفْوَةَ مُلُوكِ المُلوك؛
أمَّا لُبُّهُ فَمُطَهَّرٌ عَنِ النَّسَبِ وَبَعيد، لا شَخْصَ مِنْ جِنْسِهِ مِنَ السَّمَكِ للسَّماك؛
نُوْرُ الحَقِّ لا يُقالُ عَنْهُ وُلِدَ وَكانَ، خِلْعَةُ الحَقِّ في غِنىً عَنِ السَّدى والخُيُوط؛
أقَلَّ خِلْعَةٍ أعطى في الثَّواب ، زادَتْ عَنِ الشَّمْسِ ذاتِ الطِّراز؛

بَقِيَّةُ قِصَّةِ دَعْوَةِ الرَّحْمَةِ لِبَلْقيس

انْهَضي بَلقيسُ أقْبِلي وانْظُري المُلْك، مِنْ شاطِئِ بَحْرِ اللهِ اِجْتَني الدُّرّ؛
أخَواتُكِ ساكِناتُ الفَلَكِ السَّنِيّ، أنْتِ أَيَّ سُلْطانٍ تُمارِسينَ على الجِيَف؛
هَلْ لَكِ عِلْمٌ بِما أَعْطى ذلِكَ السُّلْطانُ، أَخَواتِكِ مِنَ العَطايا الكَريمَة؛
وأنْتِ مِنَ السُّرورِ تَقْرَعِيْنَ الطَّبْلَ ، أنْ أنا مَلِكَةٌ وَأنا رَئيسَةُ مُسْتَوْقَد؛

مَثَلُ قَناعَةِ الآدَمِيِّ بالدُّنيا وَحِرْصُهُ في الطَّلَب وَغَفْلَتُهُ عَنْ دَوْلَةِ الرُّوحانِيِّينَ الَّذينَ هُمْ أبناءُ جِنْسِهِ الصَّارِخينَ قائلينَ *يا لَيْتَ قَومي يَعْلَمُون*

ذاكَ كَلْبٌ رأى في الحَيِّ شَحَّاذاً أَعْمى، فَقامَ بالهُجُومِ عَلَيْهِ وَمَزَّقَ ثَوْبَه؛
ذَكَرْنا هذا ولكِنْ مَرَّةً أُخْرى، جَعَلْناهُ مُكَرَّراً لأجْلِ تَأْكيْدِ الخَبَرِ؛

قالَ لَهُ الأعْمى أخيراً رِفاقُكَ، هذِهِ اللَّحْظَةَ على الجَبَلِ يَقُومونَ بالصَّيْد؛
قَوْمُكَ في الجَبَلِ يَصيدُونَ حِمارَ الوَحْش، وَأَنْتَ في وَسَطِ الزُّقاقِ تَصيدُ أَعْمى؛
قُلْ بِتَرْكِ التَّزويرِ أَيُّها الشَّيْخُ النَّفُورُ، أنتَ ماءٌ آسِنٌ اجْتَمَعَ عَلَيْهِ بِضْعُ عُميان؛
أنْ هؤلاءِ لي مُريدُونَ وَأنا ماءٌ آسِنٌ، إنَّهُمْ يَشْرَبُونَ مِنّي وَيَصيرُونَ عُمْياناً؛
اِجْعَلْ ماءَكَ عَذْباً مِنْ بَحْرِ *لَدُن*، لا تَجْعَلْ مِنْ هذا الماءِ الرَّديءِ شِباكَ عُمْيان؛
قُمْ وانظُرْ أُسُودَ اللهِ تَصيدُ حُمُرَ الوَحْش، وَأَنْتَ كالكَلْبِ تَصِيْدُ العُمْيَ بالخِداع؛
حُمُرَ الوَحْشِ لا يَصيدُ غَيْرُ حَبيبٍ،هِيَ أُسُودٌ وَصائداتُ الأُسُودِ وَسكارى النُّور؛
إنَّهُمْ في نَظَّارَةِ الصَّيْدِ وَصَيْدِ الشَّاه، قامُوا بِتَرِكِ الصَّيْدِ وَماتُوا مِنَ الوَلَه؛
فَأَمْسَكَ بِهِمُ الحَبيبُ مِثْلَ طُيُورٍ مَيِّتَة، وذلِكَ لِكَيْ يجْعَلَ جِنْسَهُمْ صَيْداً بِهِم؛
الطَّائرُ المَيْتُ مُضْطَرٌّ بَيْنَ وَصْلٍ وَبَيْن، قَدْ قَرَأْتَ *القَلْبُ بَيْنَ إِصْبَعَيْن*؛
كُلُّ مَنْ صارَ صَيْداً لِطائِرِ قَلْبِهِ المَيّت، إذا رَآهُ صارَ صَيْدَ السُّلْطان؛
وَكُلُّ مَنْ أدارَ الرَّأْسَ عَنْ ذلِكَ الطَّائرِ المَيّت، لَمْ يَجِدْ أَبَداً يَدَ ذلِكَ الصَّيَّاد؛
إنَّهُ يَقُولُ لا تَنْظُرْ لِكَوني مَيّتاً، أُنْظُرْ إلى عِشْقِ الشَّاهِ في النَّظَرِ إلَيَّ؛
أنا لَسْتُ بالمَيّتِ أنا قَتيلُ الشَّاه، صُورَتي صارَتْ شَبيهَةً بالمَيْتَة؛
حَرَكَتي قَبْلَ هذا كانَتْ مِنَ الجَناحِ والرِّيْش، حَرَكَتي الآنَ تكونُ عَنْ يَدِ العادِل؛
حَرَكَتي الفانِيَةُ خَرَجَتْ مِنَ الجِسْم، حَرَكَتي الآنَ باقِيَةٌ لأنَّها مِنْه؛
كُلُّ مَنْ تَحَرَّكَ باعْوِجاجٍ أمامَ حَرَكَتي، وَلَو كانَ طائِرَ السِّيْمُورغ عاجِزٌ وَأَقْتُلُه؛
ألا لا تَنْظُرْ إلَيَّ مَيّتاً إذا كُنْتَ حَيَّاً، أُنْظُرْ إلى كَفِّ الشَّاهِ إذا كُنْتَ عَبْداً؛
فَلَقَدْ أحيى عِيْسى المَيّتَ مِنَ الكَرَم، وأنا أَكُونُ في كَفِّ خالِقِ عيسى؛
متى أَكُونُ مَيْتاً وأنا في قَبْضَةِ الله، كما لا تَعْتَبِرْ هذا جائزاً على كَفِّ عِيسى؛
أنا عِيسى ولكِنْ كُلُّ مَنْ وَجَدَ الرُّوحَ، مِنْ نَفَسي يَظَلُّ إلى الأَبَدِ حَيَّاً؛
فَقَدْ كانَ مِنْ عِيسى حَيٌّ وَعادَ فَمات، سَعِدَ ذاكَ الَّذي أَسْلَمَ الرُّوحَ لِهذا العيسى؛

أنا العَصا في كَفِّ مُوسى نَفْسي، مُوسايَ مُخْتَفٍ وأنا أمامَهُ ظاهِرٌ؛
أصيرُ للمُسْلِمينَ جِسْراً على البَحْرِ، وَأَرْجِعُ على فِرْعَوْنَ أفْعى شُؤم؛
لا تَنْظُرْ إلى هذِهِ العَصا مُفْرَدَةً أيْ وَلَد، فالعَصا بلا كَفِّ الحَقِّ لا تَكُونُ هكذا؛
مَوْجُ الطُّوفانِ كانَ عَصا أيْضاً وَمِنَ الألَم، قامَ بابتِلاعِ طَنْطَنَةِ عَبَدَةِ السِّحْر؛
وَلَوْ أَنَّني قُمْتُ بِعِدِّ عِصِيِّ الحَقّ، لَمَزَّقْتُ خِداعَ هؤلاءِ الفَرْعُونِيّينَ تَمْزيقاً؛
لكِنْ دَعْهُمْ يَرْتَعُونَ بِضْعَةَ أَيَّامٍ، مِنْ هذِهِ النَّباتاتِ الحُلْوَةِ السُّمِّيَّة؛
فَلَو لَمْ يَكُنْ مَوْجُوداً جاهُ فِرْعَوْنَ والكِبْر، مِنْ أيْنَ كانَتْ تَجِدُ جَهَنَّمُ التَّغْذِيَة؛
سَمِّنْهُ أَيْ قَصَّابُ ثُمَّ آنَذاكَ اقْتُلْهُ، فَفي جَهَنَّمَ تَكُونُ بلا زادٍ الكِلاب؛
لَوْ لَمْ يَكُنِ الخَصْمُ والعَدُوُّ مَوْجُوْدَيْنِ في الدُّنيا، لَماتَ الغَضَبُ إِذَنْ بَيْنَ النَّاس؛
النَّارُ تِلْكَ غَضَبٌ وَيَلْزِمُ لها الخَصْم، حَتَّى تَعيشَ أو تَقْتُلُها الرَّحْمَة؛
وَبَقِيَ لُطْفٌ بلا قَهْرٍ وسُوءٍ، ولكِنْ كمالُ المُلْكِ متى كان؛
أولئكَ المُنْكِرُونَ راحُوا ضاحِكين، على أمْثالِ وَبيانِ الذَّاكِرين؛
أنتَ إذا أَرَدْتَ اضْحَكْ أيضاً، كمْ تَطْلُبُ أنْ تَعيشَ أَيْ مَيْتُ كَمْ؛
واسْعَدُوا أَيُّها المُحِبُّونَ في الإفْتِقار، على البابِ ذاتِهِ الَّذي سَيُفْتَحُ اليَوم؛
كُلُّ نَبْتَةٍ يَجِبُ لَها حَوْضٌ آخَر، في وَسَطِ البُسْتانِ مِنْ ثُومٍ أوْ كَبَر؛
كُلُّ نَبْتَةٍ مَعَ جِنْسِها في حَوْضِها، تَشْرَبُ القَطْرَ مِنْ أَجْلِ نُضْجِها؛
أنتَ الَّذي مَعَ الزَّعْفَرانِ كُنْ زُعْفَراناً، ولا تَقُمْ بالاِخْتِلاطِ بالآخَرين؛
واشْرَبِ الماءَ أَيْ زُعْفُرانُ حَتَّى تَنْضُجَ، وَتَصيرَ زُعْفَراناً وَسَطَ تِلْكَ الحَلْوى؛
ولا تُدِرْ وَجْهَكَ إلى حَوْضِ الشَّلْجَم، كي لا يَصيرَ مَعَكَ بِنَفْسِ الطَّبْعِ والمَذْهَب؛
أنتَ في حَوْضٍ وَهُوَ في حَوْضٍ مَوْدَعَة، إنَّ أرْضَ اللهِ جاءَتْ واسِعَة؛
خاصَّةً تِلْكَ الأرْضُ الَّتي مِنَ السَّعَة، يَضيعُ بِها في السَّفَرِ الجِنُّ والشَّيْطان؛
في ذلِكَ البَحْرِ والصَّحْراءِ والجِبال، الأوهامُ تَصيرُ مُنْقَطِعَةً والخَيال؛

هذهِ الصَّحْراءُ في وَسَطِ صحاريه، مِثْلَ خَيْطِ شَعْرَةٍ واحِدَةٍ وَسَطَ البَحْر؛
الماءُ الواقِفُ الَّذي لَهُ سَيْرٌ خَفِيٌّ، أطْرى وَأَعْذَبُ مِنَ الأنهارِ الجارِيَة؛
لأنَّ لَهُ في الدّاخِلِ كالنَّفْسِ والرُّوح، وَلَهُ سَيْرٌ خَفِيٌّ وَقَدَمٌ جارِيَة؛
المُسْتَمِعُ نامَ أَقْصِرِ الخِطاب، أيْ خَطيبُ أقِلَّ هذا الرَّسْمَ على الماء؛
انهَضِي بَلْقيسُ فالسُّوقُ رائجَةٌ، فرِّيْ مِنْ هؤلاءِ الأخِسَّاءِ مُسَبِّبي الكساد؛
انْهَضي بَلْقيسُ الآنَ باختيار، مِنْ قَبْلِ أنْ يَجيءَ المُوتُ بالفِتْنَةِ والاِضْطِراب؛
مِنْ بَعْدِ ذلِكَ يَسْحَبُكِ المَوْتُ هكذا،تَأتينَ بِنَزْعِ الرُّوحِ كالسَّارِقِ على يَدِ الشُّرَطِيّ؛
مِنْ هذِهِ الحَميرِ إلامَ تَسْرِقينَ النَّعْل، إنْ كُنْتِ سارِقَةً تَعالَيْ واسْرِقي اللَّعْل؛
أخَواتُكِ وَجَدْنَ مُلْكَ الخُلود، وَأَنْتِ جَعَلْتِ مُلْكَكِ العَمى والظَّلام؛
أيْ سَعِدَ ذاكَ الَّذي فَرَّ مِنْ مُلْكِكِ، فإنَّ الأَجَلَ مُخَرِّبٌ لِهذا المُلْك؛
اِنْهَضي بَلْقيسُ تَعَالَي وانْظُري مَرَّةً، إلى مُلْكِ المُلُوكِ العِظامِ وسلاطينِ الدِّيْن؛
باطِناً يَغْتَسِلُ وَسَطَ الرَّوْض، ظاهِراً حادٍ وَسَطَ الرِّفاق؛
البُستانُ سائرٌ مَعَهُ حَيْثُما سار، لكِنَّ ذاكَ يَكُونُ في خَفاءٍ عَنِ الخَلْق؛
الفَواكِهُ تَضْرَعُ إِلَيْهِ كُلْ مِنِّي، ماءُ الحياةِ جاءَ إِلَيْهِ اشْرَبْ مِنِّي؛
طَوِّفي على الفَلَكِ بلا جَناحٍ وريش، مِثْلَ الشَّمْسِ وكالبَدْرِ وكالهِلال؛
كوني كالرُّوحِ تَسيرينَ وما مِنْ قَدَمٍ، وَتَأْكُلينَ مِئَةَ لُقْمَةٍ شَهِيَّةٍ وَما مِنْ مَضْغ؛
لا تِمْساحُ الغَمِّ يَصْدِمُ سَفينَتَكِ، ولا تَظْهَرُ القبائحُ مِنْكِ مِنَ المَوت؛
فَمِنْكِ مَلِكٌ وَمِنْكِ جَيْشٌ وَمِنْكِ تَخْتٌ، وَتَكُونينَ حَسَنَةَ البَخْتِ وَعَيْنَ البَخْت؛
إذا كُنْتِ حَسَنَةَ البَخْتِ وَبِسُلْطانٍ عَظيم، البَخْتُ غَيْرُكِ وَيَوماً يَذْهَبُ البَخْت؛
وأنْتِ تَبْقينَ مِثْلَ السَّائلينَ عاجِزَةً، كُنْ دَوْلَةَ نَفْسِكَ أيْضاً أَيُّها المُجْتَبى؛
عِنْدَما تَصيرُ أنتَ بَخْتَ نَفْسِكَ أَيْ مَعْنَوي، متى يَضيعُ مِنْكَ بَعْدَ ذلِكَ البَخْت؛
مَتى تَضيعُ مِنَ النَّفْسِ أَيْ حَسَنَ الخِصال،ما دُمْتَ عَيْنَكَ صِرْتَ المُلْكَ والمال؛

بَقِيَّةُ قِصَّةِ عمارَةِ سُلَيْمانَ عَلَيْهِ السَّلامُ للمَسْجِدِ الأَقْصى بِتَعْليمِ وَوَحْيِ اللهِ جِهَةَ حِكَمٍ هُوَ يَعْلَمُها ومُعاوَنَةُ الملائكَةِ والشَّياطينِ والجِنِّ والإِنْسِ عِياناً

أيْ سُلَيمانُ ابنِ المَسْجِدَ الأقْصى، فإنَّ عَسْكَرَ بَلْقيسَ جاءَ للصَّلاة؛
عِنْدَما وَضَعَ أَساسَ ذلِكَ المَسْجِدِ، الإنْسُ والجِنُّ جاؤوا وعَمِلُوا بِجَهْد؛
قَومٌ مِنَ العِشْقِ وَقَوْمٌ بلا مُراد، كما يَكُونُ في طَريقِ الطَّاعَةِ العِباد؛
الخَلْقُ مَجانينُ والشَّهْوَةُ سلسلة، تَشُدُّهُمْ إلى جِهَةِ الدُّكَّانِ والغَلَّة؛
هذا الزَّنْجيرُ كائنٌ مِنَ الخَوْفِ والوَلَه، أنتَ لا تَرَ الخَلْقَ بلا سَلْسَلَة؛
تَجْذِبُهُمْ جِهَةَ الكَسْبِ والصَّيْد، تَجْذِبُهُمْ جِهَةَ المَنْجَمِ والبِحار؛
تَشُدُّهُمْ جِهَةَ الخَيْرِ وَجِهَةَ الشَّرّ، قالَ الحَقُّ في جيدِها حَبْلٌ مِنْ مَسَد؛
قَدْ جَعَلْنا الحَبْلَ في أَعْناقِهِمْ واتَّخَذْنا الحَبْلَ مِنْ أَخْلاقِهِم
لَيْسَ مِنْ مُسْتَقْذِرٍ مُسْتَنْقِهِ قَطُّ إِلَّا طَيْرُهُ في عُنُقِهِ
حِرْصُكَ في عَمَلِ السُّوءِ شَبيهٌ بالنَّار، الجَمْرُ مِنْ لَوْنِ النَّارِ الجَميلِ سَعيد؛
سَوادُ الفَحْمِ ذاكَ مِنَ النَّارِ مَخْفِيٌّ، حِيْنَ خَمَدَتِ النَّارُ صارَ عِياناً السَّواد؛
الفَحْمُ الأَسْوَدُ صارَ جَمْراً مِنْ حِرْصِكَ، حينَ يَذْهَبُ الحِرْصُ يبقى الفَحْمُ التَّالِف؛
وَقْتَ كانَ يَظْهَرُ ذلِكَ الفَحْمُ جَمْراً، كانَ ذاكَ مِنْ نارِ الحِرْص لا حُسْنِ العَمَل؛
كانَ الحِرْصُ قَدْ زَيَّنَ العَمَلَ مِنْك، وَذَهَبَ الحِرْصُ وَبَقِيَ عَمَلُكَ الأَسْوَد؛
نَبْتَةُ الغُوْلَةِ الَّتي زَيَّنَها الغُول، ظَنَّها الشَّخْصُ الأَحْمَقُ طَيِّبَةَ المَذاق؛
عِنْدَما قامَتْ رُوحُهُ بالتَّجْرِبَة، كَلَّتْ أَسْنانُهُ مِنَ التَّجْرِبَة؛
تَصْويرُ غُوْلِ الحِرْصِ كانَ يُظْهِرُ ذلِكَ الفَخَّ، مِنَ الهَوَسِ حَبَّةً لِمَنْ كانَ خاماً؛
أُطْلُبِ الحِرْصَ في أَمْرِ الدِّيْنِ والخَيْر، ذا لا يَكُونُ حِرْصاً ذا يكونُ حُسْنَ سَيْر؛

الخَيْراتُ جَميلَةٌ لا مِنْ تَصْويرِ الغَيْر، ذَهَبَ بَريقُ الحِرْصِ وبَقِيَ ضياءُ الخَيْر؛
إذا ذَهَبَ شُعاعُ الحِرْصِ مِنْ عَمَلِ الدُّنيا، تكونُ بَقِيَّةُ الجَمْرِ مِنَ النَّارِ الفَحم؛
الحِرْصُ يجيءُ للأطْفالِ بالغِرار، حَتَّى أنَّهُمْ مِنَ التَّصابي يَمْتَطُونَ الثِّياب؛
عِنْدَما ذَهَبَ مِنَ الطِّفْلِ حِرْصُهُ السَّيِّئُ ذاكَ، جاءَتْهُ ضُحْكَةٌ على بَقِيَّةِ الأطْفال؛
أنْ ما كُنْتُ أَفْعَلُ ما كُنْتُ أرى في هذا، الخَلُّ بَدا مِنْ تَصْويرِ الحِرْصِ عَسَلا؛
بناءُ الأنبياءِ ذاكَ كانَ بلا حِرْصٍ، مِنْ ذلِكَ كانَ لَهُ هذا الرَّوْنَقُ الزَّائِدِ المُتَّصِل؛
أي كَمْ مِنْ مَسْجِدٍ قامَ بإعلائِهِ الكِرام، لكِنَّ اسْمَهُ لَمْ يَكُنِ المَسْجِدَ الأَقْصى؛
الكَعْبَةُ لها في كُلِّ لَحْظَةٍ عِزٌّ يَزيد، وذلِكَ كانَ مِنْ إخلاصاتِ ابراهيم؛
فَضْلُ ذاكَ المَسْجِدِ لَمْ يَكُنْ مِنْ حَجَرٍ وطِيْنٍ، بَلْ مِنْ بَنَّائيهِ بلا حِرْصٍ ولا نِزاع؛
لا كُتُبُهُمْ مِثْلَ كُتُبِ الآخَرينَ، ولا المساجِدُ والكَسْبُ والعِيالُ والمَنازِل؛
ولا أَدَبُهُمْ ولا غَضَبُهُم ولا النَّكال، ولا نُعاسُهُمْ ولا قِياسُهُمْ ولا المَقال؛
لِكُلِّ واحِدٍ مِنْهُ مَجْدٌ فَريدٌ آخَر، طائرُ رُوْحِهِمْ طائرٌ بِطَيَرانٍ آخَر؛
القَلْبُ يَرْتَعِدُ مِنْ ذِكْرِ حالِهِم، قِبْلَةُ أفْعالِنا مِنْ أفْعالِهِم؛
طُيُورُهُمْ كانَ لها بَيْضٌ ذَهَبِيٌّ، رُوحُهُمْ ناظِرَةُ السَّحَرِ مُنْتَصَفَ اللَّيْل؛
مَهْما قُلْتُ عَنْ رُوحِ حِسانِ القَوم، قُلْتُ نَقْصاً، صارَ ناقِصاً حَديثُ القَوم؛
المَسْجِدَ الأقْصى ابنُوا أي كِرامْ، عادَ سُلَيْمانُ والسَّلامْ؛
وإذا واحِدٌ مِنَ الجِنِّ والشَّياطينِ عانَدَ، تَشُدُّهُمْ جَميعاً بالأغلالِ المَلائِكَة؛
إذا اعْوَجَّ شَيْطانٌ مِنَ المَكْرِ والخِداعِ لَحْظَةً، جاءَهُ السَّوْطُ على الرَّأْسِ كالبَرْق؛
فَكُنْ مِثْلَ سُلَيْمانَ حَتَّى شَياطِيْنُكَ، تَقْطَعُ الحِجارَةَ مِنْ أَجْلِ إيوانِكَ؛
كُنْ مِثْلَ سُلَيْمانَ بلا وَسْواسٍ وَمَكْر، حَتَّى يُنْفِذَ الجِنِّيُّ والشَّيْطانُ لَكَ الأمْر؛
خاتَمُكَ هُوَ هذا القَلْبُ وَكُنْ واعِياً، كَيْ لا يَصيرَ الخاتَمُ مِنْكَ صَيْدَ الشَّيْطان؛
فَيَصيرَ سُلَيْماناً عَلَيْكَ على الدَّوام، الشَّيْطانَ مَعَ الخاتَمِ اِحْذَرْ والسَّلام؛

سُلَيْمانُ ذاكَ يا قَلْبُ غَيْرُ مَنْسُوخ، فَفي رَأْسِكَ وَسِرِّكَ دائماً سُلَيْمان؛
الشَّيْطانُ قائمٌ بِحُكْمِ سُلَيْمانَ وَقْتاً، لكِنْ متى يَقْدِرُ كُلُّ حائكٍ أنْ يَحِيْكَ الأطْلَس؛
إنَّ يَدَهُ تَتَحَرَّكُ مِثْلَ يَدِهِ ولكِنْ ، بَيْنَ كِلْتا اليَدَيْنِ فَرْقٌ وَفَرْقٌ بِعيد؛

قِصَّةُ شاعِرٍ وإعْطاؤهُ صِلَةً مِنَ الشَّاه ومُضاعَفَةُ ذلِكَ الوَزير باسْم أبو الحَسَن لها

شاعِرٌ جاءَ بِشِعْرٍ إلى أمامِ المَلِك، على أَمَلِ الخِلْعَةِ والإكرامِ والجاه؛
كانَ المَلِكُ مُكْرِماً فَأَمَرَ لَهُ بألْفٍ، مِنَ الذَّهَبِيَّاتِ الحُمْرِ والكراماتِ والنِّثار؛
فقالَ الوَزيرُ إنَّ هذا قَلِيْلٌ، أعْطِهِ عَشْرَةَ آلافٍ هَدِيَّةً في الحال؛
لِمِثْلِ هذا الشَّاعِرِ مِنْكَ أَيْ بَحْرَ الجُود، العَشْرَةُ آلافٍ الَّتي ذَكَرْتُ أَيْضاً قَليلَة؛
لَقَدْ حَدَّثَ ذلِكَ الشَّاهَ بالفِقْهِ والفَلْسَفَة، حَتَّى خَرَجَتْ مِنْ كَفِّهِ عَشْرَةُ بيادِر؛
أعطاهُ عَشْرَةَ آلافٍ وَخَلَعَ عَلَيْهِ خِلْعَةً، فصارَ سِرُّهُ ذاكَ مَنْزِلاً مِنَ الشُّكْرِ والثَّناء؛
ثُمَّ قامَ بالتَّفَحُّصِ أنْ هذا كانَ مِنْ سَعْيِ مَنْ، مَنْ ذا الَّذي أَظْهَرَ أهْلِيَّتي للشَّاه؛
فقالُوا لَهُ إنَّهُ فُلانُ الدِّيْنِ الوَزير، حَسَنُ الاِسْمِ حَسَنُ الخُلْقِ حَسَنُ الضَّمير؛
فَنَظَمَ مِنَ الثَّناءِ عَلَيْهِ مَنْظُومَةً طَويلَةً، مِنَ الشِّعْرِ وَقَفَلَ عائداً لِلْمَنْزِل؛
وعلى الشَّاهِ كانَتْ تُثْني نِعَمُ الشَّاه ، بلا لِسانٍ وَلا شِفاهٍ ، وَخِلَعُ الشَّاه؛

عَوْدَةُ ذلِكَ الشَّاعِرِ بَعْدَ بِضْعِ سِنينَ على أَمَلِ الصِّلَةِ نَفْسِها والأمْرُ لَهُ بأَلْفِ دينارٍ على حَسَبِ القاعِدَةِ وَقَوْلُ وزيرٍ جَديدٍ اِسْمُهُ أَيْضاً حَسَن للشَّاه هذا كَثيرٌ جِدّاً وَإِنَّ عَلَيْنا مَصاريفَ وَخَزينَتُنا خالِيَةٌ وأنا أجْعَلُهُ راضِياً بالعُشْر

بَعْدَ بِضْعِ سِنينَ لِأَجْلِ الرِّزْقِ والزَّرْعِ، الشَّاعِرُ صارَ مُحْتاجاً مِنَ الفَقْرِ والعَوَز؛
قالَ هذا وَقْتُ فَقْرٍ وَضِيْقٍ شَديد، والبَحْثُ والطَّلَبُ عِنْدَ المُجَرَّبِ أَفْضَل؛
تِلْكَ عَتَبَةٌ كُنْتُ جَرَّبْتُها في الكَرَم، فلأَحْمِلْ إلى تِلْكَ الجِهَةِ حاجَتي الجَديدَة؛
عَنْ مَعْنى اللهِ قالَ سَيْبَوَيْه، يُؤَلِّهُونَ في الحَوائِجِ إِلَيْه؛
قَدْ أَلِهْنا في حَوائِجِنا إِلَيْك والتَمَسْناها وَجَدْناها لَدَيْك
مِئاتُ أُلُوفِ العُقَلاءِ في وَقْتِ الأَلَم، يَشْتَكُونَ جُمْلَةً أمامَ ذَلِكَ الدَّيَّانِ الفَرْد؛
إنَّ القِيامَ بالاِسْتِجْداءِ مِنْ بَخيلٍ عاجِزٍ، عَمَلٌ لا نَفْعَ فيهِ وَلَمْ يَعْمَلْهُ أَيُّ مَجْنُون؛
العاقِلُونَ لَوْ لَمْ يَرَوْهُ أُلُوفَ المَرَّاتِ، متى كانُوا يَسْحَبُونَ إلى أمامِهِ الأرواح؛
بَلْ إنَّ جُمْلَةَ الأَسْماكِ في المَوْج، وَجُمْلَةَ الطُّيُورِ في الأَوْج؛
والفيْلُ والذِّئبُ وَأَسَدُ الصَّيْدِ أَيْضاً، والثُّعبانُ المَهُولُ والنَّمْلَةُ والحَيَّةُ أيضاً؛
بَلِ التُّرابُ والرِّيْحُ والماءُ وَكُلُّ شِرار، تَجِدُ المَدَدَ مِنْهُ والشِّتاءُ والرَّبيع؛
وفي كُلِّ لَحْظَةٍ تَضْرَعُ إِلَيْهِ هذِهِ السَّماءُ، لا تَذَرْني أَيْ حَقُّ لَحْظَةً واحِدَةً؛
عِصْمَتُكَ وَحِفْظُكَ عِمادي، كُلُّ شَيْءٍ مَطْوِيٌّ بِكِلْتا يَدَيْكَ اليَمين؛
الأَرْضُ هذِهِ تَقُولُ احْفَظْني في قَرار، أَيْ مَنْ جَعَلْتَ لي على الماءِ القَرار؛
جُمْلَةُ الأَشْياءِ مَلأَتْ أكياسَها مِنْهُ، وَتَعَلَّمَتْ عَطاءَ الحاجاتِ مِنْهُ؛
وَكُلُّ نَبِيٍّ جاءَ مِنْهُ جاءَكَ مِنْهُ، *بِاسْتَعينوا بِالصَّبْرِ والصَّلاة*؛
ألا فاطْلُبُوا مِنْهُ لا تَطْلُبُوا مِنْ غَيْرِه، أُطْلُبِ الماءَ مِنَ اليَمِّ لا مِنْ جَدْوَلٍ يابِسٍ؛

وإذا طَلَبْتَ مِنْ آخَرَ فَهُوَ الَّذي أعْطى، وَهُوَ الَّذي وَضَعَ في كَفِّهِ المَيْلَ للسَّخاء؛
الَّذي جَعَلَ مِنَ المُعْرِضِ قارُونَ مِنَ الذَّهَب، ما يَفْعَلُ إذا تَوَجَّهْتَ إلَيْهِ بالطَّاعَة؛
الشَّاعِرُ مَرَّةً أُخْرى على أَمَلِ العَطاء، تَوَجَّهَ جِهَةَ ذلِكَ الشَّاهِ المُحْسِن؛
وما هَدِيَّةُ الشَّاعِرِ غَيْرَ أنْ تَكُونَ شِعْراً جَديداً، يأخُذُهُ إلى أمامِ المُحْسِنِ وَيَرْهَنُه؛
المُحْسِنُونَ بِمِئَةِ عَطاءٍ وَجُودٍ وَبِرّ، عارِضُونَ للذَّهَبِ بانتِظارِ الشُّعَراء؛
بَيْتٌ مِنَ الشِّعْرِ يَفْضِلُ مِئَةَ رُزْمَةِ شَعْر، خاصَّةً شاعِرٍ يَسْتَخْرِجُ الدُّرَّ مِنَ القَعْر؛
الآدَمِيُّ أوَّلاً كانَ حَريصاً على الخُبْز، ذاكَ لأنَّ القُوْتَ والخُبْزَ كانا عِمادَ الحياة؛
اتَّجَهَ لِلْكَسْبِ والغَصْبِ وَمِئاتِ الحِيَل، رُوحُهُ على الكَفِّ مِنَ الحِرْصِ والأمَل؛
وَإذا نادِراً ما صارَ مُسْتَغْنياً عَنِ الخُبْزِ، صارَ عاشِقاً للشُّهْرَةِ وَمَدْحِ الشُّعَراء؛
لِيَقُومُوا بِمَدْحِ أَصْلِهِ وَفَصْلِه، وَيَنصِبوا المَنْبَرَ لِبيانِ فَضْلِه؛
كَيْ يَفُوحَ عَبيرُ كَرَمِهِ وَفَرِّهِ وَذَهَبُ عَطائِهِ، كما يَفُوحُ العَنْبَرُ أَثْناءَ الحَديث؛
جَعَلَ الحَقُّ خَلْقَنا على صُوْرَتِه، وَصْفُنا أَخَذَ السَّبْقَ مِنْ وَصْفِه؛
وَذلِكَ الخَلَّاقُ يَطْلُبُ الشُّكْرَ والحَمْدَ، فَطَلَبُ المَدْحِ في الآدَمِيّ أيضاً طَبْعٌ؛
خاصَّةً رَجُلُ الحَقِّ السَّابِقُ في الفَضْل، يَمْتَلِئُ مِنْ تِلْكَ الرِّيْحِ كالقِرْبَةِ السَّليمَة؛
وإنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلاً وَتَمَزَّقَتْ قِرْبَتُه، مِنَ الرِّيْحِ الكَذِبِ مَتى يَصيرُ أَهْلاً للنُّور؛
هذا المَثَلَ لَمْ أَقُلْ مِنَ النَّفْسِ أَيْ رَفيقا، لا تَسْمَعْهُ لَهْواً إنْ كُنْتَ أَهْلاً وَمُفيقا؛
هذا ما قالَ النَّبِيُّ عِنْدَما سَمِعَ القَدْح، أنْ لِماذا يصيرُ أَحْمَدُ مَسْرُوراً بالمَدْح؛
ذَهَبَ الشَّاعِرُ إلى عِنْدِ ذلِكَ الشَّاهِ حامِلاً، شِعْراً في شُكْرِ إحْسانِهِ الَّذي لَمْ يَمُتْ؛
المُحْسِنُونَ ماتُوا وَإحْسانُهُمْ باقٍ، أيْ سَعِدَ ذلِكَ الَّذي ساقَ هذا المَرْكَب؛
الظَّالِمُونَ ماتُوا وَتِلْكَ الظُّلُماتُ باقِيَةٌ، وَيْلٌ لِرُوحٍ فَعَلَتِ المَكْرَ والدَّهاء؛
قالَ الرَّسُولُ سَعِدَ ذلِكَ الَّذي، راحَ مِنَ الدُّنيا وَبَقِيَ مِنْهُ الفِعْلُ الحَسَن؛
ماتَ المُحْسِنُ ولكِنَّ إحْسانَهُ لَمْ يَمُتْ، الدِّيْنُ والإحْسانُ عِنْدَ اللهِ لَيْسا قَلِيْلَيْن؛

وَيْلٌ لِمَنْ ماتَ وَعِصْيانُهُ لَمْ يَمُتْ، كَيْ لا تَظُنَّ أَنَّهُ نَجا بالرُّوْحِ بالمَوْت؛

دَعْ ذاكَ فإنَّ ذلِكَ الشَّاعِرَ ذَهَب، وَهُوَ مَدينٌ وَمُحْتاجٌ بِشِدَّةٍ للذَّهَب؛

حَمَلَ الشَّاعِرُ شِعْرَهُ إلى جِهَةِ المَلِك، على أَمَلِ العَطاءِ مِنْهُ والإحْسان؛

شِعْرٌ لَطيفٌ مَليءٌ مِنَ الدُّرِّ الصَّحيح، على أمَلِ الإكْرامِ الأوَّلِ وَطَلَباً لَه؛

والشَّاهُ أَيْضاً على طَبْعِهِ قالَ أَلْفاً، إذْ كانَتْ هذِهِ هِيَ العادَةُ مِنْ ذلِكَ المَلِك؛

لكِنَّ الوَزيرَ المَمْلُوءَ بالجُودِ هذِهِ المَرَّة، كانَ قَدْ تَرَكَ هذِهِ الدُّنيا على بُراقِ العِزّ؛

وَوَزيرٌ جَديدٌ صارَ في مَكانِهِ رَئيساً، لكِنَّهُ كانَ قاسِياً وَبِلا رَحْمَةٍ وَخَسيساً؛

قالَ أَيْ شاهُ إنَّ عَلَيْنا مَصاريفَ، ولا يَجُوزُ أنْ يَكُونَ هذا العَطاءُ جَزاءً لِشاعِر؛

أنا بِرُبْعِ عُشْرِ هذا أَيْ مُغْتَنِم، أُسْعِدُ هذا الرَّجُلَ الشَّاعِرَ وَأَجْعَلُهُ راضِياً؛

قالَ لَهُ الخَلْقُ هُوَ في المَرَّةِ الأولى، نالَ مِنْ هذا الشُّجاعِ عَشْرَةَ آلاف؛

بَعْدَ ذهابِ السُّكَّرِ ما يَفْعَلُ ماصُّ القَصَب،كَيْفَ يَقُومُ بالاِسْتِجداءِ بَعْدَ السُّلطان؛

قالَ سَأجْعَلُهُ تَحْتَ الضَّغْطِ في ضيق، حَتَّى يَصيرَ نَحيلاً وَعاجِزاً مِنَ الاِنْتِظار؛

وآنَذاكَ أُعْطِيْهِ مِنَ التُّرابِ مِنْ طَريقي، فَيَخْتَطِفَهُ كأنَّهُ وَرَقُ الوَرْدِ مِنَ الرَّوْض؛

وَكِّلْني بِهذا فإنِّي بِهِ أُسْتاذ، حَتَّى وَلَوْ كانَ المُطالِبُ أَشْبَهَ بالنَّار؛

لَو كانَ يَطيرُ مِنَ الثُّرَيَّا إلى الثَّرى، يَصيرُ هادِئاً إذا هُوَ رَآني؛

قالَ لَهُ السُّلْطانُ لَكَ القَرارُ اذْهَبْ، لكِنْ أَسْعِدْهُ فَهُوَ لنا مادِح؛

قالَ لَهُ هُوَ ومائَتَيْنِ مِنْ لاعِقي الأمَلْ، كِلْ إلَيَّ واكْتُبْ هذا عَلَيَّ؛

ثُمَّ أَلْقاهُ صاحِبُنا في الاِنْتِظار، وَمَرَّ كانُونُ والشِّتاءُ وَجاءَ الرَّبيع؛

الشَّاعِرُ صارَ في الاِنتِظارِ شَيْخاً، وَصارَ رَهِيْنَةَ الغَمِّ وَضاعَ مِنْهُ التَّدْبير؛

قالَ إنْ لَمْ يَكُنْ هُناكَ ذَهَبٌ فاشْتِمْني، كَيْ تُحَرِّرَ رُوحي أنا لَكَ طَريق؛

قَتَلَني الاِنْتِظارُ قُلْ مَرَّةً لِيَ اذْهَبْ، لِتُطْلِقَ هذِهِ الرُّوْحَ المِسْكيْنَةَ مِنَ الرَّهْن؛

مِنْ بَعْدِ ذاكَ أَعْطاهُ رُبْعَ عِشْرِ ذاك، فَبَقِيَ الشَّاعِرُ في فِكْرِ هَمٍّ ثَقيل؛

أنْ ذاكَ كانَ نَقْداً وَكانَ كَثيراً جِدّاً، وهذا الَّذي تَفَتَّحَ مُتَأَخِّراً كانَ رُزْمَةَ شَوك؛
ثُمَّ قالُوا لَهُ إنَّ ذاكَ الوَزيرَ الكَريمَ، راحَ مِنَ الدُّنيا أعْطاكَ اللهُ الأَجْر؛
فَقَدْ كانَتْ مِنْهُ مُضاعَفَةُ ذاكَ العَطاء، وكانَ لا يَقَعُ في عَطائِهِ الخَطاء؛
والآنَ راحَ وَأَخَذَ مَعَهُ الإحْسان، هُوَ حَقيقَةً لَمْ يَمُتْ بَلْ ماتَ الإحْسان؛
ذَهَبَ مِنَّا صاحِبُ الأَصْلِ والرَّشيد، وَجاءَ الصَّاحِبُ سَلَّاخُ الدَّراويش؛
خُذْ هذا واذْهَبْ مِنْ هُنا واهْرَبْ لَيْلاً، حَتَّى لا يَنْظُرَ إلَيْكَ صاحِبُ الشِّقاقِ هذا؛
لَقَدْ أَخَذْنا لَكَ هذِهِ الهَدِيَّةَ مِنْهُ، بِمِئاتِ الحِيَلِ أَيْ مَنْ أنتَ عَنْ جُهْدِنا غافِلٌ؛
وَجَّهَ الوَجْهَ لَهُمْ وَقالَ أَيْ مُشْفِقُون، هذا العُوانُ مِنْ أَيْنَ أَقْبَلَ قُولُوا؛
ما اِسْمُ هذا الوَزيرِ مُمَزِّقِ الثِّياب، قالَ لَهُ القَومُ إنَّ اسْمَهُ أَيْضاً حَسَن؛
قالَ يا رَبِّ اِسْمُ ذاكَ وِاسْمُ هذا، كَيْفَ جاءا واحِداً أَسَفاً أَيْ رَبَّ الدِّيْن؛
حَسَنٌ ذاكَ مِنْ تَوْقيعِ قَلَمِهِ، جاءَ يَطْلُبُ الجُوْدَ مِئةُ صاحِبٍ وَوَزير؛
وَهذا حَسَنٌ وَمِنَ اللِّحْيَةِ القَبيحَةِ لِهذا الحَسَن، تَقْدِرِيْنَ أَي رُوْحُ جَدْلَ مِئةِ رَسَن؛
إِصْغاءُ الشَّاهِ إلى مِثْلِ هذا الصَّاحِبِ، جَعَلَ الشَّاهَ ومُلْكَهُ مَفْضُوحَيْنِ إلى الأَبَد؛

شَبَهُ الرَّأْيِ السَّيِّئِ لِهذا الوَزيرِ الدُّونِ في إفسادِ مُرُوءَةِ الشَّاه
بِرَأْيِ وَزيرِ فِرْعَونَ، يَعْني هامان، في إفْسادِ قابِلِيَّةِ فِرْعَون

كَمْ مَرَّةً صارَ فِرْعَوْنُ ذاكَ هادِئاً وَرائقاً، حينَ كانَ يَسْمَعُ مِنْ مُوسى ذلِكَ الكلام؛
ذلِكَ الكلامُ الَّذي أعْطى اللَّبَنَ للصَّخْر، مِنْ عُذُوبَةٍ في ذلِكَ الكلامِ بلا نَظير؛
وَحِيْنَ كانَ يَذْهَبُ لِيَسْتَشيرَ هامانَ، وَزيرَهُ ذاكَ الَّذي كانَ طَبْعُهُ الحِقْد؛
كانَ يَقُولُ لَهُ إلى الآنَ كُنْتَ مَلِكاً، والآنَ صِرْتَ عَبْداً للابِسِ الأَسْمالِ بالحِيْلَة؛
وجاءَ حَديثُهُ ذاكَ كَحَجَرِ المَنْجَنيق، وَوَقَعَ على زُجاجِ بَيْتِهِ وَكَسَرَه؛
وَكُلُّ ما بَنى الكَليمُ حَسَنُ الخِطاب، في مِئَةِ يَومٍ اسْتحالَ في لَحْظَةٍ لِخَراب؛

عَقْلُكَ هُوَ الوَزيرُ والمَغْلُوبُ للهَوى، إنَّهُ في وُجُوْدِكَ قاطِعُ طَريقِ الله؛
النَّاصِحُ الرَّبَّانِيُّ يَنْصَحُكَ النَّصيحَةَ، فَيَقُومُ هُوَ بِطَرْحِ ذاكَ الحَديثِ عَنْك بِفَنّ؛
أنْ ذا لَيْسَ في مَحَلِّهِ لا تُغَيِّرِ المَكانَ، ذا بلا قِيْمَةٍ عُدْ إلى النَّفْسِ لا تَكُنْ وَلِهاً؛
واهٍ لِذلِكَ الشَّاهِ الَّذي وَزيرُهُ هذا، مَوْضِعُ كِلا الاِثْنَيْنِ جَهَنَّمُ المَمْلُوءَةُ بالحِقْد؛
وَسَعِدَ ذلِكَ الشَّاهُ الَّذي لَهُ وَزيرٌ، يُعينُهُ في العَمَلِ يكونُ مِثْلَ آصِف؛
إذا صارَ المَلِكُ العادِلُ لَهُ قَريناً، فاسْمُ ذلِكَ آنَذاكَ نُورٌ على نُور؛
مِلْكٌ مِثْلُ سُلَيْمانَ وَمِثْلُ آصِفَ وَزير، نُورٌ على نُوْرٍ وَعَنْبَرٌ على عَبير؛
مَلِكٌ كَفِرْعَونَ وَكَهامانَ لَهُ وَزير، ما لكلا الاِثْنَيْنِ مِنْ سُوءِ البَخْتِ مِنْ مَحيص؛
تكُونُ الظُّلُماتُ بَعْضُها فَوْقَ بَعْض، لا العَقْلُ رَفيقٌ ولا الدَّوْلَةُ يَومَ العَرْض؛
نَحْنُ لَمْ نَرَ غَيْرَ الشَّقاوَةِ في اللِّئام، إنْ كُنْتَ رَأَيْتَ أَوْصِلْ مِنِّي السَّلام؛
المَلِكُ كالرُّوحِ والصَّاحِبُ كالعَقْل، العَقْلُ الفاسِدُ يَمْضي بالرُّوحِ إلى النَّقْل؛
مَلِكُ العَقْلِ حِيْنَ صارَ كهارُوت، كانَ مُعَلِّماً في السِّحْرِ لِمِئَتَيْ طاغُوت؛
لا تَتَّخِذْ مِنَ العَقْلِ الجُزْئِيِّ لِنَفْسِكَ وَزيراً، أيْ مَلِكُ واتَّخِذْ مِنَ العَقْلِ الكُلِّيِّ وَزيراً؛
لا تَتَّخِذْ مِنَ الهَوى وَزيراً للنَّفْس، فإنَّهُ يَعْلُو على رُوحِكَ الطَّاهِرَةِ في الصَّلاة؛
فهذا الهَوى مِلْؤُهُ الحالُ وناظِرٌ إلى الحال، والعَقْلُ مُفَكِّرٌ في يَوْمِ الدِّيْنِ والمَآل؛
العَقْلُ ذُو عَيْنَيْنِ ناظِرَتَيْنِ لِنِهايَةِ العَمَل، يَتَحَمَّلُ أَلَمَ الشَّوْكِ مِنْ أجْلِ ذاكَ الوَرْد؛
وَرْدٍ لا يَذْبُلُ ولا يَسْقُطُ في الخَريف ، بَعُدَ عَنْ ذلِكَ الوَرْدِ كُلُّ خَرْطُومٍ أَخْشَم؛

جُلُوسُ الشَّيْطانِ في مقامِ سُلَيْمانَ عَلَيْهِ السَّلام وَتَشَبُّهُهُ بِأَعْمالِ سُلَيْمان والفَرْقُ ظاهِرٌ بَيْنَ كِلا السُّلَيْمان وَتَسْمِيَةُ الشَّيْطانِ نَفْسَهُ سُلَيْمانَ بْنَ داؤود

وإنْ كُنْتَ أَيْ أَبُ صاحِبَ عَقْلٍ، شاوِرْ وَكُنْ رَفيقاً لِعَقْلٍ آخَر؛
بِعَقْلَيْنِ اثْنَيْنِ تَنْجُو مِنْ كَثيرِ مِحَنٍ، وَتَضَعُ القَدَمَ مِنْكَ على أَوْجِ الأفْلاك؛
الشَّيْطانُ إذا كانَ سَمَّى نَفْسَهُ سُلَيْمان، واسْتَولى على المُلْكِ وَأَخْضَعَ المَمْلَكَة؛
كانَتْ تُرى مِنْهُ صُورَةُ فِعْلِ سُلَيْمان، والصُّورَةُ كانَتْ تَظْهَرُ في السِّرِّ شَيْطانِيَّة؛
الخَلْقُ قالُوا سُلَيْمانُ هذا بلا صَفاء، مِنْ سُلَيْمانَ إلى سُلَيْمانَ هُناكَ فُرُوق؛
سُلَيْمانُ مِثْلَ اليَقَظَةِ وَهذا مِثْلَ الوَسَن، كالفَرْقِ بَيْنَ ذاكَ الحَسَنِ وهذا الحَسَن؛
الشَّيْطانُ كانَ يَقُولُ إنَّ الحَقَّ صَنَعَ، صُوْرَةً جَميلَةً للشَّيْطانِ المارِدِ على شَكْلي؛
الحَقُّ أَعْطى صُوْرَتي للشَّيْطان، لا يُلْقِيَنَّ بِكُمْ جَميعاً في شِباكِهِ؛
إذا ظَهَرَ لَكُمْ بِدَعْوى حَذارِ، لا تأخُذوا لِصُورَتِهِ أَيَّ اعْتِبار؛
الشَّيْطانُ كانَ يَقُولُ هذا مِنَ المَكْر، وَتَظْهَرُ الصُّورَةُ بالعَكْسِ في القُلُوبِ الطَّيِّبَة؛
لا لَعِبَ لَهُ مَعَ المُمَيِّزِ خاصَّةً، مَنْ كانَ تَمييزُهُ وَعَقْلُهُ ناطِقَيْنِ بالغَيْب؛
فما هُناكَ سِحْرٌ ولا تَلبيسٌ ولا دَغَل، يَقْدِرُ على جَعْلِ الحِجابِ على أَهْلِ الدُّوَل؛
ثُمَّ كانُوا يَظَلُّونَ يَقُولُونَ في الجَواب، أنتَ تَسيرُ مَنْكُوساً أَيْ مُعْوَجَّ الخِطاب؛
فَهَلْ تُريدُ أنْ تَسيرَ مَنْكُوساً هكذا، إلى جِهَةِ النَّارِ أَسْفَلَ أَسْفَلِ سافِلين؛
هُوَ(سُلَيْمانُ) وإنْ صارَ مَعْزولاً وَفَقيراً، إنَّ في جَبينِهِ لَبَدْراً مُنيراً؛
وَأَنْتَ وإنْ حَمَلْتَ خاتَماً، جَهَنَّمِيٌّ تَجَمَّدْتَ كالزَّمْهَرير؛
نَحْنُ بالشَّكْلِ واللِّباسِ والعارِضِ والإيوانِ، لا نَضَعُ لَهُ القَدَمَ فَكَيْفَ بالرَّأْس؛
وَلَوْ أَرَدْنا وَضْعَ الجَبينِ لَهُ مِنْ غَفْلَة، قَبْضَةُ يَدِ المانِعِ تَطْلَعُ لنا مِنَ الأرْض؛

أنْ لا تَضَعْ ذاكَ الرَّأْسَ لِهذا الرَّأْسِ السَّافِلِ، انتَبِهْ لا تَقُمْ بالسُّجُودِ لِهذا المُدْبِر؛
كُنْتُ لأشْرَحَ هذا بِما يَزيدُ الرُّوح، لَوْ لَمْ تَكُنْ غَيْرَةُ وَمَنْعُ الله؛
فكُنْ ذا قَناعَةٍ واقْبَلْ هذا القَدْر، حَتَّى أَقُولَ لَكَ شَرْحَ هذا في وَقْتٍ آخَر؛
كانَ سَمَّى نَفْسَهُ سُلَيْمانَ النَّبِيّ، وَكانَ يَضَعُ الغِطاءَ على الوَجْهِ لِكُلِّ صَبِيّ؛
أُعْبُرْ مِنَ الصُّورَةِ وانْهَضْ مِنَ الاِسْم،واهْرُبْ مِنَ اللَّقَبِ ومِنَ الاِسْمِ إلى المَعْنى؛
فاسْأَلْ عَنْ حَدِّهِ وَعَنْ فِعْلِهِ ، وفي وَسَطِ الحِدِّ والاِسْمِ اطْلُبْهُ؛

دُخُولُ سُلَيمانَ عَلَيْهِ السَّلام إلى المَسْجِدِ الأقْصى بَعْدَ تَمامِهِ كُلَّ يَومٍ جِهَةَ العِبادَة وإرشاد العابِدِيْنَ والمُعْتَكِفين وَنُمُوُّ العَقاقيرِ في المَسْجِدِ

كُلَّ صَباحٍ حِيْنَ كانَ يَأتي سُلَيْمان، ويَدْخُلُ في خُضُوعٍ إلى المَسْجِدِ الأَقْصى؛
كانَ يَرى نَباتاً جَديداً قَدْ نَما فيه، فكانَ يَقُوْلُ لَهُ قُلْ ما اسْمُكَ وَما نَفْعُك؛
أَنْتَ أَيُّ دَواءٍ، ما أنْتَ، ما اسْمُك، أنتَ ضارٌّ لِمَنْ وَأَنْتَ نافِعٌ لِمَنْ؛
فَكانَ كُلُّ نَباتٍ يَقُولُ فِعْلَهُ واِسْمَهُ، أنْ أنا لِذاكَ حَياةٌ وَأَنا لِهذا مَوْت؛
أنا لِهذا سُمٌّ وَلِذاكَ سُكَّرٌ، اِسْمي هُوَ هذا على اللَّوحِ مِنَ القَدَر؛
فكانَ الأَطِبَّاءُ يَصيرُونَ عالِمِيْنَ ، بِذلِكَ الدَّواءِ مِنْ سُلَيْمانَ وَعارِفينَ وَمُقْتَدين؛
حَتَّى قامُوا بِوَضْعِ كُتُبِ الطِّبِّ، وَصارُوا يُداوُونَ الأجسامَ مِنَ العِلَل؛
هذِهِ النُّجُومُ والطِّبُّ وَحْيُ الأنبياء، أيْنَ العَقْلُ والحِسُّ مِمَّا هُوَ بلا سُورَة؛
العَقْلُ الجُزْئِيُّ لَيْسَ عَقْلَ اسْتِخْراج، لَيْسَ غَيْرَ قابِلِ فَنٍّ وَمُحْتاج؛
هذا العَقْلُ قابِلٌ للتَّعْليمِ والفَهْم، لكِنَّ صاحِبَ الوَحْيِ مَنْ أعْطاهُ التَّعْليم؛
جُمْلَةُ الحِرَفِ كانَتْ أَوَّلاً مِنَ الوَحْيِ، يَقيناً لكِنَّ العَقْلَ زادَ في ذاك؛
وانْظُرْ إلى كُلِّ حِرْفَةٍ تَرَ أنَّ عَقْلَنا، عاجِزٌ عَنْ تَعَلُّمِها دُونَ أُسْتاذ؛

رَغْمَ أنَّهُ في المَكْرِ كانَ يَشُقُّ الشَّعْرَةَ، ما هُناكَ مِنْ حِرْفَةٍ خَضَعَتْ بِلا أُستاذ؛
مَعْرِفَةُ الحِرْفَةِ لَوْ كانَتْ مِنْ هذا العَقْل ، كانَتِ الحِرْفَةُ تَحْصَلُ بلا أُسْتاذ؛

تَعليمُ حِرْفَةِ حَفْرِ القُبُورِ لِقابيلَ مِنَ الغُراب مِنْ قَبْلِ
أنْ يَكُونَ في العالَمِ القُبورُ وَعِلْمُ حَفْرِ القُبُور

حَفْرُ القَبْرِ الَّذي هُوَ أَقَلُّ حِرْفَةٍ، مَتى كانَ عَنْ فِكْرٍ وَمَكْرٍ وَحِيْلَة؛
لَوْ أنَّ هذا الفَهْمَ كانَ لِقابيل، مَتى كانَ حَمَلَ على الرَّأْسِ هابيل؛
أنْ أَيْنَ أجْعَلُ هذا المَقْتُولَ مَخْفِيَّاً، هذا المُلَوَّثَ بالدَّمِ والمُعَفَّرَ بالتُّراب؛
رأى غُراباً في فَمِهِ غُرابٌ مَيِّتٌ، يَحْمِلُهُ مُقْبِلاً بِهِ هكذا مُسْرِعاً؛
نَزَلَ مِنَ الهَواءِ وانبرى بِفَنٍّ، يَحْفِرُ القَبْرَ مِنْ أَجْلِ تَعْلِيْمِه؛
بَعْدَ حَفْرِ التُّرابِ مِنَ الأرْضِ بالأظْفار، وَضَعَ الغُرابَ المَيّتَ بالقَبْرِ مُسْرِعاً؛
دَفَنَهُ ثُمَّ غَطَّاهُ بالتُّراب، الغُرابُ كانَ ذا عِلْمٍ مِنْ إلْهامِ الحَقّ؛
قالَ قابيلُ آهِ شاهَ مِنّي العَقْل، لَقَدْ كانَ غُرابٌ زائداً عَلَيَّ بالفَنّ؛
العَقْلُ الكُلّيُّ قالَ ما زاغَ البَصَر، العَقْلُ الجُزْئيُّ يُعْمِلُ إلى كُلِّ جِهَةٍ النَّظَر؛
عَقْلُ *ما زاغَ* هُوَ عَقْلُ الخَواصّ، عَقْلُ الزّاغِ هُوَ أُستاذُ قَبْرِ المَوتى؛
الرُّوحُ الَّتي تَطيرُ في إثْرِ الغِربان، يَأْخُذُها الغُرابُ إلى جِهَةِ المَقْبَرَة؛
ألا لا تَجْرِ في إثْرِ النَّفْسِ كالغُراب، فَهِيَ تَأْخُذُكَ إلى المَقْبَرَةِ لا إلى الرَّوض؛
إنْ كُنْتَ سالِكاً اسْلُكْ إثْرَ عَنْقاءِ القَلْب،إلى جِهَةِ قاف والمَسْجِدِ الأَقْصى للقَلْب؛
إنَّ نَباتاً جَديداً يَطلُعُ كُلَّ لَحْظَةٍ، لِأجْلِ نَفْعِكَ في مَسْجِدِكَ الأَقْصى؛
أنْتَ مِثْلَ سُلَيْمانَ أَعْطِ عَطاءَهُ، وَتَعَلَّمْ مِنْهُ ولا تَخْطُ رَدَّاً عَلَيْه؛
ذلِكَ أنَّ حالَ هذِهِ الأرْضِ في ثَبات، تُحَدِّثُكَ الحَديثَ عَنْها أنواعُ النَّبات؛
أفي الأَرْضِ قَصَبُ سُكَّرٍ أمْ قَصَبٌ بلا سُكَّرٍ، تُرْجُمانُ كُلِّ أَرْضٍ هُوَ نَباتُها؛

فَأَرْضُ القَلْبِ الَّتي كانَ نَبْتُها الفِكَر، تَجْعَلُ أَفْكارُها أَسْرارَ القَلْبِ ظاهِرَة؛
وَلَوْ وَجَدْتُ في المَجْمَعِ جاذِباً للكلام، لأنْبَتْتُ مِئاتِ أُلُوفِ الوُرُودِ كالرَّوْض؛
وإنْ وَجَدْتُ قاتِلاً للكلامِ كالدَّيُّوث، تَهْرَبُ النِكاتُ مِنَ القَلْبِ كاللِّصِّ آنَذاك؛
حَرَكَةُ كُلِّ شَخْصٍ تَكُونُ جِهَةَ جاذِب، الجَذْبُ الصَّادِقُ لَيْسَ كالجَذْبِ الكاذِب؛
تَذْهَبُ حِيناً في ضَلالٍ وَحِيناً في رَشَد، والحَبْلُ يَجْذُبُكَ وما مِنْ حَبْلٍ ظاهِر؛
أنتَ جَمَلٌ أَعْمى رَهينٌ لِزِمامِك، اُنْظُرْ إلى الجَذْبِ لا تَنْظُرْ إلى زِمامِك؛
لَو صارَ مَحْسوساً لَكَ الجَذَّابُ والزِمام، لا تَبْقى هذِهِ الدُّنيا إذَنْ دارَ الغُرُور؛
كانَ رَأى المَجُوسِيُّ أنَّهُ يَسيرُ خَلْفَ كَلْبٍ، وَأَنَّهُ يَصيرُ مَسْخَرَةً للشَّيْطانِ القَبيح؛
متى كُنْتَ تَسيرُ في إثْرِهِ كالمُخَنَّث، بَلْ لكانَ المَجُوسِيُّ تَراجَعَ عَنِ السَّيْرِ خَلْفَه؛
البَقَرَةُ لَوْ وَقَفَتْ على مُرادِ القَصَّابين، مَتى كانَتْ تَسيرُ خَلْفَهُمْ إلى ذلِكَ الدُّكَّان؛
أو متى كانَتْ تَأكُلُ مِنْ كَفِّهِمُ النُّخالَة، أو تُعْطِيْهِمُ اللَّبَنَ مِنَ التَّمَلُّق؛
وَلَو أَكَلَتْ متى كانَتْ تَهْضِمُ العَلَف، لَو كانَتْ واقِفَةً على المَقْصُودِ مِنَ العَلَف؛
إذَنْ عِمادُ هذِهِ الدُّنيا هُوَ الغَفْلَة، ما هِيَ الدَّوْلَةُ إنَّها السَّعْيُ والصَّفْعَة؛
أَوَّلُها سَعْيٌ وسَعْيٌ وآخِراً كُلِ الصَّفْع،إلَّا في هذِهِ الخَرابَةِ لا يَكُونُ مَوتُ الحِمار؛
العَمَلَ الَّذي أخَذْتَ تَعْمَلُ باليَدِ بِجِدٍّ، عَيْبُهُ صارَ مَخْفِيّاً عَنْكَ في هذِهِ اللَّحْظَة؛
مِنْ ذلِكَ تَسْتَطيعُ أنْ تَبْذلَ الجُهْدَ في العَمَل، فَقَدْ سَتَرَ عَنْكَ عَيْبَهُ الفَعَّال؛
وَهَكَذا كُلُّ أَمْرٍ كُنْتَ بِهِ نَشيطاً، عَيْبُ ذلِكَ الفِكْرِ صارَ عَنْكَ مَخْفِيّاً؛
وَلَوْ ظَهَرَ لَكَ مِنْهُ العَيْبُ والشَّين، هَرَبَتْ مِنْهُ رُوحُكَ بُعْدَ المَشْرِقَيْن؛
الأمْرُ الَّذي تَصيرُ مِنْهُ آخِراً أَسِفاً، لَوْ كانَتْ هذِهِ حالُهُ أَوَّلاً متى كُنْتَ تَجري بِه؛
فَقَدْ أَخْفى أَوَّلاً ذاكَ عَنْ رُوحِنا، حَتَّى نَعْمَلَ ذاكَ العَمَلَ وِفْقَ القَضاء؛
عِنْدَما أَظْهَرَ القَضاءُ حُكْمَهُ للوُجُود، صارَتِ العَيْنُ مَفْتُوحَةً لِتَصِلَ النَّدامَة؛
هذا النَّدَمُ هُوَ قَضاءٌ آخَرٌ، اُتْرُكْ هذا النَّدَمَ واعْبُدِ الحَقّ؛

وإنْ تَجْعَلْ عادَةً لَكَ أنْ تَصيرَ نادِماً، مِنْ هذا العَمَلِ تَصيرُ أَكْثَرَ نَدَماً؛
نِصْفُ عُمْرِكَ يَذهَبُ في الإِضْطِراب، والنِّصْفُ الآخَرُ يَذْهَبُ في النَّدَم؛
فَقُلْ بِتَرْكِ هذا الفِكْرِ وَهذا النَّدَم، اِبْحَثْ أَفْضَلَ عَنِ الحالِ والرَّفيقِ والعَمَل؛
ما دامَ لَمْ يَكُنْ لَدَيْكَ عَمَلٌ آخَرُ أفْضَلُ بِاليَد، فَنَدَمُكَ يَكُونُ لِفَوْتِ ماذا إِذَن؛
إنْ كُنْتَ تَعْرِفُ الطَّريقَ نِعْمَ العابِد،إنْ كُنْتَ لا تَعرِفُهُ كَيْفَ تَعْرِفُ أنَّ هذا سَيِّئٌ؛
لَنْ تَعْرِفَ الشَّرَّ ما لَمْ تَعْرِفِ الخَيْرَ، تَقْدِرُ أنْ تَعْرِفَ الضِّدَّ مِنَ الضِّدِّ أَيْ فَتى؛
إذا صِرْتَ عاجِزاً عَنْ تَرْكِ الفِكْرِ بِهذا، فَقَدْ كُنْتَ في الذَّنْبِ آنَذاكَ عاجِزاً أيضاً؛
بِما أَنَّكَ كُنْتَ عاجِزاً فَمِمَّ النَّدَم، اِبْحَثْ عَنْ هذا العَجْزِ مِنْ جَذْبِ مَنْ يَكُون؛
لَمْ يَرَ شَخْصٌ عاجِزاً مِنْ دُونِ قُدْرَةٍ، في هذِهِ الدُّنيا، ذا لا يَكُونُ اعْلَمْ هذا؛
وَهكذا فإنَّ كُلَّ رَغْبَةٍ تَكُونُ مَعَكَ، أنتَ عَنْ عَيْبِ تِلْكَ الرَّغبَةِ في حِجاب؛
وَلَو أنَّ عِلَّةَ تِلْكَ الرَّغْبَةِ ظَهَرَت، لَنَفَرَتْ رُوْحُكَ مِنْ ذَيْنِكَ البَحْثِ والفَحْص؛
لَو أنَّهُ أَظْهَرَ لَكَ عَيْبَ ذلِكَ العَمَل، لا شَخْصَ يَأْخُذُكَ وَلَوْ جَرّاً إلى تِلْكَ الجِهَة؛
العَمَلُ الآخَرُ الَّذي كُنْتَ مِنْهُ في نُفُور، نَفَرْتَ مِنْهُ لأَنَّ عَيْبَهُ كانَ في ظُهُور؛
أي اَللهُ عالِمَ السِّرِّ حَسَنَ الحَديث، لا تَجْعَلْ عَيْبَ عَمَلِ السُّوءِ مَخْفِيّاً عَنّا؛
ولا تُظْهِرْ لنا العَيْبَ في عَمَلِ الخَيْر، كَيْ لا نَصيرَ هباءً وبارِدِينَ في السَّيْر؛
وَعلى تِلْكَ العادَةِ فإنَّ سُلَيْمانَ السَّنِيّ، دَخَلَ المَسْجِدَ في شِدَّةِ الضِّياء؛
عَنْ قاعِدَةِ كُلِّ يَومٍ يَبْحَثُ الشّاه، أنْ يرى في المَسْجِدِ النَّباتَ الجَديد؛
القَلْبُ يرى السِّرَّ بِالعَيْنِ الصّافِيَة ، يرى الحَشائشَ الَّتي كانَتْ عَنِ العَوامِّ خافِيَة؛

قِصَّةُ ذلِكَ الصُّوفِيِّ الَّذي كانَ مُراقِباً وَسَطَ البُستانِ والرَّأْسُ على رُكْبَتِهِ قالَ لَهُ الرِّفاقُ ارْفَعِ الرَّأْسَ، تَفَرَّجْ على البُسْتانِ والرَّياحينَ والطُّيُورِ وآثارِ رَحْمَةِ اللهِ تعالى

صُوفِيٌّ في البُستانِ مِنْ أَجْلِ التَّفَرُّج، وَضَعَ الوَجْهَ على رُكْبَتِهِ فِعْلَ صُوفِيّ؛
حتَّى إذا غابَ عَنِ النَّفْسِ في ذُهُول، صارَ مَلُولاً مِنْ صُورَةِ نَوْمِهِ ذُو فُضُول؛
أنْ أيُّ نَومٍ أخيراً انْظُرْ إلى الكَرْم، وانْظُرْ إلى هذِهِ الأشْجارِ والآثارِ والخُضَر؛
اِسْمَعْ أمْرَ الحَقِّ فَقَدْ قالَ انظُرُوا، فإلى آثارِ رَحْمَتِهِ وَجِّهِ الوَجْه؛
قالَ إنَّ آثارَها القَلْبُ أي بو الهَوَس، وَتِلْكَ بالخارِجِ آثارُ الآثارِ وَحَسْب؛
البَساتينُ والخُضَرُ في عَيْنِ الرُّوح، وَتِلْكَ في الخارِجِ صُوَرُها في الماءِ الجاري؛
ذاكَ خيالُ البُسْتانِ كائنٌ في الماءِ، وَيَقُوْمُ بِذلِكَ الاِضْطِرابِ مِنْ لُطْفِ الماء؛
إنَّ البَساتينَ والثِّمارَ كائنَةٌ في القَلْب، وَلُطْفُها مُنْعَكِسٌ على هذا الماءِ والطِّين؛
لَوْ لَمْ تَكُنْ صُورَةَ سَرْوِ السُّرُور، ما كانَ اللهُ دَعاها دارَ الغُرُور؛
الغُرُورُ يَعْني هذا الخَيال، يَكُونُ مِنْ عَكْسِ قَلْبِ وَرُوحِ الرِّجال؛
جُمْلَةُ المَغْرُورينَ جاؤوا إلى صُوْرَةِ العَكْسِ، ظَنَّاً مِنْهُمْ أَنَّها كانَتِ الجَنَّة؛
وَهُمْ يَهْربُونَ مِنْ أُصُولِ الجِنان، وَيُعَلِّقُونَ كُلَّ ذاكَ اللَّعِبِ مِنْهُمْ على خَيال؛
عِنْدَما ارْتَفَعَ عَنْ رُؤوسِهِمْ نَوْمُ الغَفْلَة، رَأَوا صَحيحاً وما نَفْعُ ذاكَ النَّظَر؛
بَعْدَئذٍ في المَقْبَرَةِ وَقَعَ الصِّياحُ والآه، إلى القِيامَةِ مِنْ هذا الغَلَطِ واحَسْرَتاه؛
أي هَنيئاً لِذلِكَ الَّذي ماتَ قَبْلَ المَوت ، يَعْني شَمَّ الرَّائحَةَ مِنْ أَصْلِ هذا الكَرْم؛

قِصَّةُ نُمُوّ الخَرُّوبِ في رُكْنٍ مِنْ أركانِ المَسْجِدِ الأقْصى
وَغَمُّ سُلَيْمانَ عَلَيْهِ السَّلامُ مِنْ ذلِكَ عِنْدَما تَحَدَّثَ مَعَهُ
وَذَكَرَ خاصِّيَّتَهُ واِسْمَه

ثُمَّ إنَّ سُلَيْمانَ رأى في زاوِيَةٍ، نَباتاً جَديداً نَما كأنَّهُ العُنْقُود؛
رأى نَباتاً نادِراً جِدّاً طَرِيّاً أَخْضَرَ، تَسْلبُ تِلْكَ الخُضْرَةُ مِنْهُ النُّوْرَ مِنَ البَصَر؛
وَعِنْدَما سَلَّمَ عَلَيْهِ رَدَّ ذاكَ الحَشيشُ، السَّلامَ عَلَيْهِ في الحالِ وَتَفَتَّحَ مِنَ السُّرُور؛
قالَ ما اسْمُكَ قُلْ بلا فَم، قالَ اِسْمِيَ الخَرُّوبُ أي مَلِكَ العالَم؛
قالَ أَيَّةُ خاصِّيَّةٍ تَكُونُ فيك، قالَ إذا نَبَتُّ في مَكانٍ يَصيرُ خَراباً؛
أنا أَكُونُ الخَرُّوبَ أنا خَرابُ المَنْزِل، أنا هادِمُ البُنيانِ مِنْ هذا الماءِ والطِّيْن؛
فَعَلِمَ سُلَيْمانُ تِلْكَ اللَّحْظَةَ سَريعاً، أَنَّهُ أتى الأَجَلُ وَأَنَّهُ سَيَكُونُ السَّفَر؛
قالَ ما دُمْتُ هُنا فَهذا المَسْجِدُ يَقيناً، لَنْ يَقَعَ بِهِ خَلَلٌ مِنْ آفاتِ الأرْض؛
ما دُمْتُ مَوجُوداً وما دُمْتُ في الوُجُود، مَتى يصيرُ مُخَلْخَلاً المَسْجِدُ الأَقْصى؛
إذَنْ فَهَدْمُ مَسْجِدِنا بِلا شَكٍّ، لَنْ يَكُونَ إلَّا بَعْدَ مَوتِنا اعْلَمُوا؛
المَسْجِدُ ذلِكَ القَلْبُ الَّذي جِسْمُهُ ساجِد،رفيقُ السُّوءِ خَرُّوبُ المَسْجِدِ حَيْثُما وُجِد؛
رَفيقُ السُّوءِ إذا ما نَما فيكَ حُبُّهُ، ألا فاهْرَبْ مِنْهُ وَأَقِلَّ الجِدال؛
واقْلَعْهُ مِنَ الجَذْرِ فإنَّهُ إذا رَفَعَ الرَّأْسَ، سَوْفَ يَقْتَلِعُكَ وَيَقْتَلِعُ مَسْجِدَك؛
عاشِقا خَرُّوبُكَ هُوَ الاِعْوِجاج، كَيْفَ تَزْحَفُ نَحْوَ الاِعْوِجاجِ كالأطفال؛
اعْرِفْ نَفْسَكَ مُجْرِمَةً وادْعُها مُجْرِمَة، لا تَخَفْ أنْ يَحْرِمَكَ ذلِكَ الأُستاذُ الدَّرْس؛
حِيْنَما تَقُولُ أنا جاهِلٌ عَلِّمْني، مِثْلُ هذا الإنصافِ مِنْكَ خَيْرٌ مِنَ الفَخْر؛
أيْ مُضيءَ الجَبينِ تَعَلَّمْ مِنَ الوالِد، فَقَدْ قالَ *رَبَّنا ظَلَمْنا* مِنْ قَبْلِ هذا؛
لا تَعَلُّلاً فَعَلَ ولا فِعْلَ تَزوير، ولا رَفَعَ لِواءَ المَكْرِ والحِيْلَة؛

وَعادَ إبْليسُ ذاكَ وابْتَدَأَ الجِدالَ، أنْ كُنْتُ أحْمَرَ الوَجْهِ وَجَعَلْتَني أَصْفَرَه؛
اللَّونُ مِنْكَ وَأَنْتَ لي الصَّبَّاغ، أَنْتَ أَصْلُ الجُرْمِ والآفَةِ لِيْ وَعَذابُ الحَريق؛
هيَّا اقْرَأْ *رَبِّ بِما أَغْوَيْتَني*، حَتَّى لا تَصيرَ جَبْرِيَّاً ولا تَسيرَ غَوِيَّاً؛
إلى مَتى تَقْفِزُ على شَجَرَةِ الجَبْرِ، وَتَرْمي باخْتيارِ النَّفْسِ دُفْعَةً واحِدَة؛
مِثْلَ ذاكَ الإبليسِ وَذُرِّيَّاتِهِ، هُمْ مَعَ اللهِ في نِزاعٍ وفي جِدال؛
أنتَ كُنْتَ في العِصْيانِ تَجُرُّ الذَّيْل، كَيْفَ كانَ الإكْراهُ مَعَ كُلِّ هذا السُّرور؛
أَهُناكَ شَخْصٌ يَذْهَبُ مُكْرَهاً وَمَسْرُوراً، شَخْصٌ يَعْدُو هكذا في الضَّلالِ رَقْصاً؛
كُنْتَ تُنازِعُ في ذاكَ مِثْلَ عِشْرينَ رَجُلاً، وأولئكَ الآخَرُونَ يُسْدُونَ لَكَ النُّصْح؛
تَقُولُ هذا هُوَ الصَّوابُ وَهذي هِيَ الطَّريق، مَنْ يَطْعَنُ بي غَير شَخْصٍ ضئيل؛
مَتى يَتَحَدَّثُ شَخْصٌ يكونُ مُكْرَهاً هكذا، وَكَيْفَ يُقاتِلُ شَخْصٌ وَهُوَ تائهٌ هكذا؛
كُلُّ ما تَطلِبُهُ النَّفْسُ تَمْلِكُ فيهِ الإخْتيار،كُلُّ ما يَطْلِبُهُ العَقْلُ أنتَ فيهِ باضْطِرار؛
إنَّهُ عارِفٌ بِمَنْ هُوَ حَسَنُ البَخْتِ وَمَحْرَم، الدَّهاءُ مِنْ إبليسَ والعِشْقُ مِنْ آدَم؛
صاحِبُ الدَّهاءِ سَبَّاحٌ في البِحار، قليلاً ما نَجا وَنِهايَةُ أَمْرِهِ الغَرَق؛
أُتْرُكِ السِّباحَةَ وَدَعِ الكِبْرَ والحِقْد، لَيْسَ هذا جَيْحُونَ أوِ الجَدْوَلَ إنَّهُ البَحْر؛
إنَّ ذاكَ بَحْرٌ عَميقٌ بلا ملاذ، اخْتَطَفَ البِحارَ السَّبْعَةَ كَأَنَّها القَشُّ؛
والعِشْقُ كانَ مِثْلَ سَفينَةٍ لأجْلِ الخَواصّ، آفَتُها قَليلَةٌ والغالِبُ فيها الخَلاص؛
فَبِعِ الدَّهاءَ واشْتَرِ الحَيْرَة، الدَّهاءُ ظَنٌّ والحَيْرَةُ نَظَر؛
ضَحِّ بالعَقْلِ أمامَ المُصْطَفى قُلْ حَسْبِيَ اللهُ واللهُ كَفى
لا تُعانِدْ في رُكُوبِ السَّفينَةِ كَكَنْعان، فَقَدْ أَعْطَتْهُ نَفْسُهُ الدَّاهِيَةُ الغُرُور؛
أنْ سَأَصْعَدُ على رَأْسِ هذا الجَبَلِ المَشيد، لِماذا عَلَيَّ أَنْ أَحْمِلَ المِنَّةَ لِنُوح؛
لِماذا تَفِرُّ مِنْ مِنَّتِهِ أَيْ بلا رَشَد، إذا كانَ اللهُ قَدْ جَعَلَ لَهُ المِنَّة؛
لَوْ لَمْ تَكُنْ لَهُ مِنَّةٌ على رُوحِنا، لِماذا أَمَرَ اللهُ بِشُكْرِهِ وَشُكْرِ مِنَّتِه؛

أنتَ ما عِلْمُكَ أَيُّها المَغْرُورُ المَليءُ بالحَسَد، كَيْ يَبْلُغَكَ العِلْمُ بِجَعْلِ المِنَّةِ لَه؛
أَسَفاً لَيْتَهُ ما تَعَلَّمَ السِّباحَةَ، حَتَّى يَعْقِدَ الطَّمَعَ بالسَّفينَةِ وَنُوح؛
لَيْتَهُ كانَ جاهِلاً بالحِيَلِ كالطِّفْل، إذَنْ لأمْسَكَ بِقَبْضَةِ اليَدِ بالأُمِّ كالأطْفال؛
أوْ لَيْتَهُ كانَ بِعِلْمِ النَّقْلِ غَيْرَ مَلِيّ، إذَنْ لاخْتَطَفَ عِلْمَ وَحْيِ القَلْبِ مِنَ الوَلِيّ؛
بِمِثْلِ هذا النُّورِ إذْ تَضَعُ أمامَكَ الكِتاب، تَقُومُ رُوحُكَ آخِذَةُ الوَحْيِ لَكَ بالعِتاب؛
تَعَلُّمُ النَّقْلِ بِوُجُودِ أنفاسِ قُطْبِ الزَّمان، مِثْلَ التَّيَمُّمِ بِوُجُودِ الماءِ اعْلَم؛
اِجْعَلِ النَّفْسَ بَلْهاءَ واذْهَبْ تابِعاً وَعِنْدَئِذٍ، تَجِدُ الوُصُولَ مِنْ هذا البَلَهِ وَكَفى؛
أَكْثَرُ أَهْلِ الجَنَّةِ البُلْهُ أَيْ أَب، لأنَّ هذا قَوْلُ سُلْطانِ البَشَر؛
إذا كانَ الذَكاءُ يُثيرُ فيكَ الحَمِيَّةَ والكِبْر، صِرْ أَبْلَهاً حَتَّى تَبْقى سَليمَ القَلْب؛
الأبْلَهُ لَيْسَ هُوَ الَّذي يَنْحَني مَسْخَرَةً، الأَبْلَهُ هُوَ الوالِهُ والحَيْرانُ فيه؛
البُلْهُ أولئكَ النِّسْوَةُ مُقَطَّعاتُ الأيْدي، مِنْ كَفٍّ أبْلَهَ وَعِشْقاً لِجَبينِ يُوسُفَ؛
اِجْعَلِ العَقْلَ قُرباناً في عِشْقِ الحَبيب، العُقُولُ قِطْعَةٌ مِنْ تِلْكَ الجِهَةِ حَيْثُ هُو؛
أَرْسَلَتِ العُقُولُ عَقْلَها لِتِلْكَ الجِهَة، وَبَقِيَ الأحْمَقُ هذِهِ الجِهَةَ حَيْثُ لا مَعْشُوق؛
إذا ذَهَبَ عَقْلُكَ مِنَ الحَيْرَةِ مِنْ رَأْسِكَ، كُلُّ شَعْرَةِ رَأْسٍ مِنْكَ تَصيرُ رأساً وعَقْلاً؛
لَيْسَ في تِلْكَ الجِهَةِ أَلَمُ فِكْرَةٍ لِدِماغ، مِنَ الدِّماغِ والعَقْلِ طَلَعَتْ صَحارٍ ورياض؛
جِهَةَ الصَّحْراءِ تَسْمَعُ النُّكْتَةَ مِنَ الصَّحْراء، وإنْ جِئْتَ للبُستانِ طَلَعَ لَكَ النَّخْل؛
في هذِهِ الطَّريقِ أُترُكِ الفَخْرَ والغُرُور، ما لَمْ يَتَحَرَّكْ مُرْشِدُكَ لا تَتَحَرَّكْ أنت؛
كُلُّ مَنْ تَحَرَّكَ بلا رَأْسٍ هُوَ ذَنَبٌ، حَرَكَتُهُ تَكُونُ مِثْلَ حَرَكَةِ العَقْرَب؛
أَعْوَجُ المَسيرِ وأعْمى وَقبيحٌ وَسامّ، وَحِرْفَتُهُ إيذاءُ الأجْسامِ الطَّاهِرَة؛
اِضْرِبْ على الرَّأْسِ ذاكَ الَّذي سِرُّهُ هذا، وَخُلُقُهُ وَطَبْعُهُ مُسْتَمِرَّانِ هكذا؛
وَإِنَّ ذاكَ الدَّقَّ للرَّأْسِ لَهُ صلاح، لِتَتَحَرَّرَ رُوحُهُ الضَّئيلَةُ مِنْ شُؤمِ ذاكَ البَدَن؛

ألا فَخُذْ مِنْ يَدِ المَجْنُونِ السِّلاح، لَيَصيرَ راضِياً مِنْكَ العَدْلُ والصَّلاح؛
إذا كانَ لا عَقْلَ لَهُ وَمَعَهُ السِّلاح ، قَيِّدْ يَدَهُ أو يُسَبِّبَ مِئاتِ الجِراح؛

بيانٌ في أنَّ حُصُولَ العِلْمِ والمالِ والجاهِ لِسَيِّئي الأَصْلِ فَضيحَةٌ لَهُم وَأَنَّهُ كالسَّيْفِ الَّذي وَقَعَ بِيَدِ قاطِعِ الطَّريق

تَعْليمُ سَيِّئي الجَوْهَرِ العِلْمَ والفَنَّ، إعْطاءٌ للسَّيْفِ إلى قاطِعِ الطَّريق؛
وَضْعُ السَّيْفِ في كَفِّ زِنْجِيٍّ سَكْران، خَيْرٌ مِنْ وَضْعِ العِلْمِ بِيَدِ رَديءِ الأَصْل؛
العِلْمُ والمالُ والمَنْصِبُ والجاهُ والقِران، في يَدِ سَيِّئي الجَوْهَرِ هِيَ فِتْنَة؛
مِنْ هذا صارَ فَرْضاً على المُؤمِنينَ الغَزْوُ، لِيَأْخُذوا مِنْ كَفِّ المَجْنُونِ السِّنان؛
رُوْحُهُ المَجْنُونُ وَجِسْمُهُ سَيْفُهُ، فَلْتَأْخُذِ السَّيْفَ مِنْ ذلِكَ القَبيحِ الطَّبْع؛
ما يَفْعَلُ المَنْصِبُ بالجاهِلينَ، مِنَ الفَضيحَةِ لا تَفْعَلُهُ مِئاتُ السِّباع؛
عَيْبُهُ كانَ مَخْفِيَّاً وَحِيْنَ وَجَدَ الآلَةَ، خَرَجَتْ أَفْعاهُ مِنْ الجُحْرِ وَأَسْرَعَتْ للصَّحْراء؛
امْتَلأَتْ بالحَيَّاتِ والعَقارِبِ جُمْلَةُ الصَّحاري، حِيْنَ صارَ الحُكْمُ والأَمْرُ للجاهِل؛
بالمالِ والمَنْصَبِ نالَهُما قَليلُ الأَصْلِ باليَد، صارَ طالِباً للفَضيحَةِ لِنَفْسِه؛
إمَّا أَنَّهُ يَقُومُ بالبُخْلِ وَيُقِلُّ العَطاء، أوْ أَنَّهُ يَقُومُ بالسَّخاءِ في غَيْرِ مَوْضِعِ سَخاء؛
إنَّهُ يَضَعُ المَلِكَ في خانَةِ البَيْدَق، كذا يَكُونُ العَطاءُ الَّذي يُعْطي الأَحْمَق؛
الحُكْمُ عِنْدَما وَقَعَ في يَدِ ضالٍّ، حَسِبَهُ الجاهَ وَهُوَ قَدْ وَقَعَ في الجُبّ؛
لا يَعْرِفُ الطَّريقَ وَيَجْعَلُ نَفْسَهُ دَليلاً، فَتَقُومُ رُوحُهُ القَبيحَةُ بإحْراقِ العالَم؛
طِفْلُ الطَّريقِ حِيْنَ أَخَذَ المَشْيَخَةَ، أَخَذَ أَتْباعَهُ غُولُ الإدْبار؛
أنْ تَعالَ سَأُبْدي لَكَ القَمَر، وَعَديمُ الصَّفاءِ ذاكَ لَمْ يَرَ القَمَر؛
كَيْفَ تُبْدي القَمَرَ وَما رَأَيْتَ في العُمْر، عَكْسَ صُورَةِ القَمَرِ في الماءِ أَيْ غُمْر؛
أَصْبَحَ الحَمْقى مَسْرُورينَ وَمِنَ الخَوْف ، سَحَبَ العاقِلُونَ الرَّأْسَ تَحْتَ الدِّثار؛

تَفْسيرُ يا أَيُّها المُزَّمِّل

مِنْ هذا السَّبَبِ دعا النَّبِيَّ المُزَمِّل، أنْ اخْرُجْ مِنَ الدِّثارِ أي أبا الهَرَب؛
لا تَجْعَلْ الرَّأْسَ في الدِّثارِ ولا تَحْجُبِ الوَجْهَ، العالَمُ جِسْمٌ تائهٌ وَأَنْتَ لَهُ الوَعْي؛
هَيَّا قُمِ اللَّيْلَ أنتَ شَمْعٌ أَيْ هُمام، الشَّمْعُ في اللَّيْلِ يَكُونُ في قِيام؛
النَّهارُ المُضِيْءُ لَيْلٌ بلا سَناك، الأَسَدُ مَأْسُورُ الأرْنَبِ بلا حِماك؛
كُنِ الرُّبَّانَ في هذا البَحْرِ للصَّفا، أنتَ نُوحٌ الثَّاني أيْ مُصْطَفى؛
يَجِبُ عارِفٌ بالطَّريقِ ذُو لُباب، لِكُلِّ طَريقٍ خاصَّةً طَريقِ الماء؛
قُمْ وانْظُرْ إلى القَوافِلِ في الطَّريق، مِنْ كُلِّ طَرَفٍ غُولٌ يَصيرُ رُبَّاناً؛
خِضْرُ الوَقْتِ غَوْثُ كُلِّ سَفينَةٍ أنت، لا تَسِرْ وَحيداً مِثْلَ عيسى رُوحِ الله؛
اِقْطَعِ الاِنْقِطاعَ والخَلْوَةَ وابْقَ، أمامَ هذا الجَمْعِ مِثْلَ شَمْعِ السَّماء؛
وَقْتُ الخَلْوَةِ لَيْسَ في الجَمْعِ تَعال، الهُدى مِثْلَ جَبَلِ قاف وأنتَ طائرُ هَمَا؛
البَدْرُ على صَدْرِ الفَلَكِ سائرٌ في اللَّيْل، وَهُوَ لا يترُكُ السَّيْرَ مِنْ نُباحِ الكِلاب؛
الطَّاعِنُونَ على بَدْرِكَ مِثْلُ الكِلاب، يَرْفَعُونَ الصَّوتَ بالنُّباحِ جِهَةَ صَدْرِك؛
هؤلاءِ الكِلابُ صُمٌّ عَنْ أَمْرِ أنصِتُوا، وَهُمْ مِنَ السَّفَهِ يَعْوُونَ على بَدْرِك؛
أَلا لا تَذَرْنا أيْ شِفاءَ الأَلَم، كُنْ عَصا الأعْمى رَغْمَ غَضَبِ الأَصَمّ؛
أَلَمْ تَكُنْ قُلْتَ قائدُ الأعْمى في الطَّريق، يَجِدُ مِنَ اللهِ مِئَةَ ثوابٍ وَأَجْر؛
كُلُّ مَنْ سَحَبَ أعْمى أرْبَعينَ خُطْوَةً، صارَ مَغْفُوراً لَهُ وَوَجَدَ الرَّشَد؛
إذَنْ فاسْحَبْ مِنْ هذِهِ الدُّنيا بِلا قَرار، جُوَقَ العُمْيانِ القِطارَ في القِطار؛
شُغْلُ الهادي هذا وَأَنتَ هادٍ، في مَأْتَمِ آخِرِ الزَّمانِ أنتَ السُّرُور؛
هَيَّا سَيِّرْ أيا إمامَ اليَقين، خَيالَ المُفكِّرِينَ حَتَّى اليَقين؛
كُلُّ مَنْ رَهَنَ القَلْبَ للمَكْرِ بِكَ، أنا أَضْرِبُ عُنُقَهُ وَسِرْ سَعيداً؛

وَأَضَعُ مِنْ فَوقِ عَماهُ أنواعَ العَمى، يَظُنُّهُ سُكَّراً وأُعْطِيْهِ سُمَّاً؛
العُقُولُ مِنْ نُورِيَ اشْتَعَلَتْ، أنواعَ المَكْرِ مِنْ مَكْري تَعَلَّمَتْ؛
ما تَكُونُ خَيْمَةُ ذلِكَ التُّرْكُمانِيّ، أمامَ أقْدامِ نُكُورِ فِيلَةِ العالَم؛
سِراجُهُ ذاكَ أمامَ ريحِيَ الصَّرْصَرِ، ما يَكُونُ أَيْ رَسُولِيَ الأعْظَم؛
قُمْ وانْفخْ بالصُّوْرِ المَهيبِ، لِتَطْلَعَ آلافُ المَوتى مِنَ التُّراب؛
بِما أنَّكَ إسْرافِيْلُ الوَقْتِ قُمْ صادِقاً، أَقِمِ القِيامَةَ قَبْلَ يَوْمِ القِيامَة؛
وكُلُّ مَنْ قالَ أَيْنَ القِيامَةُ أيْ صَنَم، أظْهِرْ لَهُ نَفْسَكَ أنْ أنا القِيامَةُ الحُسْنى؛
وَأَبْصِرْ أي سائلاً مُمْتَحِناً، مِئَةَ عالَمٍ زادَ مِنْ هذِهِ القِيامَة؛
وإنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلَ هذا الذِّكْرِ والقُنُوت، فَجَوابُ الأحْمَقِ أَيْ سُلْطانُ السُّكُوت؛
أي أَسَفاً هذا وَقْتُ جَمْعِ المَحْصُول، ولكِنَّ النَّهارَ مِنْ بَخْتِنا انْقَضى؛
الوَقْتُ ضَيِّقٌ وَسَعَةُ هذا الكلام، ضاقَ عَنْها عُمْرٌ لَهُ دَوام؛
اللَّعِبُ بالحِرابِ في المَحَلَّاتِ الضَّيِّقَةِ، يَجْعَلُ اللَّاعِبينَ بالحِرابِ في ضيق؛
الوَقْتُ ضَيِّقٌ وَخاطِرُ فَهْمِ العَوامّ، أَضْيَقُ مِنَ الوَقْتِ مِئَةَ مَرَّةٍ أَيْ غُلام؛
بِما أنَّ جَوابَ الأحْمَقِ جاءَ السُّكُوت، لماذا تَجْعَلُ الكلامَ بِمِثْلِ هذا الطُّول؛
مِنْ كَمالِ الرَّحْمَةِ وَمَوْجِ الكَرَم ، يُعْطي كُلَّ أرْضٍ مالِحَةٍ المَطَرَ والنَّدى؛

في بيانِ أنَّ تَرْكَ الجَوابِ جَواب، مُقَرَّرُ هذا الحَديثِ أنَّ جَوابَ الأَحْمَقِ السُّكُوت، شَرْحُ كلا هذَيْنِ في القِصَّةِ التَّالِيَة

كانَ هُناكَ مَلِكٌ وكانَ لَهُ عَبْدٌ، عَقْلُهُ مَيِّتٌ وَشَهْوَتُهُ حَيَّة؛
كانَ يَقُومُ لَهُ بالخدماتِ الصَّغيرَةِ، كانَ يَظُنُّ الأفْكارَ الرَّديئَةَ حَسَنَةً؛
قالَ المَلِكُ قَلِّلُوا كِراءَهُ، وإذا خاصَمَ اشْطِبُوا اِسْمَهُ؛
عَقْلُهُ قَليلٌ وَحِرْصُهُ زائِدٌ، حِيْنَ رَأَى كِراءَهُ قَلَّ صارَ عَنيفاً وَحَرُوناً؛

لَوْ كانَ لَهُ عَقْلٌ لَطافَ حَولَ النَّفْس، لِيَرى جُرْمَ نَفْسِهِ الَّذي أُعْفِيَ مِنْه؛
إذا عانَدَ حِمارٌ مُقَيَّدُ القَدَمِ مِنْ بلاهَتِه، قَيَّدُوا كِلْتا قَدَمَيْهِ وَرَبَطُوهُما بالرَّأْس؛
فَيَقُولُ الحِمارُ رِباطٌ واحِدٌ لي يكفي،لا يَعْرِفُ الخَسيسُ أنَّ كلا الاثنَيْنِ مِنْ فِعْلِه؛

في تَفْسيرِ هذا الحَديثِ للمُصْطَفى عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلام ، أَنْ إنَّ اللهَ تعالى خَلَقَ الملائكَةَ وَرَكَّبَ فيهِمُ العَقْل، وَخَلَقَ البَهائمَ وَرَكَّبَ فيها الشَّهْوَةَ وَخَلَقَ بَني آدَمَ وَرَكَّبَ فيهِمُ العَقْلَ والشَّهْوَةَ فَمَنْ غَلَبَ عَقْلُهُ شَهْوَتَهُ كانَ أَعْلى مِنَ الملائكَة ، وَمَنْ غَلَبَتْ شَهْوَتُهُ عَقْلَهُ كانَ أدنى مِنَ البَهائم

جاءَ في الحَديثِ أنَّ اللهَ المَجيدَ، خَلَقَ العالَمَ على ثلاثَةِ أَصْناف؛
قَومٌ لَهُم جُمْلَةُ العَقْلِ والعِلْمِ والجُود، أولئكَ هُمُ الملائِكَةُ لا يَعْرِفُونَ غَيْرَ السُّجُود؛
لَيْسَ في عُنْصُرِهِمُ الحِرْصُ والهَوى، نُورٌ مُطْلَقٌ حَيٌّ مِنْ عِشْقِ الله؛
قَوْمٌ آخَرُونَ خالُونَ مِنَ العِلْم، مِثْلَ الحَيَوانِ في سِمَنٍ مِنَ العَلَف؛
لَمْ يَرَوا غَيْرَ الإسْطَبْلِ والعَلَفْ، غافِلُونَ عَنِ الشَّقاوَةِ وَعَنِ الشَّرَف؛
الصِّنْفُ الثَّالِثُ بَنُو آدَمَ والبَشَر، نِصْفٌ آدَمِيٌّ وَنِصْفٌ حِمار؛
نِصْفُ الحِمارِ مائلٌ للأسْفَل، النِّصْفُ الآخَرُ مائلٌ جِهَةَ العَقْل؛
القَومانِ الأولَيانِ بلا حَرْبٍ ولا حِراب، البَشَرُ مُخالِفٌ لكلا الاثْنَيْنِ وفي عَذاب؛
وهؤلاءِ البَشَرُ مِنَ الاِمْتِحانِ أَقْسام، هُمْ آدَمِيُّونَ بالشَّكْلِ وَهُمْ ثلاثَةُ أَقْوام؛
قَومٌ صارُوا مُسْتَغْرِقينَ بالمُطْلَق، كُلُّ واحِدٍ مِنْهُم كعيسى بالمَلَكِ مُلْحَق؛
بِصُورَةِ آدَمَ لكِنْ بِمَعْنى جَبْرَئيل، حُرٌّ مِنَ الغَضَبِ والهَوى والقالِ والقيل؛
تَحَرَّرَ مِنَ الرِّياضَةِ وَمِنَ الزُّهْدِ والجِهاد، فَكَأَنَّما هُوَ لَمْ يُولَدْ مِنَ الآدَمِيّ؛
قِسْمٌ آخَرُ مُلْحَقٌ بالحَمير، غَضَبٌ مَحْضٌ وَشَهْوَةٌ مُطْلَقَة؛

وَصْفُ جَبْرَائيلَ ذَهَبَ مِنْهُمْ، المَنْزِلُ كانَ ضَيِّقاً وَذاكَ وَصْفٌ عَظيم؛
يَصيرُ مَيْتاً الَّذي صارَ بلا رُوح، وَيَصيرُ حِماراً الَّذي رُوحُهُ بلا ذلِكَ الوَصْف؛
ذلِكَ لأنَّ رُوحاً لا تَمْلِكُ ذلِكَ الوَصْفَ سافِلَة، هذا الحَديثُ حَقٌّ وَقالَهُ الصُّوفِيّ؛
هُوَ يَشْقى أَكْثَرَ مِنَ الحَيَواناتِ، وَيَقُومُ في الدُّنيا بِأَدَقِّ الأَعْمال؛
المَكْرُ والتَّلْبيسُ اللَّذانِ يَعْرِفُ القِيامَ بِهِما، لا يَتَأَتّيانِ ظاهِرَيْنِ مِنْ حَيَوانٍ آخَر؛
حاكَ الثِّيابَ المُزَرْكَشَةَ بالذَّهَب، اسْتَخْرَجَ الدُّرَرَ مِنْ قَعْرِ البَحْر؛
دَقائقُ أَعْمالِ عِلْمِ الهَنْدَسَة، أو النُّجُومُ وَعِلْمُ الطِّبِّ والفَلْسَفَة؛
مِمّا لَهُ تَعَلُّقٌ بِدُنياهُ هذِهِ، ولا طَريقَ لَهُ بِها للسَّماءِ السّابِعَة؛
هذا جَميعُهُ عِلْمُ بِناءِ الإِسْطَبْل، الَّذي كانَ عِماداً للثَّورِ والجَمَل؛
مِنْ أَجْلِ اسْتِبْقاءِ الحَيَوانِ بِضْعَةَ أَيّام، جَعَلَ هؤلاءِ الحَمْقى لِإِسْمِ ذاكَ الرُّمُوز؛
عِلْمُ طَريقِ الحَقِّ وَعِلْمُ مَنْزِلِه، صاحِبُ القَلْبِ يَعْرِفُ ذاكَ أو يَعْرِفُهُ قَلْبُه؛
ثُمَّ خَلَقَ في هذا التَّرْكيبِ حَيَواناً لَطيفاً، وَجَعَلَهُ مَعَ العِلْمِ أَليفاً؛
وَأَعْطى أولئكَ القَوْمَ اِسْمَ كالأنعام، ذلِكَ لأَنَّهُ لا نِسْبَةَ بَيْنَ اليَقَظَةِ والمَنام؛
الرُّوحُ الحَيَوانِيُّ لا يَمْلِكُ غَيْرَ النَّوم، وَيَمْلِكُ أَنْواعَ الحِسِّ المُنْعَكِسِ مِنَ القَوم؛
إذا جاءَتِ اليَقَظَةُ لا يَبْقى النَّومُ الحَيَوانِيُّ، يَقْرَأُ انعِكاسَ حِسِّ نَفْسِهِ مِنَ اللَّوح؛
مِثْلَ ذلِكَ الحِسِّ الَّذي اخْتَطَفَهُ مِنْهُ النَّوم، عِنْدَما صارَ يَقِظاً أَظْهَرَ العَكْسِيَّة؛
لا جَرَمَ كانَ أَسْفَلَ مِنَ السّافِلِيْن ، قُمْ بِتَرْكِهِ لا أُحِبُّ الآفِلين؛

في تَفْسيرِ هذِهِ الآيَةِ أنْ ***وَأَمّا الَّذينَ في قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزادَهُمْ رِجْساً*** ، وَقَوْلِهِ يُضِلُّ بِهِ كَثيراً وَيَهْدي بِهِ كَثيراً

ذلِكَ أَنَّهُ كانَ لَهُ الاِسْتِعْدادُ للتَّبْديلِ والحَرْب، لكِنَّهُ فَوَّتَ ذلِكَ مِنَ الضَّعَة؛
ثُمَّ إنَّ الحَيَوانَ عُذْرُهُ واضِحٌ، بالبَهِيْمِيَّةِ بِما هُوَ بلا اسْتِعْداد؛

بِما أَنَّهُ ذَهَبَ الاِسْتِعْدادُ مِنْهُ وذاكَ قائدٌ، كُلُّ غِذاءٍ أَكَلَهُ مُخُّ حِمار؛
إذا أَكَلَ المُنَبِّهَ صارَ أَفيوناً، وَزادَتِ السَّكْتَةُ مِنْهُ وَقِلَّةُ العَقْل؛
وَبَقِيَ قِسْمٌ واحِدٌ ثالِثٌ في جِهاد، نِصْفُهُ حَيَوانٌ وَنِصْفٌ حَيٌّ في رَشاد؛
اللَّيْلَ والنَّهارَ في الحَرْبِ وفي النِّزاع ، آخِرُهُ مَعَ أَوَّلِهِ في صِراع؛

تنازُعُ العَقْلِ مَعَ النَّفْسِ كَتَنازُعِ المَجْنُونِ مَعَ النَّاقَة ، مَيْلُ المَجْنُونِ للأمامِ إلى الحُرَّة وَمَيْلُ النَّاقَةِ للخَلْفِ إلى الفَصيل كما قالَ المَجْنُون:

هَوى ناقَتي خَلْفي وَقُدَّامِيَ الهَوى ، وإنِّي وإيَّاها لَمُخْتَلِفانِ

هُمْ مِثْلَ المَجْنُونِ وَمِثْلَ ناقَتِهِ يَقيناً، هُوَ يَشُدُّها للأمامِ وَهِيَ تَتَراجَعُ للخَلْفِ بِحِقْد؛
مَيْلُ المَجْنُونِ ماضٍ إلى الأمامِ لِلَيلى، وَمَيْلُ النَّاقَةِ جارٍ للخَلْفِ نَحْوَ الفَصِيل؛
لَوْ غَفِلَ المَجْنُونُ عَنِ النَّاقَةِ لَحْظَةً واحِدَةً، لَدارَتِ النَّاقَةُ وَتَراجَعَتْ للخَلْف؛
مُراقِبُهُ ذاكَ كانَ هُوَ العَقْلُ، والعَقْلُ ذاكَ قَدِ اخْتَطَفَهُ هَوى لَيْلى؛
لكِنَّ النَّاقَةَ كانَتْ مُراقِبَةً وَسَريعَةً، وَحينَ كانَتْ ترى زِمامَها رَخْواً؛
تَفْهَمُ أَنَّهُ صارَ غافِلاً بلا عَقْلٍ، فَتُديرُ الوَجْهَ للخَلْفِ للفَصيلِ بلا إبْطاء؛
وكُلَّما عادَ إلى الوَعْيِ في مكانٍ كانَ يرى، أنَّها قد تَراجَعَتْ للوراءِ فراسِخَ كَثيرَةً؛
في طَريقٍ بِطُولِ ثلاثَةِ أَيَّامٍ بِهذِهِ الأحْوال، بِقِيَ المَجْنُونُ في التَّرَدُّدِ لِسِنين؛
قالَ أيْ ناقَةُ كلانا عاشِق، نَحْنُ ضِدَّانِ والضِّدُّ بالرِّفْقَةِ غَيْرُ لائق؛
لَيْسَ وِفقي مِنْكِ الزِّمامُ والحُبّ، صارَ فَرْضاً عَلَيَّ اخْتِيارُ العُزْلَةِ عَنْكِ؛
رفيقانِ كُلٌّ قاطِعُ طَريقِ الآخَر، ضَلَّتْ تِلْكَ الرُّوحُ الَّتي لا تَنْزِلُ عَنِ الجَسَد؛
الرُّوحُ مِنْ هَجْرِ العَرْشِ في فاقَة، البَدَنْ مِنْ عِشْقِ شَجَرَةِ الشَّوكِ كالنَّاقَة؛
الرُّوحُ فَتَحَتِ الأَجْنِحَةَ نَحْوَ الأعلى، والبَدَنُ أنْشَبَ المَخالِبَ بالأرْض؛
ما دُمْتُ أنا مَعَكِ أَيْ قَتيلَةَ الوَطَن، سَتَبْقى رُوحي بَعيدَةً عَنْ لَيْلى؛

مَضى مِنْ عُمُري مِنْ هذِهِ الأحوالِ، سِنُونَ كالتِّيْهِ وَقَوْمِ مُوسى في التِّيْه؛
كانَ الطَّريقُ خُطْوَتَيْنِ حَتَّى الوِصال، بَقيتُ في الطَّريقِ مِنْ شَرَكِكِ سِتِّيْنَ عاماً؛
الطَّريقُ قَريبٌ وَظَلَلْتُ في بُعْدٍ شَديد، قَدْ مَللتُ مِنْ هذا الرُّكُوبِ والسَّيْر؛
وَرَمى بِنَفْسِهِ مَقْلُوباً عَنِ النَّاقَة، قالَ احْتَرَقْتُ مِنَ الغَمِّ حَتَّامَ حَتَّام؛
ضاقَتْ عَلَيْهِ الصَّحْراءُ ذاتُ الاِتِّساع، فأَلْقى بالنَّفْسِ في أرْضٍ ذاتِ صَخْر؛
ألقى بالنَّفْسِ للأَرْضِ هكذا بِشِدَّةٍ، حَتَّى صارَ مُخَلْخَلاً جِسْمُ ذاكَ البَطَل؛
عِنْدَما ألقى بالنَّفْسِ هكذا جِهَةَ الأَسْفَل، انكَسَرَتْ ساقُهُ مِنَ القَضاءِ تِلْكَ اللَّحْظَة؛
فَرَبَطَ السَّاقَ قائلاً أَصيرُ كُرَةً، وَأَذْهَبُ مُتَدَحْرِجاً في تَقْعيرِ صَولَجَانِها؛
مِنْ هُنا قالَ الحَكيمُ عَذْبُ الحَديثِ، اللَّعْنَةُ على فارِسٍ لا يِنْزِلُ عَنِ الجِسْم؛
عِشْقُ المَولى مَتى كانَ أَقَلَّ مِنْ عِشْقِ لَيْلى،أنْ تَصيرَ كُرَةً مِنْ أَجْلِهِ كانَ أولى؛
فَصِرْ كُرَةً وَتَدَحْرَجْ إلى جِهَةِ الصِّدْق، تَدَحْرَجْ في حَنِيَّةِ صَولَجانِ العِشْق؛
فهذا السَّفَرُ بَعْدَ ذاكَ يَكُونُ جَذْبَ الله، وَذاكَ السَّفَرُ على النَّاقَةِ كانَ سَيْرَنا؛
إنَّ مِثْلَ هذا السَّفَرِ مُسْتَثْنىً مِنَ الجِنْس، إنَّهُ زائدٌ عَنْ اجْتِهادِ الجِنِّ والإنْس؛
مِثْلُ هذا الجَذْبِ لَيْسَ مِثْلَ كُلِّ جَذْبٍ عامّ، إنَّهُ وَضْعٌ مِنْ فَضْلِ أَحْمَدَ والسَّلام؛

كِتابَةُ ذاكَ الغُلامِ قِصَّةَ شِكايَةِ نُقْصانِ أَجْرِهِ إلى المَلِك

أَقْصِرِ القِصَّةَ مِنْ أَجْلِ ذاكَ الغُلام، الَّذي كَتَبَ كِتاباً مُوَجَّهاً إلى جِهَةِ المَلِك؛
قِصَّةً مِلْؤها النِّزاعُ والأنانِيَّةُ والحِقْد، يُرْسِلُها إلى أمامِ ذلِكَ الشَّاهِ اللَّطيف؛
البَدَنُ كِتابٌ انظُرْ فِيْه، إذا كانَ لائقاً بالشَّاهِ احْمِلْهُ إلَيْه؛
اِذْهَبْ زاوِيَةً افْتَحِ الكِتابَ واقْرَأْ، وَتَأَكَّدْ مِنْ أنَّ حَرْفَهُ لائقٌ بالمُلُوك؛
فإنْ كانَ غَيْرَ لائقٍ بِالمَلِكِ مَزِّقْهُ، واكْتُبْ كِتاباً آخَرَ وَكُنْ ذا وَسيلَة؛
لا تَعْتَبِرْ أنَّ فَتْحَ كِتابِ البَدَنِ سَهْلٌ، وإلَّا كانَ كُلُّ شَخْصٍ رأى سِرَّ القَلْبِ عِياناً؛

إنَّ فَتْحَ الكِتابِ أمْرٌ عَسيرٌ، إنَّهُ شُغْلُ الرِّجالِ لا شُغْلَ أطْفالٍ لَمْ يَبْلُغُوا الحُلُم؛
صِرْنا جَميعاً قانِعينَ بالفهْرَسْت، ذلِكَ لأنَّنا مُلَوَّثُونَ بالحِرْصِ والهَوى؛
إنَّ هذا الفَهْرَسْتَ مَصْيَدَةُ للعَوامّ، حَتَّى يَعْرِفُوا مِنْ ذلِكَ مَتْنَ الكِتاب؛
مِنْ هذا الكلامِ واللهُ أعْلَمُ بالصَّواب، لا تَلْوِ الرَّأْسَ وافْتَحْ مُقَدَّمَةَ الكِتاب؛
فإنَّ ذاكَ العُنْوانَ كالإقرارِ باللِّسان، قُمْ مِنْ مَتْنِ الكِتابِ بامْتِحانِ الصَّدْر؛
أهُوَ مُوافِقٌ مَعَ إقرارِكَ، كَيْ لا يَكُونَ عَمَلُكَ كالمُنافِق؛
عِنْدَما تَحْمِلُ جَوالاً ثَقيلاً جِدّاً، يَجِبُ عَلَيْكَ أنْ تَنْظُرَ فيهِ أوَّلاً؛
أنْ ما تَمْلِكُ في الجَوالِ مِنْ مُرٍّ وَحُلْوٍ، فإنْ كانَ يَسْتَحِقُّ الحَمْلَ فاحْمِلْه؛
وإلّا فَأَفْرِغْ جَوالَكَ مِنَ الحِجارَة، واشْتَرِ النَّفْسَ مِنَ العَمَلِ سِخْرِيّاً وَمْنَ العار؛
واجْعَلْ في الجَوالِ ذاكَ الَّذي يَكُونُ واجِبَ الحَمْل، إلى جِهَةِ المُلُوكِ والسَّلاطين؛

حِكايَةُ ذاكَ الفَقيهِ ذي العَمامَةِ الضَّخْمَةِ وذاكَ الَّذي اخْتَطَفَ عِمامَتَهُ فَصاحَ بِهِ افْتَحْها وانْظُرْ ما تَحْمِلُ ثُمَّ آنَذاكَ احْمِل

كانَ هُناكَ فَقيهٌ جَمَعَ خِرَقاً بالِيَةً، وَجَعَلَها في ثنايا عِمامَةِ نَفْسِه؛
كَيْ تَصيرَ عَظِيْمَةً وَتُظْهِرَ ذاكَ العَظيم، حِيْنَ يَدْخُلُ إلى المَحْفَلِ في الحَطيم؛
خِرَقُ ثِيابٍ قَديمَةٍ مُجَمَّعَة، العِمامَةُ مِنْ ذاكَ ظاهِراً مُزَيَّنَة؛
ظاهِرُ العِمامَةِ كَحُلَّةٍ مِنْ حُلَلِ الجَنَّة، والباطِنُ كالمُنافِقِ قَبيحٌ وَمَفْضُوح؛
قِطَعٌ مِنْ ثيابٍ قَديمَةٍ وَصُوفٍ وَجِلْد، كانَتْ دَفينَةً داخِلَ تِلْكَ العَمامَة؛
وَجَّهَ الوَجْهَ للمَدْرَسَةِ في الصَّبُوح، حَتَّى بِهذا النَّامُوسِ يَجِدَ الفُتُوح؛
رَجُلٌ سارِقُ ثيابٍ في طَرِيقٍ ضَيّقٍ، كانَ بانْتِظارِ الأُسْتاذِ لِمُمارَسَةِ فَنّه؛
فاخْتَطَفَ عَنْ رَأْسِهِ تِلْكَ العِمامَة، ثُمَّ جَرى مُسْرِعاً لِيُفْلِحَ أَمْرُه؛
فَصَرَخَ بِهِ الفَقيهُ أَنْ أَيْ وَلَد، اِفْتَحِ العِمامَةَ ثُمَّ آنَذاكَ خُذْها؛

اِفْتَحَ تِلْكَ الهَدِيَّةَ الَّتي تَحْمِلُ، الَّتي تَطيرُ بها بِأَرْبَعَةِ أجْنِحَة؛
اِفْتَحْ تِلْكَ بِيَدِكَ وَتَفَحَّصْها، هِيَ لَكَ آنَذاكَ حَلالٌ إذا شِئْتَ خُذْها؛
عِنْدَما فَتَحَها ذاكَ الَّذي كانَ في الهَرَب، أوْقَعَ مِنْها مِئَةَ أَلْفِ خِرْقَةٍ في الطَّريق؛
مِنْ الخِرْقَةِ الضَّخْمَةِ الَّتي لَمْ تَكُنْ تَلْزِمُهُ، بَقِيَ في يَدِهِ ذِراعٌ مِنَ الخِرْقَةِ البالِيَة؛
فَضَرَبَ الخِرْقَةَ بالأرْضِ أنْ أَي بلا عِيار ، مِنْ هذا الدَّغَلِ أَخْرَجْتَنا مِنَ الكار ؛

نَصيحَةُ الدُّنيا لأهْلِ الدُّنيا بِلِسانِ الحال، وإظْهارُها عَدَمَ وَفائها للطَّامِعِيْنَ بالوَفاءِ مِنْها

قالَ أَظْهَرْتُ الدَّغَلَ لكِنْ أَعَدْتُ القَوْلَ، بِشَرْحِ الحالِ مِنَ النَّصيحَةِ إِلَيْك؛
هكذا الدُّنيا فَرَغْمَ أنَّها جَميلَةٌ مُتَفَتِّحَةٌ، تَصْرُخُ أَيْضاً بِذِكْرِ عَدَمِ الوَفاءِ مِنْها؛
ضِمْنَ هذا الكَوْنِ والفَسادِ أَيْ أُسْتاذُ، الكَونُ هُوَ الدَّغَلُ والفَسادُ هُوَ النَّصيحَة؛
الكَوْنُ يَقُولُ لَكَ تَعالَ أنا حَسَنُ الخُطى، وَفَسادُهُ يَقُولُ لَكَ اذْهَبْ أنا لا شَيْء؛
أَيْ مَنْ تَعَضُّ على الشِّفاهِ مِنْ جَمالِ الرَّبيع، أُنْظُرْ إلى بَرْدِ واصْفِرارِ الخَريف؛
رَأَيْتَ طَلْعَةَ الشَّمْسِ الجَمِيْلَةِ بالنَّهار، فَتَذَكَّرْ مَوْتَها وَقْتَ الغُرُوب؛
رَأَيْتَ البَدْرَ مُكْتَمِلاً سَعيداً في أرْبَعِ لَيالٍ، أُنْظُرْ أَيْضاً إلى حَسْرَتِهِ في المَحاق؛
طِفْلٌ مِنَ الحُسْنِ صارَ مَولىً للخَلْق، بَعْدَ غَدٍ صارَ خَرِفاً مَفْضُوحاً للخَلْق؛
إنْ كانَ بَدَنٌ مِنَ الأبْدانِ الفِضِّيَّةِ صادَكَ، أُنْظُرْ إلى بَدَنٍ بَعْدَ الهَرَمِ واهٍ كالقِطْن؛
أَيْ مَنْ نَظَرْتَ إلى دَسِمِ الطَّعامِ قُمْ وانْظُرْ، إلى بَقِيَّةِ ذاكَ الطَّعامِ في المَجارير؛
وَقُلْ لِذاكَ الخَبَثِ أَيْنَ حُسْنُكَ ذاكَ، على الطَّبَقِ، والمَنْظَرُ الجَميلُ والعَبير؛
فيَقُولُ ذاكَ كانَ الحَبَّةَ وأنا الشَّرَك، عِنْدَما تَمَّ صَيْدُكَ اخْتَفَتِ الحَبَّة؛
وَكَمْ أنامِلَ كانَتْ مَحْسُوْدَةً للأساتِذَةِ، في الصَّنْعَةِ وصارَتْ مُرْتَعِشَةً في العاقِبَة؛
نَرْجِسَةُ العَيْنِ المَخْمُورَةُ كَأَنَّها الرُّوح، أُنْظُرْ لَها أخيراً عَمْشاءَ يَقْطِرُ مِنْها الماء؛

وَكَمْ مِنْ أَسَدٍ كانَ يَدْخُلُ وَسَطَ صَفِّ الأُسُود، يصيرُ في الآخِرِ مَغْلُوباً لِفَأْر؛
وَنَشيطِ الطَّبْعِ بَعيدِ النَّظَرِ مُحْتَرِف، انْظُرْهُ في الشَّيْخُوخَةِ أخيراً كالحِمارِ الخَرِف؛
وَجَديلَةٍ جَعْداءَ مِسْكِيَّةٍ تَسْلبُ العَقْل، صارَتْ أخيراً مِثْلَ ذَنَبِ الحِمارِ القبيح؛
أُنْظُرْ جَيّداً إلى كَونِها المُتَفَتّحِ أَوَّلاً، وانْظُرْ إلى فَضيحَتِها تِلْكَ وفَسادِها أَخيراً؛
فإنَّها عَرَضَتْ لَكَ الشِّباكَ ظاهِرَةً، أمامَكَ واقْتَلَعَتْ شارِبَ الخام؛
فلا تَقُلْ خَدَعَتْني الدُّنيا بالتَّزْوير، وإلّا لَكانَ عَقْلي هَرَبَ مِنْ شِباكِها؛
أُنْظُرْ إلى الطَّوْقِ الذَّهَبِيّ والحَمائل، صارَتْ غُلّاً وَزَنْجيراً وَسَلاسِل؛
وَهكَذا اعْرِفْ كُلَّ جُزْءٍ مِنَ العالَمِ، اِجْعَلْ أَوَّلَهُ وَآخِرَهُ داخِلَيْنِ في النَّظَر؛
الأَنْظَرُ للآخِرِ يَكُونُ مَسْعُوداً، الأَنْظَرُ للإِسْطَبْلِ يَكُونُ مَطْرُودا؛
أُنْظُرْ إلى وَجْهِ كُلِّ واحِدٍ كالقَمَرِ الفاخِر، ما دُمْتَ قَدْ رَأَيْتَهُ أَوَّلاً فانْظُرْ لَهُ آخِراً؛
حَتَّى لا تَكُونَ مِثْلَ إبليسَ أَعْوَراً، نِصْفاً تَرى وَنِصْفاً لا تَرى ما دُمْتَ أَبْتَراً؛
طِيْنَ آدَمَ رأى وَدِيْنَهُ لَمْ يَرَ، هذا العالَمَ رأى وَذاكَ العالَمَ لَمْ يَرَ؛
فَضْلُ الرِّجالِ على النِّساءِ أي شُجاع، لَيْسَ مِنَ الكَسْبِ والقُوَّةِ والضِّياع؛
وإلّا كانَ للأَسَدِ والفيلِ على الآدَمِيّ، الفَضْلُ مِنْ أَجْلِ القُوَّةِ أَيْ عَمِيّ؛
فَضْلُ الرِّجالِ على النِّساءِ أَيْ عابِدَ الحال، كانَ مِنْ كَوْنِ الرَّجُلِ أَنْظَرَ لِلْمَآل؛
الرَّجُلُ الخامُ في رُؤيَةِ العاقِبَة، هُوَ في أَهْلِ العاقِبَةِ كالمَرْأَةِ ضَئيل؛
مِنَ العالَمِ صَوتانِ يأتيانِ بِضِدّ، لِأَيٍّ مِنْهُما أَنْتَ مُسْتَعِدّ؛
واحِدٌ صَوْتُهُ نُشُورُ الأتقياء، وواحِدٌ صَوْتُهُ خِداعُ الأَشْقِياء؛
أن أنا بُرْعُمَةُ شَوكٍ عامِلْني بِطِيْب، تَساقَطَ الوَرْدُ مِنّي وَبَقيتُ غُصْنَ شَوك؛
صَوتُ البُرْعُمَةِ يَقُولُ أنا بائعُ وَرْدٍ، وَصَوتُ الشَّوكَةِ يَقُولُ لا تَسْعَ نَحْوي؛
قَبِلْتَ هذا الصَّوتَ وَرَفَضْتَ ذاكَ الآخَر، إنَّ المُحِبَّ عَنْ ضِدِّ مَحْبُوبِهِ أَصَمّ؛
ذاكَ الصَّوتُ يَقُولُ ها أنا حاضِر، والصَّوتُ الآخَرُ يَقُولُ انْظُرْ في الآخِر؛

حاضِري كالمَكْرِ وكالكَمين، فَلْتَرَ النَّقْشَ الأَخيرَ في المِرْآةِ الأولى؛
إذا سَقَطَتْ واحِدَةٌ مِنَ الكَفَّتَيْن، صارَتْ تِلْكَ الأُخْرى ضِدَّاً لها وَغَيْرَ مُتوازِنَة؛
أَيْ سَعِدَ ذاكَ الَّذي سَمِعَ مِنَ الأوَّل، ذاكَ الَّذي سَمِعَتْ عُقُولُ وَمَسامِعُ الرِّجال؛
وَجَدَ مَنْزِلاً خالِياً واتَّخَذَهُ مكاناً، غَيْرَ ذاكَ الَّذي بَدا لَهُ أَعْوَجاً وَعَجَباً؛
الكُوزُ الجَديدُ إذا وُضِعَ فيهِ البَول، لا يَسْتَطيعُ الماءُ أنْ يَذْهَبَ بِذلِكَ الخَبَث؛
في العالَمِ كُلُّ شَيْءٍ جاذِبٌ لِشَيْءٍ، الكُفْرُ للكافِرِ والرَّشَدُ لِلْمُرْشَد؛
والكَهْرَباءُ مَوْجُوْدَةٌ والمَغْناطيسُ مَوجُودٌ، لِجَذْبِكَ وَصَيْدِكَ حَديداً كُنْتَ أَمْ قَشَّاً؛
إنْ كُنْتَ حَديداً يَجْذِبُكَ المَغْناطيس، وإنْ كُنْتَ قَشَّاً تَسْعى إلى الكَهْرَباء؛
ذاكَ الَّذي لَيْسَ رَفيقَ الأخْيار، لا جَرَمَ هُوَ للفُجَّارِ جار؛
وَكَمْ كانَ مُوسى عِنْدَ الأَقْباطِ ذَميماً، وَكَمْ كانَ هامانُ عِنْدَ الأسباطِ رَجيماً؛
رُوْحُ هامانَ جاذِبَةُ الأَقْباط، وَرُوحُ مُوسى طالِبَةُ الأَسْباط؛
مَعِدَةُ الحِمارِ تَجْتَذِبُ القَشَّ في الاِجْتِذاب، مَعِدَةُ الآدَمِيّ جَذَّابَةٌ لِحَساءِ القَمْح؛
إذا لَمْ تَعْرِفْ شَخْصاً مِنَ الظَّلام ، اُنْظُرْ إِلَيْهِ في مَنْ اتَّخَذَ مِنْ إمام؛

بيانٌ في أنَّ لِلْعارِفِ غِذاءً مِنْ نُوْرِ الحَقّ ، أنْ أَبيتُ عِنْدَ رَبِّي يُطْعِمُني وَيَسْقيني، وَقَوْلُهُ الجُوعُ طَعامُ اللهِ يُحيي بِهِ أَبْدانَ الصِّدّيقين، أي مِنَ الجُوعِ يَصِلُ طَعامُ الله

ذلِكَ أنَّ كُلَّ مُهْرٍ يَسيرُ خَلْفَ الأُمّ، حَتَّى تَصيرَ مِنْ ذلِكَ جِنْسِيَّتُهُ ظاهِرَة؛
يَصِلُ اللَّبَنُ للآدَمِيّ مِنَ الصَّدْر، وَلَبَنُ الحِمارِ يَصِلُ مِنْ نِصْفِ البَدَنِ الأَسْفل؛
عَدْلُ قَسَّامٍ وَقِسْمَةُ عَدْلٍ، وَهذا العَجَبُ فلا جَبْرَ ولا ظُلْم؛
فَلَوْ كانَ جَبْرٌ مَتى كُنْتَ نادِماً، وَلَوْ كانَ ظُلْمٌ مَتى كُنْتَ مُراقِباً؛
انتَهى اليَومُ والرِّهانُ غَداً، مَتى كانَ النَّهارُ لأَسْرارِنا خازِناً؛

أَيْ مَنِ اعْتَمَدْتَ اعْتِمادَ الواثِق، على نَفَسٍ وَعَلى تَمَلُّقِ الفاسِق؛
لَقَدْ قُمْتَ بِبِناءِ قُبَّةٍ مِنْ حَباب، آخِرُ ذاكَ خَيْمَةٌ واهِيَةُ الأَطْناب؛
الخِداعُ كالبَرْقِ وَفي نُورِ ذاكَ، لا يَستَطيعُ أنْ يرى الطَّريقَ السُّلَّاك؛
إنَّ هذِهِ الدُّنيا وَأَهْلَها بلا حاصِل، كلا الاِثْنَيْنِ مُتَّفِقانِ على عَدَمِ الوَفاء؛
مَولُودُ الدُّنيا كالدُّنيا بلا وَفا، وَجِّهَ لَكَ الوَجْهَ لكِنَّ وَجْهَهُ قَفا؛
أَهْلُ ذاكَ العالَمِ كَذاكَ العالَمِ عُلْوِيُّون، إلى الأَبَدِ على العَهْدِ والمِيثاقِ مُسْتَمِرُّون؛
مَتى كانَ نَبِيَّانِ ضِدَّيْنِ، مَتى أَخَذَ أَحَدُهُمْ مُعْجِزاتِ الآخَر؛
مَتى تَصيرُ ذابِلَةً ثِمارُ ذاكَ العالَم، سُرُورُ العَقْلِ لا يَصيرُ حُزْناً؛
أُقْتُلِ النَّفْسَ بِما أَنَّها غَيْرُ وَفِيَّة، هِيَ دَنِيَّةٌ وَقِبْلَتُها دَنِيَّة؛
هذا المَحْفَلُ لائقٌ بالنُّفُوس، القَبْرُ والكَفَنُ لائقانِ بالمَيْت؛
النَّفْسُ وإنْ كانَتْ ذكِيَّةً وَعالِمَةً بالدَّقائق، قِبْلَتُها هِيَ الدُّنيا اعْرِفْها مَيِّتَة؛
إذا وَصَلَ ماءُ وَحْيِ الحَقِّ إلى المَيْت، صارَ مِنَ التُّرابِ المَيِّتِ حَيّاً ظاهِراً؛
ما لَمْ يَجِئْكَ الوَحْيُ لا تَكُنْ مَغْرُوراً، بالكلامِ الوَرْدِيِّ *طالَ بَقاه*؛
أُطْلُبْ نِداءَ الوَصِيَّةِ ذاكَ لا يَكُونُ خامِلاً، ضياءُ الشَّمْسِ ذاكَ مَتى يكونُ آفِلا؛
تِلْكَ الفُنُونُ الدَّقيقَةُ والقالُ والقِيْل، هِيَ قَومُ فِرعَوْنَ، والأَجَلُ كماءِ النِّيْل؛
رَوْنَقُهُم والفَخْرُ والغُرُورُ والسِّحْرُ، رَغْمَ جَذْبِها الخَلْقَ جَذْباً بالرِّقاب؛
اعْلَمْها جُمْلَةً سِحْرَ ساحِرين، واعْرِفِ المَوْتَ تِلْكَ العَصا الَّتي صارَتْ أَفْعى؛
فالتَقَمَتْ كُلَّ سِحْرِهِمْ لُقْمَةً واحِدَةً، كما التَقَمَ الصُّبْحُ عالَماً مَمْلُوءاً بالظَّلام؛
النُّورُ مِمَّا أَكَلَ لَمْ يَصِرْ زائداً وَأَكْثَرَ، بَلْ ظَلَّ على حالِهِ كما كانَ مِنْ قَبْل؛
صارَ زائداً في الأَثَرِ وَلَمْ يَزِدْ بالذَّات، الذَّاتُ لا تُلِمُّ بِها زِيادَةٌ وآفات؛
الحَقُّ لَمْ يَزِدْ مِنْ إيجادِ الوُجُود، على ما لَمْ يَكُنْ في الأَوَّلِ لا يَكُونُ الآن؛
لكِنَّ الأَثَرَ زادَ مِنْ إيجادِ الخَلْق، ما بَيْنَ هاتَيْنِ الزِّيادَتَيْنِ هُناكَ فَرْق؛

هُناكَ زيادَةُ أَثَرٍ مِنْ إظْهارِه، لِتَصيرَ ظاهِرَةً صِفاتُهُ وَأَفْعالُه؛
إنَّ زِيادَةَ كُلِّ ذاتٍ لَدَليل ، على أنَّها كانَتْ حادِثَةً بِعِلَلِ عَليل؛

تَفسير أوجَسَ في نَفْسِهِ خِيْفَةً مُوسى، قُلنا لا تَخَفْ إنَّكَ أنتَ الأعْلى

قالَ مُوسى السِّحْرُ أَيْضاً تَحيير، كَيْفَ أَفْعَلُهُ وهذا الخَلْقُ بلا تَمييز؛
قالَ الحَقُّ سَأَجْعَلُ التَّمييزَ مَوجُوداً، وَأَجْعَلُ العَقْلَ بلا تَمييزٍ بَصيراً؛
رَغْمَ أَنَّهُمْ كالبَحْرِ جاءَ بالزَّبَد، مُوْسَيا أنتَ غالِبٌ أَقْبِلْ لا تَخَفْ؛
في عَهْدِهِ كانَ السِّحْرُ افْتِخاراً، وَحِيْنَ صَرَتِ العَصا حيَّةً صارَ عاراً؛
كُلُّ شَخْصٍ يَدَّعي الحُسْنَ والمَلاحَةَ، حَجَرُ المَوْتِ جاءِ مِحَكَّ الملاحات؛
السِّحْرُ ماتَ وَمُعْجِزَةُ مُوسى ذَهَبَتْ، طَسْتُ كِلا الاِثْنَيْنِ وَقَعَ عَنِ السَّطْح؛
بَقِيَ مِنْ صَوْتِ طَسْتِ السِّحْرِ اللَّعْنَةُ، وَبَقِيَ مِنْ صَوتِ طَسْتِ الدِّينِ الرِّفْعَة؛
بِما أنَّ المِحَكَّ خَفِيٌّ عَنِ الرِّجالِ والنِّساء،أُدْخُلْ في الصَّفِّ أَيْ زَيْفُ وادَّعِ الآن؛
فالوَقْتُ وَقْتُ الدَّعْوى بِما أَنَّ المِحَكَّ غائب، وَسَيَحْمِلُونَكَ عَزيزاً مِنْ يَدٍ إلى يَد؛
والزَّيْفُ كُلَّ لَحْظَةٍ مِنَ النَّخْوَةِ يَقُول، أَيُّها الذَّهَبُ الخالِصُ مَتى كُنْتُ أَقَلَّ مِنْك؛
وَيَقُولُ الذَّهَبُ بلى أَيْ رَفيقَ العَمَل، لكِنَّ المِحَكَّ قادِمٌ فابْقَ مُسْتَعِدّاً؛
مَوْتُ البَدَنِ هَدِيَّةٌ لأصْحابِ السِّرّ، الذَّهَبُ الخالِصُ لا يَنْقُصُ بالتَّقْطيع؛
الزَّيْفُ لَو كانَ ناظِراً لِنِهايَةِ نَفْسِهِ، لَكانَ اسْوَدَّ مِنَ البِدايَة كما يَسْوَدُّ في النِّهايَة؛
وَلَوْ كانَ أَسْوَدَ في الأَوَّلِ في اللِّقاء، لَكانَ أَبْعَدَ عَنِ النِّفاقِ وَعَنِ الشَّقاء؛
وَلَكانَ طالِباً لِكِيْمياءِ الفَضْل، وَلَصارَ غالِباً على تَزْويرِهِ العَقْل؛
إذن لَصارَ مَكْسُورَ القَلْبِ مِنْ حالِ نَفْسِه، وَرَأى مِنْ أمامِهِ جابِرَ المَكْسُورين؛
كانَ رأى العاقِبَةَ وَصارَ مَكْسُوراً، وَوُضِعَ لَهُ الرِّباطُ على الكَسْرِ في الحال؛
الفَضْلُ ساقَ النُّحاسَ نَحْوَ الإكْسير، وَبَقِيَ المَطْلِيُّ بالذَّهَبِ مَحْرُوماً مِنَ الكَرَم؛

أيُّها المَطْلِيُّ بالذَّهَبِ لا تَقُمْ بالدَّعْوى، فإنَّ مُشْتَرِيَكَ لَنْ يَظَلَّ هكذا أعمى؛
نُوْرُ المَحْشَرِ يَجْعَلُ عُيُونَهُمْ مُبْصِرَةً، وَيَجْعَلُ عَمى عَيْنَيْكَ مَفْضُوحاً؛
أُنْظُرْ أولئكَ الَّذينَ أَبْصَرُوا الآخِرَةَ، إنَّهُمْ في حَسْرَةِ الأرواحِ وَدَمْعِ العُيُون؛
وانْظُرْ أولئكَ النَّاظِرينَ إلى الحال، فاسِدي الأصْلِ قَطَعُوا الرَّأْسَ عَنِ السِّرِّ؛
عِنْدَ ناظِرِ الحالِ الَّذي هُوَ جاهِلٌ شَاكٌ،الصُّبْحُ الصَّادِقُ والصُّبْحُ الكاذِبُ واحِد؛
الصُّبْحُ الكاذِبُ مِئَةَ أَلْفِ قافِلَةٍ، أَسْلَمَ لِرِيْحِ الهلاكِ أَيُّها الشَّابّ؛
ما مِنْ صَحيحٍ لَيْسَ فيهِ إغلاط ، واهٍ لِتِلْكَ الرُّوحِ بلا مِحَكٍّ لَها ولا مِقراض؛

زَجْرُ المُدَّعي عَنِ الدَّعْوى وَأَمْرُهُ بالمُتابَعَة

قالَ أبُو مُسَيْلَمَةَ أنا أحْمَد، لَقَدْ قَضَيْتُ على دِيْنِ أَحْمَدَ بِفَنِّي؛
قُلْ لأبي مُسَيْلَمَةَ أَقِلَّ البَطَر، لا يَغُرَّنَّكَ الأَوَّلُ انْظُرْ للآخِرْ؛
لا تَكُنْ هذا الدَّليلَ مِنْ حِرْصِ الجَمْع، سِرْ في الخَلْفِ لِيَسيرَ مِنَ الأمامِ الشَّمْع؛
الشَّمْعُ يُظْهِرُ المَقْصَدَ مِثْلَ القَمَر، أفي هذا الطَّرَفِ حَبَّةٌ أمْ هُوَ الفَخّ؛
وَسَواءً شِئْتَ أَمْ لَمْ تَشَأْ فإنَّهُ بالسِّراج، يُرى نَقْشُ البازِ وَنَقْشُ الزَّاغ؛
وَلَولاهُ لَتَأَلَّقَتْ غِربانُ الدَّغَل، فَقَدْ تَعَلَّمَتْ صَوْتَ البُزاةِ البيض؛
وَلَوْ تَعَلَّمَ صَوْتَ الهُدْهُدِ فَتى، أَيْنَ سِرُّ الهُدْهُدِ وَكِتابُ سَبَأ؛
اعْرِفِ الصَّوتَ الطَّليقَ مِنَ الصَّوْتِ المُغْلَق، اِعْرِفْ تاجَ المَلِكِ مِنْ تاجِ الهُدْهُد؛
حَرْفَ الدَّراويشِ وَنُكْتَةَ العارِفينَ، رَبَطَ باللِّسانِ مَنْ هُمْ بلا حَياء؛
كُلُّ هلاكِ أُمَّةٍ كانَ في ما مَضى، كانَ لِحَمْلِهِمُ الصَّنْدَلَ على أنَّهُ عُوْدٌ بالظَّن؛
كانَ لَهُمُ التَّمييزُ الَّذي يُظْهِرُ ذاكَ، لكِنَّ الحِرْصَ والطَّمَعَ يُعْمِيانِ وَيُصِمَّان؛
عَمى العُمْيانِ غَيْرُ بَعيدٍ مِنَ الرَّحْمَة، لكِنْ عَمى الحِرْصِ صاحِبُهُ غَيْرُ مَعْذُور؛
مَصْلُوبُ المَلِكِ غَيْرُ بَعيدٍ مِنَ الرَّحْمَة، مَصْلُوبُ الحَسَدِ غَيْرُ مَغْفُورٍ لَه؛

أيْ سَمَكَةُ انْظُري السِّنَّارَةَ انظُري العاقِبَةَ، حَلْقُكِ السَّيّئُ أغْلَقَ عَيْنَ نَظَرِ العاقِبَة؛
أُنْظُرْ إلى الأوَّلِ والآخِرِ بِعَيْنَيْن، لا تَكُنْ أَعْوَرَ مِثْلَ إبليسَ اللَّعين؛
الأعْوَرُ ذاكَ الَّذي يرى الحالَ وَحَسْب، إنَّهُ كالبَهائمِ غافِلٌ عَنْ الأمامِ والخَلْف؛
مَثَلُ عَيْنَيْنِ للبَقَرَةِ في جُرْمِ التَّلَف، كَمِثْلِ عَيْنٍ واحِدَةٍ لَيْسَ لَها شَرَف؛
عَيْنُكَ مُسْنَدٌ لِعَيْنَيْها الاثْنَتَيْن، وَعَيْناها الإثْنَتَيْنِ بِنِصْفِ قِيْمَةِ عَيْن؛
وَلَو اقْتَلَعْتَ عَيْناً مِنْ مَولُودِ آدَمِيٍّ، كانَتْ لائِقَةً بِنِصْفِ قِيْمَةِ العَيْنَيْنِ بالشَّرْع؛
ذلِكَ لأنَّ عَيْنَ الآدَمِيِّ الواحِدَةَ، تَقُومُ بالعَمَلِ مِنْ نَفْسِها دُونَ أنْ تَتَساعَدَ العَينان؛
الحَمارُ عَيْنُهُ ناظِرَةُ الأَوَّلِ دُونَ الآخِر، وَلَو كانَ بِعَيْنَيْنِ حُكْمُهُ حُكْمُ الأعْوَر؛
هذا الحَديثُ لا نِهايَةَ لَهُ وَذاكَ الخَفيف ، يَكْتُبُ الرُّقْعَةَ مِنَ الطَّمَعِ بالرَّغيف؛

بَقِيَّةُ قِصَّةِ كِتابَةِ ذاكَ الغُلامِ رُقْعَةً بِطَلَبِ الأجْر

ذَهَبَ قَبْلَ الرّسالَةِ إلى عِنْدِ الطَّبَّاخ، أنْ أيُّها البَخيلُ مِنْ مَطْبَخِ الشَّاهِ السَّخِيّ؛
بَعيدٌ عَنْهُ وَعَنْ هِمَّتِهِ أنْ يَكُونَ، لَمْ يَرَ لي غَيْرَ هذا القَدْرِ مِنَ الأجْر؛
قالَ هُوَ أَمَرَ بِذاكَ للمَصْلَحَة، لا مِنَ البُخْلِ ولا مِنْ ضِيْقِ اليَد؛
قالَ واللهِ إنَّ هذا الحَديثَ تَضْليل، إنَّ الذَّهَبَ القَديمَ عِنْدَ المَلِكِ كالتُّراب؛
الطَّبَّاخُ قَدَّمَ لَهُ عَشْرَ حِجَجٍ مُخْتَلِفَةٍ، فَرَدَّها جَميعاً مِنْ الحِرْصِ الَّذي كانَ مَعَه؛
وَعِنْدَما جاءَهُ أَجْرُهُ قَليلاً وَقْتَ الغَداء، زادَ بالتَّشْنيعِ فَلَمْ يُجْدِ نَفْعاً؛
قالَ إنَّكُمْ تَعْمَلُونَ هذِهِ الأَشْياءَ قَصْداً، قالَ كَلَّا نَحْنُ عَبيدٌ مَأْمُورون؛
لا تَعْتَبِرْ هذا مِنَ الفَرْعِ اعْتَبِرْهُ مِنَ الأَصْل، لا تَلُمِ القَوْسَ فالسَّهْمُ مِنَ العَضُد؛
ما رَمَيْتَ إذْ رَمَيْتَ ابتِلاء، لا تَلُمِ النَّبِيَّ ذاكَ مِنَ الله؛
الماءُ مِنَ الأَصْلِ أَسْوَدُ أيْ حائِرَ العَيْن، أُنْظُرْ إلى الأمامِ مَرَّةً اِفْتَحِ العَيْن؛
فانْصَرَفَ إلى بُقْعَةٍ مِنَ الغَمّ والغَضَب، وَكَتَبَ إلى المَلِكِ رُقْعَةً غاضِبَة؛

جاءَ في تِلْكَ الرُّقْعَةِ للشّاهِ بالثَّناء، أَثْنى على جَوْهَرِ الجُودِ مِنْهُ وَعَظيمِ السَّخاء؛
أنْ أَيْ مَنْ كَفُّكَ زائدٌ على البَحْرِ والغَيْم، في قَضاءِ حاجاتِ طالِبي الحاجات؛
إذِ الغَيْمُ يُعْطي إذا أَعْطى وَهُوَ باكٍ، وَكَفُّكَ تَمُدُّ المَوائدَ مُتَعاقِبَةً وَهِيَ ضاحِكَة؛
رَغْمَ أنَّ ظاهِرَ الرُّقْعَةِ كانَ المَدْح، آثارُ رائِحَةِ الغَضَبِ كانَتْ تَظْهَرُ مِنَ المَدْح؛
مِنْ ذلِكَ كُلُّ أَعْمالِكَ قَبيحَةٌ وَبلا نُور، لأَنَّكَ بَعُدْتَ بَعيداً عَنْ نُورِ الطَّبْع؛
رَوْنَقُ عَمَلِ الأَخِسَّاءِ يَصيرُ كاسِداً، مِثْلَ الثَّمَرِ المَؤوفِ سُرْعانَ ما صارَ فاسِداً؛
ولا تَصيرُ سَعيدَةً مِنَ المَديحِ الصُّدُور، إذا كانَتِ الأَحْقادُ مَوْجُودَةً في المَدَّاح؛
أي قَلْبُ تَطَهَّرْ مِنَ الحِقْدِ والكَراهَةِ، ثُمَّ عِنْدَ ذلِكَ اقْرَأِ الحَمْدَ مُسْرِعاً؛
الحَمْدُ على اللِّسانِ وفي الدَّاخِلِ الكُرْهُ، ذاكَ تَلْبيسٌ مِنَ اللِّسانِ أو خِداع؛
في ذلِكَ قالَ اللهُ إنَّني لا أنْظُرُ ، إلى الظَّاهِرِ بَلْ أنا ناظِرٌ إلى الباطِن؛

حِكايَةُ ذلِكَ المَدَّاحِ الَّذي كانَ يَذْكُرُ شُكْرَ مَمْدُوحِهِ مِنْ جِهَةٍ، ورائحَةُ الهَمّ والغَمّ داخِلَهُ وخلاقَةُ ثَوبِهِ الظَّاهِرَةُ تُظْهِرانِ أنَّ ذلِكَ الشُّكْرَ كانَ كَذِباً وَدَعْوى

ذاكَ واحِدٌ بِثَوْبٍ خَلَقٍ جاءَ مِنَ العِراق، فَراحَ يَسْأَلُهُ الرِّفاقُ عَنِ الفِراق؛
قالَ نَعَمْ كانَ فِراقٌ ولكِنَّ السَّفَرَ، كانَ مُبارَكاً عَلَيَّ جِدَّاً وَذا بَشائر؛
فإنَّ الخَليفَةَ أَعْطاني عَشْرَ خِلَعٍ، مِئَةُ مَدْحٍ وَثَناءٍ كانَتْ لَهُ قَرينةً؛
وَراحَ لأنواعِ الشُّكْرِ والمَدْحِ يَعُدّ، إلى أنْ جازَ شُكْرُهُ المِقْدارَ والحَدّ؛
قالُوا لَهُ إنَّ أَحْوالَكَ الحَزينَةَ، قائِمَةٌ بالشَّهادَةِ على كَذِبِك؛
البَدَنُ عارٍ والرَّأْسُ عارٍ وَمُحْتَرِقٌ، فَهَلْ سَرَقْتَ هذا الشُّكْرَ أَمْ تَعَلَّمْتَهُ؛
أينَ علامَةُ الشُّكْرِ والحَمْدِ لأميرِكَ، أَعَلى رَأْسِكَ العارِيَةِ أَمْ على قَدَمِك؛
إذا كانَ لِسانُكَ يَسْعى بِمَدْحِ ذاكَ الشَّاه، فإنَّ أَعْضاءَكَ السَّبْعَةَ تَقُومُ بالشِّكايَة؛

في سَخاءِ ذاكَ المَلِكِ وَسُلْطانِ الجُود، أَلَمْ يَكُنْ لَكَ سِرْوالٌ ولا حِذاء؛
قالَ أنا قُمْتُ بالإيثارِ لِكُلِّ ما أعْطى، وَلَمْ يَكُنْ تَقصيرٌ مِنْ أميري مِنَ الافتِقاد؛
أَخَذْتُ جُمْلَةَ العَطايا مِنَ الأمير، وَوَهَبْتُها لليَتيمِ وللفَقير؛
أَعْطَيْتُ المالَ وَنِلْتُ عُمْراً طَويلاً، في الجَزاءِ لأنّي كُنْتُ أَلْعبُ طاهِراً؛
قالُوا لَهُ مُبارَكٌ ذهابُ المال، فما هذا الدُّخانُ في باطِنِكَ والحَرارَة؛
مِئَةُ كَراهَةٍ في داخِلِكَ كَأَنَّها الأَشْواكُ، مَتى كانَ الحُزْنُ علامَةَ الاِسْتِبْشار؛
أَيْنَ علامَةُ العِشْقِ والإيثارِ والرِّضا، إذا كانَ صَحيحاً ما قُلْتَ في ما مَضى؛
اِفْتَرَضْنا المالُ ضاعَ فَأَيْنَ هُوَ المَيْل، إذا كانَ مَرَّ السَّيْلُ فَأَيْنَ مَوْضِعُ السَّيْل؛
عَيْنُكَ كانَتْ سَوداءَ وواهِبَةً للرُّوح، إذا بَقِيَتْ واهِبَةً للرُّوحِ لِمَ هِيَ كَدِرَة؛
أَيْنَ علامَةُ الطُّهْرِ باللَّعِبِ أَيْ عَبُوس، رائحَةُ الدَّعْوى والدَّغَلِ تَفُوحُ فاصْمُتْ؛
هُناكَ في الدَّاخِلِ مِئةُ إشارَةٍ للإيثار، وَهُناكَ مِئةُ علامَةٍ لِعَمَلِ الخَيْر؛
إذا ذَهَبَ المالُ في الإيثارِ تَلَفاً، مائةُ حَياةٍ تَجيءُ في الدَّاخِلِ خَلَفاً؛
أَتَكُونُ زِراعَةٌ في أَرْضِ الحَقّ، والبُذُورُ طاهِرَةٌ ثُمَّ لا دَخْل؛
إذا لَمْ تَنْبُتِ السَّنابِلُ مِنْ رَوْضاتِ هُوَ، كَيْفَ تَكُونُ أَرْضُ اللهِ واسِعَةً قُلْ؛
أَرْضُ الفَناءِ هذِهِ لا تَكُونُ بلا رَيْع، فَكَيْفَ تَكُونُ أَرْضُ اللهِ الواسِعَةُ بلا رَيْع؛
لِهذِهِ الأَرْضِ رَيْعٌ هُوَ بلا حَدّ، أَقَلُّ رَيْعٍ للحَبَّةِ الواحِدَةِ هُوَ سَبْعُمائة؛
لَقَدْ قُلْتَ الحَمْدَ فَأَيْنَ علامَةُ الحامِدِين، لا في خارِجِكَ أَثَرٌ ولا في داخِلِك؛
حَمْدُ العارِفِ للهِ حَمْدٌ صادِقٌ، اليَدُ والقَدَمُ على حَمْدِهِ تَشْهَدان؛
أَخْرَجَهُ الحَمْدُ مِنْ بِئْرِ جِسْمِهِ المُظْلِمَة، واشْتَراهُ مِنْ ضيقِ سِجْنِ دُنياه؛
أَطْلَسُ التَّقْوى والنُّورُ المُؤتَلِف، آيَةُ حَمْدِهِ فَوقَ الكَتِف؛
مُتَحَرِّرٌ مِنَ الدُّنيا العارِيَه، ساكِنُ رَوضاتٍ وَعَيْنٍ جارِيَه؛
على سَريرِ سِرِّ عالي هِمَّتِه، مَجْلِسُهُ وَجاهُهُ وَمَقامُهُ وَرُتْبَتُه؛

في مَقْعَدِ الصِّدْقِ الَّذي بِهِ الصِّدِّيقون،في هَنيءِ العَيْشِ والسُّرورِ وَنَضارَةِ الوَجْه؛
حَمْدُهُمْ مِثْلُ حَمْدِ الرَّوْضِ للرَّبيع، لَهُ مِئةُ علامَةٍ وَمِئةُ اضْطِراب؛
تَشْهَدُ العَيْنُ والنَّخْلُ والنَّباتُ، على رَبيعِهِ وذاكَ البُسْتانُ والنُّقُوش؛
وَشاهِدٌ شاهِدٌ بالأُلُوفِ كُلَّ طَرَف، بِشَهادَةٍ كَشَهادَةِ الجَوْهَرِ على الصَّدَف؛
أَنْتَ في نَفَسِكَ رائِحَةُ الثُّومِ الرَّديئة،وَيَسْطَعُ غَمُّكَ أَيْ مُدَّعي مِنْ رَأْسِكَ وَوَجْهِك؛
العارِفُونَ بالرَّائِحَةِ حاذِقُونَ في المَصاف، فأَقِلَّ مِنَ الجَلَبَةِ بالدَّعْوى مِنَ الجُزاف؛
ولا تَتَباهَ بالمِسْكِ فَرائِحَةُ البَصَلِ مِنْكَ، تَفُوحُ مِنْ فَمِكَ وَتَكْشِفُ سِرَّك؛
تَقُولُ أَكَلْتُ سُكَّرَ الوَرْدِ وَتَجيءُ، مِنْكَ رائِحَةُ الثُّومِ تَقُولُ لا تَقُلْ عَبَثاً؛
إنَّ القَلْبَ شَبيهٌ بِمَنْزِلٍ كَبيرٍ، وَلِمَنْزِلِ القَلْبِ في الخَفاءِ جِيران؛
يَصيرُونَ مُطَّلِعِيْنَ على الأَسْرارِ، مِنْ خِلالِ نَوافِذَ في السُّقُوفِ والجُدْران؛
مِنْ شِقٍّ لَيْسَ فِيْهِ أَيُّ وَهْم، ما لِصاحِبِ المَنْزِلِ فيهِ أَيُّ سَهْم؛
اِقْرَأْ مِنَ المَصْحَفِ أَنَّ الشَّيْطانَ وَقَوْمَهُ، يَشُمُّونَ الرَّائِحَةَ عَنْ حالِ الإنْسِيِّ خِفْيَةً؛
مِنْ طَريقِ الإنْسُ غَيْرُ عالِمِيْنَ بِه، لأنَّهُ لَيْسَ مِنْ هذا المَحْسُوسِ وَأَشْباهِه؛
وَسَطَ النُّقَّادِ لا تَسْعَ بالخِداع، أَيُّها الزَّيْفُ الدُّونُ لا تَقُمْ بالدَّعْوى مَعَ المَحَكّ؛
فَلِلْمِحَكِّ طَريقٌ للصَّحيحِ والزَّيْف، فاللهُ جَعَلَهُ أَميْرَ الجِسْمِ والقَلْب؛
لَمَّا كانَ الشَّياطِيْنُ مَعَ الغَلَظَةِ فيهِمْ، واقِفينَ على سِرِّنا وَفِكْرِنا وَمَذْهَبِنا؛
وَلَهُمَ مَسْلَكٌ لِسَرِقَةِ أَسْرارِنا، فَنَحْنُ مِنْ سَرِقاتِهِمْ مَنْكُوسُون؛
لَحْظَةً بِلَحْظَةٍ يُصيبُونَنا بالخَبْطِ والضَّرَر، أَصْحابُ نَقْبٍ يَشُقُّونَ الشُّقُوق؛
إذَنْ فَلِماذا الأرواحُ النَّيِّرَةُ في العالَمِ، غَيْرُ ذاتِ خَبَرٍ عَنِ الحالِ الخَفِيَّة؛
الأَرْواحُ الَّتي نَصَبَتِ الخِيامَ على الفَلَك، أَتَكُونُ في السِّرايَةِ أَقَلَّ مِنَ الشَّياطين؛
الشَّيْطانُ يَذْهَبُ تَسَلُّلاً إلى الفَلَك، فَيَصيرُ مَطْعُوناً مِنَ الشَّهابِ المُحْرِق؛
يَسْقُطُ مَنْكُوساً مِنَ الفَلَكِ للأَسْفَلِ، سُقُوطَ الشَّقِيِّ في الحَرْبِ مِنْ ضَرْبِ السِّنان؛

ذاكَ مِنْ غَيْرَةِ الأرواحِ العَزيزَة، وُقُوعُهُمْ مِنَ الفَلَكِ مَنْكُوسين؛
لَوْ كُنْتَ مَشْلُولاً وَأَعْرَجَ وَأَعْمى وَأَصَمّاً، لا تَحْمِلْ هذا الظَّنَّ بالأرواحِ العَظِيْمَة؛
اِخْجَلْ وَأَقِلَّ الغُرُورَ ولا تُؤذي الرُّوح ، فَكَمْ مِنْ جاسُوسٍ هُناكَ جِهَةَ البَدَن؛

تَشْخيص الأطِبَّاءِ الإلهيّين لأمراضِ الدِّيْنِ والقَلْبِ في سَيماءِ المُريدِ والغَريبِ ولَحْنِ قَوْلِهِ وَلَوْنِ عَيْنِهِ وَمِنْ دُونِ هذا كُلِّهِ مِنْ طَريقِ القَلْب أَيْضاً أنْ هُمْ جَواسيسُ القُلُوبِ فَجالِسُوهُمْ بالصِّدْق

أطِبَّاءُ البَدَنْ هؤلاءِ عالِمُون، إنَّهُمْ أَوْقَفُ على سَقامِكَ مِنْك؛
إنَّهُمْ يَعْرِفُونَ مِنَ القارُورَةِ الحال، وأنتَ مِنْ ذلِكَ الوَجْهِ لا تَعْرِفُ الاِعْتِلال؛
كما مِنَ النَّبْضِ وَمِنَ اللَّوْنِ وَمِنَ النَّفَس، يَسْتَدِلُّونَ مِنْكَ على كُلِّ نَوْعِ سَقَم؛
فالأطِبَّاءُ الإلهِيُّونَ في العالَمِ إذَنْ، كَيْفَ لا يَعْرِفُونَ حالَكَ بلا حَديثِ فَم؛
مِنْ نَبْضِكَ كما مِنْ عَيْنِكَ كما مِنَ اللَّون، يَرَونَ فيكَ مِئةَ سَقَمٍ بلا إبطاء؛
وَهؤلاءِ أطِبَّاءٌ حَديثُو تَعْليمٍ، إذْ كانَتْ بِهِمْ حاجَةٌ لهذِهِ الآيات؛
الكامِلُونَ يَسْمَعُونَ باسْمِكَ مِنْ بَعيدٍ، إلى قَعْرِ كَوْنِكَ وَوُجُودِكَ يُسْرِعُون؛
بَلْ إنَّهُمْ مِنْ قَبْلِ أنْ تُوْلَدَ بِسِنين ، يكُونُونَ قَدْ رَأَوْكَ مَعَ هذِهِ الأَحْوال؛

إعطاء بايزيد البِشارَةَ بِوِلادَةِ أَبو الحَسَنْ خَرَقاني قَبْلَ وِلادَتِهِ بِسَنَواتٍ ، وَعَلامَةَ صُوْرَتِهِ وَسِيْرَتَهُ ، واحِدَةً واحِدَة، وكِتابَةُ كُتَّابِ التَّاريخِ ذلِكَ جِهَةَ الرَّصْد

أَسَمِعْتَ قِصَّةَ بايزيد تِلْكَ، وما كانَ رأى في السَّبْقِ مِنْ حالِ أبو الحَسَن؛
يَوماً كانَ سُلْطانُ التَّقْوى ذاكَ مارّاً، مَعَ المُريدينَ جِهَةَ الصَّحْراءِ والمفازَة؛

فَجْأَةً جاءَتْ إِلَيْهِ ريحٌ طَيِّبَةٌ، في سَوادِ الرَّيِّ مِنْ جِهَةِ خارَقان؛
فَأَنَّ إلى تِلْكَ النَّاحِيَةِ أَنينَ مُشْتاقٍ، وقامَ باسْتِنْشاقِ تِلْكَ الرَّائِحَةِ مِنَ الرِّيْح؛
يَشْتَمُّ ذاكَ العَبيرَ الجَميلَ بِعِشْق، رُوحُهُ مِنَ الرِّيْحِ تَتَذَوَّقُ الخَمْر؛
الكُوزُ الَّذي يكُونُ مَملُوءاً بِماءِ الثَّلْج، يَبْدُو على ظاهِرِهِ ماءٌ كالعَرَق؛
ذاكَ مِنْ بُرُودَةِ الهَواءِ صارَ ماءً، وَلَمْ يَخْرُجِ النَّدى مِنَ الكُوزِ للخارِج؛
ريحُ الرَّائِحَةِ صارَتْ لَهُ ماءً، كما صارَ الماءُ لَهُ شراباً صافِياً؛
عِنْدَما صارَتْ آثارُ السُّكْرِ عَلَيْهِ ظاهِرَةً، واحِدٌ مِنَ المُريدينَ قامَ بالتَّحَقُّقِ مِنْهُ؛
فَسَأَلَهُ أنْ هذِهِ الأحْوالُ الجَميلَةُ، الَّتي هِيَ خارِجَ حِجابِ الخَمْسِ والسِّتّ؛
تارَةً أَحْمَرَ وَتارَةً أَصْفَرَ وَتارَةً أَبيَض، يَصيرُ وَجْهُكَ ما هذِهِ الحالُ والبُشْرى؛
تَتَنَسَّمُ العَبيرَ ولا وَرْدَ في الظَّاهِر، هُوَ مِنَ الغَيْبِ لا شَكَّ وَمِنَ الرَّوْضِ الكُلِّيّ؛
أيا مُرادَ رُوحِ كُلِّ مُريد، كُلَّ لَحْظَةٍ لَكَ مِنَ الغَيْبِ جَوابٌ وَكِتاب؛
أنتَ مِثْلَ يَعْقُوبَ في كُلِّ لَحْظَةٍ يَصِلُكَ، إلى المَشامِّ مِنْكَ مِنْ يُوسُفَ شِفاء؛
قُلْ لنا شُمَّةً مِنْ رَوضِ ذاكَ الوَرْد، أُسْكُبْ لنا قَطْرَةً مِنْ ذلِكَ الوَعاء؛
لَسْنا مُعْتادينَ مِنْكَ أَيْ جَمالَ القَمَر، أنْ تَشْرَبَ وَحْدَكَ وَشَفَتُنا يابِسَة؛
أي طاوِيَ الفَلَكِ قُمْ سَريعاً سَريعاً، أُسْكُبْ لنا جُرْعَةً مِنْ ذاكَ الَّذي شَرِبْت؛
لا يُوْجَدُ أميرُ مَجْلِسٍ في زمانٍ آخَرَ، غَيْرُكَ أَيْ مَلِكُ انْظُرْ في حالِ الحَريفين؛
مَتى يُمْكِنُ شُرْبُ هذِهِ الخَمْرَةِ سِرّاً، إنَّ الخَمْرَ فاضِحَةٌ للرَّجُلِ على اليَقين؛
كَيْفَ يَجْعَلُ الرَّائِحَةَ مَسْتُورَةً وَمَكْتُومَةً، وما يَفْعلُ ذاكَ مَعَ عَيْنِهِ السَّكْرى؛
وَلَيْسَتْ تِلْكَ بالرَّائِحَةِ الَّتي تُخْفى، تَحْتَ مِئاتِ الأُلُوفِ مِنَ الحُجُبِ في الدُّنيا؛
المَفازَةُ والصَّحْراءُ مِنْ نَشْرِها امْتَلأَتا، وما المَفازَةُ لَقَدْ عَبَرَتِ الأفلاكَ التِّسْعَة؛
لا تَجْعَلْ على رَأْسِ هذا الدَّنِّ التِّبْنَ والطِّيْن، فَلَيْسَتْ هذِهِ العارِيَةُ قابِلَةً للكِساء؛
فَقُمْ باللُّطْفِ أَيْ عارِفَ السِّرِّ قُلِ السِّرّ، قُلْ لنا ما الَّذي اصطادَ بازُكَ مِنْ صَيْد؛

قالَ جاءَتْ إِلَيَّ رائِحَةٌ عَجيبَةٌ، مِثْلَ تِلْكَ الَّتي جاءَتِ النَّبِيَّ مِنَ اليَمَن؛
فقد قالَ مُحَمَّدٌ أَنَّهُ عَنْ يَدِ الصَّبا، تَجيءُ إِلَيَّ رائِحَةُ الرَّحْمنِ مِنَ اليَمَن؛
ريحُ رامِيْنَ تَصِلُ مِنْ رُوْحِ وَيْس، ريحُ الرَّحْمنِ تَصِلُ مِنْ أُوَيْس؛
مِنْ أُوَيْسٍ وَمِنْ قَرَنٍ ريحٌ عَجَب، جَعَلَتِ النَّبِيَّ سَكْرانَ وَفي طَرَب؛
عِنْدَما صارَ أُوَيْسُ عَنْ نَفْسِهِ فانياً، ذلِكَ الأَرْضِيُّ أَصْبَحَ سَماوِيَّاً؛
ذلِكَ الإهْليلَجُ المُرَبَّى بالسُّكَّرِ، طَعْمُهُ المُرُّ لا يَظَلُّ فيه؛
ذلِكَ الإهْليلَجُ الَّذي تَحَرَّرَ مِنْ نَحْنُ وَأَنا، لَهُ صُورَةُ الإهْليلَجِ وَلَيْسَ لَهُ طَعْمُه؛
هذا الكلامُ لا نِهايَةَ لَهُ فَعُدْ ، إلى ما قالَ مِنْ وَحْيِ الغَيْبِ ذلِكَ الرَّجُلُ الأَسَد؛

قَوْلُ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ
إِنِّي لأَجِدُ نَفَسَ الرَّحْمنِ مِنْ قِبَلِ اليَمَن

قالَ مِنْ هذِهِ الجِهَةِ يَصِلُ عَبيرُ حَبيب، فَفي هذِهِ القَرْيَةِ سَيَجيءُ سُلْطان؛
بَعْدَ بِضْعِ سِنينَ سَوْفَ يُولَدُ مَلِكٌ، سَوْفَ يَنْصِبُ الخَيْمَةَ على السَّموات؛
وَجْهُهُ بِلَوْنِ الوَرْدِ مِنْ رَوْضَةِ الحَقّ، وَسَوفَ يكونُ في المقامِ زائداً عَلَيَّ؛
قالُوا ما اسْمُهُ قالَ اسْمُهُ أَبُو الحَسَن، وَذَكَرَ حِلْيَتَهُ في الحاجِبِ والذَّقْن؛
وَصَفَ مُفَصَّلاً قَدَّهُ وَلَوْنَهُ وَشَكْلَهُ، واحِداً واحِداً وَوَصَفَ ذوائِبَهُ وَوَجْهَه؛
كما وَصَفَ أيضاً حِلْيَةَ رُوحِه، مِنَ الصِّفاتِ وَالطَّريقَةِ وَالمَوضِعِ والمقام؛
حِلْيَةُ البَدَنِ مِثْلَ البَدَنِ عارِيَة، ذاكَ ساعَةٌ لا تَجْعَلِ القَلْبَ على ذاكَ؛
حِلْيَةُ الرُّوحِ الطَّبيعِيَّةِ أَيْضاً فَناء، اطْلُبْ حِلْيَةَ تِلْكَ الرُّوحِ تِلْكَ فَوْقَ السَّماء؛
جِسْمُهُ مِثْلَ سِراجٍ على الأرْض، نُورُهُ فَوْقَ سَقْفِ السَّماءِ السَّابِعَة؛
شُعاعُ الشَّمْسِ ذاكَ في الحُجْرَة، وَقُرْصُ الشَّمْسِ في السَّماءِ الرَّابِعَة؛
صُورَةُ الوَرْدِ تَحْتَ الأنْفِ للسُّخْرِيَة، رائحَةُ الوَرْدِ على سَقْفِ وإيوانِ الدِّماغ؛

الرَّجُلُ النَّائمُ في عَدَنَ رأى الفَرَق، وَقَعَ مِنْ عَكْسِ ذاكَ على جِسْمِهِ عَرَق؛
القَميصُ في مِصْرَ رَهْنٌ لَدى حَريص، امْتَلأتْ مِنْ عَبيرِ ذاكَ القَميصِ كَنْعان؛
لَقَدْ كَتَبُوا تاريخَ ذاكَ الزَّمان، زَيَّنُوا ذلِكَ السِّيْخَ بالكَباب؛
حِيْنَ وَصَلَ ذاكَ التَّاريخُ الصَّحيحُ، وُلِدَ ذاكَ الشَّاهُ وَلَعِبَ نَرْدَ المُلْك؛
وَمِنْ بَعْدِ كُلِّ تِلْكَ السِّنينَ جاءَ ظاهِراً، أَبُو الحَسَنِ مِنْ بَعْدِ وفاةِ أَبي يَزيد؛
جُمْلَةُ طِباعِهِ مِنْ إمساكٍ وَجُود، جاءَتْ تَماماً كما قالَ ذلِكَ الشَّاه؛
اللَّوحُ المَحْفُوظُ الَّذي كانَ دَلِيْلَهُ، مَحْفُوظٌ مِمَّ، مَحْفُوظٌ مِنَ الخَطَأ؛
لا نُجُومَ ولا رَمْلَ ولا رُؤيا بِنَومٍ، وَحْيُ الحَقِّ واللهُ أَعْلَمُ بالصَّواب؛
مِنْ أَجْلِ السَّتْرِ عَنِ العامَّةِ في البيان، سَمَّى الصُّوفِيُّونَ ذلِكَ وَحْيَ القَلْب؛
واعْتَبِرْهُ وَحْيَ القَلْبِ فالقَلْبُ مَوقِعُ نَظَرِهِ، كَيْفَ يَكُونُ خَطَأٌ والقَلْبُ لَهُ مُدْرِكٌ؛
مُؤمِنا إذا صِرْتَ بِنُورِ اللهِ ناظِراً ، جِئْتَ مِنَ السَّهْوِ وَمِنَ الخَطَأِ آمِناً؛

نُقْصانُ أَجْرِ رُوحِ الصُّوفِيِّ وَقَلْبِهِ مِنْ طعامِ الله

الصُّوفِيُّ حِيْنَ يَصيرُ مِنَ الفَقْرِ في غَمّ، يكُونُ لَهُ مِنْ عَيْنِ فَقْرِهِ حاضِنٌ وَطَعام؛
ذلِكَ أنَّ الجَنَّةَ بالمَكارِهِ حُفَّتْ، وَأَنَّ الرَّحْمَةَ قِسْمَةُ العاجِزِ المُنْكَسِر؛
ذاكَ الَّذي كَسَرَ الرُّؤوسَ مِنَ العُلُوّ، رَحْمَةُ الحَقِّ والخَلْقِ لا تَصِلُ إِلَيْه؛
هذا الحَديثُ لا نِهايَةَ لَهُ وذلِكَ الشَّابّ، مِنْ قِلَّةِ أَجْرِهِ مِنَ الرِّزْقِ صارَ عاجِزاً؛
سَعِدَ ذلِكَ الصُّوفِيُّ الَّذي أجْرُهُ قَلّ، نُحاسُهُ ذاكَ صارَ دُرَّاً وَهُوَ صارَ يَمَّاً؛
كُلُّ مَنْ صارَ مُدْرِكاً لِذلِكَ الأجْرِ الخاصّ، صارَ جَديراً بالقُرْبِ وَمَحَلَّاً للأجْر؛
إذا كانَ نُقْصانٌ مِنْ أَجْرِ الرُّوحِ، تَصيرُ رُوحُهُ مِنْ ذلِكَ النُّقْصانِ تَرْتَعِد؛
فَتَعْلَمَ أَنَّ خَطَأً ما قَدْ جَرى، وأَنَّ رَوْضَ الوَرْدِ قَدْ أَصابَهُ الأَذى؛
ذلِكَ الشَّخْصَ مِنْ نُقْصانِ المَحْصُولِ، كَتَبَ رُقْعَةً جِهَةَ صاحِبِ البَيْدَر؛

حَمَلُوا رُقْعَتَهُ إلى أميرِ العَطاء، فَقَرَأَ تِلْكَ الرُّقْعَةَ وَلَمْ يَرُدَّ الجَواب؛
قالَ هُوَ لا يَهْتَمُّ إلّا بِدَسِمِ الطَّعام، فَجَوابُ الأَحْمَقِ أولى أنْ يكونَ السُّكُوت؛
لَيْسَ عِنْدَهُ أَلَمُ الفِراقِ والوَصْل، مُتَعَلِّقٌ بالفَرْعِ غَيْرُ باحِثٍ عَنِ الأَصْل؛
أحْمَقٌ مَيِّتُ *نَحْنُ وأنا*، مِنْ غَمِّ الفَرْعِ لا فَراغَ لَدَيْهِ للأَصْل؛
السَّمواتُ والأَرْضُ اعْرِفْ كَتُفّاحَةٍ، صارَتْ عَياناً مِنْ شَجَرَةِ قُدْرَةِ الحَقّ؛
وَأَنْتَ مِثْلَ دُوْدَةٍ وَسَطَ التُّفّاحَةِ، بلا خَبَرٍ عَنِ الشَّجَرَةِ وَعَنِ البُسْتانِيّ؛
وتِلْكَ دُودَةٌ أُخْرى في التُّفّاحَةِ أَيْضاً، لكِنَّ رُوحَها مِنَ الخارِجِ ذاتُ عَلَم؛
حَرَكَتُها شَقَّتِ التُّفّاحَةَ، فَلَمْ تَحْتَمِلِ التُّفّاحَةَ ذلِكَ الأذى؛
لَقَدْ مَزَّقَتْ حَرَكَتُها الحُجُب، صُورَتُها دُودَةٌ والمَعْنى ثُعْبان؛
النّارُ الَّتي تَنْطَلِقُ مِنَ الحَديد، تَخْطُو أَوَّلاً للخارِجِ بِخُطىً وئيدَةٍ جِدّاً؛
غِذاؤُها أَوّلاً القُطْنُ ولكِنْ في الأخير، تَصِلُ الشُّعَلُ مِنْها إلى الأثير؛
الرَّجُلُ يكونُ أَوّلاً مُتَعَلِّقاً بالنَّومِ والأَكْل، وآخِرَ الأمْرِ يصيرُ أَفْضَلَ مِنَ الملائكَة؛
في عِنايَةٍ مِنَ الكِبْريتِ والقِطْن، شُعْلَتُهُ وَنُورُهُ صَعَدا على السُّها؛
يَجْعَلُ العالَمَ المُظْلِمَ مُضيئاً، يَقْتَلِعُ قِطْعَةَ الحَديدِ الضَّخْمَةَ بإِبْرَة؛
النّارُ أَيْضاً لها كِيانٌ جِسْمانِيّ، وَلَيْسَتْ مِنَ الرُّوحِ ولا مِنَ الرُّوحانِيّ؛
الجِسْمُ مِنْ ذلِكَ العِزِّ لا نَصيبَ لَه، الجِسْمُ عِنْدَ بَحْرِ الرُّوحِ مِثْلَ قَطْرَة؛
الجِسْمُ يزيدُ مِنَ الرُّوحِ كُلَّ يَوم، أُنْظُرْ إلى الجِسْمِ إذْ تَذْهَبُ الرُّوحُ كَيْفَ يصير؛
حَدُّ جِسْمِكَ ذِراعٌ مِنْكَ أو ذِراعان، رُوْحُكَ لها إلى السَّماءِ جَوَلان؛
ما بَيْنَ بَغْدادَ وَسَمَرْقَنْدَ أي هُمام، هُوَ في التَّصَوُّرِ للرُّوحِ نِصْفُ خُطْوَة؛
شَحْمُ إحدى عَيْنَيْكَ وَزْنُهُ دِرْهَمان، نُورُ رُوْحِها واصِلٌ إلى عِنانِ السَّماء؛
النُّورُ يرى في المَنامِ بلا هذِهِ العَيْن، العَيْنُ بلا هذا النُّورِ لا تَكُونُ غَيْرَ خَراب؛
الرُّوحُ فارِغَةٌ مِنْ لِحْيَةِ وشارِبِ البَدَن، لكِنَّ البَدَنَ مِنْ دُونَ الرُّوحِ مَيِّتٌ وَوَضيع؛

وهذا مَجالُ وَعَمَلُ الرُّوحِ الحَيَوانِيّ، فَتَقَدَّمْ وانْظُرِ الرُّوحَ الإنسانِيّ؛
واعْبُرْ مِنَ الإنسانِ أَيْضاً وَمِنَ القالِ والقِيْل، إلى شاطِئِ بَحْرِ رُوحِ جَبْرَائيل؛
بَعْدَ ذلِكَ تُقَبِّلُكَ شَفَةُ رُوحِ أَحْمَدَ، فَيَتَراجَعَ للخَلْفِ مِنَ الخَوفِ مِنْكَ جَبْرَائيل؛
قائلاً إذا تَقَدَّمْتُ قابَ قَوْسٍ ، إلى جِهَتِكَ احْتَرَقْتُ في اللَّحْظَة؛

تَأَلُّمُ ذلِكَ الغُلامِ مِنْ عَدَمِ وُصُولِ جَوابِ رُقْعَتِهِ مِنْ قِبَلِ الشَّاه

هذِهِ الصَّحْراءُ بلا رَأْسٍ لها ولا قَدَم، وذلِكَ الوَلَدُ صار مُتْعَباً لِعَدَمِ جَوابِ رِسالَتْه؛
أنْ عَجَباً كَيْفَ لَمْ يَرُدَّ الشّاهُ لِيَ الجَواب، أمْ أنَّ حامِلَ الرُّقْعَةِ خانَ مِنَ الحَسَد؛
فَقامَ بإخْفاءِ الرُّقْعَةِ وَلَمْ يُبْدِها للشّاه، فَقَدْ كانَ مُنافِقاً والماءُ تَحْتَ القَشّ؛
سَأَكْتُبُ رُقْعَةً أُخْرى مِنْ بابِ الامْتِحان، وَأَبْحَثُ عَنْ رَسُولٍ آخَرَ ذي فُنُون؛
وعلى الأميرِ وَصاحِبِ المَطْبَخِ والرَّسُول، جَعَلَ العَيْبَ مِنَ الجَهْلِ ذاكَ الجَهُول؛
وَلَمْ يَقُمْ بالتَّفَحُّصِ في النَّفْسِ أنْ أنا ، سِرْتُ أَعْوَجَ في الدِّيْنِ كعابِدِ الوَثَن؛

هَبُّ الرِّيْحِ باعْوِجاجٍ لِسُلَيْمانَ عَلَيْهِ السَّلامُ بِسَبَبِ زَلَّتِه

هَبَّتِ الرِّيْحُ مائلَةً على تَخْتِ سُلَيْمانَ، قالَ سُلَيْمانُ أي ريحُ لا تَهُبِّي عَوجاء؛
قَالَتِ الرِّيحُ وَأَنْتَ سُلَيْمانُ لا تَسِرْ عِوَجاً، سِرْتَ أَعْوَجَ لا تَغْضَبْ مِنْ اعْوِجاجي؛
مِنْ أَجْلِ هذا وَضَعَ اللهُ هذا المِيزانَ، في السَّبْقِ حَتَّى يُمْضِيَ لنا الإنصاف؛
إذا أَخْسَرْتَ المِيزانَ أنا أُخْسِرُهُ، وما دُمْتَ مَعي مُضِيْئاً أنا مُضِيْئَة؛
وأمالَتْ كَذا تاجَ سُلَيْمانَ عَنِ الرَّأْس، وَجَعَلَتْ نَهارَهُ المُضيءَ كاللَّيْل؛
قالَ أَيُّها التَّاجُ لا تَمِلْ عَنْ مَفْرَقي، أيَّتُها الشَّمْسُ لا تَنْقُصي مِنْ مَشْرِقي؛
وَيَقُومُ بإصلاحِ ذلِكَ التَّاجِ بِيَدَيْه، أيْ فَتى وَيَعُودُ ذلِكَ التَّاجُ مائلاً عَلَيْه؛
ثَمانِيَ مَرَّاتٍ أَصْلَحَهُ وَعادَ مائلاً، فقالَ أَيْ تاجُ مالَكَ أَخيراً لا تَمِلْ؛

قالَ وَلَوْ أَنَّكَ أَصْلَحْتَني مِئةَ مَرَّةٍ، فَسأميلُ ما دُمْتَ تَميلُ أَيْ مُؤْتَمَن؛
فقامَ سُلَيمانُ بإصلاحِ باطِنِه، بَرَّدَ القَلْبَ مِنْ تِلْكَ الشَّهْوَةِ الَّتي كانَتْ لَدَيْه؛
وَفي عَيْنِ اللَّحْظَةِ صارَ تاجُهُ ذاكَ صَحيحاً،وَكما أرادَ أنْ يَكُونَ ذلِكَ التَّاجُ كان؛
مِنْ بَعْدِ ذلِكَ راحَ يُميلُهُ بِقَصْد، وَيَعُودُ التَّاجُ باحِثاً عَنِ المَفْرَقِ بِقَصْد؛
ثَمانِيَ مَرَّاتٍ يُميلُهُ ذلِكَ العَظيمُ، وَيَعُودُ التَّاجُ على مَفْرَقِ رَأْسِهِ صَحيحاً؛
وَنَطَقَ التَّاجُ قالَ أَيْ مَلِكُ تَدَلَّلْ، ما دُمْتَ نَفَضْتَ التُّرابَ عَنِ الجَناحِ طِرْ؛
وما مِنْ دَسْتُورٍ لِكَيْ أَتَجاوَزَ هذا، وَأَقُومَ بِتَمْزيقِ حُجُبِ غَيْبِ هذا؛
فَضَعْ يَدَكَ رِباطاً على فَمِي، وامْنَعْ فَمِيْ مِنْ قَوْلِ ما لا يُقْبَل؛
في كُلِّ غَمٍّ أَقْبَلَ إِلَيْكَ لا تَضَعْ، مِنَ الأَلَمِ التُّهْمَةَ على أَحَدٍ وابْحَثْ في النَّفْس؛
لا تَحْمِلِ الظَّنَّ على آخَرَ أَيْ ذا المَرام، ولا تُفَكِّرْ كما كانَ يُفَكِّرُ ذاكَ الغُلام؛
حِيناً حَرْبُهُ مَعَ الرَّسُولِ والطَّباخ، وَحِيناً غَضَبُهُ مِنَ المَلِكِ السَّخِيّ؛
مِثْلَ فِرْعَونَ الَّذي كانَ تَرَكَ مُوسى، وَراحَ يَقْطَعُ رُؤوسَ أَطْفالِ الخَلْق؛
العَدُوُّ ذاكَ في مَنْزِلِ أعْمى القَلْب، وَهُوَ في الخارِجِ يَقْطَعُ رُؤوسَ الأَطْفال؛
وَأَنْتَ في الخارِجِ تَعْمَلُ السُّوءَ للآخَرين، وفي الدَّاخِلِ مَسْرُورٌ مِنَ النَّفْسِ الثَّقيلَة؛
تُقَدِّمُ لها السُّكَّرَ وَهِيَ لَكَ العَدُوُّ، وَتَضَعُ التُّهْمَةَ في الخارِجِ على كُلِّ شَخْص؛
أنتَ مِثْلَ فِرْعَونَ أَعْمى القَلْبِ والعَيْن، مُحْسِنٌ لِلْعَدُوِّ مُذِلٌّ للأبرياء؛
أي فِرْعَونُ كَمْ تَقْتُلُ مَنْ هُمْ بلا جُرْم، وَتُكْرِمُ الجَسَدَ المَليءَ بالغُرْم؛
عَقْلُهُ كانَ زائداً على عَقْلِ المُلُوك، حُكْمُ الحَقِّ جَعَلَهُ أَعْمى وَبِلا عَقْل؛
مَنْ خَتَمَ الحَقُّ على بَصَرِ وَسَمْعِ عَقْلِهِ، جَعَلَهُ حَيَواناً وَلَوْ كانَ أَفلاطُون؛
حُكْمُ الحَقِّ يَجيءُ ظاهِراً على اللَّوحِ ، مِثْلَما جاءَ حُكْمُ غَيْبِ بايَزيد؛

سَماعُ الشَّيْخَ أبو الحَسَنْ الخَرَقاني خَبَرَ إعْطاءِ بايَزيد الخَبَرَ عَنْهُ وَعَنْ أَحْوالِهِ

وَهَكَذا حَصَلَ مِثْلَما كانَ قُرِّرَ، وَأَبُو الحَسَنِ سَمِعَ ذاكَ مِنَ النَّاس؛
أنْ حَسَنُ سَيَكُونُ مِنْ مُريدِيَّ وَأُمَّتي، يَأْخُذُ كُلَّ صباحِ الدَّرْسَ مِنْ تُرْبَتي؛
قالَ وَأَنا أَيْضاً رَأَيْتُهُ في النَّوم، وَسَمِعْتُ هذا كذلِكَ مِنْ رُوحِ الشَّيْخ؛
وكُلَّ صباحِ كانَ يُوَجِّهُ الوَجْهَ لِلقَبْرِ، وَيَظَلُّ واقِفاً في الحُضُورِ حَتَّى الضُّحى؛
أو أنَّ مِثالَ الشَّيْخِ كانَ يَأتي أمامَهُ، أوْ أنَّ عُقَدَهُ كانَتْ تُحَلُّ بلا قَوْل؛
حَتَّى إذا في يَومٍ أتى في سُعُود، وكانَ قَدْ غَطَّى القُبُورَ ثَلْجٌ جَديد؛
الثَّلْجُ تراكَمَ طَبَقَةً فَوْقَ طَبَقَةٍ كالعَلَم، رآهُ كالقِبابِ وَصارَتْ رُوحُهُ في غَمّ؛
جاءَ صَوتٌ مِنْ حَظيرَةِ الشَّيْخِ الحَيّ، ها أنا أدعُوكَ كَيْ تَسْعى إلَيّ؛
تَعالَ هذِهِ الجِهَةَ مُسْرِعاً على صَوتي، لَوْ كانَ العالَمُ ثَلْجاً لا تَعْدُ عَنّي الوَجْه؛
مِنْ ذلِكَ اليَومِ صارَ حَسَنَ الحالِ ورأى ، تِلْكَ العَجائبَ الَّتي كانَ أوَّلاً قَدْ سَمِع؛

كِتابَةُ ذلِكَ الغُلامِ رُقْعَةً أُخْرى إلى الشَّاه عِنْدَما لَمْ يَحْصَلْ على جَوابِ تِلْكَ الرُّقْعَةِ الأولى

سَيِّئُ الظَّنِّ ذاكَ كَتَبَ رِسالَةً أُخْرى، مِلْؤها التَّشْنيعُ والسَّبُّ وَمِلْؤها الصُّراخ؛
أنْ أنا كَتَبْتُ رُقْعَةً إلى الشَّاه، أَوَصَلَتْ إلى هُناكَ وَوَجَدَتِ الطَّريقَ عَجَباً!؛
حَسَنُ الخَدِّ ذاكَ قَرَأَ تِلْكَ الأخيرَةَ أَيْضاً، وَلَمْ يَرُدَّ الجَوابَ عَلَيْها كَذلِكَ وَأَهْمَلَها؛
حاكِمُ المَدينَةِ يَضْطَرُّهُ للسُّكُوت، وَهُوَ يُكَرِّرُ كِتابَةَ الرُّقْعَةِ خَمْسَ مَرَّات؛
قالَ الحاجِبُ أخيراً هُوَ عَبْدٌ لَكُمْ، فإذا كَتَبْتَ لَهُ الجَوابَ جازَ أَيْضاً؛
أيُّ شَيْءٍ يَنْقُصُ مِنْ سُلْطانِكَ إذا، أَلْقَيْتَ نَظَراً على غُلامٍ لَكَ وَعَبْدٍ؛

قالَ هذا سَهْلٌ ولكِنَّهُ أحْمَقٌ، والرَّجُلُ الأحْمَقُ قَبيحٌ وَمَرْدُودُ الحَقّ؛
إذا أنا غَفَرْتُ ذَنْبَهُ وَزَلَّتَه، يَنْقُلُ إلَيَّ وَيُوْصِلُ إلَيَّ عِلَّتَه؛
مِئَةُ شَخْصٍ يَجْرَبُونَ مِنَ الأجْرَب، خاصَّةً هذا الجَرَبُ الخَبيثُ وَغَيْرُ المَقبول؛
لا أَصابَ جَرَبُ قِلَّةِ العَقْلِ المَجُوسِيّ، فإنَّ شُؤمَهُ يَجْعَلُ الغَيْمَ بلا مَطَر؛
الغَيْمُ لا يُمْطِرُ القَطْرَ مِنْ شُؤمِهِ، تَصيرُ المَدينَةُ خَراباً مِنْ طَبْعِهِ كَطَبْعِ البُوم؛
طُوفانُ نُوحٍ مِنْ جَرَبِ أولئكَ الحَمْقى، جَعَلَ العالَمَ خَراباً وَمَفْضُوحاً؛
قالَ النَّبِيُّ عَنِ الأَحْمَقِ أنَّهُ حَيْثُما وُجِدَ، عَدُوٌّ لَنا وَغُولٌ وَقاطِعُ طَريق؛
وَكُلُّ مَنْ كانَ عاقِلاً لنا حَبيبٌ، رُوحُهُ وريحُهُ لنا رَيْحان؛
العَقْلُ إنْ شَتَمَني أنا راض، لأنَّ عِنْدَهُ فَيْضاً مِنَ الفَيَّاض؛
ولا يَكُونُ شَتْمُهُ ذاكَ بلا فائدةٍ، ولا يَكُونُ ضَيْفُهُ ذاكَ بلا مائدَةٍ؛
الأحْمَقُ وَلَوْ وَضَعَ في شَفَتي الحَلْوى، أنا مِنْ حَلْواهُ تِلْكَ في حُمَّى؛
اِعْلَمْ هذا يَقيناً إذا كُنْتَ لَطيفاً وَمُنيراً، إنَّهُ لا ذَوْقَ لِتَقْبيلِ أُسْتِ حِمار؛
يَصيرُ شارِبُكَ مِنْهُ مُنْتِناً بلا فائِدَه، يَسْوَدُّ ثَوْبُكَ مِنْ قِدْرِهِ بلا مائدَه؛
مائِدَةُ العَقْلِ لَيْسَتْ مِنَ الخُبْزِ والشّواء، نُورُ العَقْلِ أَيْ وَلَدُ للرُّوحِ غِذاء؛
لَيْسَ غَيْرَ النُّورِ للآدَمِيّ طَعامٌ، مِنْ غَيْرِ ذلِكَ لا تَجِدُ الرُّوحُ التَّرْبِيَة؛
فامْتَنِعْ عَنْ هذِهِ المآكِلِ قَليلاً قَليلاً، فهذِهِ غِذاءٌ للحِمارِ لا لِذلِكَ الحُرّ؛
حَتَّى تَصيرَ لِغِذائِكَ الأَصْلِيّ قابِلا، وَتَصيرَ لِلُّقَمِ مِنَ النُّورِ قابِلا؛
مِنْ عَكْسِ ذاكَ النُّورِ صارَ خُبْزاً الخُبْزُ، مِنْ فَيْضِ ذاكَ الرُّوحِ صارَ رُوحاً الرُّوح؛
لَو أَكَلْتَ مَرَّةً مِنْ مَأكُولِ النُّور، حَثَوْتَ التُّرابَ على الخُبْزِ والتَّنُّور؛
العَقْلُ عَقلانِ أَوَّلُهُما مَكْسَبِيّ، قابِلٌ للتَّعْلِيْمِ في المَكْتَبِ كالصَّبِيّ؛
مِنْ كِتابٍ وَأُسْتاذٍ وَذِكْرٍ وَفِكْر، مِنْ مَعانٍ وَمِنْ عُلُومٍ حَسَنَةٍ وَبِكْر؛
عَقْلُكَ يَصيرُ زائداً على الآخَرين، لكِنَّكَ تَصيرُ مِنْ حِفْظِ ذلِكَ ثَقيلاً؛

تَصيرُ عَقْلاً حافِظاً في الغُدُوِّ والرَّواح، والَّذي عَبَرَ مِنْ هذا فَهُوَ عَقْلٌ مَحْفُوظ؛
وَعَقْلٌ آخَرُ كانَ هِبَةً مِنَ الله، وَمَنْبَعُ ذاكَ يكونُ مِنْ وَسَطِ الرُّوح؛
إذا فارَ ماءُ العِلْمِ مِنَ الصَّدْر، لا يَصيرُ آسِناً ولا آجِناً ولا مُصْفَرّاً؛
وأيُّ غَمٍّ يَكُونُ لَوْ سُدَّ دَرْبُ نَبْعِهِ، فإنَّهُ يَظَلُّ يَفُورُ مِنَ المَنْزِلِ لَحْظَةً بِلَحْظَة؛
العَقْلُ التَّحْصيلِيُّ على مِثالِ الجَداوِل، تِلْكَ تَجْري مِنَ الشَّوارِعِ إلى المَنازِل؛
إذا سُدَّ طَريقُ مائِهِ صارَ عاجِزاً ، فابْحَثْ عَنِ العَيْنِ في داخِلِ النَّفْس؛

قِصَّةُ ذلِكَ الشَّخْصِ الَّذي كانَ يُشاوِرُ شَخْصاً فَقالَ لَهُ اسْتَشِرْ آخَرَ فأنا لَكَ عَدُوّ

كانَ شَخْصٌ يَقُومُ بِمُشاوَرَةِ شَخْص، كَيْ يَتَحَرَّرَ مِنَ التَّرَدُّدِ وَمِنَ المَحْبَس؛
قالَ أَيْ حَسَنَ الاِسْمِ اطْلُبْ غَيْري، وَقُمْ باسْتِشارَتِهِ في الواقِعَة؛
أنا لَكَ عَدُوٌّ فلا تَرْتَبِطْ بي، فلا يَكُونُ مِنْ رَأْيِ العَدُوِّ أَبَداً نَصْر؛
اِذْهَبْ واطْلُبْ شَخْصاً يَكُونُ لَكَ صَديقاً، الصَّديقُ للصَّديقِ لا شَكَّ طالِبُ خَيْر؛
أنا لَكَ عَدُوٌّ ولا بُدَّ مِنْ أنْ أَسيرَ، باعْوِجاجٍ مَعَكَ وَأُظْهِرَ لَكَ العِداء؛
لَيْسَ شَرْطاً البَحْثُ عَنْ حارِسٍ يَكُونُ ذِئباً، البَحْثُ في غَيْرِ مَحَلِّهِ لا يَكُونُ بَحْثاً؛
أنا لَكَ مِنْ غَيْرِ شَكٍّ عَدُوٌّ، مَتى أُرْشِدُكَ للطَّريقِ وأنا لَكَ قاطِعُ طَريق؛
كُلُّ مَنْ كانَ جَليساً للأَصْدِقاء، كانَ في وَسَطِ البُسْتانِ وَلَو كانَ في المَوْقِد؛
وَكُلُّ مَنْ جَلَسَ مَعَ العَدُوِّ في زَمَنٍ، هُوَ في المَوقِدِ ولَو كانَ في البُسْتان؛
لا تَقُمْ بإيذاءِ الصَّديقِ بِنَحْنُ وَأَنا، حَتَّى لا يَصيرَ الصَّديقُ خَصْماً لَكَ وَعَدُوّاً؛
اِعْمَلِ الخَيْرَ للخَلْقِ مِنْ أَجْلِ الله ، أوِ اعْمَلْهُ مِنْ أَجْلِ راحَةِ نَفْسِكَ أَنْت؛
طالَما أنتَ تَراهُمْ أَصْدِقاءَ في النَّظَر،لا يَجيءُ في قَلْبِكَ مِنَ الحِقْدِ رَديءُ صُوَر؛
ما دُمْتَ قَدْ فَعَلْتَ العَداوَةَ فاحْتَرِزْ، وَقُمْ بالمَشْوَرَةِ مَعَ صَديقٍ يُثيرُ المَحَبَّة؛

قالَ أنا أَعْرِفُكَ أي بُو الحَسَن، وَأَعْرِفُ أنَّكَ لي عَدُوٌّ قَديم؛
لكِنَّكَ رَجُلٌ عاقِلٌ وَمَعْنَوِيّ، عَقْلُكَ لا يَسْمَحُ لَكَ بالسَّيْرِ باعْوِجاج؛
الطَّبْعُ يُريدُ انتِقاماً مِنَ الخَصْم، العَقْلُ على النَّفْسِ قَيْدٌ حَديدِيّ؛
يَجيءُ وَيَقُومُ بِمَنْعِها وَيَظَلُّ مانِعاً، العَقْلُ لَهُ فِعْلُ الشُّرَطِيّ في الخَيْرِ والشَّرّ؛
العَقْلُ الإيمانِيُّ كالشُّرَطِيّ العادِل، إنَّهُ حارِسُ وَحاكِمُ مَدينَةِ القَلْب؛
يكُونُ يَقِظاً واعِياً مِثْلَ قِطٍّ، فَيَبْقى السَّارِقُ في الجُحْرِ كَأَنَّهُ الفَأر؛
كُلُّ مكانٍ مَدَّ فيهِ يَدَهُ الفَأْرُ، لا قَطَّ فيهِ أو صُورَةً لِقِطّ؛
ما يكونُ القِطُّ إنَّ العَقْلَ الإيمانِيَّ ، الَّذي في البَدَن أَسَدٌ يَصْرَعُ الأُسُود؛
زَئيرُهُ على الوُحُوشِ المُفْتَرِسَةِ حاكِمٌ، صَرْخَتُهُ للحَيَواناتِ الرَّاعِيَةِ زاجِرٌ؛
إذا مَلأَ المَدينَة سُرَّاقُ الثِّيابِ واللُّصُوصُ، لا فَرْقَ بَيْنَ وُجُودِ الشُّرَطِيّ أو عَدَمِه؛

تأميرُ الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ لِشَابٍّ هُذَيْلِيّ على سَرِيَّةٍ كانَ بِها شُيُوخٌ وَخُبَراءُ حَرْب

كانَ الرَّسُولُ في إرسالِ سَرِيَّةٍ، لِحَرْبِ الكافِرينَ وَلِدَفْعِ الفُضُول؛
اخْتارَ الرَّسُولُ شابَّاً مِنْ هُذَيْل، أميراً للجَيْشِ وَقائداً للخَيْل؛
أَصْلُ الجَيْشِ كانَ القائدَ بِلا شَكّ، قَوْمٌ بلا قائِدٍ جَسَدٌ بلا رَأْس؛
إنَّما أَنْتَ مَيِّتٌ وَذابِلٌ، مِنْ كَوْنِكَ قَدْ تَرَكْتَ القائد؛
مِنَ الكَسَلِ وَمِنَ البُخْلِ وَمِنْ نَحْنُ وأنا، تَتَمَرَّدُ وَتَجْعَلُ مِنْ نَفْسِكَ لِنَفْسِكَ أميراً؛
مِثْلَ فَرَسٍ قامَ بالفِرارِ مِنَ الحِمْلِ، واتَّخَذَ مِنَ النَّفْسِ قائداً في الجَبال؛
وَصاحِبُهُ يَجْري خَلْفَهُ أَيْ دائرَ الرَّأس، مِنْ كُلِّ طَرَفٍ هُناكَ ذِئْبٌ قاصِدٌ للحِمار؛
إذا صِرْتَ اللَّحْظَةَ غائباً عَنْ عَيني، يأتيكَ مِنْ أمامِكَ مِنْ كُلِّ طَرَفٍ ذِئْبٌ قَوِيّ؛
يَمْضَغُ مِنْكَ العِظامَ كَأَنَّها السُّكَّرُ، ولا تَرى مِنْ بَعْدِها الحَياةَ مَرَّةً أُخْرى؛

لا تَفْعَلْ ذاكَ فَتَبْقى بلا عَلَف، النَّارُ مِنْ انعِدامِ الحَطَبِ أَصابَها التَّلَف؛
ألا لا تَفِرَّ هارِباً مِنْ حُكْمي، وَمِنَ الحِمْلِ الثَّقيلِ فأنا لَكَ الحَياة؛
أنتَ مَطِيَّةٌ أيضاً وَنَفْسُكَ غالِبَة، والحُكْمُ للغالِبِ أي عابِدَ النَّفْس؛
لَمْ يَدْعُكَ حِماراً دَعاكَ فَرَساً ذو الجلال، العَرَبُ تَقُولُ للفَرَسِ العَرَبِيِّ تَعال؛
كانَ المُصْطَفى أميرَ الحَقِّ للحَظيرَةِ، مِنْ أجْلِ خَيْلِ النَّفْسِ المَليئةِ بالجَفاء؛
قُلْ تَعالَوا قالَ مِنْ جَذْبِ الكَرَم، حَتَّى أُرَوِّضَكُمْ أنا لَكُمْ رائض؛
هذِهِ النُّفُوسَ كَيْ أجْعَلَ مَرُوضَةً، كَمْ مِنَ الرَّفَساتِ تَحَمَّلْتُ مِنْ هذِهِ الخُيُول؛
حَيثُما كانَ هُناكَ رائضٌ يَرُوض، لا مَناصَ مِنْ أنْ تنالَهُ الرَّكَلات؛
لا جَرَمَ أَغْلَبُ البلاءِ للأنبياء، فإنَّ رِياضَةَ الأخوامِ بلاء؛
أنتُمْ جِيادٌ عاثِرَةٌ وَمْنْ نَفَسي سِرْتُمْ هَوناً، لِتَصيروا وادِعِيْنَ وَتَصيرُوا مَرْكَباً للمَلِك؛
الرَّبُّ قالَ قُلْ تَعالَوا قُلْ تَعالَوا، أَيَّتُها الخُيُولُ الجافِلَةُ مِنَ الأدَب؛
لا تَغْتَمَّ أَيْ نَبِيُّ إنْ لَمْ يَعُودُوا، لا تَمْتَلِئْ مِنَ الغَضَبِ مِنَ الإِثْنَيْنِ بلا تَمْكين؛
أُذُنُ البَعْضِ صَمَّاءُ عَنْ نِداءاتِ تَعالَوا، لِكُلِّ حِصانٍ مِنْها اِصْطَبْلٌ آخَرٌ؛
البَعْضُ صارُوا مِنْ هذا النِّداءِ مُنْهَزِمين، لِكُلِّ حِصانٍ مِنْها حَظيرَةٌ مُنْفَصِلَة؛
البَعْضُ صارُوا مِنْ هذا القَصَصِ مُنْقَبِضين، لِكُلِّ طائرٍ مِنْهُمْ على حِدَةٍ قَفَص؛
الملائكُ أنْفُسُهُمْ كذلِكَ غَيْرُ مُتَساوينَ، لِهذا السَّبَبِ صارُوا على السَّماءِ صُفُوفاً؛
الأطْفالُ رَغْمَ أنَّهُمْ في مَكْتَبٍ واحِدٍ، هُمْ في السَّبْقِ واحِدٌ أعلى مِنَ الآخَر؛
للمَشْرِقِيِّ وللمَغْرِبِيِّ حَواسّ، مَنْصِبُ الرُّؤيَةِ حِسُّ العَيْنِ الصَّادِقَة؛
لَوْ مِئاتُ أُلُوفِ الآذانِ اصْطَفَّتْ، جَميعُها مُحْتاجَةٌ لِعَيْنٍ بَصيرَة؛
ثُمَّ إنَّ لِصَفِّ الآذانِ مَنْصِباً، في سَماعِ الرُّوحِ والأخبارِ والنَّبأ؛
ما لِمِئاتِ أُلُوفِ العُيُونِ ذاكَ الطَّريق، وما لِعَيْنٍ عَنِ السَّماعِ عِلْمٌ؛
وهكذا عُدَّ كُلَّ حِسٍّ حِسّاً، كُلُّ واحِدٍ عَنْ عَمَلِ ذاكَ الآخَرِ مَعْزول؛

خَمْسُ حَواسٍّ ظاهِرَةٌ وَخَمْسٌ باطِنَة، الصَّافُّونَ في القِيامِ عَشْرَةُ صُفُوف؛

كُلُّ شَخْصٍ مُتَمَرِّدٌ على صَفِّ الدِّيْن، يَذْهَبُ إلى صَفٍّ يَكُونُ ذا أَلَم؛

أنتَ لا تَنْقَطِعْ عَنْ حَديثِ تَعالَوا، هذا الحَديثُ كيمياءٌ عَجيبَةٌ جِدّاً؛

لَوْ أنَّ نُحاساً صارَ شاكِياً مِنْ حَديثِكَ، لا تَمْنَعْ عَنْهُ أَبَداً الكيمياء؛

إذا أوثَقَتْهُ الآنَ نَفْسُهُ السَّاحِرَة، حَديثُكَ سَوفَ يَنْفَعُهُ في الآخِرَة؛

قُلْ تَعالَوا قُلْ تَعالَوا أي غُلامْ ذاكَ أنَّ اللهَ يَدْعُو للسَّلامْ

أيْ سَيِّدُ ارْجِعْ عَنِ الأنانِيَّةِ والرِّئاسَة ، واطْلُبْ لِنَفْسِكَ قائداً وأقِلَّ طَلَبَ القِيادَة؛

اعْتِراضُ مُعْتَرِضٍ على الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ على تَأْميرِ ذاكَ الهُذَيْلِيّ

عِنْدَما عَيَّنَ النَّبِيُّ قائداً مِنْ هُذَيْل، على ذلِكَ الجَيْشِ مَنْصُورِ الخَيْل؛

فُضُولِيٌّ كانَ بلا صَبْرٍ مِنَ الحَسَد، رَفَعَ لِواءَ الإعْتِراضِ قالَ لا نُسَلِّم؛

أُنْظُرْ إلى الخَلْقِ كَيْفَ هُمْ ظَلْمانِيُّون، كَيْفَ هُمْ في المَتاعِ الفاني فانُون؛

إنَّهُمْ جَميعاً مِنَ التَّكَبُّرِ في تَفْرِقَة، مَوتى مِنَ الرُّوحِ أحْياءٌ في المَحْرَقَة؛

إنَّهُ لَعَجَبٌ أنَّ الرُّوحَ في الحَبْس، وأنَّ مِفْتاحَ حَبْسِها كائنٌ بِيَدِها؛

ذاكَ الشَّابُّ غارِقٌ مِنَ القَدَمِ للرَّأْسِ في الزِّبْل، وماءُ النَّهْرِ الجاري يَحْتَكُّ بِثَوبِه؛

دائماً في تَقَلُّبٍ مِنْ جَنْبٍ إلى جَنْبٍ بلا قَرار، في جِوارِ مَحَلٍّ للرَّاحَةَ وَظَهير؛

النُّورُ مُخْتَفٍ والبَحْثُ والطَّلَبُ شاهِدانِ، أنَّ القَلْبَ لا يَبْحَثُ عَنِ الملاذِ جُزافاً؛

لَوْ أنَّ سِجْنَ الدُّنيا كان بلا مَناص، ما كانَتْ وَحْشَةٌ ولا سَعى القَلْبُ للخلاص؛

الوَحْشَةُ كَأَنَّها المُوَكَّلُ يَسْحَبُك، أَنِ ابْحَثْ أَيْ ضالُّ عَنْ مِنْهاجِ الرَّشَد؛

هُناكَ مِنْهَاجٌ خَفِيٌّ وَفي مَكْمَنٍ، وُجْدانُهُ رَهْنٌ بالبَحْثِ عَنْهُ كَثيراً؛

الباحِثُونَ عَنِ التَّفْرِقَةِ جَميعاً في كَمين، أُنْظُرْ بِهذا الطَّالِبِ إلى جَبينِ المَطْلُوب؛

أمواتُ البُستانِ نَهَضُوا مِنَ الجُذُور، فافْهَمْ أَنَّ ذاكَ واهِبٌ للحَياة؛
مَتى كانَتْ عُيُونُ المَساجِيْنِ كُلَّ حِيْن ، على البابِ لَوْ لَمْ يَكُنْ هُناكَ مُبَشِّر؛
متى كانَ مِئاتُ أُلُوفِ المُلَوَّثين، يَطْلُبُونَ الماءَ لَوْ لَمْ يَكُنْ هُناكَ جَدْوَلُ ماء؛
على الأرْضِ لا يَكُونُ لِجَنْبِكَ اسْتِقْرار، لأنَّ في المَنْزِلِ لِحافٌ وَفِراش؛
لَولا وُجُودُ المَقَرِّ ما كانَ عَدَمُ القَرار، بلا رافِعٍ لِلْخُمارِ لا يَكُونُ هذا الخُمار؛
قالَ لا لا يا رَسُولَ الله، لا تَجْعَلْ قائداً للجَيْشِ غَيْرَ شَيْخٍ كَبير؛
يا رَسُولَ اللّهِ وَلَو كانَ الشَّابُّ اِبْنَ أَسَد، لا يصِحُّ قائداً للجَيْشِ غيرُ رَجُلٍ شِيْخ؛
وَأَنْتَ أَيْضاً قُلْتَ وَقَوْلُكَ شاهِد، يَجِبُ الشَّيْخُ يَجِبُ الشَّيْخُ للقائد؛
يا رَسُولَ اللّهِ في هذا الجَيْشِ فانْظُرْ، هُناكَ شُيُوخٌ كَثيرُونَ وَهُمْ مُقَدَّمُونَ عَلَيْه؛
لا تَنْظُرْ إلى الأوراقِ الصُّفْرِ مِنْ هذِهِ الشَّجَرَة، اِقْتَطِفْ مِنها تُفَّاحاتِها النَّاضِجَة؛
أوراقُها الصُّفْرُ نَفْسُها مَتى كانَتْ فارِغَة، إنَّها دَليلٌ على النُّضْجِ وأنَّها كامِلَة؛
الوَرَقَةُ الصَّفْراءُ لِحْيَةٌ وذاكَ الشَّعْرُ الأبيَض، يُعْطي البِشارَةَ أنَّ العَقْلَ ناضِجٌ؛
الأوراقُ الجَديدَةُ الخُضْرُ، علامَةٌ على أنَّ الفاكِهَةَ فَجَّةٌ؛
الوَرْقُ بلا وَرَقٍ علامَةُ العارِف، الذَّهَبُ الأصْفَرُ أحْمَرُ الوَجْهِ صارِف؛
وَرِدِيٌّ العارِضِ ذاكَ وَحَديثُ الخطّ، هُوَ في مَكْتَبِ الاِخْتِبارِ حَديثُ خَطّ؛
حُرُوفُ خَطِّهِ تَكُونُ عَوْجاءَ مائلَة، عَقْلُهُ عاجِزٌ وإنْ جَرى بَدَنُهُ مُسْرِعاً؛
وإنْ كانَتْ قَدَمُ الشَّيْخِ عَنِ العَدْوِ عاجِزَةً، عَقْلُهُ وَجَدَ الجَناحَيْنِ وَحَلَّقَ على الأوج؛
إنْ أَرَدْتَ المَثَلَ انْظُرْ إلى جَعْفَرٍ، الحَقُّ أَعْطاهُ بَدَلَ اليَدِ والقَدَمِ جَناحَيْن؛
واتْرُكَ الذَّهَبَ فَهذا الحَديثُ صارَ مُحْتَجِباً، قلبي هذا صارَ كالزِّئبَقِ مُضْطَرِباً؛
مِنْ داخِلي مِئاتُ الأنفاسِ العَذْبَةِ خامِدَةٌ، إنَّهُ يَضَعُ اليَدَ على الشِّفاهِ يَعني كفى؛
السُّكُوتُ بَحْرٌ والقَوْلُ مِثْلُ الجَدْوَل، البَحْرُ يَبْحَثُ عَنْكَ لا تَبْحَثْ عَنِ الجَدْول؛
مِنْ إشاراتِ البَحْرِ لا تَلْوِ الرَّأْس، اخْتَتِمْ واللهُ أَعْلَمُ بالصَّواب؛

وهكذا اسْتَمِرَّ ذاكَ الَّذي هُوَ بلا أَدَبٍ، في الحَديثِ أمامَ النَّبِيّ مِنْ شَفَةٍ بارِدَة؛
الحَديثُ يَمُدُّهُ وَهُوَ بلا خَبَرٍ، والخَبَرُ يَكُونُ عَبَثاً أمامَ النَّظَر؛
هذِهِ الأَخْبارُ عَنِ النَّظَرِ نائب، ليْسَتْ للحاضِرِ بَلْ لِأَجْلِ الغائِب؛
كُلُّ مَنْ صارَ بالنَّظَرِ مَوصولاً، صارَ هذا الخَبَرُ عِنْدَهُ مَعْزولاً؛
إذا كُنْتَ صِرْتَ جَليْسَ المَعْشُوق، فقُمْ بِدَفْعِ الدَّلّالينَ مِنْ بَعْدِ هذا؛
كُلُّ مَنْ عَبَرَ مِنَ الطُّفُولَةِ وَصارَ رَجُلاً، صارَ بارِداً لَهُ الكتابُ والدَّلّالَة؛
يَقْرَأُ الكِتابَ في طَلَبِ التَّعْليم، يَلْفُظُ الحَرْفَ مِنْ أَجْلِ التَّفهيم؛
قَولُ الخَبَرِ عِنْدَ النَّاظِرينَ خَطَأ، ذاكَ دَليلٌ على غَفْلَتِنا وَنُقْصانِنا؛
الصَّمْتُ عِنْدَ المُبْصِرِ لَكَ نَفْعٌ، مِنْ أَجْلِ هذا جاءَ خِطابُ أَنْصِتُوا؛
فإنْ قالَ لَكَ قُلْ فَقُلْ قَولاً جَميلاً، وقُلْ قليلاً ولا تَجْعَلِ الكلامَ طَويلاً؛
وإنْ قالَ لَكَ أطِلِ الحَديثَ، قُلْ وَأنتَ خَجِلٌ هكذا وامْتَثِلْ للأَمْر؛
مِثْلَما أنا في هذا الحَديثِ السَّاحِرِ الجَميل، مَعَ ضياءِ الحَقِّ حُسامِ الدِّيْن الآن؛
عِنْدَما أَقُومُ بإقْصارِ الحدِيْثِ مِنَ الرَّشَد، يَشُدُّني للحَديثِ بِمِئَةِ نَوعِ شَدّ؛
أي حُسامَ الدِّيْنِ ضِياءَ ذي الجلال، ما دُمْتَ تَرى ما بَحْثُكَ عَنِ المَقال؛
عَلَّ هذا كانَ حُبَّ المُشْتَهى اِسْقِنِي خَمْراً وَقُلْ لي إنَّها
جامُهُ هذِهِ اللَّحْظَةَ على فَمِكَ، وَتَقُولُ الأُذُنُ أيْنَ حِصَّةُ الأُذُن؛
قِسْمَتُكِ الحرارَةُ حرارَةٌ جَميلَةٌ وَسُكْر ، قالَتْ حِرْصي أَزيَدُ مِنْ هذا؛

جَوابُ المُصْطَفى عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ على المُعْتَرِض

في حُضُورِ المُصْطَفى بِطَبْعِ السُّكَّرِ، حِيْنَ جازَ الحَدَّ ذلِكَ العَرَبِيُّ في الحَديث؛
الشَّاهُ والنَّجْمُ وَسُلْطانُ عَبَسَ ذاكَ، عَضَّ على الشَّفَةِ قالَ لِبارِدِ النَّفَسِ ذاكَ كَفى؛
وَضَعَ اليَدَ مِنْ أجْلِ مَنْعِهِ على الفَم، إلى كَمْ تَقُولُ أمامَ عالِمِ السِّرّ؛

حَمَلْتَ البَعْرَ اليابِسَ إلى أمامِ البَصيرِ، أنْ اشتِرِ هذا بَدَلاً مِنْ مَزيجِ المِسْك؛
وَضَعْتَ هذا البَعْرَ أَيْ مُنْتِنَ الدِّماغِ مُنْتِنَ المُخّ، تَحْتَ الأنْفِ قائلاً ما أَطْيَبَ؛
تَقُولُ ما أطْيَبَ أَيُّها الحائرُ الأحْوَل، لِكَي تَجِدَ بِضاعَتُكَ الرَّديئةُ الرَّواج؛
حتَّى تَقُومَ بِخِداعِ تِلْكَ المَشَامّ الطَّاهِرَةِ، تِلْكَ الَّتي ترعى في رَوْضِ وَرْدِ الأفلاك؛
حِلْمُهُ وإنْ كانَ أظْهَرَ الجَهْل، تَجِبُ مَعْرِفَةُ النَّفْسِ قَليلاً؛
وَلَوَ بَقِيَتِ القِدْرُ اللَّيْلَةَ بلا غِطاء، يَجِبُ على القِطِّ أنْ يَمْتَلِكَ الحَياء؛
بَديعُ الجَمالِ ذاكَ رَغْمَ أَنَّهُ أنامَ النَّفْس، هُوَ يَقِظٌ جِدَّاً فلا تأخُذْ مِنْهُ العَمامَة؛
إلى كَمْ تَنْطِقُ أي لَجُوجاً بلا صَفا، بِنَفْثِ الشَّيْطانِ هذا أمامَ المُصْطَفى؛
هذِهِ الجَماعَةُ عِنْدَها مِئَةُ أَلْفِ حِلْمٍ، وَكُلُّ حِلْمٍ أَكْبَرُ مِئَةَ مَرَّةٍ مِنَ الجَبَل؛
حِلْمُهُمْ يَجْعَلُ الأبْلَهَ يَقِظاً، وَيُضِلُّ الذَّكِيَّ ذا مِئَةِ عَيْن؛
حِلْمُهُمْ مِثْلَ شَرابٍ لَذيذٍ بَديع، عَذْبٌ عُذُوبَةً تَصْعَدُ أعْلى الدِّماغ؛
أُنْظُرْ السَّكرانَ مِنْ ذلِكَ الشَّرابِ العَجيب، أَخَذَ يَعْوَجُّ في السَّيْرِ كالجَوادِ السَّكْران؛
الرَّجُلُ الشَّابُّ مِنْ ذلِكَ الشَّرابِ مُضْطَرِبٌ، يَسْقُطُ في وَسَطِ الطَّريقِ كَأَنَّهُ الشَّيْخ؛
خاصَّةً هذِهِ الخَمْرُ مِنْ دَنِّ *بَلى*، لا الخَمْرُ الَّتي سُكْرُها لَيْلَةٌ واحِدَة؛
خَمْرٍ مِنها أَصْحابُ الكَهْفِ مِنَ النُّقْلِ والنَّقْل، ثلاثَمائةٍ سِنينَ وَتِسْعاً فَقَدُوا العَقْل؛
خَمْرٍ شَرِبَتْ نِساءُ مِصْرَ مِنْها جاماً، فَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ مِنْها قِطَعاً قِطَعا؛
السَّاحِرونَ أيْضاً لَهُمْ سُكْرُ مُوسى، يَرَونَ الحَبيبَ في أعْوادِ المَشانِق؛
جَعْفَرُ الطَّيَّارُ كانَ سَكْرانَ تِلْكَ الخَمْر ، مِنْ ذلِكَ راهِنَ غافِلاً عَنِ اليَدِ والقَدَم؛

قَصَّةُ قَولِ بايَزيد سُبْحاني ما أَعْظَمَ شَأني واعْتِراضُ المُريدينَ وَجَوابُهُ لَهُمْ لا مِنْ طَرِيقِ مقالِ اللِّسانْ بَلْ مِنْ طَرِيقِ العِيان

جاءَ ذلِكَ الفَقيرُ المُحْتَشِمُ بايَزيد، إلى المُريدين قائلاً *إنَّني أنا الله*؛

قالَ في سُكْرٍ عِياناً ذُو الفُنون، *لا إلهَ إلَّا أنا فاعْبُدُون*؛

حِيْنَ انْقَضَتْ تِلْكَ الحالُ قالُوا لَهُ في الصَّباح، أنتَ كذا قُلْتَ هذا لَيْسَ بِصَلاح؛

قالَ إنْ جِئتُ هذِهِ المَرَّةَ بِهذِهِ المَشْغَلَة، فاطْعَنُوني بالسَّكاكينِ في اللَّحْظَة؛

الحَقُّ مُنَزَّهٌ عَنِ البَدَنِ وأنا لي بَدَن، كَيْفَ أقُولُ مِثْلَ هذا القَولِ وَجَبَ قَتْلي؛

وَكما أوصى ذلِكَ الرَّجُلُ الحُرُّ، كُلُّ مُريدٍ مِنْ مُريدِيْهِ أعَدَّ سِكِّيناً؛

عِنْدَما سَكِرَ ثانِيَةً مِنْ ذلِكَ الإِسْتِغْراقِ العَظيم، ذَهَبَتْ وَصاياهُ تِلْكَ مِنَ الخاطِر؛

جاءَ النُّقْلُ صارَ عَقْلُهُ شَريداً، طَلَعَ الصُّبْحُ صارَ شَمْعُهُ عاجِزاً؛

العَقْلُ كالشُّرَطِيِّ فإذا جاءَ السُّلْطانُ، يَنْسَحِبُ الشُّرَطِيُّ المِسْكينُ إلى الزَّاوِيَة؛

العَقْلُ كانَ ظِلَّ الحَقِّ والحَقُّ شَمْس، كَيْفَ يَقْدِرُ الظِّلُّ أنْ يُقاوِمَ الشَّمْس؛

إذا صارَ الجِنِّيُّ غالِباً على الإنسان، يَضيعُ مِنَ الإنسانِ وَصْفُ الإنسان؛

وكُلُّ ما قالَهُ ذلِكَ الجِنِّيّ، مِنْ هذِهِ الرَّأْسِ كانَ حَديْثُ تِلْكَ الرَّأْس؛

فإذا كانَ لِجِنِّيٍّ هذا النَّفَسُ والقانُون، خالِقُ ذاكَ الجِنِّيِّ نَفْسُهُ كَيْفَ يَكُون؛

هَوِيَّتُهُ ذَهَبَتْ وَصارَ هُوَ نَفْسُهُ الجِنِّيُّ، صارَ التُّرْكِيُّ ناطِقاً بالعَرَبِيَّةِ بلا إلهام؛

حِيْنَ عادَ لِلنَّفْسِ لَمْ يَعْرِفْ كَلِمَةً واحِدَةً، كَيْفَ يكُونُ للجِنِّيِّ هذِهِ الذَّاتُ والصِّفَة؛

فإلهُ الجِنِّيِّ والآدَمِيِّ إذَنْ، متى يكُونُ آخراً أَقَلَّ مِنَ الجَنِّيّ؛

صائدُ الأَسَدِ لَوْ شَرِبَ دَمَ الأسَدِ الذَّكَر، قُلْتَ هُوَ لَمْ يَفْعَلْ بَلْ فَعَلَتْ تِلْكَ الخَمْر؛

وَلَوْ صاغَ حَديثاً مِنَ الذَّهَبِ القَديم، قُلْتَ الخَمْرُ هِيَ الَّتي قالَتْ ذلِكَ الحَديث؛

فإذا كانَ للخَمْرَةِ هذا الشَّرُّ والفِتْنَةُ، أَلَيْسَ لِنُورِ الحَقِّ تِلْكُما المَعْرِفَةُ والقُدْرَة؛

أنْ يَجْعَلَكَ خالياً مِنْكَ كُلِّيّاً، وَتَصيرَ مُنْخَفِضاً وَيَقُولَ الكلامَ عالِياً؛
رَغْمَ أنَّ القُرآنَ مِنْ شَفَةِ النَّبِيِّ، كافِرٌ كُلُّ مَنْ قالَ الحَقُّ لَمْ يَقُلْ؛
وكطائرِ الهَما طارَ فاقِداً للنَّفْس، وَشَرَعَ بايزيد يقُولُ ذاكَ الكلام؛
اخْتَطَفَ العَقْلَ مِنْهُ سَيْلُ التَّحَيُّر، وقالَ أقْوى مِمَّا كانَ قالَ أَوَّلاً؛
لَيْسَ في جُبَّتي سِوى الله، فكَمْ تَبْحَثُونَ على الأرْضِ وفي السَّماء؛
المُريدُونَ أولئكَ صارُوا جَميعاً مَجانينَ، وَطَعَنُوا جِسْمَهُ الطَّاهِرَ بالسَّكاكين؛
كُلُّ واحِدٍ حَولَ جَبَلٍ كالمُلْحِدينَ، بلا وَهَنٍ طَعَنَ شَيْخَ نَفْسِهِ بِسِكِّيْن؛
كُلُّ مَنْ غَرَزَ شَفْرَةً في الشَّيْخ، انْعَكَسَ تَمْزيقُهُ إلى بَدَنِ نَفْسِه؛
ولا أَثَرَ أَبَداً على بَدَنِ ذي الفُنُون، وَغَرِقَ بالدَّمِ أولئكَ المُريدُونَ المُتْعَبُون؛
كُلُّ مَنْ وَجَّهَ الطَّعْنَةَ إلى جِهَةِ حَلْقِه، رأى حَلْقَ نَفْسِهِ قُطِعَ وماتَ عاجِزاً؛
وَذاكَ الَّذي طَعَنَهُ الطَّعْنَةَ في الصَّدْر، شَقَّ صَدْرَ نَفْسِهِ وَصارَ مَيّتَ الأبَد؛
مَنْ كانَ عالِماً بِصاحِبِ القِرانِ ذاكَ،لَمْ يُطِعْهُ القَلْبُ في ضَرْبِهِ الضَّرْبَ الشَّديد؛
نِصْفُ عِلْمِهِ بِهِ قَيَّدَ يَدَه، نجا بالرُّوحِ لكِنَّهُ جَرَحَ النَّفْس؛
انقَضى النَّهارُ وأولئكَ المُريدُونَ قَلُّوا، والنُّواحُ مِنْ منازِلِهِمُ ارْتَفَعَ؛
وجاءَ آلافُ الرِّجالِ والنِّساءِ إلى أمامِه، أنْ أَيْ عالَمَانِ دُرِجَا في قَميصٍ واحِد؛
بَدَنُكَ هذا لَو كانَ بَدَنَ إنسان، لَصارَ كَبَدَنِ الإنسانِ مُمَزَّقاً مِنَ الخَنْجَر؛
تَقَاتَلَ مَنْ هُوَ مَعَ النَّفْسِ مَعَ فاقِدَ النَّفْس، غَرَزَ الشَّوكَ بِالنَّفْسِ في عَيْنِ النَّفْس؛
أي مَنْ تَضْرِبُ فاقِدي النَّفْسِ بِذي الفَقار، أنتَ تَضْرِبُ بَدَنَ النَّفْسِ انْتَبِهْ لِذلِك؛
ذلِكَ لأنَّ فاقِدَ النَّفْسِ فانٍ وآمِن، إلى الأَبَدِ هُوَ في الأمْنِ ساكِن؛
رَسْمُهُ فانٍ وَهُوَ صارَ مِرْآةً، لَيْسَ إلّا صُورَةُ وَجْهِ الغَيْرِ هاهُناك؛
إذا تَفَلْتَ أنتَ تَتْفِلُ إلى جِهَةِ وَجْهِك، وإذا ضَرَبْتَ المِرْآةَ أنتَ تَضْرِبُ نَفْسَك؛
وإذا رَأَيْتَ وَجْهاً قَبيحاً فذاكَ أنت، وإذا رَأَيْتَ عِيسى بْنَ مَرْيَمَ فَهُوَ أنت؛

هُوَ لَيْسَ هذا ولَيْسَ ذاكَ هُوَ خام، إنَّهُ صُوْرَتَكَ أمامَكَ أقام؛
حِيْنَ وَصَلَ الحديثُ إلى هُنا انْغَلَقَتِ الشَّفَاهُ، حينَ وَصَلَ القَلَمُ إلى هُنا انْكَسَر؛
انْغَلَقَتِ الشِّفاهُ رَغْمَ أنَّ الفَصاحَةَ تَمُدّ، لا تَقُلْ حَرْفاً واللهُ أَعْلَمُ بالرَّشاد؛
أنتَ على حافَّةِ السَّطْحِ أَيْ سَكْرانَ المُدام، اجْلِسْ في خُضُوعٍ أو فانْزِلْ والسَّلام؛
في كُلِّ لَحْظَةٍ تَكُونُ فيها بِطِيْبِ عَيْش، طِيْبَ عَيْشِكَ ذاكَ اعْرِفْ حافَّةَ السَّطْح؛
في وَقْتِ السُّرُورِ فَلْتَكُنْ على خَوف، أَخْفِهِ مِثْلَ الكَنْزِ لا تُظْهِرْه؛
كي لا يَجيءَ البلاءُ على الوَلاءِ فَجْأَةً، هيَّا اذْهَبْ خائفاً فَزِعاً إلى ذلِكَ المَكْمَن؛
خَوْفُ الرُّوحِ وَقْتَ السُّرورِ مِنْ الزَّوال، يكونُ بالإرْتِحالِ عَنْ كنارِ سَطْحِ الغَيب؛
إذا كُنْتَ لا ترى كَنارَ سَطْحِ الغَيْب، الرُّوحُ تراهُ وَيَكُونُ لَها اهْتِزاز؛
كُلُّ نَكالٍ أتى فَجْأَةً، أتى مِنْ كَنارِ حافَّةِ السُّرُور؛
إلَّا مِنْ حافَّةِ السَّطْحِ لا يَكُونُ سُقُوط ، خُذِ العِبْرَةَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ وَقَومِ لُوط؛

بيانُ سَبَبِ الفَصاحَةِ وإكْثارِ القَوْلِ مِنْ ذلِكَ الفَضُولِيّ
في خِدْمَةِ الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلام

وَقَعَ شُعاعُ سُكْرٍ بلا حَدٍّ مِنَ النَّبِيّ، على الغَبِيّ فَأَسْكَرَ وأسَرَّ ذلِكَ الغَبِيّ؛
لا جَرَمَ صارَ كَثيرَ قَوْلٍ مِنَ النَّشاط، تَرَكَ الأَدَبَ مِنَ السُّكْرِ وجاءَ في الخُباط؛
فَقْدُ النَّفْسِ لا يَفْعَلُ الشَّرّ كُلَّ مكانٍ، لكِنَّ الخَمْرَ تَزيدُ في نَشاطِ فاقِدِ الأَدَب؛
فَمَنْ كانَ عاقِلاً يَصيرُ جَميلاً عَظيماً، وَمَنْ كانَ سَيِّئَ الطَّبْعِ صارَ أَسْوَأَ طَبْعاً؛
وَبِما أنَّ أغْلَبَ النَّاسِ سَيِّئونَ وَغَيْرُ قابِلين، جُعِلَتِ الخَمْرُ على الجَميعِ مُحَرَّمَة؛

بيانُ الرَّسُولِ عَلَيْهِ السَّلامُ سَبَبَ تَفْضيلِهِ واخْتيارِهِ ذلِكَ الهُذَيْلِيّ أميراً وقائداً للجَيْشِ على الشُّيُوخَ والعارِفينَ بالعَمَل

حُكْمُ أَغْلَبِ الأخْيارِ إذا غَلَبُوا الأشْرار، أنْ يَأخُذُوا مِنْ يَدِ قاطِعِ الطَّريقِ السَّيْف؛
قالَ النَّبِيُّ أَنْ أَيْ ناظِرَ الظَّاهِرِ، لا تَنْظُرْ إِلَيْهِ شابَّاً وبلا فَضْل؛
أي كَمْ مِنْ أَسْوَدِ لِحْيَةٍ وَهُوَ شَيْخٌ، أَيْ كَمْ مِنْ أَبْيَض لِحْيَةٍ بِقَلْبٍ كالقِير؛
لَقَدْ قُمْتُ بامْتِحانِ عَقْلِهِ لِمَرَّاتٍ، فِعْلُ ذلِكَ الشَّابِّ في الأُمُورِ فِعْلُ الشُّيُوخ؛
الشَّيْخُ هُوَ شَيْخُ العَقْلِ أَيْ وَلَد، لا أَبْيَضُ الشَّعْرِ في اللِّحْيَةِ والرَّأْس؛
متى كانَ شَيْخٌ أكْبَرَ في العُمُرِ مِنْ إبليس، ما دامَ عَقْلُهُ لا شَيْءٌ فَهُوَ لا شَيْء؛
واعْتَبِرْهُ طِفْلاً فإذا كانَ عَيْسَوِيَّ النَّفَس، كانَ طاهِراً مِنَ الغُرُورِ وَمِنَ الهَوَس؛
ذاكَ الشَّعْرُ الأَبْيَضُ دَليلُ نُضْجٍ، أمامَ ذي الْعَيْنِ المُغْلَقَةِ قَصيرِ الخُطى؛
لِذاكَ المُقَلِّدِ الَّذي لا يَعْرِفُ غَيْرَ الدَّليل، وَيَبْحَثُ دائماً بالعلامَةِ عَنِ السَّبيل؛
مِنْ أَجْلِهِ قُلْنا أنْ إذا أَرَدْتَ، أنْ تَقُومَ بالتَّدْبيرِ فاخْتَرِ الشَّيْخ؛
ذاكَ الَّذي خَرَجَ خارِجَ بُرْدَةِ التَّقْليد، يَرى بِنُورِ الحَقِّ كُلَّ مَوْجُود؛
نُورُهُ الطَّاهِرُ بلا دَليلٍ ولا بيان، شَقَ الجِلْدَ وَنَفَذَ إلى الدَّاخِل؛
ما الزَّيْفُ وما الصِّرْفُ عِنْدَ ناظِرِ الظَّاهِرِ، الَّذي لا يَعْرِفُ ما داخِلَ القَوْصَرَة؛
أيْ كَمْ مِنْ ذَهَبٍ سُوِّدَ بالدُّخان، حَتَّى يَنْجُوَ مِنْ يَدِ كُلِّ سارِقٍ حَسُود؛
أَيْ كَمْ مِنْ نُحاسٍ مَطْلِيٍّ بالذَّهَب، لِيُباعَ ذاكَ لِذي عَقْلٍ مُخْتَصَر؛
نَحْنُ ناظِرو الباطِنِ مِنْ كُلِّ المَمْلَكَة، نَظَرُنا إلى القَلْبِ ولا نَنْظُرُ إلى الظَّاهِر؛
القُضاةُ الَّذينَ يَدُورونَ حَوْلَ الظَّاهِر، يَحْكُمُونَ على الأَشْكالِ الظَّاهِرَة؛
حِيْنَ شَهِدَ واحِدٌ الشَّهادَةَ وَأَظْهَرَ الإيمان، حَكَمَ هَؤلاءِ القَومُ سَريعاً بِأَنَّهُ مُؤمِن؛
كَمْ مِنْ مُنافِقٍ فَرَّ إلى هذا الظَّاهِر، دَمَ مِئَةِ مُؤمِنٍ أراقَ في الخَفاء؛

فاجْتَهِدْ كَيْ تَصيرَ شَيْخَ عَقْلٍ وَدين، كَيْ تَصيرَ ناظِرَ الباطِنِ كالعَقْلِ الكُلِّيّ؛
عِنْدَما أَطَلَّ بِوَجْهِهِ العَقْلُ الجَميلُ مِنَ العَدَم، أعْطاهُ الخِلْعَةَ وَأَعْطاهُ أَلْفَ اِسْم؛
أَقَلُّ تِلْكَ الأسْماءِ لِذَلِكَ العَذْبِ النَّفَس، أنَّهُ لا يَكُونُ في حاجَةٍ لِشَخْصٍ أَبَداً؛
لَوْ أنَّ العَقْلَ أظْهَرَ الوَجْهَ في صُورَةٍ، لَصارَ النَّهارُ أَسْوَدَ أمامَ نُورِهِ؛
وَلَوْ أَنَّ مِثالَ الأَحْمَقِ صارَ ظاهِراً، لَصارَتْ ظُلْمَةُ اللَّيْلِ أمامَهُ مُضيئَةً؛
فَهُوَ أَظْلَمُ مِنَ اللَّيْلِ وَأَشَدُّ سَواداً، لكِنَّ الخَفَّاشَ الشَّقِيَّ يَشْتَرِي الظُّلْمَة؛
تَطَبَّعْ قليلاً قَليلاً بِنُورِ النَّهار، وإلَّا بَقِيْتَ خَفَّاشاً بلا ضِياء؛
عاشِقاً لِكُلِّ مكانٍ بِهِ شَكْلٌ وَمُشْكِل، عَدُوّاً لِكُلِّ مكانٍ بِهِ سِراجٌ مُقْبِل؛
قَلْبُهُ باحِثٌ عَنْ ظُلْمَةِ الإشْكال، حَتَّى يَظْهَرَ مَحْصُولُهُ أَزْيَد؛
لِيَجْعَلَ لَكَ مِنْ ذلِكَ المُشْكِلِ شاغِلاً ، وَيَجْعَلَكَ عَنْ أَصْلِ قُبْحِ نَفْسِهِ غافِلاً؛

علامَةُ العاقِلِ التَّامّ وَعَلامَةُ نِصْفِ العاقِلِ والرَّجُلِ التَّامّ وَنِصْفِ الرَّجُل وعلامَةُ الشَّقِيّ المَغْرُورِ بلا شَيْء

العاقِلُ ذاكَ الَّذي هُوَ في مَشْغَلَة، وَهُوَ الدَّليلُ والقائدُ للقافِلَة؛
يَسيرُ خَلْفَ نُورِ نَفْسِهِ ذاكَ السَّائرُ للأمام، تابِعُ نَفْسِهِ ذاكَ السَّائرُ بلا نَفْس؛
مُؤمِنٌ بِذاتِهِ فآمِنُوا بِهِ أيضاً، وَبِذلِكَ النُّورِ الَّذي ترعى رُوحُهُ مِنْه؛
وآخَرُ جاءَ نِصْفَ عاقِلٍ فإنَّهُ، اتَّخَذَ مِنْ عاقِلٍ بَصَراً لِنَفْسِه؛
تَمَسَّكَ بِهِ واتَّخَذَهُ كالأعْمى دَليلا، كَي يَصيرَ بِهِ مُبْصِراً مُحْكَماً وَجَليلا؛
وذاكَ الحِمارُ بلا مِثْقالِ حَبَّةِ شَعيرٍ مِنْ عَقْل، لَيْسَ لَدَيْهِ عَقْلٌ وَتَرَكَ العاقِل؛
لا يَعْرِفُ الطَّريقَ لا كَثيراً ولا قليلاً، وَيَعْتَبِرُ عَيْباً المَجيءَ خَلْفَ الدَّليل؛
يَذْهَبُ وَسطَ الصَّحْراءِ الواسِعَة، حِيْناً أَعْرَجَ يائساً وَحِيْناً راكِضاً؛
لا يَمْلِكُ شَمْعَةً لِيَتَّخِذَها قائداً لِلنَّفْس، ولا نِصْفَ شَمْعَةٍ تُضيءُ بالكاد؛

لا عَقْلَ لَهُ لِيَعيشَ حَياةَ الحَيّ، ولا نِصْفَ عَقْلٍ لِيَجْعَلَ مِنَ نَفْسِهِ مَيْتاً؛
لِيَجيءَ مَيْتاً لِذاكَ العاقِلِ على التَّمام، لِيَسْمُوَ بِالنَّفْسِ مِنَ الحَضيضِ للسَّماء؛
ما لَمْ يَكُنْ لَكَ عَقْلٌ كامِلٌ أَمِتِ النَّفْس، في ملاذِ عاقِلٍ حَيٍّ حَديثُهُ حَياة؛
لا هُوَ حَيٌّ لِيَكُونَ جَليسَ عِيسى، ولا مَيِّتٌ لِيَكُونَ مَوْقَعَ نَفَسِ عِيسى؛
رُوحُهُ العَمياءُ تَخْطُو إلى كُلِّ جِهَة ، في العاقِبَةِ لا يَقْفِزُ ولكِنْ يَخْبِط؛

قِصَّةُ المُسْتَنْقَعِ والصَّيَّادينَ وَالسَّمَكاتِ الثَّلاث، واحِدَةٌ عاقِلَةٌ
وواحِدَةٌ نِصْفُ عاقِلَةٍ وَتِلْكَ الأُخْرى مَغْرُورَةٌ وَبَلْهاءُ وَمُغَفَّلَةٌ
لا شَيْء وَعاقِبَةُ كُلٍّ مِنَ السَّمَكاتِ الثَّلاث

قِصَّةُ ذلِكَ المُسْتَنْقَعِ أَيْ عَنُود، أَنَّهُ كانَ بِهِ ثلاثُ سَمَكاتٍ كبيرات؛
قَدْ تَكُونُ قَرَأْتَ ذلِكَ في كَليلَةَ لكِنَّ ذاكَ، كانَ قِشْرَ القِصَّةِ وَهذا لُبُّ الرُّوح؛
بِضْعَةُ صَيَّادينَ مِنْ جِهَةِ ذلِكَ المُسْتَنْقَع، مَرُّوا وَرَأَوا ذلِكَ المُضْمَر؛
أَسْرَعَ الصَّيَّادُونَ لِيَأْتُوا بالشِّباك، السَّمَكاتُ صِرْنَ واقِفاتٍ على ذاكَ وَقَلِقات؛
تِلْكَ العاقِلَةُ عَزَمَتْ على المَسيرِ، في الطَّريقِ المُشْكِلِ وَغَيْرِ المَرْغُوب؛
قالَتْ لَيْسَ لي مَعَهُما مَشْوَرَة، فَيَقيناً سَتَجْعَلانِني ضَعيفَةً بلا مَقْدِرَة؛
حُبُّ الزَّادِ والوُجُودِ خَدَعَ أَرْواحَهُنّ، سَيَضَعْنَ عَجْزَهُنَّ عَلَيَّ وَجَهْلَهُنّ؛
يَجِبُ للمَشْوَرَةِ حَيٌّ جَميلٌ، يَجْعَلُكَ حَيّاً وَأَيْنَ ذلِكَ الحَيّ؛
أيْ مُسافِرُ تَشاوَرْ مَعَ المُسافِر، ذاكَ أنَّ رَأْيَ المَرْأَةِ يَجْعَلُ قَدَمَكَ عَرْجاء؛
مِنْ حَديثِ حُبِّ الوَطَنِ اعْبُرْ ولا تَتَوَقَّفْ، الوَطَنُ ها هُناكَ أَيْ عَزيزُ لا ها هُنا؛
إنْ تُرِدِ الوَطَنَ اعْبُرْ مِنْ ذلِكَ لِجِهَةِ الشَّطّ، هذا الحَديثَ الصَّحيحَ لا تَقْرَأْ غَلَطاً؛

سِرُّ قِراءَةِ المُتَوَضِّئِ أَوْرادَ الوُضُوء

فِي الوُضُوءِ لِكُلِّ عُضْوٍ وِرْدٌ مُخْتَلِفٌ، وَرَدَ بالخَبَرِ مِنْ أَجْلِ الدُّعاء؛
حِيْنَ تَقُومُ بالاِسْتِنْشاقِ بالأنْف، أُطْلُبْ رائِحَةَ الجَنَّةِ مِنَ الرَّبِّ الغَنِيّ؛
حتَّى يَسْحَبَكَ ذاكَ العَبيرُ نَحْوَ الجِنان، عَبيرُ الوَرْدِ دَليلٌ على أَشْجارِ الوَرْد؛
حِيْنَ تَقُومُ بالاِسْتِنْجاءِ الوِرْدُ هُوَ القَوْل، يا رَبِّ طَهِّرْني مِنْ هذا؛
وَصَلَتْ يَدي إلى هُنا فَغَسَلْتُ هذا، وَيَدي في غَسْلِ الرُّوحِ عاجِزَة؛
لَمْ تُعْطِ شَخْصاً رُوحاً سَيِّئَةَ الفِطْرَة، أوصِلْ يَدَ الفَضْلِ مِنْكَ إلى الأرواح؛
حَدِّيْ كانَ هذا فَعَلْتُ فِعْلَ اللَّئيم، مِنْ تِلْكَ الجِهَةِ اجْعَلْ حَدِّي نَقِيَّاً أَيْ كَريم؛
لَقَدْ غَسَلْتُ مِنَ الحَدَثِ الجِلْدَ يا رَبّ ، فاغْسِلْ أَنْتَ مِنَ الحَوادِثِ هذا المُحِبّ؛

شَخْصٌ كانَ يَقُولُ في وَقْتِ الاِسْتِنْجاء اللَّهُمَّ أَرِحْني رائِحَةَ الجَنَّة بَدَلَ اللَّهُمَّ *اجْعَلْني مِنَ التَّوَّابينَ واجْعَلْني مِنَ المُتَطَهِّرين* الَّذي هُوَ وِرْدُ الاِسْتِنجاء، وكانَ يَقُولُ وِرْدَ الاِسْتِنجاءِ في وَقْتِ الاِسْتِنْشاق، سَمِعَ عَزيزٌ فَلَمْ يُطِقْ هذا

ذاكَ واحِدٌ في وَقْتِ الاِسْتِنْجاءِ قال، اجْعَلْني شَفيعاً لِرائِحَةِ الجَنَّة؛
فقالَ شَخْصٌ لَقَدْ جِئْتَ بِوِرْدٍ جَميلٍ، لكِنَّكَ ضَيَّعْتَ نافِذَةَ الدُّعاء؛
هذا الدُّعاءُ كانَ وِرْدَ الأنْف، كَيْفَ جِئْتَ بِوِرْدِ الأَنْفِ للمَقْعَد؛
يَجِدُ مِنَ الأنْفِ رائِحَةَ الْجَنَّةِ الحُرّ، متى تَجيءُ رائِحَةُ الْجَنَّةِ مِنَ الدُّبُر؛
بِأيِّ خُضُوعٍ تَجيءُ أمامَ البُلَهاء، وبِأَيِّ تَكَبُّرٍ تَجيءُ أمامَ المُلُوك؛
ذاكَ التَّكَبُّرُ على الأخِسَّاءِ حَسَنٌ وَلائِقٌ، ألا لا تَسِرْ مَعْكُوساً عَكْسُ السَّيْرِ قَيْد؛
مِنْ أَجْلِ فُتْحَةِ الأنْفِ نَبَتَ الوَرْد، الرَّائِحَةُ وَظِيْفَةُ الأنفِ أَيْ عُتُل؛

عَبيرُ الوَرْدِ مِنْ أَجْلِ المَشامِّ أَيْ شُجاع، مَحَلُّ ذاكَ لَيْسَ هذا الثُّقْبُ السُّفْلِيُّ؛
مَتى يَجيئُكَ مِنْ هُنا عَبيرُ الخُلْد، إذا كانَ يَلْزِمُك العَبيرُ اُطْلُبْهُ مِنْ مَوضِعِه؛
كَذلِكَ حُبُّ الوَطَنِ الَّذي هُوَ صَحيح، أنتَ اعْرِفِ الوَطَنَ أَوَّلاً أَيْ سَيِّد؛
قالَتْ تِلْكَ السَّمَكَةُ الذَّكِيَّةُ أنا ماضِيَةٌ، سَأَنْزِعُ القَلْبَ مِنْ رَأْيِهِما وَمَشْوَرَتِهِما؛
لَيْسَ الوَقْتُ وَقْتَ مَشْوَرَةٍ، اجْعَلِ الآهَ في البِئْرِ كَعَلِيّ؛
مُحرِمُ تِلْكَ الآهِ نادِرُ الوُجُودِ ولكِنْ، سِرْ في اللَّيْلِ وَسِرْ في الخَفاءِ كالعَسَس؛
اِجْعَلِ العَزْمَ نَحْوَ البَحْرِ مِنْ هذا المُسْتَنْقَع، اُطْلُبِ البَحْرَ وَقُلْ بِتَرْكِ هذِهِ الدَّوَّامَة؛
جَعَلَتِ الصَّدْر قَدَماً وَسارَتْ تِلْكَ الحَذُور، مِنَ المَقامِ ذي الخَطَرِ إلى بَحْرِ النُّور؛
مِثْلَ غَزالٍ كانَ في إِثْرِهِ كَلْب، يَظَلُّ يَجْري ما دامَ في بَدَنِهِ عِرْق؛
نَومُ الأَرْنَبِ والكَلْبُ في طَلَبِهِ خَطَأ، وَأَيْنَ النَّومُ مِنَ العَيْنِ الَّتي كانَتْ خائِفة؛
مَشَتْ تِلْكَ السَّمَكَةُ وَأَخَذَتْ طَريقَ البَحْر، أَخَذَتِ الطَّريقَ البَعيدَ العَريضَ الواسِع؛
عانَتِ الكَثيرَ مِنَ الآلامِ وفي العاقِبَة، وَصَلَتْ أخيراً إلى جِهَةِ الأَمْنِ والعافِيَة؛
وَأَلْقَتْ بِنَفْسِها في البَحْرِ العَميق، ذاكَ الَّذي هُوَ مِنْ كُلِّ طَرَفٍ بلا حَدّ؛
وَلَمَّا أتى الصَّيَّادُونَ بالشِّباك، نِصْفُ العاقِلَةِ صارَتْ مِنْ ذاكَ في مرارَةٍ وَعناء؛
قالَتْ آهٍ لَقَدْ فَوَّتُّ الفُرْصَةَ لَمَّا، لَمْ أَصِرْ رَفيقَ طَريقِ ذاكَ الدَّليل؛
لكِنْ ما دامَتْ قَدْ ذَهَبَتْ فَجْأَةً، وكانَ يَجِبُ عَلَيَّ السَّيْرُ خَلْفَها مُسْرِعَة؛
إنَّ التَّحَسُّرَ على ما مَضى خَطَاء، ما مَضى سَوْفَ لَنْ يَعُودَ وَتَذَكُّرُ ذاكَ هَباء؛

قِصَّةُ ذلِكَ الطَّائِرِ المَأْسُورِ الَّذي أوصى أن لا تَأْسَفْ على ما مَضى وَفَكِّرْ في تَدارُكِ الوَقْت ولا تَقْضِ العُمْرَ في النَّدَم

ذاكَ واحِدٌ أَمْسَكَ طائراً بالمَكْرِ والحِيلَة، قالَ لَهُ الطَّائِرُ يا أَيُّها السَّيِّدُ الهُمام؛
أَنْتَ أَكَلْتَ الكَثيرَ مِنَ الثِّيْرانِ والشِّياه، وَأَنْتَ ذَبَحْتَ الكَثيرَ مِنَ الجِمال؛

لَمْ تَصِرْ شَبْعانَ مِنْ كُلِّ ذاكَ في الزَّمَن، وَلَنْ تَصيرَ شَبْعانَ مِنْ أجزائي أنا؛
أطْلِقْني لِكَيْ أُعْطِيَكَ ثلاثاً مِنَ النَّصائح، حَتَّى تَعْلَمَ أَذَكِيٌّ أنا أمْ أنا أَبْلَه؛
أوَّلَ نَصيحَةٍ أُعْطِيْكَ وَأنا في يَدِك، والثَّانِيَةُ مِنْ على جِدارِكَ الطِّيْنِيِّ هذا؛
والثَّالِثَةَ أُعْطِيْكَ مِنْ على الشَّجَرَة، لأجْعَلَكَ بِهذِهِ النَّصائحِ الثَّلاثِ حَسَنَ البَخْت؛
تِلْكَ الَّتي على اليَدِ هِيَ هذا القَوْلُ، إيَّاكَ أَنْ تُصَدِّقَ المُحالَ مِنْ شَخْص؛
حِيْنَ قالَ أَوَّلَ نَصيحَةٍ عَظيمَةٍ على كَفِّه، صارَ حُرَّاً وَطارَ إلى ذلِكَ الجِدار؛
قالَ الثَّانِيَةُ لا تَحْزَنْ على ما مَضى، إذا ضاعَ مِنْكَ شَيْءٌ لا تَتَحَسَّرْ عَلَيْه؛
بَعْدَ ذاكَ قالَ لَهُ إنَّ في جِسْمِيَ الكَتيم، مِثْقالَ عَشْرِ دراهِمِ مِنَ الدُّرِّ اليَتيم؛
كانَتْ دَوْلَتُكَ وَكانَ بَخْتُ أولادِكَ، في ذلِكَ الجَوْهَرِ وَحَقِّ رُوحِك؛
فَوَّتَّ الدُّرَّ إذْ لَمْ يَكُنْ لَكَ رِزْقاً، وما مِنْ مِثْلٍ لِذلِكَ الدُّرِّ في الوُجُود؛
كما هِيَ وَقْتَ الوِلادَةِ الحامِلَة، أنَّ السَّيِّدُ صارَ السَّيِّدُ في غَلْغَلَة؛
قالَ لَهُ الطَّائرُ أَلَيْسَ قَدْ نَصَحْتُكَ، أنْ لا تَغْتَمَّ على ما مَضى؛
ما دامَ قَدْ ذَهَبَ وَمَضى لِماذا تَغْتَمّ، إمَّا أنتَ لَمْ تَفْهَمْ نَصيحَتي أو أنتَ أطْرَش؛
وتِلْكَ النَّصيحَةَ الثَّانِيَةَ قُلْتُ لَكَ، لا تُصَدِّقْ مِنَ الضَّلالِ قَوْلَ المُحال؛
أنا كُلِّيْ لَسْتُ مِثْقالَ ثلاثَةِ دراهِمَ أَيْ أَسَد، فَكَيْفَ يَكُونُ فِيَّ مِثْقالُ عَشْرَةِ دراهِم؛
عادَ السَّيِّدُ إلى النَّفْسِ قالَ هَيَّا، قُلْ لي تِلْكَ النَّصيحَةَ الطَّيِّبَةَ الثَّالِثَة؛
قالَ نَعَمْ عَمِلْتَ حَسَناً باثْنَتَيْنِ، كَيْ أَقُولَ لَكَ النَّصيحَةَ الثَّالِثَةَ مَجَّاناً بلا عِوَض؛
إنَّ قَوْلَ النَّصيحَةِ للجَهُولِ النَّؤوم، مِثْلَ إلْقاءِ البُذُورِ في الأرْضِ المالِحَة؛
إنَّ شِقَّ الحُمْقِ والجَهْلِ لا يَقْبَلُ الرَّفْوَ ، أقِلَّ مِنْ إعطائِهِ الحِكْمَةَ أيُّها النَّاصِح؛

تَفكيرُ تِلْكَ السَّمَكَةِ نِصْفِ العاقِلَةِ بالحِيْلَةِ وإماتَتُها النَّفْس

قالَتْ تِلْكَ السَّمَكَةُ الأُخْرى وَقْتَ البلاء، وَقَدْ صارَتْ مُنْفَصِلَةً عَنْ ظِلِّ العاقِلَة؛
ضاعَ مِنّي مِثْلُ ذاكَ الرَّفيقِ الشَّفيق، ذَهَبَ إلى جِهَةِ البَحْرِ مِنَ الهَمِّ العَتيق؛
لكِنْ لَنْ أُفَكِّرَ بِذلِكَ وَسَأَعْتَمِدُ على النَّفْس، سَأَجْعَلُ مِنْ نَفْسي هذِهِ اللَّحْظَةَ مَيْتَةً؛
سَأَجْعَلُ بَطْني إلى جِهَةِ الأَعْلى والظَّهْرَ للأَسْفَل، وأمْضي على أَعلى الماء؛
أمضي عَلَيْهِ كما يَمْضي عَلَيْهِ القَشّ، لا بالسِّباحَةِ كما يَمْضي بِهِ الأَشْخاص؛
سَأَجْعَلُ نَفْسي مَيْتَةً وَأُسْلِمُ النَّفْسَ للماء، المَوْتُ قَبْلَ المَوْتِ أَمْنٌ مِنَ العَذاب؛
المَوتُ قَبْلَ المَوْتِ أَمْنٌ يا فَتى هكذا قَدْ قالَ فينا المُصْطَفى؛
قالَ مُوتُوا كُلُّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ المَوتُ وَتَفْنَوا بالفِتَن؛
ماتَتْ هكذا وَجَعَلَتِ البَطْنَ للأَعْلى، يَخْفِضُها الماءُ تارَةً وَيَرْفَعُها؛
القاصِدُونَ كُلُّهُمْ حَزِنُوا كَثيراً، أنْ أَسَفاً السَّمَكَةُ الأَفْضَلُ ماتَتْ؛
كانَتْ تَسْعَدُ مِنْ أَسَفِهِمْ ذاكَ، أنْ نَجَحَتْ لُعْبَتي وَنَجَوْتُ مِنَ السَّيْف؛
أمْسَكَ بِها الصَّيَّادُ الكَبير، ثُمَّ تَفَلَ عَلَيْها وَأَلْقاها على الأَرْض؛
وَراحَتْ تَزَحْلَقُ إلى الماءِ واخْتَفَتْ، وَبَقِيَتْ تِلْكَ الحَمْقاءُ الثَّالِثَةُ تَضْطَرِب؛
تَثِبُ تِلْكَ المُشْرِفَةُ على الهلاكِ يُمْنَةً وَيُسْرَةً، كي تَنْجُوَ مِنَ الشِّباكِ بِجُهْدِ النَّفْسِ؛
رَمَوا الشِّباكَ وَعَلِقَتْ في الشِّباك، الحُمْقُ ألقى بِها داخِلَ تِلْكَ النَّار؛
على رَأْسِ النَّارِ في المِقْلاةِ على الظَّهْر، صارَتْ ضَجيعَةً لِحَماقَتِها؛
وَهِيَ تَغْلي مِنْ حَرارَةِ السَّعير، والعَقْلُ يَقُولُ أَلَمْ يَأْتِكِ نَذير؛
وَهِيَ تَقُولُ مِنَ الأذى وَمِنَ البَلا، مِثْلَ رُوْحِ الكافِرينَ *قالُوا بَلى*؛
وَأَعادَتِ القَوْلَ أَنَّني هذِهِ المَرَّة، إذا ما نَجَوْتُ مِنَ المِحْنَةِ القاتِلَة؛

سَوْفَ لَنْ أَسيرَ إلّا إلى بَحْرِ الوَطَن، سَوْفَ لَنْ أَتَّخِذَ مِنَ المُسْتَنْقَعِ سَكَناً؛
سَأَبْحَثُ عَنْ ماءٍ بلا حَدٍّ وَأَصيرُ آمِنَةً ، وَأَسيرُ إلى الأَبَدِ في أَمْنٍ وَعافِيَة؛

بَيان أنَّ عَهْدَ الأَحْمَقِ وَقْتَ الأَخْذِ والنَّدَمِ لا يَمْلِكُ أَيَّ وَفاءٍ أَنْ لَوْ رُدُّوا لَعادُوا لِما نُهُوا عِنْهُ وإنَّهُمْ لَكاذِبُون

الصُّبْحُ الكاذِبُ لا يَمْلِكُ أَيَّ وَفاء

العَقْلُ يَقُولُ للأَحْمَقِ مَعَكَ الحَماقَة، إنَّ صاحِبَ الحَماقَةِ يَكْسِرُ العَهْد؛
العَقْلُ هُوَ الَّذي مَعَهُ الوَفاءُ بالعُهُود، أنتَ لا تَمْلِكُ العَقْلَ اذْهَبْ أَيْ كالحِمار؛
العَقْلُ هُوَ الَّذي يَتَذَكَّرُ عَهْدَ النَّفْس، العَقْلُ هُوَ الَّذي يُمَزِّقُ حِجابَ النِّسْيان؛
بِما أَنَّكَ بلا عَقْلٍ النِّسْيانُ أميرُك، هُوَ عَدُوٌّ لَكَ وَمُبْطِلٌ تَدْبيرَك؛
مِنْ قِلَّةِ عَقْلِ الفَراشِ الخَسيس، لا يَتَذَكَّرُ النَّارَ والحَريقَ والحَسيس؛
حِيْنَ كانَ جناحُ الفَراشَةِ يَحْتَرِقُ تابَتْ، حِرْصُها وَنِسْيانُها أَلْقَيا بها في النَّار؛
الضَّبْطُ والدَّرْكُ والحافِظَةُ والذَّاكِرَة، هِيَ لِلْعَقْلِ والعَقْلُ يَرْفَعُ ذاك؛
ما لَمْ يَكُنْ جَوْهَراً كَيْفَ يَكُونُ لَهُ سُطُوع، مَنْ لا مُذَكِّرَ لَهُ كَيْفَ يَكُونُ لَهُ رُجُوع؛
هذا التَّمَنّي أَيْضاً مِنْ انْعِدامِ عَقْلِه، إذْ لا يَرى الحَماقَةَ فيهِ فَهِيَ طَبْعُه؛
تِلْكَ النَّدامَةُ كانَتْ نَتيجَةَ الأَلَم، لا مِنَ العَقْلِ المُضيْءِ كَأَنَّهُ الكَنْز؛
عِنْدَما ذَهَبَ الأَلَمُ انْعَدَمَتْ تِلْكَ النَّدامَة، تِلْكُما التَّوْبَةُ والنَّدَمُ لا يُساوِيانِ التُّراب؛
ذلِكَ النَّدَمُ حَمَلَ الحِمْلَ مِنْ ظُلْمَةِ الغَمّ، فَكلامُ اللَّيْلِ يَمْحُوهُ النَّهار؛
عِنْدَما تَذْهَبُ ظُلْمَةُ الغَمِّ وَيَصيرُ مَسْرُوراً، تَذْهَبُ مِنَ القَلْبِ نَتيجَتُه وَمَولُودُها؛
هُوَ يَقُومُ بالتَّوْبَةِ وَشَيْخُ العَقْلِ ، يَصْرُخُ يَقُولُ لَوْ رُدُّوا لَعادُوا؛

فِي بيانِ أَنَّ الوَهْمَ زَيْفُ العَقْلِ وَخَصْمُهُ وأَنَّهُ شَبيهٌ بِهِ وَلَيْسَ هُوَ وَقِصَّةُ مُجاوَباتِ مُوسى عَلَيْهِ السَّلام الَّذي كانَ صاحِبَ عَقْلٍ لِفِرْعَونَ الَّذي كانَ صاحِبَ وَهْم

العَقْلُ ضِدُّ الشَّهْوَةِ أَيْ شُجاع، ذاكَ الَّذي يَحُومُ حَوْلَ الشَّهْوَةِ لا تُسَمِّهِ عَقْلاً؛
ذاكَ الَّذي يَسْتَجْدي الشَّهْوَةَ سَمِّهِ الوَهْم، الوَهْمُ زَيْفُ صَحيحِ ذَهَبِ العُقُول؛
الوَهْمُ والعَقْلُ لا يَصيرانِ ظاهِرَيْنِ بلا مِحَكّ، اِنْقِلْ كِلا الاِثْنَيْنِ جِهَةَ المِحَكّ؛
هذا المِحَكُّ هُوَ القُرْآنُ وَحالُ الأنبياء، إذْ هُمَّا كالمِحَكِّ يَقُولانِ للزَّائِفِ تَعال؛
حَتَّى تَرى نَفْسَكَ مِنْ أذايَ، وَأَنَّكَ لَسْتَ أَهْلاً لِرَفْعِيْ وَخَفْضِي؛
الْعَقْلُ لَوْ شَطَرَهُ المِنْشارُ نِصْفَيْن، يَبْقى في النَّارِ مُبْتَسِماً كالذَّهَب؛
وَهْمُ فِرْعَوْنَ حارِقٌ للعالَم، عَقْلُ مُوسى مُضِيْءٌ للرُّوح؛
ذَهَبَ مُوسى في طَريقِ العَدَم، قالَ لَهُ فِرْعَونُ قُلْ مِنْ تَكُون؛
قالَ أنا العَقْلُ رَسُولُ ذي الجلال، أنا حُجَّةُ اللهِ والأمانُ مِنَ الضَّلال؛
قالَ كَلَّا فاسْكُتْ وَدَعْ هذِهِ الغَوغاء، قُلْ نِسْبَتَكَ واسْمَكَ القَديمَيْن؛
قالَ اعْلَمْ نِسْبَتي مِنَ التُّراب، اِسْمي الأَصيلُ هُوَ أَقَلُّ عَبيدِه؛
اِبْنُ عَبْدِ ذاكَ الإلهِ الوَحيد، مَولُودٌ مِنْ ظُهُورِ الجَواري والعَبيد؛
نَسَبِيْ الأَصْلِيُّ مِنَ التُّرابِ والماءِ والطِّيْن، اللهُ وَهَبَ الماءَ والطِّيْنَ الرُّوحَ والقَلْب؛
مَرْجِعُ هذا الجِسْمِ التُّرابِيِّ للتُّرابِ أَيْضاً، مَرْجِعُكَ أنتَ أَيْضاً أي رَهيبُ للتُّراب؛
أَصْلُنا وَأَصْلُ كُلِّ المُعانِدِيْنَ مِنَ التُّراب، عِنْدي على ذاكَ مِئَةُ علامَة؛
فإنَّ بَدَنَكَ يَأْخُذُ المَدَدَ مِنَ التُّراب، مِنْ غِذاءِ التُّرابِ عُنُقُكَ التَفّ؛
حِيْنَ تَذْهَبُ الرُّوحُ يَعُودُ مِنْ جَديدٍ تُراباً، داخِلَ ذلِكَ القَبْرِ المَخُوفِ المَهُول؛
أَيْضاً أنتَ وأَيْضاً نَحْنُ وأَيْضاً أَشْباهُك، نَصيرُ تُراباً ولا يَدُومُ جاهُك؛

قالَ غَيْرَ هذا النَّسَبِ لَكَ اِسْمٌ، وَذَلِكَ الاِسْمُ نَفْسُهُ بِكَ أَولى؛
عَبْدٌ لِفِرْعَونَ وَعَبْدٌ لِعَبيدِه، رَبَّى مِنْهُ أَوَّلاً جِسْمَهُ وَرُوْحَه؛
عَبْدٌ آبِقٌ طاغٍ ظَلُوم، فَرَّ مِنَ الوَطَنِ مِنْ فِعْلِ الشُّؤم؛
قاتِلٌ وناكِرُ حَقٍّ وَغَدَّار، وَقِسْ على هذِهِ الأوصافِ أَيْضاً؛
غَريبٌ مَهينٌ دَرْويشٌ خَلَق، لا يَعْرِفُ شُكْرَنا ولا يَعْرِفُ الحَقّ؛
قالَ حاشا أنْ يَكُونَ مَعَ ذاكَ المَليك، في الأُلُوهِيَّةِ شَخْصٌ آخَرُ شَريك؛
واحِدٌ ما لَهُ في مُلْكِهِ مُعين، وَما لِعَبيدِهِ مِنْ سَيِّدٍ سِواه؛
ما لِخَلْقِهِ غَيْرَهُ مِنْ مالِك، ما ادَّعى دَعْوى شَراكَتِهِ غَيْرُ هالِك؛
هُوَ الَّذي صَوَّرَ وَهُوَ مُصَوِّري، إذا ادَّعى غَيْرُهُ ذاكَ كانَ ظالِماً؛
أنتَ لا تَقْدِرُ أنْ تَصْنَعَ حاجِبي، فَكَيْفَ تَقْدِرُ أَنْ تَعْرِفَ رُوحِي؛
بَلْ أَنْتَ ذاكَ الغَدَّارُ وَذاكَ الطَّاغِيَة، الَّذي تَقُومُ بِدَعْوى الشَّراكَةِ مَعَ الحَقّ؛
إذا كُنْتُ قَتَلْتُ عُواناً بِسَهْو، أنا لَمْ أَقْتُلْ لأجْلِ نَفْسٍ ولا للَّهْو؛
أنا وَكَزْتُهُ وَسَقَطَ فَجْأَةً، ذاكَ الَّذي لَمْ تَكُنْ لَهُ الرُّوحُ أَسْلَمَ الرُّوح؛
قَتَلْتُ كَلْباً وَأَنْتَ مُرْسِلُ المَواليدِ للمَوت، مِئَةَ أَلْفِ طِفْلٍ بلا أَذىً ولا جُرْم؛
قَتَلْتَهُم وَدِماؤهُمْ في رَقَبَتِك، ماذا سَيُصيبُكَ مِنْ سَفْكِ الدِّماءِ هذا؛
قَتَلْتَ ذُرِّيَّةَ يَعْقُوب، بِأَمَلِ قَتْلي أنا المَطْلُوب؛
رَغْماً عَنْكَ اخْتارَني الحَقّ، كُلُّ ما أَعْدَدْتَ صارَ مَقْلُوباً؛
قالَ هذِهِ دَعْ بلا أَيِّ شَكّ، أكانَ هذا حَقِّي مِنْكَ وَحَقَّ الخُبْزِ والمِلْح؛
أنْ تَجْعَلَني مَهيناً أمامَ الخَلْق، وَتَجْعَلَ النَّهارَ المُضيءَ ظُلْمَةً على قَلبي؛
قالَ هَوانُ القِيامَةِ أَصْعَب، إنْ لَمْ تَكُنْ لَكَ عِنايَتي في الخَيرِ والشَّرّ؛
أنتَ لا تَسْتَطيعُ احْتِمالَ لَسْعَةِ بَعُوضَةٍ، كَيْفَ تُريدُ أنْ تَذُوقَ لَدْغَةَ الحَيَّة؛
أنا ظاهِراً أجْعَلُ أمْرَكَ خَراباً ، أنا في الحَقيقَةِ أَجْعَلُ الشَّوكَ بُسْتاناً؛

بَيان في أَنَّ العَمارَةَ في الخَراب والجَمْعَ في التَّفْرِقَة والصِّحَّةَ في الإِنكِسار والمُرادَ في تَرْكِ المُراد والوُجُودَ في العَدَم، وعلى هذا قِسْ بَقِيَّةَ الأَضْدادِ والأزواج

ذاكَ واحِدٌ جاءَ يَفْلَحُ الأَرْض، فَصَرَخَ بِهِ أَبْلَهٌ بِشِدَّةٍ وَحَمَلَ عَلَيْهِ؛
أنْ لماذا تَقُومُ بِتَخْريبِ هذِهِ الأَرْض، لِماذا تَقُومُ بِشَقِّها وَبَعْثَرَتِها؛
قالَ أَيْ أَبْلَهُ اذْهَبْ لا تَحْمِلْ عَلَيَّ، اِعْلَمْ أَنَّ العمارَةَ تَكُونُ مِنَ الخَراب؛
مَتى تَصيرُ هذِهِ الأَرْضُ بُستاناً وَقَمْحاً، ما لَمْ تُخَرَّبْ مِنْ قَبْلِ ذاكَ وَتُشَوَّه؛
متى تَصيرُ بساتينَ وَزُرُوعَاً ووَرَقاً وَبَرَّاً، ما لَمْ يَصِرْ نَظْمُها خَشِناً وأعلاهُ أسْفَلَه؛
ما لَمْ تَشُقَّ الجِلْدَ فَوْقَ الخُرَّاجِ بالمَبْضَع، متى يَصيرُ جَميلاً وَيَتَحَوَّلُ إلى بَديع؛
ما لَمْ تَغْسِلِ الأَخْلاطَ بالدَّواء، متى يَذْهَبُ الاِلْتِهابُ وَمِنْ أَيْنَ يَأْتِيَ الشِّفاء؛
لَقَدْ قَطَّعَ خَيَّاطٌ الثَّوبَ قِطَعاً، فَهَلْ قامَ شَخْصٌ بِضَرْبِ ذلِكَ الخَيَّاطِ العَلَّامَة؛
أنْ لِمَ قَطَّعْتَ هذا الأَطْلَسَ المُمَيَّزَ، ما أعْمَلُ بالمُقَطَّعِ بَعْدَ أَنْ قَطَّعْتَه؛
كُلُّ بِناءٍ قَديمٍ جَعَلُوهُ عامِراً، أَلَيْسَ أَوَّلاً خَرَبُوا هذا القَديم؛
وهكذا النَّجَّارُ والحَدَّادُ والقَصَّاب، مِنْ قَبْلِ العَماراتِ لَهُمْ خَراب؛
دَقُّ ذاكَ الإهليلَجِ وذاكَ البَليلَج، تَلَفٌ مِنْهُ يَصيرُ مَعْمُوراً البَدَن؛
ما لَمْ تَطْحَنِ القَمْحَ في الطَّاحُون، متى تَصيرُ مُزَيَّنَةً مِنْ ذاكَ مائِدَتُنا؛
دَفَعَني لِعَمَلِ ذاكَ حَقُّ الخُبْزِ والمِلْح، حَتَّى أُحَرِّرَكَ مِنَ السِّتَّارَةِ أَيْ سَمَك؛
إنْ قَبِلْتَ نَصيحَةَ مُوسى نَجَوْتَ، مِنْ تِلْكَ السِّتَّارَةِ السَّيِّئَةِ بلا مُنْتَهى؛
كَمْ جَعَلْتَ مِنَ نَفْسِكَ عَبْداً للهَوى، جَعَلْتَ الدُّودَةَ الصَّغيرَةَ تَصيرُ أَفْعى؛
أنا جَلَبْتُ أفْعى للأفْعى، كَيْ أَقُومَ بالإصلاحِ شَيْئاً فَشَيْئاً؛
كَيْ يَخْمَدَ نَفَسُ تِلْكَ مِنْ نَفَسِ هذِه، كَيْ تَقْتَلِعَ أَفعايَ ذلِكَ الثُّعْبان؛

فإنْ قَبِلْتَ نَجَوْتَ مِنْ كِلْتا الحَيَّتَيْن، وإلَّا حَلَّ بِرُوحِكَ ذلِكَ الدَّمار؛

قالَ حَقّاً أنتَ أُسْتاذٌ قَوِيٌّ في السِّحْر، وَقَدْ أَوْقَعْتَ بالمَكْرِ هُنا فِئَتَيْن؛

كانَ الخَلْقُ مُتَّفِقِينَ فَجَعَلْتَهُمْ فِئَتَيْن، السِّحْرُ يَشُقُّ الصَّخْرَ وَيَشُقُّ الجِبال؛

قالَ أنا غَريقُ رِسالَةِ الله، مَتى رَأَيْتَ السِّحْرَ مَعَ اسْمِ الله؛

الغَفْلَةُ والكُفْرُ أَصْلُ السِّحْر، الرُّوحُ المُوسَوِيُّ مَشْعَلَةُ الدِّيْن؛

ما شَبَهي بالسَّاحِرِينَ أَيْ وَقيح، وَمِنْ نَفَسي يَمْتَلِئُ غَيْرَةً المَسيح؛

ما شَبَهي بالسَّاحِرِينَ أَيْ جُنُب، وَمِنْ رُوحي تَسْتَنيرُ الكُتُب؛

ما دُمْتَ تَطيرُ الطَّيَرانَ بِجَناحِ الهَوى، لا جَرَمَ تَحْمِلُ ظَنَّ ذلِكَ عَلَيَّ؛

مَنْ فِعْلُهُ فِعْلُ الفَخِّ والوَحْشِ المُفْتَرِسِ، يَكُونُ سَيِّئَ الظَّنِّ بالكِرام؛

ما دُمْتَ جُزْءَ الكُلِّ حَيْثُما تَنَسَّمْتَ، رَأَيْتَ الكُلَّ على وَصْفِكَ غَوِيّاً؛

إذا أصابَكَ الدُّوارُ وَصِرْتَ دائرَ الرَّأْس، رأى نَظَرُكَ البَيْتَ دائراً؛

وإذا رُحْتَ في السَّفينِ جارِياً على اليَمّ، رَأَيْتَ ساحِلَ اليَمِّ آنَذاكَ يَجْري؛

وَإذا صِرْتَ مَهْمُوماً مِنْ مَلْحَمَة، رَأَيْتَ جَوَّ الدُّنيا ضَيِّقاً كُلَّه؛

وإذا صِرْتَ سَعيداً بِرِفْقَةِ الرِّفاق، بَدَتْ لَكَ الدُّنيا مِثْلَ رَوْضِ الوَرْد؛

أي كَمْ مِنْ شَخْصٍ ذَهَبَ إلى الشَّامِ والعِراق، فَلَمْ يَرَ شَيْئاً سِوى الكُفْرَ والنِّفاق؛

وَكَمْ مِنْ شَخْصٍ ذَهَبَ إلى الهِنْدِ وَهِراة، فَلَمْ يَرَ شَيْئاً سِوى البَيْعَ والشِّراء؛

وَكَمْ مِنْ شَخْصٍ ذَهَبَ إلى تُرْكِيّا والصِّيْن، فَلَمْ يَرَ شَيْئاً سِوى المَكْرَ والكَمين؛

إذا كانَ لا يُدْرِكُ إلَّا اللَّونَ والرَّائِحَة، قُلْ لَهُ ابْحَثْ في الأقاليمِ كُلِّها؛

لَو أنَّ بَقَرَةً أَتَتْ فَجْأَةً إلى بَغْداد، وانتَقَلَتْ فيها مِنْ مَحَلَّةٍ إلى مَحَلَّة؛

سَوفَ لَنْ تَرى غَيْرَ قِشْرِ البِطِّيْخ، مِنْ كُلِّ أنواعِ المَآكِلِ والمَلَذَّاتِ والطُّعُوم؛

قِشْرَ البِطِّيخِ الواقِعَ على الأرْضِ أوِ الحَشيش، اللَّائقانِ بالأبقارِ أو بالحَمير؛

اليابِسَةِ على مِسْمارِ الطَّبيعَةِ كالقَديد، المُتَعَلِّقَةِ بِأَسْبابِ النَّفْسِ لا تَزيد؛

ذاكَ الفَضاءُ الخارِقُ للأسْبابِ والعِلَل، هُوَ أَرْضُ اللهِ أَيُّها الصَّدْرُ الأجَلّ؛
كُلَّ لَحْظَةٍ يَصيرُ مُبَدَّلاً كَرَسْمِ الرُّوح، تَرى العالَمَ بالعِيانِ حَرَكَةً حَرَكَة؛
وَلَو كانَ الفِرْدَوْسَ ولَو كانَتْ أنهارَ الجِنان، ما جُعِلَ على صِفَةٍ واحِدَةٍ قَبيحٌ؛

بَيان في أنَّهُ لِكُلِّ حِسٍّ مُدْرِكٍ مِنَ الآدَمِيّ مُدْرَكاتٌ مُخْتَلِفَة، وأنَّ كُلَّ حِسٍّ عَنْ مُدْرَكاتِ ذلِكَ الحِسِّ الآخَرِ غافِلٌ كما أَنَّ كُلَّ صاحِبِ مِهْنَةٍ أُسْتاذٌ بِمِهْنَتِهِ وَأَعْجَمِيٌّ عَنْ عَمَلِ أُسْتاذِ المِهْنَةِ الأُخْرى وَجَهْلُهُ مِنْ كَوْنِ تِلْكَ لَيْسَتْ وَظِيْفَتَهُ لا يُقيمُ الدَّليلَ على أنَّ تِلْكَ لَيْسَتْ مُدْرَكاتٍ رَغْمَ أَنَّهُ بِحُكْمِ الحالِ كانَ مُنْكِراً لِذلِك لكِنْ لا نُريدُ مِنْ إنكارِهِ هُنا غَيْرَ الجَهْلِ في هذا المقام

دائِرَةُ مَنْظَرِ العالَمِ إدراكُك، حِجابُ الطَّاهِرينَ حِسُّكَ المُلَوَّث؛
اِغْسِلِ الحِسَّ مُدَّةً مِنْ ماءِ العِيان، هكذا اعْرِفْ غَسْلَ الصُّوْفِيّ للثَّوب؛
حِيْنَ تَصيرُ طاهِراً تَرْفَعُ الحِجاب، رُوحُ الطَّاهِرينَ نَفْسُها تُشِعُّ عَلَيْك؛
لَوْ كانَ العالَمُ كُلُّهُ صُوَراً وَنُوراً، يَكُونُ للعَيْنِ عَنْ ذلِكَ الجَمالِ خَبَر؛
أَغْلَقْتَ عَيْنَكَ وَتُقَدِّمُ الأُذُنَ للأمام، لَتُظْهِرَ لَكَ جدائلَ وَجَبينَ مَعْشُوقِكَ؛
تَقُولُ الأُذُنُ أنا لا أُؤمِنُ بالصُّوْرَة، لو كانَ صَوتٌ مِنَ الصُّوْرَةِ فأنا أَسْمَعُه؛
أنا عالِمَةٌ لكِنْ في فَنِّ نَفْسي، فَنِّي مِنَ الحَرْفِ والصَّوتِ لا أكْثَر؛
أَيْ أَنْفُ تعالَ وانْظُرْ هذا الجَمال، يَقُولُ الأنْفُ لَسْتُ مُلائماً لِهذا المَطْلُوب؛
لَو كانَ مِسْكاً وماءَ وَرْدٍ شَمَمْتُ العَبير، أنا بهذا الفَنِّ والعِلْمِ خَبير؛
مَتى أرى جَبينَ ذاكَ الفِضِّيِّ السَّاق، ألا لا تُكَلِّفْني ما لا يُطاق؛
الحسُّ الأعوجُ لا يرى غَيْرَ العِوَج، سواءً أَكانَ ما أمامَهُ مُسْتَقيماً أمْ أعوجاً؛

عَيْنُ الأحْوَلِ عَنْ رُؤيَةِ الواحِدِ على اليقين، مَعْزولَةٌ اعلَمْ أيُّها السَّيِّدُ المُعين؛
أَي مَنْ أَنْتَ فِرْعَونُ كُلُّكَ خِداعٌ وَمَكْرٌ، أنتَ لا ترى الفَرْقَ بيني وَبَيْنَكَ؛
لا تَنْظُرْ إلَيَّ مِنَ النَّفْسِ أَيْ أعْوَجُ ثانِيَةً، كي لا ترى الواحِدَ اثْنَيْن؛
انظُرْ إلَيَّ مِنِّي ساعَةً واحِدَة، حَتَّى ترى وراءَ الكَونِ ساحَةً؛
تَنْجو مِنَ الضِّيْقِ والشُّهْرَةِ والعار، وترى العِشْقَ في العِشْقِ والسَّلام؛
فاعْلَمْ أنَّكَ عِنْدَما تَتَحَرَّرُ مِنَ البَدَنِ، تَعَرِفُ أنَّ الأُذُنَ والأنْفَ يصيرانِ عَيْناً؛
ذلِكَ المَلِكُ عَذْبُ الحديْثِ قالَ حَقّاً، أنَّ كُلَّ شَعْرَةٍ مِنَ العارِفينَ تَصيرُ عَيْناً؛
هذِهِ العَيْنُ لَمْ تكُنْ تُبْصِرُ في البِدايَةِ يَقيناً، كانَتْ في الرَّحِمِ لَحْماً جَنيناً؛
لا تَعْتَبِرْ عِلَّةَ الرُّؤيَةِ الشَّحْمَ أَيْ وَلَد، وإلَّا ما رأى شَخْصٌ الصُّوَرَ في النَّوم؛
ذانِكَ الجِنِّيُّ والعِفْريتُ يريانِ الشَّبيه، وَلَيْسَ في ناظِرِ كِلا الاِثْنَيْنِ شَحْم؛
لَيْسَ للنُّورِ إلى الشَّحْمِ نَفْسِهِ نِسْبَةٌ، لَقَدْ وَهَبَهُ النِّسْبَةَ الخَلَّاقُ الوَدُود؛
آدَمُ مِنَ التُّرابِ مَتى أَشْبَهَ التُّراب، الجِنِّيُّ مِنَ النَّارِ بلا أَيِّ اشْتِراك؛
لَيْسَ ذاكَ الجِنِّيُّ مِثْلَ عَيْنِ النَّار، رَغْمَ أنَّها أَصْلُهُ إذا ما نَظَرْت؛
الطَّائرُ مِنَ الهَواء مَتى أَشْبَهَ الهَواء، اللهُ أعطى النِّسْبَةَ لِغَيْرِ مُناسِب؛
نِسْبَةُ هذِهِ الفُرُوعِ مَعَ الأُصُول، هِيَ بلا كَيْفِيَّةٍ هُوَ أعطاها الوُصُول؛
الآدَمِيُّ مِنْ حَيْثُ هُوَ مَولودٌ مِنَ التُّرابِ الهَباء، أيْنَ نِسْبَةٌ لِهذا الوَلَدِ مَعَ الأب؛
إذا كانَتْ نِسْبَةٌ فَهِيَ مَخْفِيَّةٌ عَنِ العَقْل، تكونُ بلا كَيْفِيَّةٍ فَمَتى ينالُها العَقْل؛
الرِّيْحُ لَوْ لَمْ تُعْطَ الرُّؤيَةَ بلا عَيْن، كَيْفَ كانَتْ تُفَرِّقُ ما بَيْنَ قَومِ عاد؛
كَيْفَ كانَتْ تَعْرِفُ المُؤمِنَ مِنَ العَدُوّ، كيفَ كانَتْ تُمَيِّزُ الخَمْرَ مِنَ الكَأس؛
نارُ نَمْرود لَو لَمْ يكُنْ لها رُؤية، لِماذا قامَتْ بِتَحَمُّلِ الأذى مَعَ الخَليل؛
إذا لَمْ يَكُنْ للنِّيْلِ ذلِكَ النُّورُ والنَّظَر، كَيْفَ اختارَ القِبْطِيَّ مِنَ السِّبْطِيّ؛
إذا لَمْ يَكُنِ الجَبَلُ والحَجَرُ مُبْصِرَيْن، كَيْفَ صارا لِداوُدَ مُعينَيْن؛

هذِهِ الأرْضُ لَوْ لَمْ يَكُنْ لها عَيْنٌ للرُّوح، كَيْفَ خَسَفَتْ بِقارُونَ بِذلِكَ الشَّكْل؛
لَوْ لَمْ يَكُنْ للحَنَّانَةِ عَيْنُ قَلْبٍ، كَيْفَ رَأَتْ هَجْرَ ذاكَ الحَكيم؛
لَوْ لَمْ تَكُنِ الحَصى مُبْصِرَةً، كَيْفَ قامَتْ بالشَّهادَةِ في قَبْضَةِ الكَفّ؛
أيُّها العَقْلُ افْتَحِ الجَناحَ والرِّيْشَ، واقْرَأْ سُورَةَ إذا زُلْزِلَتْ زِلْزالَها؛
هذِهِ الأرْضُ في القِيامَةِ على الخَيْرِ والشَّرّ، متى تَقُومُ بالشَّهادَةِ إذا لَمْ تَكُنْ تَرَى؛
أنْ تُحَدِّثُ حالَها وَأَخْبارَها، تُظْهِرُ الأرْضُ لنا أسْرارَها؛
إرسالي مُرْسَلاً إلَيْكَ أَيْ أمير، دَليلٌ على وُجُودِ مُرسِلٍ خَبير؛
أنْ مِثْلُ هذا الدَّواءِ لِمِثْلِ هذا النَّاسُور، يَكُونُ مُناسِباً وَهُوَ دواءٌ مَيسور؛
كُنْتَ رَأَيْتَ واقِعاتٍ مِنْ قَبْلِ هذا، بِشَأني وأنَّ اللهَ يُريدُ أنْ يَجْعَلَني مُخْتاراً؛
رَأَيْتَني أمْسَكْتُ العَصا والنُّورَ بِيَدِي، رَأَيْتَني كَسَرْتُ قَرْنَكَ المُتَهَوِّر؛
واقِعاتٍ مَهُولاتٍ لِأَجْلِ هذا، مِنْ كُلِّ نَوعٍ يُظْهِرُ لَكَ رَبُّ الدِّيْن؛
مُناسِباتٍ لِسِرِّكَ السَّيِّئِ وَطُغيانِك، حَتَّى تَعْلَمَ أنَّهُ قادِرٌ عَلَيْك؛
حَتَّى تَعْلَمَ أنَّهُ حكيمٌ وَخَبيرٌ، مُصْلِحُ الأمراضِ الَّتي لا تَقْبَلُ العِلاج؛
وَأَنْتَ تَرْجِعُ مِنْ ذلِكَ بالتَّأويلات، أعْمىً وأصَمَّ أنْ هذا مِنَ النَّومِ الثَّقيل؛
وذاكَ الطَّبيبُ وذاكَ المُنَجِّمُ في اللُّمَع، رآى تَعْبيرَهُ وَغَطَّاهُ مِنَ الطَّمَع؛
قالَ: بَعيدٌ عَنْ دَولَتِكَ وَعَنْ سُلْطانِكَ، أنْ يَجيءَ الغَمُّ في أخبارِك؛
مُضْطَرِبُ الطَّبْعِ دائماً يرى المنام، مِنَ الغِذاءِ المُخْتَلِفِ أو مِنَ الطَّعام؛
وذاكَ لأَنَّهُ رآكَ لَسْتَ طالِبَ نَصيحَةٍ، فَأنتَ الظَّلُومُ قاتِلُ المُعَذَّبينَ والمَساكين؛
المُلُوكُ يُريقُونَ الدِّماءَ لِلْمَصْلَحَة، لكِنَّ رَحْمَتَهُمْ زائِدَةٌ على العَنَت؛
يَجِبُ على الشَّاهِ أنْ يكونَ بِطَبْعِ رَبٍّ، وأنْ تَكُونَ رَحْمَتُهُ سابِقَةً على الغَضَب؛
لا يكونُ غَضَبُهُ غالِباً كالشَّيْطان، يُرِيْقُ الدَّمَ بلا ضَرُورَةٍ زوراً؛
كما لا يَكُونُ حِلْمُهُ شَبيهَ حِلْمِ المُخَنَّث، فَتَصيرَ نِساؤهُ عواهِرَ وجواريه؛

جَعَلْتَ مِنَ الصَّدْرِ مَنزِلاً للشَّيْطان، واتَّخَذْتَ قِبْلَةً مَبْنِيَّةً مِنَ الحِقْد؛
قَرْنُكَ الحادُّ جَرَحَ كثيراً مِنَ الأكباد ، عصايَ الجَميلَةُ كَسَرَتْ قَرْنَ وَقاحَتِك؛

حَمْلَةُ أَهْلِ هذا العالَمِ على أَهْلِ ذاكَ العالَمِ والهُجُومُ إلى ما وراءِ الذَّرِّ والنَّسْلِ الَّذي هُوَ حَدُّ الغَيْبِ وَغَفْلَتُهُمْ عَنِ الكَمين، أنْ إذا لَمْ يَذْهَبِ الغازي للغَزو قامَ الكافِرُ بالإغارَة

لَقَدْ حَمَلَ جَيْشُ الجِسْمانِيّين، على قَلْعَةِ وَسُورِ الرُّوحانِيّين؛
لِيُحاصِرُوا مَنْ هُمْ في قلْعَةِ الغَيْب، كي لا يَجيءَ مِنْ تِلْكَ الجِهَةِ طاهِرُ الجَيْب؛
إذا أَحْجَمَ الغُزاةُ عَنِ الغَزْو، الكافِرُونَ على العَكْسِ يَقُومونَ بالحَمْلَة؛
لَمَّا غُزاةُ الغَيْبِ مِنْ حِلْمِ أَنْفُسِهِم، لَمْ يَحْمِلُوا عَلَيْكَ أيْ قَبيحَ المَذْهَب؛
قُمْتَ بالحَمْلَةِ على أَسْرى الغَيْب، كَيْ لا يَجِيْءَ لِهذِهِ الجِهَةِ رِجالُ الغَيْب؛
قُمْتَ بالحَرْبِ على الأَصْلابِ والأرحام، كَيْ تَقُومَ بالإمساكِ بالشَّارِعِ مِنَ السُّوء؛
حِيْنَ تَحَكَّمْتَ بالطَّرِيقِ الأوسَعِ الَّذي، فَتَحَهُ ذو الجلالِ مِنْ أَجْلِ الإنتِسال؛
صِرْتَ سَدَّاً على الأَسْرى أَيْ لَجُوج، في عَمىً مِنْكَ قامَ القائِدُ بالخُرُوج؛
أنا قائدٌ أَكْسِرُ جَيْشَكَ، أنا أَكْسِرُ شُهْرَتَكَ وَفَخْرَك؛
أَقْبِلْ إلى الأَسْرِ مُحْكَمِ القَيْد، كَمْ مَرَّةً ضَحِكْتَ على شارِبِك؛
سَأَنْتَزِعُ شارِبَكَ شَعْرَةً شَعْرَةً بِقَدَر، حتَّى تَعْلَمَ أَنَّ القَدَرَ يُعْمي الحَذَر؛
أَعُنْفُوانُكَ أَشَدُّ أَمْ عُنْفُوانُ قَوْمِ عاد، الَّذينَ كانَتْ تَرْتَعِدُ مِنْ نَفَسِهِمُ البِلاد؛
أَأَنتَ أَشَدُّ في الخِصامِ أَمْ ثَمُود، الَّذينَ لَمْ يَجِئْ مِثْلُهُمْ في الوُجُود؛
وَلَوْ ذَكَرْتُ المِئاتِ مِنْ هذا أنتَ أَصَمٌّ، سَمِعْتَ وَجِئْتَ لَمْ تَسْمَعْ؛
لَقَدْ تُبْتُ عَنِ الحَديثِ الَّذي أَثَرْتُ، أَعْدَدْتُ لَكَ مَزِيجَ الدَّواءِ بلا حَديث؛
أَضَعُهُ على لِحْيَتِكَ الخامِ لِتَنْضَجَ، أو تَحْتَرِقَ لِحْيَتُكَ وَذُؤابَتُكَ إلى الأَبَد؛

حَتَّى تَعْلَمَ أَيْ عَدُوٌّ أَنَّهُ خَبيرٌ، وَأَنَّهُ يُعطي كُلَّ شَيْءٍ ما يُوائِمُه؛
مَتى قُمْتَ بالاِعْوِجاجِ وَمَتى فَعَلْتَ الشَّرَّ، وَلَمْ تَرَ ما يَليقُ بِهِ وَراءَهُ في الأَثَر؛
مَتى أَرْسَلْتَ نَفَساً عَذْباً إلى السَّماء، وَلَمْ يَجِئْ في الأَثَرِ مِثْلُ ذاك؛
إذا كُنْتَ مُراقِباً وَصاحِياً، ترى في كُلِّ لَحْظَةٍ جَوابَ عَمَلِك؛
إذا كُنْتَ مُراقِباً وَتَمَسَّكْتَ بالزِّمام، لا حاجَةَ بِكَ إلى مَجيْءِ القِيامَة؛
ذاكَ الَّذي عَرِفَ الرَّمْزَ صَحيحاً، لا يَحْتاجُ أَنْ يُقالَ لَهُ صَريحاً؛
هذا البلاءُ يَأتيكَ مِنَ الحَماقَة، إذْ لَمْ تَفْهَمِ الرُّمُوزَ والنِّكات؛
حينَ يَصيرُ القَلْبُ أَسْوَدَ مُظْلِماً مِنَ السُّوء، اِفْهَمْ هُنا لا يَليقُ الكَونُ حَيْراناً؛
وإلَّا فإنَّكَ تَصيرُ أَسْوَدَ وَذلِكَ السَّواد، يَصِلُ إِلَيْكَ جزاءً لِحَيْرَتِك؛
وإذا لَمْ يَجِئِ السَّوادُ فَمِنْ عَفْوِه، وَلَيْسَ مِنْ كَونِهِ لَمْ يَرَ خِيانَتَكَ؛
ألا كُنْ مُراقِباً إذا كُنْتَ في حاجَةِ القَلْب، ففي إثْرِ كُلِّ فِعْلٍ تَزيدُ شَيْئاً؛
وإذا كانَتْ لَكَ هِمَّةٌ مِنْ هذِهِ الزِّيادَة ، يَجري عَمَلُكَ أعلى مِنَ المُراقِب؛

بيانٌ في أنَّ البَدَنَ التُّرابِيَّ للآدَمِيِّ مِثْل الحَديدِ، حَسَنُ الجَوهَرِ قابِلٌ لِيَصيرَ مِرْآةً حَتَّى يُظْهِرَ الجَنَّةَ والنَّارَ والقِيامَةَ وَغَيْرَ ذلِكَ فيهِ مُعايَنَةً لا عَنْ طَريقِ الخَيال، وفي الدُّنيا أيْضاً

إذَنْ رَغْمَ أَنَّكَ مُظْلِمُ الهَيْكَلِ كالحَديد، قُمْ بالصَّقْلِ قُمْ بالصَّقْلِ أَيْ صَيْقَلِيّ؛
لِيَصيرَ قَلْبُكَ مِرْآةً مَمْلُوءَةً بالصُّوَر، في داخِلِهِ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ مَليحٌ فِضِّيٌّ صَدْر؛
الحَديدُ رَغْمَ أنَّهُ أَسْوَدٌ وَبِلا نُور، صَقْلُهُ يَمحُو ذاكَ السَّوادَ عَنْه؛
الصَّيْقَلِيُّ رأى الحَديدَ وَجَعَلَ وَجْهَهُ جَميلاً، حتَّى يَسْتَطيعَ أنْ يرى الصُّوَرَ فيه؛
مهما كانَ البَدَنُ التُّرابِيُّ كَثيفاً وَأَسْوَداً، قُمْ بِصَقْلِهِ لأنَّهُ قابِلٌ للصَّقْل؛
كي تُظْهِرَ الأَشْكالُ الغَيْبِيَّةُ بِهِ الوَجْه، وَتَنْبَثِقَ مِنْهُ صُوَرُ الحُورِ والمَلَك؛

صَقْلُ عَقْلِكَ ذاكَ كانَ عَطاءَ الحَقّ، بِهِ صارَ مَقْرُوءاً للقَلْبِ الوَرَق؛
أنتَ قَيَّدْتَ الصَّقْلَ أي بلا صُورَة، وَفَكَكْتَ القَيْدَ عَنْ يَدَي ذلِكَ الهَوى؛
وَلَو أنَّكَ وَضَعْتَ القَيْدَ على الهَوى، لَجَعَلْتَ حُرَّةً يَدَ الصَّيْقَلِيّ؛
الحَديدُ الَّذي كانَ مِرْآةً للغَيْب، جُمْلَةُ الصُّوَرِ تَصيرُ مُرْسَلَةً إِلَيْه؛
أصْدَأتَهُ وَجَعَلْتَ عَلَيْهِ السَّواد، ذاكَ يَسْعَونَ في الأَرْضِ الفَساد؛
ما كُنْتَ تَعْمَلُ إلى الآنَ لا تَعْمَل، لَقَدْ أَظْلَمْتَ الماءَ لا تَفْعَلْ زِيادَة؛
لا تُعَكِّرِ الماءَ لِيَظَلَّ في صَفاء، وَتَرى القَمَرَ والنُّجُومَ تَطُوفُ في الماء؛
ذلِكَ أنَّ النَّاسَ مِثْلَ ماءِ النَّهْر، إذا صارَ عَكِراً لا تَرى مِنْهُ القَعْر؛
قَعْرُ النَّهْرِ مَليءٌ بالجَوْهَرِ والدُّرّ، ألا لا تُظْلِمْهُ تِلْكَ أوصافُ الحُرّ؛
رُوحُ النَّاسِ شَبيهَةٌ بالهَواء، إذا خالَطَهُ الغُبارُ صارَ حِجاباً على السَّماء؛
فَيَصيرَ مانِعاً مِنْ رُؤيَةِ الشَّمْس، فإذا ذَهَبَ الغُبارُ مِنْهُ صارَ صافِياً ورائقاً؛
مَعَ كَمالِ كَدَرِكَ يُظْهِرُ لَكَ الحَقُّ ، الوقائِعَ لِتَذْهَبَ في طَرِيقِ النَّجاة؛

ذِكْرُ مُوسى عليهِ السّلامُ لأسْرارِ فِرْعَونَ والوقائعَ الَّتي وَقَعَتْ لَهُ ظَهْرَ الغَيْب حتَّى يُؤمِنَ بأنَّ الحَقَّ خَبيرٌ أو يَقْطَعَ الظَّنّ

مِنَ الحَديدِ الكَدِرِ بالقُدْرَةِ كانَ يُظْهِرُ، لَكَ وَقائعَ سَوفَ تَحْصَلُ مِنْ بَعْد؛
حَتَّى تُقِلَّ مِنْ ذلِكَ الظُّلْمِ والسُّوء، وَكُنْتَ ترى كُلَّ ذلِكَ وَتَصيرُ أسْوَأ؛
وَيُظْهِرُ لَكَ النَّومُ صُوَراً قَبيحَةً، فَتَجْفَلَ مِنْ ذاكَ وذاكَ صُورَتُك؛
مِثْلَ ذاكَ الزِّنْجِيِّ الَّذي رأى في المِرآة، وَجْهاً قَبيحاً فَأَحْدَثَ على المِرآة؛
أنْ مِثْلُ هذا القُبْحِ لائقٌ بالمِرآةِ فَقَط، قُبْحي ذاكَ مِنْكِ أَيْ عَمياءُ خَسيسَة؛
أنتَ تَجْعَلُ هذا الحَدَثَ على وَجْهِكَ القبيح، وَلَيْسَ عَلَيَّ لأنَّني أكونُ مُضيئَةً؛
حِيناً ترى لِباسَكَ مُشْتَعِلاً، حِيْناً ترى فَمَكَ مَخيطاً وَعَيْنَكَ مَخيطَةً؛

حِيْناً وَحْشاً صارَ قاصِداً لِدَمِك، حِيناً رَأْسَكَ بَيْنَ أسنانِ وَحْشٍ مُفْتَرِس؛
حيناً مَنْكُوساً في وَسَطِ مِرحاض، حيناً غَريقَ سَيْلٍ مَمزوجٍ بالدَّمِ الحارّ؛
حيناً يَأتيكَ النِّداءُ مِنْ هذا الفَلَكِ النَّقِيّ، أنْ أنتَ شَقِيٌّ وَشَقِيٌّ وَشَقِيّ؛
حيناً يَأتيكَ النِّداءُ صَريحاً مِنَ الجِبال، أنِ اذْهَبْ أنتَ مِنْ أَصْحابِ الشِّمال؛
حيناً يَأتيكَ النِّداءُ مِنْ كُلِّ جَماد، فِرعَونُ واقِعٌ في النَّارِ أَبَدَ الآباد؛
مِنْ قَبائحَ لا أَذْكُرُ مِنَ الحَياء، حَتَّى لا يَصيرَ طَبْعُكَ المَعكوسُ حارًّا؛
قُلْتُ لَكَ القليلَ أيْ غَيْرَ القابِل، مِنْ هذا القليلِ تَعْلَمُ أنَّني خَبير؛
تَجْعَلُ مِنْ نَفْسِكَ أعْمىً وَمَذهُولاً، حَتَّى لا تُفَكِّرَ في المنامِ والوقائع؛
كم تَهْرَبُ مِنْهُ ويجيْءُ إلى أمامِك ، على رَغْمِ إدراكِ مَكْرِ تَفْكيرِك؛

بيان أنَّ بابَ التَّوبَةِ مَفْتُوح

ألا لا تَبْقَ على ما أنتَ فيهِ واحْتَرِزْ، فبابُ التَّوبَةِ مِنَ العَفْوِ مَفْتُوح؛
للتَّوبَةِ بابٌ مِنْ جانِبِ المَغْرِبِ، يَظَلُّ مَفْتُوحاً للورى إلى القيامَة؛
إلى أنْ تَرْفَعَ الشَّمْسُ الرَّأْسَ مِنَ المَغْرِب، ذاكَ البابُ مَفْتُوحٌ لا تَمِلْ عَنْهُ بالوَجْه؛
فإنَّ للجَنَّةِ مِنَ الرَّحْمَةِ ثَمانِيَةَ أبواب، مِنْ تِلْكَ الثَّمانِيَةِ بابٌ واحِدٌ للتَّوبَةِ أي وَلَد؛
تِلْكَ الأبوابُ حيناً مَفْتُوحَةٌ وَحيناً مُغْلَقَةٌ، وبابُ التَّوبَةِ لا يكونُ إلَّا مَفْتُوحاً؛
ألا فاغْتَنِمِ الغَنيمَةَ سَريعاً فالبابُ مَفْتُوح ، واسْحَبْ وَجْهَكَ هُناكَ رَغْمَ الحَسُود؛

قَولُ مُوسى عَلَيْهِ السَّلامُ لِفِرْعَونَ أنْ اقْبَلْ مِنِّي نَصيحَةً واحِدَةً وَخُذْ في العِوَضِ أَرْبَعَ فَضائل

ألا فاقْبَلْ مِنِّي شَيْئاً واحِداً واحْمِلْهُ، وخُذْ مِنِّي عِوَضاً عَنْ ذلِكَ الشَّيْءِ أرْبَعَة؛
قالَ أَيْ مُوسى ما ذلِكَ الشَّيْءُ الواحِدُ، اِشْرَحْ لي قليلاً عَنْ ذلِكَ الشَّيْء؛

قالَ ذلِكَ الشَّيْءُ الواحِدُ قَوْلُكَ جَهاراً، أن لا إلهَ إلَّا الواحِدُ الفَعَّال؛
خالِقُ الأنْجُمِ والأفلاكِ في العُلا، خالِقُ الإنْسِ والجِنِّ والشَّياطِينِ والطَّيْر؛
خالِقُ البَحْرِ والصَّحْراءِ والجَبَلِ والتِّيْه، مَمْلَكَتُهُ بلا حَدٍّ وَهُوَ بلا شَبيه؛
قالَ يا مُوسى ما تَكُونُ تِلْكَ الأرْبَعَةُ، الَّتي تُعْطي عِوَضَ القَوْلِ هاتِها؛
كي تَصيرَ أوتادُ كُفْري الأرْبَعَةُ، واهِيَةً مِنْ لُطْفِ ذلِكَ الوَعْدِ الحَسَن؛
رُبَّما يَكُونُ مِنْ تِلْكَ الوُعُودِ الجَميلَةِ مُغْتَنَم، وَيَنْفَتِحُ قُفْلُ الكُفْرِ مِنّي وَهُوَ مِئَةُ مَنّ؛
رُبَّما مِنْ تَأْثيرِ نَهْرِ العَسَل، يَصيرُ سُمُّ الحِقْدِ شَهْداً في بَدَني؛
أو مِنْ صُورَةِ نَهْرِ اللَّبَنِ الطَّاهِرِ ذاك، يَجِدُ التَّرْبِيَةَ لَحْظَةً العَقْلُ الأسير؛
أو رُبَّما مِنْ عَكْسِ أنهارِ الخَمْرِ تِلْك، أصيرُ سَكْرانَ وَأَجِدُ عَبيرَ ذَوقِ الأمْر؛
أو رُبَّما مِنْ لُطْفِ أنْهارِ الماءِ تِلْك، يَجِدُ النَّضارَةَ بَدَني البائرُ الخَراب؛
وَتَصيرُ أرضِيَ السَّبْخَةُ خَضراء، وَيَصيرُ حَقْلُ أَشْواكي جَنَّةَ المَأوى؛
رُبَّما مِنْ عَكْسِ الجَنَّةِ وأنهارِها الأرْبَعَة، تَطْلبُ الرُّوحُ الحَبيبَ مِنْ عَوْنِ الحَقّ؛
مِثْلَما صِرْتُ مِنْ عَكْسِ جَهَنَّمَ ناراً، وَصِرْتُ مَغْمُوساً في قَهْرِ الحَقّ؛
فحيناً مِنْ عَكْسِ أفْعى جَهَنَّمَ أصيرُ أفْعىً، وأصيرُ حامِلَ سُمٍّ لأهْلِ الجَنَّة؛
وحيناً مِنْ عَكْسِ جَيَشانِ الماءِ الحَميم، ماءُ ظُلْمي يَجْعَلُ الخَلْقَ كالرَّميم؛
أنا مِنْ عَكْسِ الزَّمْهَريرِ زَمْهَرير، أو مِنْ عَكْسِ ذاكَ السَّعيرِ مِثْلَ السَّعير؛
أنا جَهَنَّمُ الدَّرويشِ والمَظْلُومِ الآن ، الوَيْلُ لِذاكَ الَّذي أجِدُهُ عَرَضاً عاجِزاً؛

شَرْحُ مُوسى عَلَيْهِ السَّلام لِتِلْكَ الفَضائلِ الأرْبَعِ أجْراً لإيمانِ فِرْعَون

قالَ مُوسى أوَّلُ تِلْكَ الأرْبَعة، صِحَّةٌ تَكُونُ لِبَدَنِكَ ثابِتَة؛
وهذِهِ العِلَلُ المَذْكُورَةُ في الطِّبّ، تَكُونُ بِعيدَةً عَنْ بَدَنِكَ أي عالِيَ القَدْر؛
ثانياً يَكُونُ لَكَ عُمْرٌ طَويلٌ، حَتَّى أنَّ الأَجَلَ يَحْتَرِزُ مِنْ عُمْرِكَ احْتِرازاً؛

وهذا لا يكُونُ بَعْدَ عُمْرٍ مُسْتَوٍ، وَأَنْ تَخْرُجَ مِنَ الدُّنيا إلى الخارِجِ كُرْهاً؛
بَلْ تَكُونُ طالِبَ الأجَلِ كالطِّفْلِ للحَليب، لا مِنْ أَلَمٍ أَصابَكَ فَأَنْتَ لَهُ أسير؛
تكُونُ طالِبَ المَوْتِ لا مِنْ عَجْزِ مَرَضٍ، بَلْ ترى في خرابِ المَنْزِلِ الكَنْز؛
فَتُمْسِكُ بالمِعْوَلِ باليَد، وَتَضْرِبُ بِهِ على المَنْزِلِ بلا خَوْف؛
إذ ترى المَنْزِلَ حِجاباً على الكَنْز، وَتَرى تِلْكَ الحَبَّةَ مانِعَةً لِمِئَةِ بَيْدَر؛
فَتَقُومُ بإلقاءِ هذِهِ الحَبَّةِ في النَّار، دَفْعاً للضَّرَرِ كما يَفْعَلُ الرِّجال؛
أي مَنِ اقْتَصَرْتَ مِنَ الرَّوضِ على وَرَقَة، رَجَعْتَ مَطروداً مِنَ الكَرْمِ مِثْلَ دُودَة؛
وَعِنْدَما أَيْقَظَ الكَرَمُ هذِهِ الدُّودَة، ابْتَلَعَتْ هذِهِ الدُّودَةُ ثُعْبانَ الجَهْل؛
صارَتِ الدُّودَةُ كَرْماً مليئاً بالفَواكِهِ والشَّجَر ، هذا التَّبْديلُ يَصيرُ لِحَسَنِ البَخْت؛

تَفسيرُ كُنْتُ كَنْزاً مَخْفِيّاً فَأَحْبَبْتُ أنْ أُعْرَف

اِهْدِمِ المَنْزِلَ فَمِنْ عَقيقِ هذا اليَمَن، رُبَّما تَبْني مِئَةَ أَلْفِ مَنْزِل؛
الكَنْزُ تَحْتَ المَنْزِلِ وما مِنْ حِيْلَةٍ، غَيْرَ هَدْمِ المَنْزِلِ لا تَخَفْ ولا تَتَوَقَّفْ؛
فآلافُ المنازِلِ مِنْ قِطْعَةٍ مِنَ الكَنْز، تُبنى لَكَ بلا تَكليفٍ ولا عناء؛
وعاقِبَةُ هذا المَنْزِلِ أنْ يَصيرَ خراباً، والكَنْزُ مِنْ تَحْتِهِ يَصيرُ عُريانَ يقيناً؛
لكِنَّ ذاكَ لا يَكُونُ لَكَ لأنَّ الرُّوح، أجْرَ ما تَخْرِبُ يَكُونُ لها ذلِكَ الفُتُوح؛
إذا لَمْ تَعْمَلْ ذلِكَ العَمَلَ لا أجْرَ لها، لَيْسَ للإنسانِ إلّا ما سَعى؛
تَعَضُّ بَعْدَ ذلِكَ اليَدَ أنْ أي أَسَفا، مِثْلُ هذا القَمَرِ كانَ مَخْفِيّاً تَحْتَ السَّحاب؛
أنا لَمْ أَفْعَلْ ذاكَ الَّذي قالوا مِنَ الخَيْر، ذَهَبَ الكَنْزُ والمَنْزِلُ وَيَدي فارِغَة؛
أَخَذْتَ مَنْزِلاً بالأُجْرَةِ والكِراء، لَيْسَ مُلْكاً لَكَ بالبَيْعِ والشِّراء؛
هذا الكِراءُ لَهُ مُدَّةٌ إلى الأجَل، لِتَعْمَلَ فيهِ في هذِهِ المُدَّةِ العَمَل؛
تَقُومُ بِخياطَةِ قِطَعِ الرِّقاعِ في الدُّكَّان، وَتَحْتَ هذا الدُّكَّانِ مَنْجَمانِ مَدْفُونان؛

كانِ لِهذا الدُّكَّانِ مُؤجِّرٌ وَسَريعاً، أَخَذَ المِعْوَلَ وَقَطَّعَ بِهِ أوْصالَه؛
كَيْ تَصِلَ بالمِعْوَلِ فَجْأَةً إلى المَنْجَم، تَحَرَّرْ مِنَ الدُّكَّانِ وَمِنْ خِياطَةِ الرُّقَع؛
ما خياطَةُ الرُّقَعِ إنَّها أكْلُ الخُبْزِ والماء، وَوَضْعُكَ هذه الرُّقْعَةَ على خَلَقِ البَدَن؛
وكُلَّ لَحْظَةٍ يَتَمَزَّقُ خَلَقُ بَدَنِكَ هذا، وَتَضَعُ القِطْعَةَ عَلَيْهِ مِنْ غِذائك؛
أي مَنْ أنتَ مِنْ نَسْلِ المُلُوكِ السُّعَداء،أنتَ نَفْسُكَ اخْتَرْتَ مِهْنَةَ التَّرقيعِ المعيبَة؛
اِنْزَعِ الرُّقْعَةَ مِنْ قَعْرِ هذا الدُّكَّان، لِيُطِلَّ بالرَّأْسِ مِنْ أمامِكَ مَنْجَمان؛
مِنْ قَبْلِ أنْ تَنتَهِيَ مُهْلَةُ الكِراءِ للبَيْت، وَأَنْتَ بَعْدُ لَمْ تَأكُلْ مِنْهُ ثَمَرَةً واحِدَة؛
ثُمَّ يُخْرِجُكَ للخارِجِ صاحِبُ الدُّكَّان، وَيَرْفَعُ هذا الدُّكَّانَ عَنْ وَجْهِ المَنْجَم؛
وأنتَ مِنَ الحَسْرَةِ تَضْرِبُ على الرَّأْسِ حِيناً، وَحِيناً تَقُومُ باقْتِلاعِ لِحْيَتِك؛
أنْ أي أَسَفاً هذا الدُّكَّانُ كانَ لي، كُنْتُ أعْمىً لَمْ آكُلِ الثَّمَرَ مِنْ هذا المَكان؛
أي أَسَفاً كانَ لَنا وَأَخَذَتْهُ الرِّيْحُ ، إلى الأَبَدِ صارَتْ يا حَسْرَتا للعِباد؛

اغتِرارُ الآدَمي بِذَكائهِ وتَصاويرِ طَبْعِ نَفْسِه ، وَعَدَمُ طَلَبِهِ عِلْمَ الغَيْبِ الَّذي هُوَ عِلْمُ الأنبياء

رَأَيْتُ في مَنْزِلِي النَّقْشَ والرُّسوم، كُنْتُ في عِشْقِ المَنْزِلِ بلا قَرار؛
وَكُنْتُ عَنِ الكَنْزِ الخَفِيِّ بلا خَبَرٍ، وإلَّا لَكُنْتُ أخَذْتُ بِيَدي الفَأْس؛
آهِ لَوْ كُنْتُ أعْطَيْتُ عَطاءَ الفَأْس، كُنْتُ أُعْطِيْتُ اللَّحْظَةَ براءَةً مِنَ الغَمّ؛
لَقَدْ جَعَلْتُ عَيني على النَّقْش، لَعَبْتُ العِشْقَ كما يَلْعَبُ الأطْفال؛
لَقَدْ أحْسَنَ القَوْلَ ذاكَ الحَكيمُ السَّعيد،أنتَ طِفْلٌ والمَنْزِلُ مَليءٌ بالنُّقُوشِ والصُّوَر؛
في الكِتابِ الإلهِيِّ وَعَظَكَ كَثيراً مِنَ المَواعِظ، أنِ ارْفَعْ عَنْ أَصْلِ نَفْسِكَ الغُبار؛
كفى أي مُوسى قُلْ وَعْدَكَ الثَّالِث، فإنَّ قَلبي صارَ مَفْقُوداً مِنَ الاضْطِراب؛
قالَ الثَّالِثَةُ أنَّ كِلا مُلْكَيْكَ يَكُونان، خالِصَيْنِ مِنَ الخَصْمِ والعَدُوِّ في العالَمَيْن؛

وَأَكْثَرَ مِنْ مُلكِكَ الَّذي تَمْلِكُ الآن، فَذاكَ يَكُونُ بالحَرْبِ وهذا بالسَّلام؛
ذاكَ الَّذي وَهَبَكَ وَأَنْتَ مُحارِبٌ هذا المُلْك، أُنْظُرْ في الصُّلْحِ كَيْفَ يَمُدُّ مائِدَتَك؛
ذاكَ الَّذي في الجَفاءِ أَعْطاكَ ذاكَ الكَرَم، أُنْظُرْ في الوَفاءِ كَيْفَ يَكُونُ الإفْتِقاد؛
قالَ يا مُوسى الرَّابِعَةُ ما تَكُونُ قُلْ، أَسْرِعْ فإنَّ صَبْرِي نَفَدَ وَحِرْصي زاد؛
قالَ الرَّابِعَةُ أنْ تَظَلَّ شاباًّ، شَعْرُكَ أَسْوَدُ كالقِيْرِ وَوَجْهُكَ كالأُرْجُوان؛
اللَّونُ عِنْدَنا كاسِدٌ والعَبير، لكِنَّكَ انْخَفَضْتَ فَجَعَلْنا الكلامَ مُنْخَفِضاً؛
الإفْتِخارُ باللَّونِ والعَبيرِ وبالمكان ، هُوَ لإسْعادِ وَخِداعِ الأَطْفال؛

بيانُ هذا الخَبَرِ أنْ كَلِّموا النَّاسَ على قَدْرِ عُقُولِهِم
لا على قَدْرِ عُقُولِكُم حَتَّى لا يُكَذَّبَ اللهُ وَرَسُولُه

إذا وَقَعَ لي عَمَلٌ وَفِكْرٌ مَعَ الطِّفْل، يَجِبُ أنْ يَتَحَدَّثَ اللِّسانُ حديثَ الأطفال؛
أنِ اذْهَبْ إلى الكُتَّابِ سَأَشْتري لَكَ طَيْراً، أو سَأَجْلِبُ لَكَ زَبيباً وَفُسْتُقاً وَجَوْزاً؛
خُذْ شَبابَ البَدَنِ فَأَنْتَ لا تَعْرِفُ غَيْرَهُ، خُذْ هذا الشَّبابَ أَيْ حِمارَ الشَّعير؛
أيُّ تَجَعُّدٍ لا يَقَعُ على وَجْهِك، يبقى لَكَ ذلِكَ الشَّبابُ الجَميلُ غَضّاً؛
لا ذُبُولُ الشَّيْخُوخَةِ يُصيبُ وَجْهَكَ، ولا قَدُّكَ الجَميلُ كالسَّرْوِ يَصيرُ مَحْنِيّاً؛
ولا تَصيرُ ناقِصَةً مِنْكَ قُوَّةُ الشَّباب، ولا يصيبُ أسنانَكَ خَلَلٌ أو أَلَم؛
ولا نَقْصٌ في الشَّهْوَةِ والطَّمْثِ والبِعال، كي يصيبَ النِّساءَ مِنْ ضَعْفِكَ الملال؛
يَتَفَتَّحُ لَكَ عِزُّ الشَّبابِ هكذا ، كما فَتَحَتِ البُشْرى لِعُكاشَةَ ذلِكَ الباب؛

قَولُهُ عَلَيْهِ السَّلامُ مَنْ بَشَّرَني بِخُرُوجِ صَفَرَ بَشَّرْتُهُ بالجَنَّة

كانَ انتِقالُ نَبيِّ آخِرِ الزَّمان أَحْمَدَ، سَوفَ يجيءُ في رَبيعٍ الأوَّلَ بلا جِدال؛
حِيْنَ وَجَدَ قَلْبُهُ الخَبَرَ عَنْ وَقْتِ هذا النَّقْل، صارَ عاشِقاً لِذلِكَ الوَقْتِ بالعَقْل؛

إذا جاءَ صَفَرُ صارَ سَعيداً مِنْ صَفَر، أنْ بَعْدَ هذا الشَّهْرِ يكونُ السَّفَر؛
تَقْضي كُلَّ لَيْلَةٍ إلى الفَجْرِ، مِنْ شَوقِ هُدي أي رَفيقَ الطَّريقِ الأعلى؛
قالَ ذاكَ الشَّخْصُ الَّذي يُعطيني بشارَةَ، أنَّ صَفَرَ وضَعَ قَدَمَ الخُروجِ مِنَ الدُّنيا؛
أنَّ صَفَرَ انقَضى وجاءَ شَهْرُ ربيع، أكونُ لَهُ مُبَشِّراً وأنا لَهُ شَفيع؛
قالَ عُكاشَةُ صَفَرُ انقضى وَذَهَب، قالَ لَكَ الجَنَّةُ أَيُّها الأَسَدُ الكبير؛
وجاءَ آخَرُ فقالَ إنَّ صَفَرَ ذاكَ انقضى، قالَ قد فازَ عُكاشَةُ بِحَمْلِ البُشرى؛
فالرِّجالُ مِنَ النَّقْلِ مِنَ العالَمِ سُعَداء، والأطفالُ مِنَ البقاءِ فيهِ سُعَداء؛
الطَّائرُ الأعْمى الَّذي لا يرى الماءَ العَذْب، يَظْهَرُ الكَوثَرُ مِنْ أمامِهِ ماءً مالِحاً؛
وعلى هذا النَّحْوِ يَعُدُّ مُوسى الكرامات، أنَّ إقبالَكَ الصَّاحي لا يَصيرُ مُعَكَّراً؛
قالَ أحْسَنْتَ وَقُلْتَ خَيْراً ولكِنْ ، سَأَقُومُ بالمَشْوَرَةِ مَعَ رفيقِ الخَيْر؛

تَشاوُرُ فِرْعَونَ مَعَ آسِيَةَ في شَأْنِ الإيمانِ بِمُوسى عَلَيْهِ السَّلام

أعادَ قَولَ هذا الحَديثِ لِآسِيَةَ، قالَتِ انثُرِ الرُّوحَ على هذا أَيْ أَسْوَدَ القَلْب؛
كَمْ مِنَ العِناياتِ في مَتْنِ هذا المقال، أَسْرِعْ سَريعاً أَي شاهُ حَسَنُ الخِصال؛
جاءَ وَقْتُ الزَّرْعِ نِعْمَ زَرْعٌ عَظيمُ النَّفْع، قالَتْ هذا وَبَكَتْ بُكاءً حارّاً؛
وَنَهَضَتْ مِنَ المَكانِ وَقالَتْ بَخٍ لَكَ، صارَتِ الشَّمْسُ تاجاً لَكَ أَيْ أَقْرَع؛
عَيْبُ الأَقْرَعِ تُغَطِّيْهِ القُبَّعَةُ، خاصَّةً والقُبَّعَةُ إكليلُ الشَّمْسِ والقَمَر؛
في ذلِكَ المَجْلِسِ إِذْ سَمِعْتَ هذا، كَيْفَ لَمْ تَقُلْ بلى وأَلْفَ مَرْحى؛
هذا الكلامُ لَو كانَ في أُذُنِ الشَّمْس، لَطَأْطَأَتْ رَأْسَها على عَبيرِ هذا وَنَزَلَتْ؛
لا تَدْري أَبَداً أَيَّ وَعْدٍ وَأَيَّ عَطاء، الوَعْدُ الَّذي وَعَدَ الحَقُّ لإبليسَ وافْتَقَدَه؛
حِيْنَ دعاك بِهذا اللُّطْفِ ذاكَ الكَريمُ، عَجَباً كَيْفَ بَقِيَتْ في المَكانِ مَرارَتُك؛
كَيْفَ لَمْ تَتَمَزَّقْ مَرارَتُكَ كَيْ بِتِلْكَ المرارَة، تكونُ أنتَ الأكْثَرَ رِبْحاً في العالَمين؛

المرارَةُ الَّتي في سَبيلِ الحَقِ تَمَزَّقَتْ، فائِزَةٌ كالشُّهَداءِ بالعالَمَيْن؛
الغَفْلَةُ أَيْضاً حِكْمَةٌ وَهَذا العَمى، كي تَتَأَخَّرَ لكِنْ لِماذا إلى هذا الحَدّ؛
الغَفْلَةُ حِكْمَةٌ أَيْضاً وَنِعْمَة، كَي لا يَطيرَ رَأْسُ المالِ سَريعاً مِنَ اليَد؛
لكِنْ لا تَكُونُ مَرَضاً عُضالاً جِدّاً، وتكُونُ سُمَّاً للرُّوحِ والعَقْلِ وَأَلَماً؛
وَمَنْ ذا الَّذي يَجِدُ بِنَفْسِهِ مِثْلَ هذا البازار، أنْ يَشْتَرِي رَوْضَ وَرْدٍ بِوَرْدَةٍ واحِدَة؛
بِذْرَةٌ جاءَتْ بِمِئَةِ بُستانِ أَشْجارٍ عِوضَاً، حَبَّةُ ذَهَبٍ جاءَتْ بِمِئَةِ مَنْجَمٍ عِوَضاً؛
إعطاءُ تِلْكَ الحَبَّةِ *كانَ لله*، إلى أنْ تَجيءَ لَهُ باليَدِ *كانَ الله*؛
ذلِكَ أنَّ هذِهِ الهويَّةَ الضَّعيْفَةَ بلا قَرار، كائنَةٌ مِنْ هويَّةِ الرَّبِّ الثَّابِتَةِ بلا زوال؛
الهويَّةُ الفانِيَةُ عِنْدَما تُسْلِمُ لَهُ النَّفْس، تَصيرُ باقِيَةً دائماً ولا تَمُوتُ أَبَداً؛
مِثْلَ قَطْرَةٍ خائفَةٍ مِنَ الرِّيْحِ والتُّراب، تَصيرُ فانِيَةً مِنَ الاثْنَيْنِ وهالِكَة؛
إذا اتَّصَلَتْ بأَصْلِها الَّذي هُوَ البَحْر، نَجَتْ مِنْ حرارَةِ الرِّيْحِ والشَّمْسِ والتُّراب؛
ظاهِرُها صارَ في البَحْرِ ضائعاً ولكِنْ، ذاتُها مَعصُومَةٌ وَدائمَةٌ وَجَميلَة؛
هيَّا أسْلِمِيْ أَيْ قَطْرَةُ النَّفْسَ بلا نَدَمٍ، حَتَّى تَجِدي في جزاءِ القَطْرَةِ اليَمّ؛
هَيَّا هَبِي النَّفْسَ أَيْ قَطْرَةُ هذا الشَّرَف، صيري في كَفِّ البَحْرِ آمِنَةً مِنَ التَّلَف؛
متى تجيءُ مِثْلُ هذِهِ الدَّوْلَةِ باليَدِ مِنَ النَّفْس، البَحْرُ صارَ مُسْتَدْعِياً للقَطْرَة؛
اللهَ اللهَ أَسْرِعْ بالبَيْعِ والشِّراء، اِدْفَعِ القَطْرَةَ وَخُذِ البَحْرَ المَليءَ بالجَوهَر؛
اللهَ اللهَ لا يَكُنْ مِنْكَ أَيُّ تَأْخير، فإنَّ هذا الحَديثَ جاءَ مِنْ بَحْرِ اللُّطْف؛
اللُّطْفُ يَصيرُ ضائعاً في هذا اللُّطْف، أنْ يَصيرَ سُفْلِيٌّ على الفَلَكِ السَّابِع؛
هَيَّا فَقَدْ وَقَعَ لَكَ لَعِبٌ بِهِ العَجَب، أيُّ طالِبٍ ما وَجَدَ هذا الطَّلَب؛
قالَ سَأَتَحَدَّثُ إلى هامانَ أَيْ عَفيفَة، فإنَّ رَأْيَ الوَزيرِ لازِمٌ للمَلِك؛
قالَتْ لا تَقُلْ هذا السِّرَّ لِهامان ، العَجُوزُ العَمياءُ ما عِلْمُها بالباز ؛

قِصَّةُ بازِ المَلِكِ والمَرْأَةِ العَجُوز

البازُ الأبيَضُ وَقَعَ عِنْدَ عَجُوزِ القَرْيَة، قَصَّتْ أَظافيرَهُ لأَجْلِ تَزيينِه؛
المِخْلَبُ الَّذي كانَ أَصْلَ الشُّغْلِ والصَّيْد، العَجُوزُ الخَرِفَةُ قَصَّتْهُ كالعَمياء؛
أنْ أَيْنَ كانَتْ أُمُّكَ حَتَّى صارَ لَكَ، مِثْلُ هذِهِ الأظْفارِ الطَّويلَةِ أي أمير؛
قَصَّتْ لَهُ الظُّفْرَ والمِنْقارَ والجَناح، وَقْتَ الحُبِّ هذا فِعْلُ العَجُوزِ النَّجِسَة؛
حِيْنَ أَعْطَتْهُ حِساءَ السُّمَّاقِ أكَلَ قَليلاً، فَصارَتْ غاضِبَةً غَضَباً مَزَّقَ المَحَبَّة؛
أنْ طَبَخْتُ حِساءَ السُّمَّاقِ مِنْ أجْلِك، فكَيْفَ تُظْهِرُ التَّكَبُّرَ والعُتُوّ؛
جَزاءٌ لَكَ أنْ تَكُونَ بِهذا العذابِ والبلاء، مَتى كانَتِ النِّعْمَةُ مُواتِيَةً لَكَ والإِقْبال؛
أَعْطَتْهُ ماءَ الحِساءِ أنْ خُذْ هذا، إنْ كُنْتَ لا تُريدُ أنْ تَشْرَبَ مِنْ ذلِكَ الفَطير؛
طَبْعُ البازِ لَمْ يَقْبَلْ ماءَ حِسائها، فاكْفَهَرَّتِ العَجُوزُ واشْتَدَّ غَضَبُها؛
سَكَبَتِ المَرْأَةُ مِنَ الغَضَبِ ذاكَ الحِساءَ الحارّ، على رَأْسِهِ فصارَ أَقْرَعَ المَغْفَر؛
سالَ الدَّمْعُ مِنَ الحَرْقِ مِنْ عَيْنَيْه ، إذ تَذَكَّرَ لُطْفَ المَلِكِ سَعيدِ القَلْب؛
مِنْ تُلْكُما العَيْنَيْنِ اللَّطيفَتَيْنِ المُدَلَّلَتَين، اللَّتَيْنِ كانَتا مِنْ وَجْهِ الشَّاهِ بِمِئَةِ إقبال؛
عَيْنُهُ الحَسْناءُ مِنْ عَيْنِ السُّوءِ في حُرْقَةٍ، عَيْنُ ما زاغَ مُلِئَتْ جِراحاً مِنَ الزَّاغ؛
عَيْنُ البَحْرِ مِنْ بَسْطِها بَسْطَةٌ، العالَمانِ كلاهُما يَظْهَرانِ خَيْطَ شَعْرَة؛
لَو أُلُوفُ الأفْلاكِ تَذْهَبُ في عَيْنِه، تَضيعُ كالعَيْنِ أمامَ البَحْرِ المُحيط؛
حينَ عَبَرَتْ مِنْ هذِهِ المَحْسُوسات، وَجَدَتْ مِنْ رُؤيَةِ الغَيْبِ قُبُلات؛
إنَّني لا أجِدُ أُذُناً واحِدَةً لأقُولَ، عِبارَةً لَطيفَةً عَنْ تِلْكَ العَيْنِ الحَسْناء؛
يَسيلُ ذاكَ الماءُ المَحْمُودُ الجَليل، فَيَخْتَطِفُ قَطَراتِهِ جَبْرَائيل؛
حَتَّى يَمْسَحَ بِها الجَناحَ والمِنْقار، إذا أعْطاهُ الإجازَةَ ذاكَ الحَسَنُ المَذْهَب؛
وَكَرَّرَ أنَّ غَضَبَ العَجُوزِ وإنْ اشْتَعَلَ،لَنْ يُحْرِقَ مَجْدي ونُوري وَصَبْري وعِلْمي؛

بازُ رُوحي بازٌ بِمِئَةِ صُورَةِ بَدَن، وَقَعَ الجُرْحُ على النَّاقَةِ لا على صالِحٍ؛
صالِحُ مِنْ نَفَسٍ مِنْهُ مِنَ القُدْرَة، يَلِدُ مَتْنُ الجَبَلِ مِئَةَ ناقَةٍ كَهذِه؛
القَلْبُ يَظَلُّ قائلاً اصْمتْ وانْتَبِهْ، وإلَّا فإنَّ الغَيْرَةَ سَتُمَزِّقُ الخُيُوطَ والسَّدى؛
إنَّ لِغَيْرَتِهِ مِئةَ حِلْمٍ خَفِيٍّ، وإلَّا أَحْرَقَتْ بِنَفَسٍ واحِدٍ مِئَةَ عالَمٍ؛
أَغْلَقَتْ نَخْوَةُ المُلْكِ مِنْهُ مَحَلَّ النَّصيحَة، حتَّى انتزَعَتْ قَلْبَهُ مِنْ قَيْدِ النَّصيحَة؛
أنْ سَأَعْمَلُ مَعَ رَأيِ هامانَ المَشْوَرَة، فَهُوَ ظَهيرُ المُلْكِ وَقُطْبُ المَقْدِرَة؛
مُسْتَشارُ المُصْطَفى صِدِّيْقُ الرَّبِّ، ومُسْتَشارُ أبي جَهْلٍ أبُو لَهَب؛
عِرْقُ الجِنْسِيَّةِ جَذَبَهُ هكذا، حَتَّى غَدَتْ تِلْكَ النَّصائحُ عِنْدَهُ بارِدَة؛
الجِنْسُ يطيرُ إلى الجِنْسِ بِمائَةِ جَناحٍ، الجِنْسُ على خَيالِ الجِنْسِ يُمَزِّقُ القُيُود؛

قِصَّةُ ذلِكَ الطِّفْلِ الَّذي زَحَفَ على الميزاب وكانَ في خَطَرِ السُّقُوط والبَحْثُ عَنِ الحِيْلَةِ مِنْ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلام

تِلْكَ امْرَأَةٌ أَتَتْ إلى أمامِ المُرْتضى، قالَتْ إنَّ لي طِفْلاً ذَهَبَ على المِيزاب؛
إنْ دَعَوتُهُ لا يَجيءُ إلى يَدِي، وإنْ تَرَكْتُهُ خِفْتُ أنْ يَسْقُطَ إلى القاع؛
لا هُوَ عاقِلٌ كَيْ يَفْهَمَ مِثْلَنا، إذا قُلْتُ لَهُ أَقْبِلْ إلَيَّ مِنَ الخَطَر؛
كما أنَّهُ لا يَعْرِفُ الإشارَةَ باليَدِ، وَلَوْ عَرِفَ لَنْ يَسْمَعَ هذا كذلِك؛
عَرَضْتُ لَهُ الثَّدْيَ واللَّبَنَ كثيراً، فكانَ يُديرُ عَنِّي العَيْنَ والوَجْه؛
أنتُمْ سَبَبُ الحَقِّ أيُّها البُدُور، حُكَّامُ هذا العالَمِ وَذاكَ العالَم؛
قَلْبي يَرْتَعِدُ قُمْ بالعِلاجِ سَريعاً، إذْ أنْفَصِلُ عَنْ ثَمَرَةِ قَلْبي في أَلَم؛
قالَ فاجْلِبي طِفْلاً إلى السَّطْح، كي يرى ذاكَ الغُلامُ جِنْسَ نَفْسِه؛
فَيَأتي سَريعاً مِنَ المِيزابِ جِهَةَ جِنْسِهِ، الجِنْسُ للجِنْسِ عاشِقٌ أَبَدِيٌّ؛
كذا فَعَلَتِ المَرْأَةُ وَحِيْنَ رأى الطِّفْلُ، جِنْسَ نَفْسِهِ وَجَّهَ لَهُ الوَجْهَ شَيْئاً فَشَيْئاً؛

جاءَ إلى السَّطْحِ مِنْ على مَتْنِ المِيزاب، جاذِبُ كُلِّ جِنْسٍ اعْرِفْ مِنْ جِنْسِه؛
جاءَ الطِّفْلُ زاحِفاً جِهَةَ الطِّفْلِ، وَنَجا مِنَ السُّقُوطِ جِهَةَ الأسْفَل؛
مِنْ ذاكَ كانَ الأنبياءُ مِنْ جِنْسِ البَشَر، كَيْ يَنْجُوَ البَشَرُ بالجِنْسِيَّةِ مِنَ المِيزاب؛
فَقَدْ قالَ للبَشَرِ إنِّيْ مِثْلُكُمْ، كَيْ تَجيئوا إلى الجِنْسِ وَيَقِلَّ ضَياعُكُمْ؛
ذاكَ أنَّ الجِنْسِيَّةَ عَجيبَةٌ مِنْ جاذِب، جاذِبُهُ جِنْسُهُ حَيْثُ كانَ الطَّالِب؛
عِيْسى وإدريسُ صارا على الفَلَك، لأَنَّهُما جاءا مِنْ جِنْسِ الملائكَة؛
ثُمَّ إنَّ هارُوتَ ومارُوتَ مِنَ الأعْلى، نَزَلا للأَسْفَلِ وكانا مِنْ جِنْسِ البَدَن؛
الكافِرُونَ مِنْ نَفْسِ جِنْسِ الشَّيْطان، رُوْحُهُمْ صارَتْ تِلْميذَةً للشَّياطين؛
تَعَلَّمَتْ مِئاتِ أُلُوفِ طِباعِ السُّوء، خاطَتْ وَأَغْلَقَتْ عُيُونَ العَقْلِ والقَلْب؛
أَقَلُّ طِباعِهِمْ قُبْحاً الحَسَدُ، ذاكَ الحَسَدُ الَّذي دَقَّ عُنُقَ إبليس؛
ذاكَ الَّذي عَلَّمَ الكِلابَ الحِقْدَ والحَسَد، إذْ لا يُريدُ للخَلْقِ مُلْكَ الأبَد؛
كُلَّما رأى ذا كمالٍ عَنْ يَمينٍ وَيسار، أصابَهُ مِنَ الحَسَدِ القُولَنْجُ واشْتَدَّ أَلَمُه؛
ذلِكَ أنَّ كُلَّ سَيِّئِ بَخْتٍ مُحْتَرِقِ المَحْصُول، لا يُريدُ رُؤيَةَ شَمْعِ شَخْصٍ مُشْتَعِلاً؛
ألا فاحْصَلْ على الكَمالِ أنتَ أَيْضاً، كي لا تَقَعَ مِنْ كمالِ الآخَرينَ في الغَمّ؛
أُطْلُبْ مِنَ اللهِ دَفْعَ هذا الحَسَد، حَتَّى يُحَرِّرَكَ اللهُ مِنَ الحَسَد؛
وَيَهَبَكَ شُغْلاً لَكَ في الدَّاخِل، فلا يكُونُ لَكَ تَوَجُّهٌ مِنْ ذلِكَ للخارِج؛
جُرْعَةٌ مِنَ الخَمْرِ يُعْطيها الله، يَتَحَرَّرُ بِها السَّكْرانُ مِنَ العالَمَيْن؛
جَعَلَ الخاصِّيَّةَ في رَغْوَةِ الحَشيش، فَهُوَ يُحَرِّرُ شارِبَهُ زَمَناً مِنْ وُجُودِه؛
وَقَدْ جَعَلَ اللهُ النَّومَ على تِلْكَ الشَّاكِلَة، فَهُوَ يَنْتَزِعُ التَّفْكيرَ بِكلا العالَمَيْن؛
جَعَلَ المَجْنُونَ مِنَ العِشْقِ كَشارِبِ الأفْيُون، فَهُوَ لا يَعْرِفُ العَدُوَّ مِنَ الصَّديق؛
وَيَمْلِكُ مِنْ مِثْلِ هذِهِ مِئاتِ الآلاف، جَعَلَها حاكِمَةً على إدراكاتِك؛
هُناكَ خُمُورٌ بِها شَقاوَةُ النَّفْس، مُخرِجٌ مِنَ الطَّريقِ ذلِكَ النَّحْس؛

وهُناكَ خُمُورٌ بِها سَعادَةُ العَقْل، تُؤَدِّي إلى مَنْزِلٍ بلا نَقْل؛
خَيْمَةَ الفَلَكِ مِنْ سُكْرِ النَّفْسِ، اقْتَلِعْ وَتَقَدَّمْ مِنْ ذلِكَ الصَّوبِ للأمام؛
قَلْبُ انتَبِهْ لا تَغْتَرَّ بِكُلِّ سَكْران، العِيسَويُّ سَكْرانُ الحَقِّ والحِمارُ سَكْرانُ الشَّعِيْر؛
مِثْلَ تِلْكَ الخَمْرِ اطْلُبْ مِنْ هذِهِ الدِّنان، سُكْرُها لا يَكُونُ مِنْ دِنانٍ وَضيعَة؛
ذلِكَ أنَّ كُلَّ مَعْشُوقٍ كَدَنٍّ ملآن، وذاكَ واحِدٌ بِهِ ثُمالَةٌ وآخَرُ صافٍ كالدُّرّ؛
أي عارِفَ الخَمْرِ هَيَّا اشْرَبْ باحْتياط، حَتَّى تَجِدَ الخَمْرَ المُنَزَّهَ عَنِ الاِخْتِلاط؛
كلا الاِثْنَيْنِ يُعْطِيانِ سُكْراً ولكِنْ، سُكْرُ هذا جاذِبٌ إلى رَبِّ الدِّيْن؛
لِيُحَرِّرَ مِنَ الفِكْرِ والوَسْواسِ والحِيَل، هذا العَقْل بلا عِقالٍ في رَقْصِ الجَمَل؛
الأنبياءُ بِما هُمْ مِنْ جِنْسِ الرُّوحِ والمَلَك، يَجْذِبُونَ المَلَكَ جَذْباً مِنَ الفَلَك؛
الرِّيْحُ مِنْ جِنْسِ النَّارِ وَهِيَ لها مُعين، فَقَصْدُ كِلْتَيْهِما صارَ نَحْوَ العُلُو؛
فَحِيْنَ تَرْبِطُ رَأْسَ كُوزٍ فارِغٍ، وَتَضَعُهُ وَسَطَ حَوْضٍ أو نَهْرَ ماء؛
إلى القِيامَةِ لَنْ يَنْزِلَ ذاكَ إلى القاع، فَقَلْبُهُ خالٍ وفي داخِلِهِ هَواء؛
مَيْلُ الهَواءِ فيهِ ما دامَ جِهَةَ الأعلى، فإنَّهُ يَسْحَبُ ظَرْفَهُ جِهَةَ الأعلى؛
ثُمَّ إنَّ تِلْكَ الأرواحَ الَّتي مِنْ جِنْسِ الأنبياء، تَجيءُ إلَيْهِمْ رُوَيداً رُوَيداً كالظِّلال؛
ذلِكَ أنَّ عَقْلَهُ غالِبٌ وبلا شَكّ، العَقْلُ جِنْسٌ في الخِلْقَةِ مَعَ المَلَك؛
وهوى النَّفْسِ ذاكَ غالِبٌ على العَدُوّ، النَّفْسُ جِنْسٌ سُفليٌّ فَهِيَ تَنْزِلُ للأسْفَل؛
القِبْطِيُّ مِنْ جِنْسِ فِرْعَونَ الذَّميم، السِّبْطِيُّ مِنْ جِنْسِ مُوسى الكَليم؛
كانَ هامانُ مِنْ جِنْسِ فِرْعَون، فاخْتارَهُ وَأَخَذَهُ إلى صَدْرِ القَصْر؛
لا جَرَمَ سَحَبَهُ مِنَ الصَّدْرِ للقَعْر، إذْ كِلا الدَّنِسَيْنِ كانا مِنْ جِنْسِ جَهَنَّم؛
كلاهُما مُحْرِقٌ وَجَهَنَّمِيٌّ وَضِدٌّ للنُّور، كلاهُما جَهَنَّمِيٌّ وَمِنْ نُوْرِ القَلْبِ نَفُور؛
مِنْ ذلِكَ تَقُولُ جَهَنَّمُ أَيُّها المُؤمِن، أسْرِعْ بالعُبُورِ فَنُورُكَ اخْتَطَفَ ناري؛
نُورُكَ يُطْفِئُ ناري أَيْ مُؤمِن، اِعبرْ تَقولُ وَهِيَ تَسْحَبُ الثَّوب؛

وَيَجْفَلُ ذاكَ الجَهَنَّمِيُّ مِنَ النُّورِ أَيْضاً، ذلِكَ لأنَّ لَهُ طَبْعَ جَهَنَّمَ أي صَنَم؛
جَهَنَّمُ تَفِرُّ مِنَ المُؤمِنِ والمُؤمِن، يَفِرُّ مِنْ جَهَنَّمَ كذلِكَ بالرُّوح؛
ذلِكَ لأنَّ نُورَهُ لَيْسَ مِنْ جِنْسِ النَّار، إنَّهُ ضِدٌّ للنَّارِ طالِبٌ للنُّورِ بالحَقيقَة؛
جاءَ في الحَديثِ أنَّ المُؤمِنَ في الدُّعاء، إذا طَلَبَ الأمانَ مِنَ اللهِ مِنَ النَّار؛
فإنَّ النَّارَ كذلِكَ تَطْلِبُ الأمانَ بالرُّوح، أنْ أي اللهُ احْفَظْني بَعيدَةً عَنْ فُلان؛
فانْظُرِ الآنَ مِنْ جاذِبَةِ الجِنْسِيَّة، أنتَ مِنْ جِنْسِ الكُفْرِ أمْ مِنْ جِنْسِ الدِّيْن؛
فإنْ كُنْتَ مائلاً لِهامانَ أنتَ هامانيّ، وإنْ كُنْتَ مائلاً لِمُوسى فَأنتَ سُبْحانِيّ؛
وإنْ كانَ لَكَ مَيْلٌ مُثارٌ لِكِلا الاثْنَيْن، كانَ العَقْلُ والنَّفْسُ مَعَكَ مُخْتَلِطَيْن؛
كلا الاِثْنَيْنِ في حَرْبٍ فانتَبِهْ وجاهِدْ، كي تَصيرَ المعاني غالِبَةً على الصُّوَر؛
في عالَمِ القِتالِ كفاكَ سَعادَةً أنْ تَرى، في كُلِّ لَحْظَةٍ نَصْراً على العَدُوّ؛
ذاكَ المُخاصِمُ عَسيرُ العاقِبَة، قالَ سَوفَ أذْهَبُ لِهامانَ مِنْ أجْلِ المَشْوَرَة؛
ذَكَرَ وُعُودَ كَليمِ اللهِ تِلْكَ ، لِذلِكَ الضَّالِّ واتَّخَذَهُ مَحْرَماً؛

مَشْوَرَةُ فِرْعَونَ مَعَ وَزيرِهِ هامان بِشَأْنِ الإيمانِ بِموسى عليهِ السَّلام

قصَّ لِهامانَ ما جَرى إذْ رآهُ مُنْفَرِداً، فانتَفَضَ هامانُ وَمَزَّقَ الثَّوب؛
وَرَفَعَ الصَّوتَ بالبُكاءِ يَصْرُخُ ذاكَ اللَّعين، وَرَمى القُبَّعَةَ والتَّاجَ على الأرْض؛
أنْ كَيْفَ يَقُولُ أمامَ وَجْهِ الشَّاه، مِثْلُ ذاكَ الوَقِحِ مِثْلَ ذاكَ الكلامِ الباطِل؛
جَعَلْتُ لَكَ مُسَخَّراً جُمْلَةَ العالَم، جَعَلْتُ عَمَلَكَ رَفيقَ البَخْتِ كالذَّهَب؛
مِنَ المَشارِقِ وَمِنَ المَغارِبِ بلا لِجاج، تَجْلِبُ إلَيْكَ السَّلاطينُ الخِراج؛
المُلُوكُ يُقَبِّلُونَ بالشِّفاهِ سُعَداءَ، تُرابَ أعتابِكَ أيْ مَلِكَ المُلُوك؛
جوادُ العَدُوِّ العَنيدُ إذا رأى جَوادَنا، يُديرُ الوَجْهَ وَيَهْرُبُ بلا عَصا؛
إلى الآنَ كُنْتَ مَعْبُودَ وَمَسْجُودَ العالَمِ، والآنَ تَصيرُ مُحْتَقَرَ العَبيد؛

الكَونُ في أَلْفِ نارٍ خَيْرٌ مِنْ هذا، وأنْ يَصيرَ السَّيْدُ عَبداً لِلْعَبْد؛
كُلا واقْتُلْني أوَّلاً أيْ مُخْضِعَ الصِّيْن، كي لا ترى عَيْني هذا يَجْري على المَلِك؛
أي مَلِكِي أُضْرُبْ عَنُقي أوّلاً، حَتَّى لا تَرى عَيْني هذِهِ المَذَلَّة؛
مِثْلُ هذا لَمْ يَكُنْ وَهيهاتَ أنْ يَكُون، أنْ تَصيرَ الأرْضُ سَماءً والسَّماءُ أرْضاً؛
وأنْ يَصيرَ عَبيدُنا أسياداً لَنا، والأذِلّاءُ مِنَّا مُذِلِّيْنَ لَنا؛
فَتَقَرَّ عُيُونُ الأعداءِ وَيَرْغَمَ الأصْدِقاء، وَنَصيرَ مِنْ بَعْدِ الرَّوضِ في قَعْرِ القَبْر؛

تَفنيد كلام هامان عَلَيْهِ اللَّعْنَة

إنَّهُ لا يُمَيِّزُ العَدُوَّ مِنَ الصَّديق، إنَّهُ يَلْعَبُ النَّرْدَ أعْوَجاً وَعَمِيَّاً؛
عَدُوُّكَ لَيْسَ غَيْرَكَ أنتَ أيْ لَعين، لا تُسَمِّ الأبْرياءَ أعْداءَ مِنَ الحِقْد؛
هذِهِ الحالَةُ السِّيِّئَةُ الَّتي هِيَ لَكَ دَوْلَة، أَوَّلُها السَّعْيُ وآخِرُها الصَّفْعَة؛
إنْ لَمْ تَفِرَّ مِنْ هذِهِ الدَّولَةِ زاحِفاً زَحْفاً، فإنَّ رَبيعَكَ يَجيْءُ خَريفاً؛
كم رأى المَشْرِقُ والمَغْرِبُ مِنْ أمثالِك، قَطَعا رُؤوسَهُمْ وَفَصَلُوها عَنِ البَدَن؛
المَشْرِقُ والمَغْرِبُ اللَّذانِ هُما بلا قَرارٍ، كَيْفَ يَجْعلانِ أخيراً شَخْصاً مُسْتَقِرَّاً؛
النَّاسُ يَتَمَلَّقُونَ لَكَ بِضْعَةَ أيَّامٍ، أعْطَوكَ هذا الفَخْرَ مِنَ الخَوْفِ والقَيْد؛
كُلُّ مَنْ يَقُومُ لَهُ النَّاسُ بالسُّجُود، إنَّما يَمْلَئونَ رُوْحَهُ بالسُّمّ؛
حِيْنَ يَرْجِعُ عَنْهُ ذاكَ السَّاجِدُ لَهُ، يَعْلَمُ أنَّ ذلِكَ السُّمَّ مُحْرِقَه؛
أيْ سَعِدَ ذلِكَ الَّذي ذَلَّتْ نَفْسُه، والوَيْلُ لِذلِكَ الَّذي صارَ مُعانِداً كالجَبَل؛
هذا التَّكَبُّرُ سُمٌّ قاتِلٌ اعْرِفْهُ، سكْرانُهُ ذاكَ سَكِرَ مِنْ خَمْرٍ مليئةٍ بالسُّمّ؛
إذا شَرِبَ خَمْراً مَليئةً بالسُّمِّ مُدْبِرٌ، حَرَّكَ الرَّأْسَ مِنْ طَرَبٍ لِلَحْظَة؛
بَعْدَ لَحْظَةٍ وَقَعَ على رُوْحِهِ السُّمّ، وَقَعَ بَيْنَ السُّمِّ وَرُوحِهِ التَّبادُل؛
إنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ بِسُمِّيَّتِهِ اعتِقاد، وأنَّهُ كالسُّمِّ انْظُرْهُ في قَوْمِ عاد؛

عِنْدَما يَجِدُ مَلِكٌ الغَلَبَةَ على مَلِكٍ، فإنَّهُ يَقْتُلُهُ أو يَحْبِسُهُ في بِئْر؛
وإذا هُوَ وَجَدَ عاجِزاً واقِعاً، عالَجَ جِراحَهُ بالدَّواءِ وَأَعْطاهُ العَطاء؛
إذا لَمْ يَكُنِ التَّكَبُّرُ سُمَّاً لِماذا، قَتَلَ ذلِكَ المَلِكَ بلا ذَنْبٍ مِنْهُ ولا خَطَأ؛
وَكَيْفَ أَسْعَدَ العاجِزَ مِنْ دُونِ خِدْمَةٍ، مِنْ هذَيْنِ العَمَلَيْنِ يَجِبُ أَنْ تَعْرِفَ السُّمَّ؛
إِنَّ قاطِعَ الطَّريقِ لَمْ يَقْطَعْ طريقَ شَحَّاذٍ أَبَداً، وَلَمْ يَعَضَّ ذِئْبٌ ذِئباً مَيِّتاً أَبَداً؛
خَرَقَ الخِضْرُ السَّفينَةَ مِنْ أَجْلِ ذلِكَ، لِيَسْتَطيعَ أَنْ يُنْجِيَ السَّفينَةَ مِنَ الفُجَّار؛
بِما أَنَّ المَكْسُورَ يَنْجُو كُنْ مَكْسُوراً، الأَمْنُ في الفَقْرِ فاذْهَبْ في الفَقْر؛
ذاكَ الجَبَلُ الَّذي حَوى مناجِمَ كَثيرَةً، صارَ مُقَطَّعاً قِطَعاً مِنْ ضَرْبِ المَعاوِل؛
يُضْرَبُ بالمِعْوَلِ لأَنَّهُ جاءَ بالشُّموخ، الظِّلُّ الَّذي انْخَفَضَ لا ضَربَ عَلَيْه؛
الرِّئاسَةُ نِفْطٌ وَنارٌ أيْ غَوِيّ، لِماذا تَذْهَبُ إلى النَّارِ يا أخي؛
كُلُّ مَنْ كانَ سَوِيَّاً مَعَ الأَرْض، متى صارَ هَدَفاً لِلسِّهامِ انْظُرْ؛
فإذا رَفَعَ الرَّأْسَ عَنِ الأَرْضِ فذلِكَ الحِين، يَجِدُ كالأَهْدافِ جِراحاً بلا رَفْو؛
هذِهِ النَّحْنُ والأنا سُلَّمٌ للخَلْق، العاقِبَةُ هِيَ السُّقُوطُ عَنْ هذا السُّلَّم؛
كُلُّ مَنْ صَعَدَ أعلى كانَ أَكْثَرَ بَلَهاً، وَسَوفَ تَكسِرُ الفَأْسُ مِنْهُ العَظْم؛
هذِهِ فُرُوعٌ وَأُصُولُها تِلْكَ، أَنَّ التَّعالِيَ طَلَبٌ للشَّراكَةِ مَعَ الله؛
إنْ لَمْ تَمُتْ وَتَصِرْ حَيَّاً مِنْهُ، أنتَ عاصٍ وَتَطْلُبُ الشَّراكَةَ في المُلْك؛
فإذا صِرْتَ حَيَّاً بِهِ فذاكَ هُوَ نَفْسُهُ، وَحْدَةٌ مَحْضَةٌ فمتى تَكُونُ تِلْكَ شَراكَة؛
شَرْحَ هذا أُطْلُبْ في مِرآةِ الأعمال، فَلَنْ تَجِدَ شَرْحَ ذاكَ مِنَ القيلِ والقال؛
وَلَو أَقُولُ كُلَّ الَّذي أَمْلِكُ في الباطِنِ، كَمْ مِنَ الأكبادِ تَصيرُ دَماً في الحال؛
أَكْتَفي وَهذا للأَذْكِياءِ كافٍ، صَرْخَتَيْنِ صَرَخْتُ إنْ كانَ في القَرْيَةِ حَيٌّ؛
الحاصِلُ أَنَّ هامانَ بِذاكَ الحَديثِ السَّيِّئِ، قَطَعَ مِثْلَ هذا الطَّريقِ على فِرْعَون؛

وَصَلَتْ لُقْمَةُ الدَّولَةِ حَتَّى الفَم، فقامَ بِقَطْعِ الحَلْقِ مِنْهُ فَجْأَةً؛
وأعطى مَحْصُولَ فِرْعَونَ للرِّيْح ، لا كانَ لِمَلِكٍ أَبَداً مِثْلُ هذا الصَّاحِب؛

يَأْسُ مُوسى عَلَيْهِ السَّلامُ مِنْ إيمانِ فِرْعَونَ
مِنْ تأثيرِ حَديث هامان في قَلْب فِرْعَون

قالَ مُوسى أظْهَرنا اللُّطْفَ والجُودَ، لكِنَّ المُلْكَ لَمْ يَكُنْ لَكَ رِزْقاً؛
ذلِكَ المُلْكُ الَّذي لا يَكُونُ صَحيحاً، لا تَعْرِفْهُ يَداً ولا كُمَّاً؛
ذلِكَ المُلْكُ الَّذي كانَ مَسْرُوقاً، كانَ بلا قَلْبٍ ولا رُوحٍ ولا نَظَر؛
ذلِكَ المُلْكُ الَّذي أعطاكَهُ العوامّ، يأْخُذُونَهُ مِنْكَ مُسْتَرِدِّيْنَ إيَّاهُ كالقَرْض؛
المُلْكَ عارِيَةٌ أعْطِهِ للحَقّ ، حتَّى يَهَبَكَ المُلْكَ المُتَّفِق ؛

مُنازَعَةُ أُمَراءِ العَرَب للمُصْطَفى عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلام أنْ اقْتَسِمْ
المُلْكَ مَعَنا كي لا يكُونَ نِزاع، وَجَوابُ المُصْطَفى عَلَيْهِ السَّلامُ أنْ
أنا مَأمورٌ في هذِهِ الإمارَة، والبَحْثُ بَيْنَ الطَّرَفَيْن

أُمَراءُ العَرَبِ أولئكَ تَجَمَّعُوا، عِنْدَ الرَّسُولِ وَدَخَلُوا في النِّزاع؛
أنْ أنْتَ أميرٌ وَكُلُّ واحِدٍ مِنَّا أمير، فَهَبْ هذا المُلْكَ وَخُذْ حِصَّةَ نَفْسِك؛
طالِبُ حِصَّةِ نَفْسِهِ طالِبُ إنْصاف، وَأَنْتَ مِنْ حِصَّتِنا فاغْسِلْ كِلْتا اليَدَيْن؛
قالَ الإمْرَةُ عَطاءُ الحَقِّ لي، وَأَعْطاني الرِّئاسَةَ والأَمْرَ المُطْلَق؛
أنْ هذا قِرانُ أحْمَدَ وَدَوْرُهُ، ألا فَخُذوا الأمْرَ مِنْهُ واتَّقُوا؛
قالَ لَهُ القَومُ وَنَحْنُ مِنْ ذلِكَ القَضاء، حاكِمُونَ وأعْطانا اللهُ الإمْرَة؛
قالَ لكِنَّهُ أعطانِيَ المُلْكَ الحَقَّ، وَأَعطاكُمُ المُلْكَ عارِيَةً لأجْلِ الزَّاد؛
إمْرَتي إلى القيامَةِ باقِيَة، وَتَغْلِبُ الإمْرَةَ الَّتي هِيَ عارِيَة؛

قالَ القَوْمُ أي أميرُ لا تَقُلْ زيادَةً، أيَّةُ حُجَّةٍ لَكَ على طَلَبِكَ الزِّيادَة؛
وفي اللَّحْظَةَ طَلَعَ غَيْمٌ مِنْ أَمْرِ مرْ، وَجاءَ السَّيْلُ وامْتَلأتْ تِلْكَ الأطراف؛
اتَّجَهَ إلى المَدينَةِ سَيْلٌ مَهيب، أَهْلُ المَدينَةِ صَرَخُوا جُمْلَةً مِنَ الرُّعْب؛
قالَ النَّبِيُّ جاءَ وَقْتُ الاِمْتِحان، كي يَصيرَ الظَّنُّ عِياناً الآن؛
فَلْيُلْقِ كُلُّ أميرٍ بِحَرْبَتِه، لِتَصيرَ في الاِمْتِحانِ سَدّاً لِذَلِكَ السَّيْل؛
ثُمَّ ألقى السَّيْفَ مِنْهُ المُصْطَفى، ذلِكَ السَّيْفَ المُعْجِزَ نافِذَ الأمْر؛
واخْتَطَفَ الحِرابَ كأنَّها القَشُّ، ماءُ سَيْلٍ جارِفٍ مُمْتَلِئٍ مُزْبِدٍ عَنُود؛
اخْتَطَفَ الحِرابَ جُمْلَةً وذلِكَ السَّيْفُ، على رأْسِ الماءِ واقِفٌ كالرَّقيب؛
ذاكَ السَّيْلُ العَرِمُ مِنَ الخُضُوعِ لِذلِكَ السَّيْف، أدارَ الوَجْهَ وَغارَ سَيْلُ الماءِ ذاك؛
حِيْنَ رَأَوا مِنْهُ ذاكَ الأمْرَ العَظيم، صاروا مُقِرّيْنَ مِنَ الخَوْفِ أولئكَ الأُمَراء؛
إلَّا ثلاثَةَ أَشْخاصٍ كانَ حِقْدُهُمْ غالِباً، قالُوا عَنْهُ ساحِرٌ وَكاهِنٌ مِنَ الجُحُود؛
المُلْكُ المُقَيَّدُ كَمْ هُوَ ضَعيف، المُلْكُ المُطْلَقُ كَمْ هُوَ شَريف؛
إنْ لَمْ تَكُنْ رَأَيْتَ الحِرابَ مَعَ السَّيْف، اُنْظُرْ اِسْمَهُمْ وانْظُرْ اسْمَهُ أَيْ نَجيب؛
لَقَدْ أَخَذَ اسْمَهُمْ سَيْلُ المَوتِ الحادّ، اِسْمُهُ وَدَوْلَتُهُ القاطِعَةُ لَمْ يَمُوتا؛
يُنادى باسْمِهِ خَمْسَ مَرَّاتٍ على الدَّوام، هكذا كُلَّ يَومٍ إلى يَومِ القيام؛
إنْ كانَ لَكَ عَقْلٌ فَقَدْ فَعَلْتُ لَكَ أَلْطافاً، وإنْ كُنْتَ حِماراً جِئْتُ بالعَصا للحِمار؛
لأُخْرِجَكَ هكذا مِنْ هذِهِ الحَظيرَةِ للخارِجِ، وأمْلأَ رَأْسَكَ وَأُذُنَكَ دَماً مِنَ العَصا؛
فإنَّ في الحَظيرَةِ حَميراً وَرِجالاً، لا يَجِدُونَ مِنْ جَفاكَ الأمان؛
نِعْمَ العَصا جِئْتُ بِها للأدَب، لِكُلِّ حِمارٍ بلا مُسْتَحَبّ؛
تَصيرُ في عِقابِكَ أَفْعى، فَقَدْ صِرْتَ أفْعى في الفِعْلِ والطَّبْع؛
أنتَ أفْعى جَبَلِيَّةٌ بلا أمان، لكِنِ انْظُرْ إلى أفْعى السَّماء؛
هذِهِ العصا جاءَتْ مُجَّةً مِنْ جَهَنَّم، أنْ هَيَّا واهْرُبْ إلى الضِّياء؛

أو تَصيرَ عاجِزاً بَيْنَ أسناني، ولا يَكُونَ لَكَ مَخْلَصٌ مِنْ سِجْني؛
هذِهِ كانَتْ عَصاً والآنَ هِيَ أَفْعى ، كَيْ لا تَقُولَ أَيْنَ هِيَ نارُ الله؛

في بيان أنَّ عارِفَ قُدْرَةِ الحَقّ لا يَسْأَلُ عَنِ الجَنَّةِ والنَّارِ أَيْنَ هُما

حيثُما شاءَ اللهُ جَعَلَ جَهَنَّمَ، وَيَجْعَلُ الأَوْجَ على الطَّائِرِ شِباكاً وَفَخّاً؛
كما تَطلعُ مِنْ أسنانِكَ الآلام، حَتَّى تَقُولَ هذِهِ جَهَنَّمُ والأفعى؛
أو يَجْعَلُ ماءَ فَمِكَ مِنْ عَسَل، حَتَّى تَقُولَ هذِهِ الجَنَّةُ والحُلَل؛
مِنْ جُذُورِ الأسنانِ يَنْبُتُ السُّكَّر، حَتَّى تَعْلَمَ قُوَّةَ حُكْمِ القَدَر؛
فلا تَعَضَّ الأبرياءَ بالأسنان، فَكِّرْ بِضَرْبَةٍ لا يُحْتَرَزُ مِنْها؛
جَعَلَ الحَقُّ النِّيْلَ دَماً للأقْباط، وَحَصَّنَ مِنَ البلاءِ الأسباط؛
حَتَّى تَعْلَمَ أنَّ عِنْدَ الحَقِّ تَمييزاً، ما بَيْنَ يَقِظِ الطَّريقِ والسَّكْران؛
النِّيْلُ تَعَلَّمَ التَّمييزَ مِنَ الله، أنْ افْتَحْ هذا وَأَغْلِقْ هذا بإحكام؛
لُطْفُهُ جَعَلَ النِّيْلَ عاقِلاً، قَهْرُهُ جَعَلَ قابيلَ أَبْلَهاً؛
خَلَقَ في الجَماداتِ العَقْلَ مِنَ الكَرَم، فَصَلَ العَقْلَ عَنِ العاقِلِ بالقَهْر؛
في الجَمادِ مِنَ اللُّطْفِ ظَهَرَ عَقْلٌ، ومِنَ النَّكالِ نَفَرَ مِنَ العُقَلاءِ العِلْم؛
العَقْلُ كالمَطَرِ أَمْطَرَ هُناكَ بالأمْر، العَقْلُ هذِهِ الجِهَةَ رأى غَضَبَ الحَقِّ وَهَرَب؛
الغَيْمُ والشَّمْسُ والقَمَرُ والنَّجْمُ العالي، جُمْلَةً على التَّرْتيبِ تأتي وَتَذْهَب؛
وكُلُّ واحِدٍ لا يَجيْءُ إلَّا بِوَقْتِ نَفْسِه، ولا يَتَأَخَّرُ عَنْ مَوْعِدِ نَفْسِهِ ولا يَتَقَدَّم؛
إنْ لَمْ تَقُمْ بِفَهْمِ هذا مِنَ الأنبياء، جاؤوا بِالعِلْمِ للحَجَرِ والعَصا؛
كي تَعْرِفَ الجَماداتِ الأُخْرى مِنَ القياس، مِثْلَ العصا والحَجَرِ بِغَيْرِ التِباس؛
طاعَةُ الحَجَرِ والعَصا صارَتْ ظاهِرَةً، وَصارَتْ مُخْبِرَةً عَنِ الجَماداتِ الأُخْرى؛
أنْ نَحْنُ مِنَ اللهِ عالِمُونَ وَطائعُون، اعلَمْ أنَّا مِنْ غَيْرِ اتِّفاقٍ جَميعاً ضائعُون؛

مِثْلَ ماءِ النِّيْلِ وَقْتَ الغَرق، فَرَّقَ ما بَيْنَ أُمَّتَيْن؛
مِثْلَ الأرْضِ اعْرِفْها عالِمَةً وَقْتَ الخَسْف، في حقِّ قارونَ قَهَرَتْهُ وَنَسَفَتْهُ نَسْفاً؛
كالقَمَرِ سَمِعَ الأمْرَ وَمُسْرِعاً، صارَ نِصْفَيْنِ على الفَلَكِ وانْشَقّ؛
مِثْلَ الحَجَرِ والشَّجَرِ في كُلِّ مقام ، أَلْقَتْ ظاهِراً على المُصْطَفى السَّلام؛

جَوابُ دَهْرِيٍّ كانَ مُنْكِراً للأُلُوهِيَّةِ وَقائلاً عَنِ العالَمِ أنَّهُ قَديم

أمْسِ كانَ واحِدٌ يَقُولُ العالَمُ حادِث، هذا الفَلَكُ فانٍ والحَقُّ وارِث؛
قالَ لَهُ فَلْسَفِيٌّ كَيْفَ عَرِفْتَ الحُدُوث، الغَيْمُ الحادِثُ ما عِلْمُهُ بالغُيُوث؛
أنتَ لَسْتَ ذَرَّةً مِنَ الإنْقِلاب، ما عِلْمُكَ عَنْ حُدُوثِ الشَّمْس؛
الدُّودَةُ الصَّغيرَةُ المَدْفُونَةُ في الحَدَث، مَتى عَلِمَتْ نِهايَةَ وَبِدايَةَ الأرْض؛
سَمِعْتَ هذا تَقْليداً مِنَ الأب، وَتَمَسَّكْتَ مِنَ الحَماقَةِ بِهذا؛
أَيُّ بُرهانٍ على حُدُوثِ هذا قُلْ، أو فاسْكُتْ ولا تَطْلُبْ زِيادَةً في القَول؛
قالَ رأَيْتُ وَسَطَ هذا البَحْرِ العَميق، فَريقَيْنِ اثْنَيْنِ يَتباحَثانِ يَوماً؛
في جَدالٍ وَفي خِصامٍ وفي نَصَبٍ، واجْتَمَعَ على ذينِكَ الشَّخْصَيْنِ مَلأٌ؛
وأنا صِرْتُ إلى جِهَةِ جَمْعِ المَلأ، وَوَقَفْتُ للاطِّلاعَ على حالِهِم؛
ذاكَ واحِدٌ كانَ يَقُولُ الفَلَكُ فانٍ، بلا شَكٍّ هذا البناءُ لَهُ بانٍ؛
قالَ الآخَرُ هذا قَديمٌ بلا حَدّ، لَيْسَ لَهُ بانٍ أو هُوَ نَفْسُهُ الباني؛
قالَ فَقَدْ صِرْتَ مُنْكِراً للخَلّاق، مُقَلِّبِ اللَّيْلِ والنَّهارِ والرَّزّاق؛
قالَ لا أُرِيْدُ سَماعاً بلا بُرْهان، أنتَ اخْتَرْتَ كُلَّ ما تَقُولُ بالتَّقْليد؛
هيَّا آتِ بالحُجَّةِ والبُرْهانِ فَأَنا، لا أَسْمَعُ هذا بلا حُجَّةٍ في الزَّمَن؛
قالَ الحُجَّةُ في داخِلِ رُوحي، بُرْهاني خَفِيٌّ في داخِلِ رُوحي؛
أَنْتَ لا تَرى الهِلالَ مِنْ ضَعْفِ العَيْن، وأنا أراهُ فلا تَكُنْ غاضِباً عَلَيَّ؛

وَطالَ الجِدالُ واخْتارَ الخَلْق، في بِدايَةِ وَنِهايَةِ هذا الفَلَكِ المُشاد؛
قالَ أيْ صَديقُ إنَّ في داخِلي حُجَّة، هِيَ على حُدُوثِ السَّماءِ آيَة؛
أنا عِنْدِي اليَقينُ أنَّها إشارَةٌ على ذاك، مَنْ لَهُ هذا اليَقينُ يَذْهَبُ في النَّار؛
تِلْكَ الحُجَّةُ لا تَجيْءُ على اللِّسانِ اعْلَمْ، إنَّها مِثْلُ حالِ سِرِّ عِشْقِ العاشِقين؛
ليسَ مُظْهِراً سِرَّ قَولي وَمَقالي، غَيْرُ اصْفِراري وَنُحُولي وَشُحُوبُ وَجْهِي؛
الدَّمْعُ والدَّمُ الجارِيانِ على خَدِّيْ، هُما حُجَّةٌ على حُسْنِهِ وَجَمالِه؛
قالَ أنا لا أَعْرِفُ هذا حُجَّةً، تَكُونُ عِنْدَ العامَّةِ آيَةً؛
قالَ إذا قامَ الزَّيْفُ والصَّحيحُ بالدَّعْوى، أنْ أنْتَ زَيْفٌ وَأَنا صَحيحٌ جَميلٌ غالٍ؛
تكُونُ النَّارُ آخِرَ امْتِحانِ المَتاع، بأنْ يَقَعَ هذانِ القَرينانِ بالنَّار؛
فَيَصيرَ عالِماً بِحالِهِما العامُّ والخاصّ، وَيَذْهَبَ الكُلُّ مِنَ الظَّنِّ والشَّكِّ للإيقان؛
الماءُ والنَّارُ أَيْ عَزيزُ امْتِحان، الصَّحيحُ والزَّائفُ مِنْ ذاكَ يُعْرَفان؛
فَلْنَذْهَبْ أنا وَأَنْتَ كلانا في النَّار، وَنَصيرَ حُجَّةً باقِيَةً للحيارى؛
وَلْنَقَعْ أنتَ وأنا كلانا في البَحْر، وَنَصيرَ أنا وَأَنْتَ آيَةً لِهذِهِ الجَماعَة؛
وَفَعَلا ذلِكَ وَدَخَلا في النَّار، كلاهُما رَمى بِنَفْسِهِ في سَعيرِ النَّار؛
وذاكَ الرَّجُلُ المُدَّعي بِوُجُودِ الله، نَجا واحْتَرَقَ بالنَّارِ ذلِكَ الدَّعِيّ؛
واسْتَمِعْ مِنَ المُؤَذِّنِ هذا الإعْلام، رَغْمَ عَمى الكثيرِ مِنَ الأرواحِ الخامِ عَنْه؛
فإنَّ هذا الإسْمَ لَمْ يَحْتَرِقْ مِنَ الأجَل، إذ مُسَمَّاهُ الصَّدْرُ والأجَلّ؛
مِئاتُ الأُلُوفِ مِنْ هذا الرِّهانِ في قِران، قائِمَةٌ على تَمْزيقِ حُجُبِ المُنْكِرين؛
عِنْدَما تَراهَنُوا غَلَبَ الصَّواب، في الدَّوامِ والمُعْجِزاتِ وَفي الجَواب؛
فَفَهِمْتُ أنَّ ذاكَ الَّذي قالَ بالسَّبْق، وَبِحُدُوثِ الفَلَكِ ظاهِرٌ وَمُحِقّ؛
حِجَّةُ المُنْكِرِ داحِضَةٌ دائماً، أيْنَ إشارَةٌ واحِدَةٌ على صِدْقِ ذاكَ الإنكار؛
هَلْ مِنْ منارَةٍ تُثْني على المُنْكِرين، أيْنَ علامَةٌ عَلَيْها في هذا العالَمِ ما دام؛

سَكُّ المُلُوكِ يَتَغَيَّرُ مِنْ واحِدٍ لآخَر، سَكُّ أَحْمَدَ باقٍ إلى المُسْتَقَرّ؛
على جَبينِ الفِضَّةِ أو على وَجْهِ الذَّهَب، أرِني على السَّكِّ اِسْمَ المُنْكِر؛
وَدَعْ هذا المُعْجِزَ كالشَّمْس، وانْظُرْ ذِكْرَهُ بِأُمِّ الكِتابِ بِمِئَةِ لِسان؛
لا جُرْأَةَ لِشَخْصٍ لِيَزيدَ حَرْفاً مِنْ ذلِك، أو أنْ يُنْقِصَ أو أنْ يَزيدَ في البيان؛
فَكُنْ صَديقَ الغالِبِ لِتَصيرَ غالِباً، ولا تَكُنْ نَصيرَ المَغْلُوبينَ أي غَوِيّ؛
حُجَّةُ المُنْكِرِ الدَّائِمَةُ هِيَ هذِه: أنا بِغَيْرِ هذا الظَّاهِرِ لا أَعْتَرِف؛
ما فَكَّرَ أَنَّهُ حَيْثُما كانَ ظاهِرٌ، فإنَّ ذاكَ عَنْ حِكَمٍ خَفِيَّةٍ مُخْبِرٌ؛
فائِدَةُ كُلِّ ظاهِرٍ في الباطِن ، كما هُوَ النَّفْعُ في الأَدْوِيَةِ كامِن؛

تَفْسيرُ هذهِ الآيَة أنْ وما خَلَقْنا السَّمٰواتِ والأَرْضَ وما بيْنَهُما إلَّا بالحَقّ، ما خَلَقْناها على ما تَرونَ لأجْلِ ما تَرَوْن، بَلْ مِنْ أَجْلِ مَعْنىً وَحِكْمَةٍ باقِيَةٍ أنتُمْ لا تَرونها

لَيْسَ هُناكَ مِنْ رَسَّامٍ رَسَمَ رَسْماً جَميلاً، مِنْ أَجْلِ عَيْنِ الرَّسْمِ بلا أَمَلِ النَّفْع؛
بَلْ مِنْ أجْلِ الصِّغارِ والضِّيْفان، حَتَّى يُفَرِّجَ عَنْهُمُ الهُمُومَ والأَحْزان؛
لِسَعادَةِ الأَطْفالِ وَتَذَكُّرِ الرِّفاق، رِفاقِ الماضي مِنْ ذلِكَ النَّقْش؛
ما مِنْ صانِعِ جِرارٍ أَسْرَعَ في صُنْعِ جَرَّةٍ، مِنْ أجْلِ عَيْنِ الجَرَّةِ لا بِطَلَبِ الماء؛
ولا صانِعِ جِفانٍ صَنَعَ جَفْنَةً على التَّمام، لِأَجْلِ عَيْنِ الجَفْنَةِ لا مِنْ أَجْلِ الطَّعام؛
ولا خَطَّاطٍ خَطَّ خَطَّاً بِفَنّ، مِنْ أَجْلِ عَيْنِ الخَطِّ لا مِنْ أَجْلِ أنْ يُقْرَأ؛
الرَّسْمُ الظَّاهِرُ مِنْ أَجْلِ رَسْمٍ غائبٍ، وذاكَ كانَ مِنْ أَجْلِ غائبٍ آخَر؛
إلى ثالِثٍ ورابِعٍ أُعْطيكَ عَدَّاً، هذِهِ الفَوائدُ تَكُونُ بِمِقْدارِ النَّظَر؛
مِثْلَ أَلْعابِ الشَّطْرَنْجِ أَيْ وَلَد، أُنْظُرْ فائدَةَ كُلِّ لُعْبَةٍ في التَّالِيَة؛
وُضِعَتْ هذهِ لِأجْلِ تِلْكَ اللُّعْبَةِ الخَفِيَّة، وَتِلْكَ مِنْ أجْلِ تِلْكَ وَتِلْكَ مِنْ أجْلِ تِلْك؛

هكذا تُرى الجِهاتُ في الجِهات، مُتَعاقِبَةً تَمْضي في رِبْحٍ وَخُسران؛
الأولى مِنْ أَجْلِ الثَّانِيَةِ تَكُونُ هكذا، كما يَكُونُ الصُّعُودُ على دَرَجاتِ السُّلَّم؛
وَتِلْكَ الثَّانِيَةُ مِنْ أَجْلِ الثَّالِثَةِ اعْلَمْ تَماماً، دَرَجَةً دَرَجَةً حَتَّى تَصِلَ إلى السَّطْح؛
جَعَلَ شَهْوَةَ الأكْلِ مِنْ أَجْلِ ذاكَ المَنِيّ، وَذاكَ المَنِيُّ مِنْ أَجْلِ النَّسْلِ والضِّياء؛
الأَبْلَهُ لا يَرى نَظَرُهُ غَيْرَ هذا، عَقْلُهُ بلا سَيْرٍ كَنَبْتِ الأرْض؛
النَّبْتُ سَواءً دَعَوْتَهُ وَسَواءً لِمْ تَدْعُهُ، قَدَمُهُ عالِقَةٌ بالتُّرابِ عاجِزَة؛
وإنْ حَرَّكَ الرَّأْسَ على سَيْرِ الرّيْحِ اذْهَبْ، أَنْتَ بِتَحْريكِهِ الرَّأْسَ لا تَكُنْ مَغْرُوراً؛
رَأْسُهُ تِلْكَ تَقُولُ أَيْ صَبا سَمِعْنا، وَقَدَمُهُ تَقُولُ عَصَيْنا اتْرُكِيْنا؛
ما دامَ لا يَمْلِكُ السَّيْرَ يَسيرُ كالعَوامّ، يَنْقُلُ الخُطى على التَّوَكُّلِ كالأَعْمى؛
على التَّوَكُّلِ إلى ما يَجيءُ في الحَرْب، كما قامَ بالتَّوَكُّلِ أَصْحابُ النَّرْد؛
وَتِلْكَ الأنْظارُ الَّتي لا تَكُونُ ذابِلَة، لا تَكُونُ غَيْرَ سائِرَةٍ وَغَيْرَ مُمَزِّقَةٍ للحُجُب؛
ذلِكَ الَّذي سَوفَ يَجيءُ في عَشْرِ سِنين، رآهُ في هذِهِ اللَّحْظَةِ بِعَيْنِ نَفْسِه؛
وهكذا كُلُّ شَخْصٍ بِمِقْياسِ النَّظَر، يَرى الغَيْبَ والمُسْتَقْبَلَ والخَيْرَ والشَّرّ؛
إذا لَمْ يَبْقَ سَدٌّ مِنْ أمامٍ ولا سَدٌّ مِنْ خَلْف، تَصيرُ العَيْنُ مُفَسِّرَةً وَتَقْرَأُ لَوْحَ الغَيْب؛
حِيْنَ نَظَرَ للوراءِ حَتَّى بَدْءِ الوُجُود، ظَهَرَ لَهُ الحُدُوثُ وَبِدايَةُ الوُجُود؛
بَحْثُ ملائكَةِ الأرْضِ مَعَ ما لَهُمْ مِنْ كِبْرياء، في أمْرِ جَعْلِ اللهِ أبانا خَلِيْفَةً؛
عِنْدَما ألقى النَّظَرَ إلى أمامٍ رأى، كُلَّ ما هُوَ كائنٌ ظاهِراً إلى المَحْشَر؛
يَرى ما وراءَ الوَراءِ إلى أَصْلِ الأصْل، وَيَرى مِنَ الأمامِ عِياناً إلى يَومِ الفَصْل؛
وَكُلُّ شَخْصٍ لَهُ مِقْدارٌ مِنْ ضِياءِ القَلْب، رأى الغَيْبَ بِمِقْدارِ ما لَهُ مِنْ صَقْل؛
كُلُّ مَنْ زادَ في الصَّقْلِ رأى أَكْثَرَ، بَدَتْ لَهُ الصُّوْرَةُ ظاهِرَةً أَكْثَر؛
إنْ كُنْتَ تَقُولُ ذلِكَ الصَّفاءُ فَضْلُ الله، تَوْفيقُ الصَّقْلِ مِنْ ذلِكَ العَطاءِ أَيْضاً؛
على قَدْرِ الهِمَّةِ يَكُونُ ذلِكَ الجُهْدُ والدُّعا، لَيْسَ للإنسانِ إلَّا ما سَعى؛

واهِبُ الهِمَّةِ اللهُ وَحْدَهُ، هِمَّةُ الشَّاهِ لَيْسَتْ لِكُلِّ خَسيس؛
ولا تَخْصيصَ لِشَخْصٍ مِنَ اللهِ بِعَمَل، المانِعُ الطَّوْعُ والمُرادُ والاِخْتِيار؛
لكِنْ حِيْنَ أعْطى الأَلَمَ لِسَيِّئِ البَخْت، فَرَّ بِمَتاعِهِ إلى الكُفْران؛
وَلَمَّا أَعْطى الحَقُّ الأَلَمَ لِحَسَنِ البَخْت، قَرَّبَ المَتاعَ أَكْثَرَ فَأَكْثَر؛
سَيِّئو القُلُوبِ مِنْ خَوْفٍ على الرُّوحِ في الحَرْب، جَعَلُوا أَسْبابَ الهَزيمَةِ الاخْتيار؛
طَيِّبُو القُلُوبِ في الحَرْب مِنْ خَوْفٍ على الرُّوحِ، حَمَلُوا مُقْدِمينَ على الأَعْداء؛
الخَوْفُ والغَمُّ حَمَلا الشُّجْعانَ للأمام، سَيِّئُ القَلْبِ مِنَ الخَوْفِ ماتَ في اللَّحْظَة؛
وَبِما أنَّ المِحَكَّ جاءَ البلاءُ وَخَوْفُ الرُّوح ، صارَ مُمَيَّزاً الشُّجاعُ مِنْ كُلِّ جَبان؛

وَحْيُ الحَقِّ لِمُوسى عَلَيْهِ السَّلام أن
أَيْ مُوسى أنا الحَقُّ خالِقُكَ وأنا أُحِبُّك

قالَ اللهُ لِمُوسى بِوَحْيِ القَلْب، أنْ أيْ مُنْتَجَبُ أنا أُحِبُّك؛
قالَ فَأَيَّةُ خَصْلَةٍ كانَتْ أَيْ ذا الكَرَم، مُوْجِبَةً لِذلِكَ وأنْ أكُونَ زائداً مِنْ تِلْك؛
قالَ أنتَ كالطِّفْلِ عِنْدَ الوالِدَة، وَقْتَ عِقابِها لَهُ يَتَمَسَّكُ بِها باليَدِ أيْضاً؛
إنَّهُ لا يَعْرِفُ غَيْرَها دَيَّاراً، فَهُوَ مِنْها مَخْمُورٌ وَهُوَ مِنْها سَكْران؛
أُمُّهُ وإنْ قامَتْ بِلَطْمِه، يَجيءُ أَيْضاً إلى الأُمِّ وَيُمْسِكُ بِها؛
ولا يَطْلُبُ العَوْنَ مِنْ أحَدٍ غَيْرِها، هِيَ لَهُ كُلُّ خَيْرِهِ وَشَرِّه؛
خاطِرُكَ مِنَّا أيضاً في الخَيْرِ والشَّرّ، لَيْسَ لَهُ التِفاتٌ إلى الجِهاتِ الأُخْرى؛
غَيْرُنا عِنْدَكَ كالحِجارِ والطُّوب، أكانَ صَبِيَّاً أمْ شابَّاً أمْ شَيْخاً؛
هكذا *إيَّاكَ نَعْبُدُ* في الحَنين، في البلاءِ بِغَيْرِكَ لا نَسْتَعين؛
إيَّاكَ نَعْبُدُ هذِهِ في اللُّغَة، بِها حَصْرٌ وذاكَ مِنْ أَجْلِ نَفْيِ الرِّياء؛

وإيَّاكَ نَسْتَعينُ أيْضاً للحَصْر، حَصْرٌ للاِسْتِعانَةِ بِها وَقَصْر؛
أنْ نَحْنُ نَفْعَلُ العِبادَةَ لَكَ وَحَسْب ، وَنَطْمَعُ بالعَوْنِ مِنْكَ وَحَسْب ؛

غَضَبُ الشّاهِ على نَديمٍ وَشَفاعَةُ شَفيعٍ لِذاكَ المَغْضُوبِ عَلَيْهِ
وَطَلَبُهُ العَفْوَ مِنَ المَلِكِ، وَقَبُولُ المَلِكِ شَفاعَتَهُ، وَتَأَلُّمُ النَّديمِ
مِنَ الشَّفيعِ أنْ لِمَ قُمْتَ بالشّفاعَة

مَلِكٌ غَضِبَ على نَديم، أرادَ أنْ يُنْزِلَ بِهِ أَشَدَّ العِقاب؛
أَخْرَجَ الشّاهُ سَيْفَهُ مِنَ الغِلاف، لِيَضْرِبَهُ بِهِ جَزاءَ ذاكَ الخِلاف؛
وَلَمْ تَكُنْ لِشَخْصٍ الجُرْأَةُ لِيَتَكَلَّم، أو لِشَفيعٍ الجُرْأَةُ لِيَقُومَ بالشّفاعَة؛
إلَّا المُسَمَّى عِمادَ المُلْكِ مِنَ الخَواصّ، شَبِيْهُ المُصْطفى في الشّفاعَةِ خاصّ؛
نَهَضَ وَوَقَعَ ساجِداً سَريعاً، وفي اللَّحْظَةِ وَضَعَ الشّاهُ سَيْفَ العِقابِ مِنَ الكَفّ؛
قالَ عَفَوْتُ عَنْهُ وَلَو كانَ شَيْطاناً، سَتَرْتُ عَلَيْهِ وَلَوْ فَعَلَ فِعْلَ إبليس؛
ما دُمْتَ جِئتَ ساعِياً في الوَساطَة، رَضيتُ وَلَو سَبَّبَ المُجْرِمُ مِئَةَ أذى؛
أَقْدِرُ أنْ أكْظِمَ مِئَةَ أَلْفِ غَيْظٍ، فإنَّ لَكَ ذلِكَ الفَضْلَ وذلِكَ المِقْدار؛
كلامَكَ لا أسْتَطيعُ أنْ أرُدّ، ذلِكَ لأنَّ كلامَكَ كلامي يَقيناً؛
ما كُنْتُ وَلَو خَرُبَتْ الأرْضُ والسَّماءُ، تارِكاً الاِنْتِقامَ مِنْ هذا الرَّجُل؛
ما كانَ وَلَوْ صارَ ذَرَّةً بِذَرَّةٍ مُتَضَرِّعاً، لِيَنْجُوَ برأسِهِ مِنْ هذا السَّيْفِ هذِهِ اللَّحْظَةَ؛
أنا لا أَضَعُ عَلَيْكَ المِنَّةَ أيْ كَريم، هذا شَرْحٌ لِعِزَّتِكَ أَيْ نَديم؛
أنتَ لَمْ تَفْعَلْ هذا أنا فَعَلْتُ يَقيناً، أيْ مَنْ صِفاتُكَ في صِفاتِنا دَفينَةٌ؛
أنتَ في هذا مُسْتَعْمَلٌ لا عامِل، ذلِكَ لأنَّكَ مَحْمُولِيَ لا الحامِل؛
لَقَدْ صِرْتَ *ما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْت*، تَرَكْتَ نَفْسَكَ في المَوْجِ كالزَّبَد؛
صِرْتَ لا بِجانِبِ إلَّا في المَنْزِلَة، أيْ عَجَباً أنْ أيْضاً أسيرٌ وأيضاً أمير؛

أنتَ لَمْ تُعْطِ ما أعْطَيْتَ، الشَّاهُ أعْطى، هُوَ كافٍ واللهُ أَعْلَمُ بالرَّشاد؛
وذاكَ النَّديمُ النَّاجِيْ مِنَ العِقابِ والبلاء، تَأَذَى مِنْ هذا الشَّفيعِ وَتَرَكَ الولاء؛
قَطَعَ الصَّداقَةَ مَعَ ذلِكَ المُخْلِصِ التَّمام، وَجَّهَ الوَجْهَ للحائطِ لِئَلَّا يَجِيْءَ بالسّلام؛
صارَ مُجافِياً لِشَفيعِ نَفْسِهِ هذا، مِنَ التَّعَجُّبِ صارَ الخَلْقُ مَسْحُوراً؛
أنْ أَلَيْسَ مَجْنُوناً كَيْفَ قَطَعَ الصَّداقَة، مَعَ الشَّخْصِ الَّذي اشْتَرى لَهُ الرُّوْح؛
اشْتَراهُ تِلْكَ اللَّحْظَةَ مِنْ ضَرْبِ عُنُقِهِ، كانَ يَجِبُ أنْ يَصيرَ تُراباً لِنَعْلِ قَدَمِه؛
سارَ مَقْلُوباً وَأَخَذَ النُّفُور، أخَذَ الحِقْدَ على مِثْلِ هذا المَعْشُوق؛
فقامَ بالملامَةِ لَهُ مُصْلِحٌ، أنْ كَيْفَ تَفْعَلُ هذا الجَفاءَ للنَّاصِح؛
ذاكَ المَعْشُوقُ الخاصُّ اشْترى رُوحَكَ، وَخلَّصَكَ تِلْكَ اللَّحْظَةَ مِنْ ضَرْبِ عُنُقِكَ؛
وَلَو فَعَلْتَ سُوءاً لا يَجِبُ أنْ تَفِرّ، خاصَّةً مِنَ الحَبيبِ الحَميدِ الَّذي فَعَلَ خَيْراً؛
قالَ إنَّ الرُّوحَ مَبْذُولَةٌ مِنْ أَجْلِ الشَّاه، هُوَ لِماذا يَجيءُ شَفيعاً بَيْننا؛
تِلْكَ اللَّحْظَةَ كانَتْ *لي مَعَ اللهِ وَقْتٌ*، لا يَسَعُني فيهِ نَبِيٌّ مُجْتَبى؛
أنا لا أُريدُ رَحْمَةً إلَّا ضَرْبَةَ الشَّاه، أنا لا أُريدُ مَلْجَأً غَيْرَ ذلِكَ الشَّاه؛
غَيْرَ الشَّاهِ مِنْ أَجْلِ ذلِكَ رَفَضْت، أنا للشَّاهِ تَوَجَّهْتُ والشَّاهَ تَوَلَّيْت؛
لَوْ أنَّ الشَّاهَ قَطَعَ رَأْسي بِقَهْرِهِ، لَوَهَبَني مِنْهُ سِتّيْنَ رُوحاً أُخْرى؛
شُغْلي هُوَ اللَّعِبُ بالرَّأْسِ وَفَقْدُ النَّفْس، وَشُغْلُ مَلِكِ المُلُوكِ أنْ يَهَبَ لِيَ الرَّأْس؛
الفَخْرُ لِذاكَ الرَّأْسِ الَّذي قَطَعَهُ كَفُّ الشَّاه، العارُ لِذاكَ الرَّأْسِ الَّذي ابْتَعَدَ للغَيْر؛
اللَّيْلُ الَّذي مَسَحَهُ الشَّاهُ مِنَ القَهْرِ بالقِيْر، يُزْري بالأُلُوفِ مِنْ أيَّامِ العِيْد؛
طَوافُ ذاكَ الَّذي كانَ يَرى الشَّاه، يَكُونُ فَوْقَ القَهْرِ واللُّطْفِ والكُفْرِ والدِّيْن؛
مِنْ ذاكَ الطَّوافِ لَمْ تَجِئْ عِبارَةٌ إلى الدُّنيا، فَذاكَ مَخْفِيٌّ وَمَخْفِيٌّ وَمَخْفِيّ؛
ذلِكَ أنَّ هذِهِ الأسْماءَ والألْفاظَ الحَميدَةَ، مِنْ طِيْنَةِ الآدَمِيّ جاءَتْ ظاهِرَة؛
عَلَّمَ الأَسْماءَ كانَتْ لآدَمَ الإمام، لكِنْ لَيْسَ في لِباسِ العَيْنِ واللّام؛

لَمَّا وَضَعَتْ عمامَةَ الماءِ والطِّيْن، صارَتْ تِلْكَ الأسْماءُ الرُّوحِيَّةُ سَوْداءَ الوَجْه؛
تَنَقَّبَتْ بِرِداءِ الحُرُوفِ والألْفاظ، لِيَصيرَ ذاكَ المَعْنى ظاهِراً للماءِ والطِّيْن؛
رَغْمَ أنَّ المَنْطِقَ كاشِفٌ مِنْ وَجْهٍ ، إلَّا أنَّهُ حِجابٌ وَمُكْنِفٌ مِنْ عَشْرَةِ وُجُوه ؛

قَوْلُ الخَليلِ لِجِبرائيل عَلَيْهِ السَّلام حِيْنَ سَأَلَهُ أَلَكَ حاجَةٌ فأجابَهُ الخَليلُ أمَّا إِلَيْكَ فلا

أنا خَليلُ وَقْتي وَهُوَ جَبْرَائيل، أنا لا أُريدُ في البلاءِ دَليلاً إِلَيْه؛
هُوَ لَمْ يَتَعَلَّمِ الأَدَبَ مِنْ جَبْرائيلَ النَّجِيب، إذْ سَأَلَ خَليلَ الحَقِّ عَنِ المُراد؛
أنْ ما مُرادُكَ حَتَّى أُقَدِّمَ لَكَ العَوْنَ، وإلَّا نَفَرْتُ وَخَفَفْتُ فَلَمْ أُثْقِلْ؛
قالَ إبراهيمُ لا فاذْهَبْ مِنَ الوَسَط، الواسِطَةُ بَعْدَ العِيانِ إزْعاج؛
المُرْسَلُ هُوَ رابِطَةٌ مِنْ أجْلِ هذِهِ الدُّنيا، مِنْ كَوْنِهِ واسِطَةً للمُؤمِنين؛
لَوْ كانَ كُلُّ قَلْبٍ سامِعاً للوَحْيِ الخَفِيّ، مَتى كانَ الحَرْفُ والصَّوْتُ في العالَم؛
رَغْمَ كَوْنِهِ بلا رَأْسٍ وَمَحْوَ الحَقّ، فإنَّ أَمْرِيَ مِنْ ذلِكَ أَدَقّ؛
فِعْلُهُ فِعْلُ الشَّاهِ وَلكِنْ ، أمامَ ضَعْفي بَدا واضِحَ السُّوء؛
ذاكَ الَّذي يَكُونُ عَيْنَ اللُّطْفِ للعَوامّ، يَكُونُ قَهْراً للمُدَلَّلينَ الكِرام؛
يَجِبُ احْتِمالُ الكَثيرِ مِنَ البلاءِ والألَم، للعامَّةِ كَيْ يَقْدِرُوا على رُؤيَةِ الفَرْق؛
حُرُوفُ الواسِطَةِ هذِهِ أَيْ صاحِبَ الغار، عِنْدَ الواصِلِ شَوْكٌ وَشَوْكٌ وَشَوْك؛
يَجِبُ الكَثيرُ مِنَ البلاءِ والأَلَمِ والوُقُوف، لِتَتَحَرَّرَ الرُّوحُ الصَّافِيَةُ مِنَ الحُرُوف؛
إن صارَ البَعْضُ مِنْ هذِهِ الحُرُوفِ أَسْوَأ، فالبَعْضُ صارَ صافِياً وَصارَ أَعْلى؛
مِثْلَ ماءِ النِّيْلِ جاءَ هذا البلاء، ماءاً للسُّعَداءِ وَدَماً للأشْقِياء؛
كُلُّ مَنْ كانَ أنْظَرَ للنِّهايَةِ كانَ أسْعَد، كُلُّ مَنْ زَرَعَ أَكْثَرَ رأى ثَمَراً أكْثَر؛
ذلِكَ لأنَّهُ عَلِمَ أنَّ هذِهِ الدُّنيا زَرْعٌ، مِنْ أجْلِ المَحْشَرِ والحَصاد؛

لَمْ يَكُنْ هُناكَ مِنْ عَقْدٍ مِنْ أجْلِ عَيْنِ العَقْد، بَلْ مِنْ أجْلِ مَقامِ الرِّبْحِ والنَّفْع؛
وَلَمْ يَكُنْ هُناكَ أَيُّ مُنْكِرٍ لَوْ نَظَرْتَ حَسَناً، كانَ إنكارُهُ لأجْلِ عَيْنِ الإنكار؛
بَلْ مِنْ أجْلِ قَهْرِ خَصْمٍ في حَسَد، أو طَلَباً للزِّيادَةِ وإظْهاراً للنَّفْس؛
وَتِلْكَ الزِّيادَةُ أَيْضاً لأجْلِ طَمَعٍ آخَر، مِنْ دُونِ المَعاني لا مَذاقَ للصُّوَر؛
مِنْ ذاكَ تَظَلُّ سائلاً لِمَاذا عَمِلْتُ هَذا، فالصُّوَرُ زَيْتٌ والمَعْنى ضِياءٌ؛
وإلَّا فالقَوْلُ لِماذا مِنْ أَجْلِ ماذا؟، لَو كانَتِ الصُّورَةُ مِنْ أَجْلِ عَيْنِ الصُّورَة؛
قَوْلُ لِماذا سُؤالٌ عَنِ الفائدَة، قَوْلُ لِماذا إلَّا مِنْ أَجْلِ هذا رَديء؛
مِنْ أيِّ وَجْهٍ تَطْلُبُ الفائدَةَ أَيْ أمين، لَو كانَتْ فائدَةُ الشَّيْءِ هِيَ الشَّيْءُ نَفْسُه؛
إذنْ نُقُوشُ السَّماءِ وَأَهْلُ الأرْض، لَيستْ حِكْمَةً فذاكَ كانَ مِنْ أَجْلِ هذا؛
إنْ لَمْ يَكُنْ حَكيماً فَما هذا التَّرْتيب، وإنْ كانَ حِكيماً فَفِعْلُهُ فارِغ؛
لا أحَدَ جَعَلَ الرَّسْمَ على الحَمَّامِ والخِضابَ، إلَّا بِقَصْدِ صَوابٍ أو غَيْرِ صَواب؛

مُطالَبَةُ مُوسى عَلَيْهِ السَّلامُ الحَضْرَةَ أنْ خَلَقْتَ خَلْقاً وَأَهْلَكْتَهُمْ وَمَجيءُ الجواب

قالَ مُوسى أَيْ إلٰهَ الحِساب، صَوَّرْتَ فَكَيْفَ خَرَبْتَ ما صَوَّرْت؛
صَوَّرْتَ الذَّكَرَ والأُنثى يَهَبانِ الحَياة، ثُمَّ آنَذاكَ خَرَبْتَ هذا لِماذا؟؛
قالَ الحَقُّ إنِّي أَعْلَمُ أنَّ سُؤالَكَ هذا، لَيْسَ مِنْ الإنكارِ والغَفْلَةِ وَمِنَ الهَوى؛
وإلَّا لَكُنْتُ آذَيْتُكَ وَعاقَبْتُكَ، وَكُنْتُ آذَيْتُكَ مِنْ أجْلِ هذا السُّؤال؛
لكِنَّكَ تُريدُ أنْ تَبْحَثَ عَنِ الحِكْمَةِ، في أَفْعالِنا وَعَنْ سِرِّ البَقاء؛
حَتَّى تَجْعَلَ واقِفاً على ذلِكَ العامِّيّ، وَتُحَوِّلَ بِهذا كُلَّ فَجٍّ خامٍ إلى ناضِج؛
قاصِداً سَأَلْتَ لأجْلِ الكَشْفِ للعَوامّ، مَعَ أَنَّكَ أنتَ واقِفٌ على ذلِك؛
ذاكَ لأنَّ هذا السُّؤالَ جاءَ نِصْفَ العِلْم، وَلَيْسَ لِكُلِّ ظاهِرِيٍّ هذا المَجال؛

السُّؤالُ طَلَعَ مِنَ العِلْمِ وَأَيْضاً الجَواب، كالشَّوكِ والوَرْدِ طَلَعا مِنَ الماءِ والتُّراب؛
وَنَهَضَ مِنَ العِلْمِ أَيْضاً الضَّلالُ والهُدى، كما نَهَضَ العَذْبُ والمالِحُ مِنَ النَّدى؛
وَمِنَ العِلْمِ نَهَضَ البُغْضُ والوَلا، وَمِنَ الغِذاءِ الطَّيِّبِ كانَ السُّقْمُ والقُوى؛
مُسْتَفيداً وَأَعْجَمِيّاً صارَ ذاكَ الكليم، لِيَجْعَلَ الأَعْجَمِيّينَ عالِمِينَ بِهذا السِّرّ؛
وَلْنَجْعَلْ نَحْنُ أَيْضاً مِنْ أَنْفُسِنا أعْجَمِيّين، نَجيءُ بِجَوابِهِ أَمامَهُ كالغَريب؛
بائعو الحَميرِ يَتَخاصَمُونَ الواحِدُ مَعَ الآخَر، حَتَّى يَصِلُوا إلى مِفْتاحِ ذاكَ العَقْد؛
ثُمَّ قالَ لَهُ الحَقُّ أَيْ ذا اللُّباب، ما دُمْتَ سَأَلْتَ فَتَعالَ اسْمَعِ الجَواب؛
مُوسَيا اِزْرَعِ الحَبَّةَ في الأَرْض، حَتَّى تُعْطِيَ أنتَ نَفْسُكَ إنْصافَ هذا؛
عِنْدما زَرَعَ مُوسى وَبَلَغَ زَرْعُهُ التَّمام، وَسَنابِلُهُ وَجَدَتِ الجَمالَ والنِّظام؛
أَخَذَ المنْجلَ وَراحَ يَقْطَعُ ذاك، فَجاءَ نِداءٌ مِنَ الغَيْبِ إلى أُذُنِه؛
أنْ لِماذا زَرَعْتَ ذاكَ وَرَبَّيْتَهُ، وَحِيْنَ وَجَدَ الكَمالَ قَطَعْتَهُ؛
قالَ يا رَبِّ جَعَلْتُ مِنْ ذاكَ خَراباً وَدَقيقاً، فإنَّ في هذا الحُبُوبَ وَفيهِ التِّبْن؛
الحَبَّةُ غَيْرُ لائقَةٍ بِمَخْزَنِ التِّبْن، وَوَضْعُ التِّبْنِ في مَخْزَنِ القَمْحِ أَيْضاً فَساد؛
لَيْسَ مِنَ الحِكْمَةِ خَلْطُ هذَيْن، يَجِبُ التَّفْريقُ بالغَرْبَلَةِ بَيْنَ الاِثْنَيْن؛
قالَ هذا العِلْمُ أنتَ مِمَّنْ تَعَلَّمْت، حَتَّى بالعِلْمِ أَعْدَدْتَ بَيْدَراً؛
قالَ أنتَ أَعْطَيْتَني التَّمييزَ أَيْ رَبّ، قالَ فَكَيْفَ أَكُونُ أنا بلا تَمييز؛
في الخلائقِ هُناكَ أرواحٌ طاهِرَةٌ، وهُناكَ أرواحٌ كَدِرَةٌ كالطِّيْن؛
وهذِهِ الأَصْدافُ لَيْسَتْ بِمَرْتَبَةٍ واحِدَة، فَفي واحِدَةٍ دُرٌّ وفي الأُخْرى شَبَه؛
إظْهارُ هذا الجَميلِ وَهذا الفاسِدِ واجِبٌ، مِثْلَ إظْهارِ الحُبُوبِ مِنَ التِّبْن؛
خَلْقُ العالَمِ هذا مِنْ أَجْلِ الإظْهار، حتَّى لا يَبقى كَنْزُ الحِكَمِ مَخْفِيّاً؛
اِسْمَعْ قَوْلَ كُنْتُ كَنْزاً مَخْفِيّاً ، لا تَقُمْ بِتَضْييعِ جَوْهَرِ النَّفْسِ وقُمْ بالإظْهار؛

بيان في أنَّ الرُّوحَ الحَيَوانِيَّ والعَقْلَ الجُزْئِيَّ والوَهْمَ والخَيالَ على مِثالِ الثُّمالَةِ، والرُّوحُ الَّتي هِيَ باقِيَةٌ، مَخْفِيَّةٌ مِثْلَ الزَّيْتِ في هذِهِ الثُّمالَةِ

جَوْهَرُ صِدْقِكَ صارَ خافِياً مِنَ الكَذِب، مِثْلَ طَعْمِ الزَّيْتِ في طَعْمِ الثُّمالَة؛
كِذْبُكَ ذاكَ هُوَ جَسَدُكَ الفاني، صِدْقُكَ ذاكَ هُوَ رُوْحُكَ الرَّبَّاني؛
سِنينَ والبَدَنُ الثُّمالَةُ ظاهِرٌ وَفاشٍ، وَزَيْتُ الرُّوحِ فيهِ فانٍ وَمُتلاشٍ؛
إلى أنْ أَرْسَلَ الحَقُّ عَبْداً رَسُولاً، مُحَرّكاً للثُّمالَةِ في الخَمْرَة؛
حَتَّى حَرَّكَ بِأُسْلُوبٍ وَفَنّ، لِأَعْلَمَ مَنْ كانَ فِيَّ مَخْفِيَّاً؛
أو كلامُ عَبْدٍ لَهُ فذلِكَ جُزْءٌ، يَدخُلُ في أُذُنِ مَنْ كانَ طالِبَ وَحْيٍ؛
أُذُنُ المُؤمِنِ واعِيَةٌ لِوَحْينا، هكذا أُذُنٌ قَرينَةٌ للدَّاعِي؛
مِثْلَ الطِّفْلِ تَصيرُ أُذُنُهُ ملأى، مِنْ قَوْلِ الأُمّ وَيَصيرُ ناطِقاً في الكلام؛
وإنْ لَمْ يَكُنْ للطِّفْلِ أُذُنُ الرَّشَد، ولا يَصِلُهُ كلامُ الأُمّ يَصيرُ أبكَم؛
كُلُّ أَصَمّ أَصْلِيٍّ يَكُونُ أَبْكَمَ دائماً، النَّاطِقُ هُوَ الشَّخْصُ الَّذي سَمِعَ مِنَ الأُمّ؛
واعْلَمْ أنَّ أُذُنَ الأَصَمّ والأبْكَمِ مِنْ آفَةٍ، لا تَكونُ قابلَةً للكلامِ والتَّعْليم؛
ذاكَ النَّاطِقُ بلا تَعْليمٍ هُوَ الله، إذْ صِفاتُهُ مُنْفَصِلَةٌ عَنِ العِلَل؛
أو مِثْلَ آدَمَ قامَ بِتَلْقِيْنِهِ الله، بلا حِجابِ الأُمّ والحاضِنَةِ وَمَنْ في مقامِهِما؛
أو مَسيحِيَّاً بِتَعليمِ الوَدُود، جاءَ ناطِقاً بالوِلادَةِ في الوُجُود؛
مِنْ أَجْلِ دَفْعِ التُّهْمَةِ في الوِلاد، أنْ لَمْ يُولَدْ مِنْ زِناً أو فَساد؛
الحَرَكَةُ واجِبَةٌ باجْتِهاد، حَتَّى تُعيدَ الثُّمالَةُ ذلِكَ الزَّيْتَ مِنَ القَلْب؛
الزَّيْتُ داخِلَ الثُّمالَةِ لا يَظْهَرُ كَأَنَّهُ العَدَم، والثُّمالَةُ في الوُجُودِ رافِعَةُ العَلَم؛
ذاكَ الَّذي يَظْهَرُ لَكَ ظاهِراً هُوَ الجِلْد، وَذاكَ الَّذي يتَظاهَرُ فانياً أَصْلُه؛
الثُّمالَةُ الَّتي لَيْسَ فيها زَيْتٌ وَقَديمَة، لا نَفْعَ فيها إذا لَمْ تُصَفَّ؛

هَيَّا حَرِّكْها بالعِلْمِ يَداً بِيَد، حَتَّى تُظْهِرَ ذاكَ الَّذي أُخْفِيَ فيها؛
ذاكَ أنَّ هذا الفانيَ دَليلُ الباقي ، تَضَرُّعُ السُّكارى دَليلُ السَّاقي ؛

مِثالٌ آخَرُ أَيْضاً في هذا المَعْنى

ألاعيبُ أَسَدِ العَلَمِ ذاكَ، دَليلٌ على الرِّياحِ المُكْتَتَمَة؛
لَولا وُجُودُ حَرَكَةِ تِلْكَ الرِّياح، الأَسَدُ المَيْتُ مَتى كانَ يَقْفِزُ في الهَواء؛
مِنْ ذلِكَ تَعْرِفُ الرِّيْحَ أكانَتْ صَبا، أمْ دَبُوراً. ذا بيانُ ذاكَ الخَفاء؛
وَهذا البَدَنُ نَظيرُ أَسَدِ العَلَم، يُحَرِّكُهُ الفِكْرُ لَحْظَةً بِلَحْظَة؛
الفِكْرُ الطَّالِعُ مِنَ المَشْرِقِ ذاكَ الصَّبا، وذاكَ مِنَ المَغْرِبِ الدَّبورُ فيها الوَبا؛
مَشْرِقُ ريحِ الفِكْرَةِ هُوَ مَشْرِقٌ آخَر، مَغْرِبُ ريحِ الفِكْرَةِ مِنْ ذلِكَ المَيْل؛
القَمَرُ جَمادٌ وَمَشْرِقُهُ جَماد، وَمَشْرِقُ رُوْحِ رُوْحِ الرُّوحِ الفُؤاد؛
مَشْرِقُ الشَّمْسِ المُضيئةِ الباطِنُ، وَشَمْسُ النَّهارِ قِشْرٌ وَعَكْسٌ لِذاك؛
ذلِكَ أنَّهُ إذا ماتَ البَدَنُ أبو اللَّهَب، لا يَظْهَرُ أمامَهُ نَهارٌ ولا لَيْل؛
وإذا لَمْ يَكُنْ بَدَنٌ يَكونُ التَّمام، بلا لَيْلٍ ولا نَهارٍ لَهُ انتِظام؛
مِثْلَما ترى العَيْنُ القَمَرَ والشَّمْسَ، بلا قَمَرٍ وَشَمْسٍ في المنام؛
نَوْمُنا صارَ أَخَ المَوْتِ أَيْ فُلان، مِنْ هذا الأخِ فَلْتَعْرِفْ ذاكَ الأخ؛
وإنْ قِيْلَ لَكَ أنَّ ذاكَ فَرْعُ هذا، لا تَسْمَعْ ذاكَ أَيْ مُقَلِّداً بلا يَقين؛
نَوْمُ رُوحِكَ كانَ يرى مِنْ وَصْفِ الحال، ما لمْ ترَ في اليَقَظَةِ في عِشْرينَ عاماً؛
وَأَنْتَ في طَلَبِ تَعبيرِ ذاكَ تَجْري، إلى جِهَةِ مُلُوكِ الدَّهاءِ الأعْمار؛
أنْ قُلْ تَعْبيرَ ذاكَ المَنامِ ما يَكُون، القَوْلُ لِمِثْلِ هذا السِّرِّ فَرْعٌ شُغْلُ الكلاب؛
هذا نَومُ العامَّةِ وإنَّ نَومَ الخَواصّ، يكُونُ أَصْلِ الاِجْتِباءِ والإِخْتِصاص؛
يَجِبُ الكَوْنُ فيلاً حَتَّى إذا نامَ على القَفا، رأى في النَّوْمِ خِطَّةَ بلادِ الهِنْد؛

الحِمارُ لا يرى بلادَ الهِنْدِ في النَّومِ أَبَداً، لأنَّ الحِمارَ لَمْ يَغْتَرِبْ مِنْ بلادِ الهِنْد؛
تَجِبُ رُوحٌ كالفِيْلِ حَسَنَةٌ عَظيمَةٌ، لِتَسْتَطيعَ الذَّهابَ في النَّوْمِ إلى الهِنْدِ مُسْرِعَة؛
الفِيْلُ يَذْكُرُ بلادَ الهِنْدِ في الطَّلَب، فَيَصيرُ مُصَوَّراً ذِكْرُهُ ذاكَ في اللَّيْل؛
أُذْكُروا اللهَ لَيْسَتْ شُغْلَ الأوباش، وارْجِعِيْ لَيْسَتْ لِقَدَمِ كُلِّ قَلَّاش؛
لكِنْ أنتَ لا تَكُنْ يائساً وَكُنِ الفيل، وإنْ لَمْ تَكُنْ فيلاً فَكُنْ في طَلَبِ التَّبْديل؛
وانْظُرْ مِنَ الفَلَكِ إلى الكيميائيّين، واسْمَعْ مِنَ الصَّاغَةِ كُلَّ لَحْظَةٍ الطَنِين؛
إنَّهُمْ لا يَقُومونَ بالنَّقْشِ لِجَوِّ الفَلَك، إنَّهُمْ يَعْمَلُونَ العَمَلَ لي وَلَك؛
إنْ لَمْ تَرَ الخَلْقَ مِنْ كُلِّ مِسْكِيِّ جَيْب، أُنْظُرْ أَيُّها الأعْشى إلى هذا البلاء؛
كُلَّ لَحْظَةٍ أَذَىً على إدراكِك، أُنْظُرِ النَّبْتَ الجَديدَ يَنْمُو مِنْ تُرابِك؛
مِنْ هذا رأى إبْراهيمُ أدْهَمُ في الرُّؤيا، بَسْطَ بلادِ هِنْدِ القَلْبِ بلا حِجاب؛
لا جَرَمَ حَطَّمَ قُيُودَ الحَديد، تَخَلَّى عَنِ المَمْلَكَةِ واخْتَفى؛
علامَةُ رُؤيَةِ بلادِ الهِنْدِ تِلْك، أنْ يَثِبَ المَرْءُ مِنَ النَّومِ وَيَصيرَ مَجْنُوناً؛
وَيَهيلَ التُّرابَ على التَّدابير، وَيُقَطِّعَ حَلَقاتِ سلاسِلِ القُيود؛
هكذا كما قالَ النَّبِيُّ عَنِ النُّور، أنَّ علامَتَهُ تَكُونُ في الصُّدُور؛
بالتَّجافي عَنْ دارِ الغُرُور، والإنابَةِ إلى دارِ السُّرُور؛
مِنْ أجْلِ شَرْحِ حَديثِ المُصْطَفى ، اِسْتَمِعْ إلى قِصَّةٍ أَيْ صَديقَ الصَّفا؛

حِكايَةُ ذاكَ الوَلَدِ للمَلِكِ الَّذي ظَهَرَ لَهُ وَجْهُ كِبْرياءِ المُلْكِ الحَقيقِيّ ، يَومَ يَفِرُّ المَرءُ مِنْ أخِيْهِ وَأُمِّهِ وَأَبيهِ صارَتْ لَهُ نَقْدَ الوَقْتِ ، وكِبْرياءُ جَمْعِ هذا التُّرابِ للعامَّةِ مِنْ ذوي طَبْعِ الأطفالِ الَّذينَ يُسَمُّونَ مَلِكَ القَلْعَةِ ذلِكَ الطِّفْلَ الَّذي ينالُ الظَّفَرَ ، وَيَصْعَدُ على رَأْسِ تَلَّةِ التُّرابِ مُتباهِياً أنِ القَلْعَةُ لي ، وَيَحسِدُهُ الأطْفالُ الآخَرُونَ أنِ التُّرابُ رَبيعُ الصِّبيان، اِبْنُ المِلِكِ ذاكَ عِنْدَما

تَحَرَّرَ مِنْ قَيْدِ الألوانِ قالَ أنا أعْتَبِرُ هذِهِ المَمالِكَ المُلَوَّنَةَ كالتُّرابِ الوَضيعِ عَيْناً ، ولا أُسَمِّيها الذَّهَبَ والأطْلَسَ والحَريرَ والدِّيباجَ ، أنا تَحَرَّرْتُ مِنْ هذا الدِّيباجِ وَذَهَبْتُ إلى تِلْكَ الجِهَةِ ، أنْ وآتَيْناهُ الحُكْمَ صَبِيَّاً ، وإرشادُ الحَقِّ لا حاجَةَ بِهِ لِمَرِّ السِّنين، وفي قُدْرَةِ كُنْ فَيَكُون، لَمْ تَبْقَ لِشَخْصٍ قابِلِيَّةُ الكلام

مَلِكٌ كانَ لَهُ وَلَدٌ شابٌّ ظَريف، مُزَيَّنٌ مِنَ الفَضْلِ مِنَ الباطِنِ والظَّاهِر؛
رأى رُؤيا أنَّ ذلِكَ الوَلَدَ ماتَ فَجْأَةً، العالَمُ الصَّافي صارَ مُعْتَكِراً لِذلِكَ الشَّاه؛
وَصارَتْ يابِسَةً مِنْ حَرارَةِ النَّارِ قُرْبَتُه، وَلَمْ يَبْقَ مِنْ حرارَةِ النَّارِ دَمْعُه؛
صارَ الشَّاهُ مَليئاً مِنَ الدُّخانِ والألَم، حَتَى لا تَجِدَ بِهِ الآهُ الطَّريق؛
أَشْرَفَ على المَوْتِ صارَ قَالَبُهُ عَطِلاً، لكِنَّ عُمُرَهُ لَمْ يَكُنِ انتهى وَصَحِيَ الشَّاه؛
جاءَتْ سَعادَةٌ مِنْ يَقَظَتِهِ أمامَهُ، لَمْ يَكُنْ قَدْ رآها في عُمُرِه؛
حَتَّى مِنَ السُّرُورِ طَلَبَ أنْ يَكُونَ فانِياً، فَجاءَ مُطَوَّقاً هذا البَدَنُ والرُّوح؛
مِنْ نَفَسِ الغَمِّ يَمُوتُ هذا السِّراج، وَمِنْ نَفَسِ السُّرُورِ يَمُوتُ، أيُّ لَعِبٍ!؛
ما بَيْنَ هذَيْنِ المَوْتَيْنِ هُوَ حَيّ، هذا المُطَوَّقُ الشَّكْلِ مَحَلُّ الضَّحِك؛
قالَ الشَّاهُ لِنَفْسِهِ لِلسُّرُورِ سَبَبٌ، كما أنَّ ذاكَ الغَمَّ كانَ مِنْ تَسبيبِ الرَّبّ؛
أيْ عَجَباً لِشَيْءٍ هُوَ مِنْ وَجْهٍ مَوْتٌ، وذلِكَ الشَّيْءُ مِنْ وَجْهٍ آخَرَ إحياءٌ وَرِزْق؛
تِلْكَ النِّسْبَةُ لِتِلْكَ الحالَةِ هلاك، كما هِيَ أيْضاً مِنْ تِلْكَ الجِهَةِ الأُخْرى اعْتِصام؛
سَعادَةُ البَدَنِ مِنْ جِهَةِ الدُّنيا كمال، ومِنْ جِهَةِ يَومِ العاقِبَةِ النَّقْصُ والزَّوال؛
واقْرَأْ أيْضاً تَعْبيرَ الضَّحِكَ في المَنام، كأنَّهُ البُكاءُ والأَسَفُ والأحْزان؛
والبُكاءُ في المَنامِ سُرُورٌ وَفَرَح، هكذا في التَّعْبيرِ أَيْ صاحِبَ المَرَح؛
الشَّاهُ فَكَّرَ أنْ هذا الغَمُّ قَدْ مَضى، لكِنَّ الرُّوحَ مِنْ جِنْسِ ذا صارَتْ سَيِّئَةَ الظَّنّ؛
وإذا وَصَلَ شَوكٌ هكذا إلى القَدَمِ، فَيَجِبُ أنْ يَكُونَ مِنِّيْ ذِكْرٌ لِلْوَرْد؛

بِما أنَّ للفَناءِ أسْباباً بلا مُنْتَهى، إذَنْ أَيَّةَ طَريقٍ نَسُدُّ يا تُرى؛
مِئةُ نافِذَةٍ وَبابٍ إلى جِهَةِ مَوْتِ اللَّديغ، تَصِرُّ في أثْناءِ الفَتْحِ صَريراً؛
صَريرَ مَرارَةِ أبْوابِ المَوْتِ تِلْكَ، لَمْ تَسْمَعْ أُذُنُ الحَريصِ مِنْ حِرْصِ الرِّزْق؛
الآلامُ صَوتُ البابِ مِنْ جِهَةِ البَدَن، وَصَوتُ البابِ مِنْ جِهَةِ الخُصُومِ الأذى؛
أي عزيزي اِقْرَأْ لَحْظَةً فَهْرَسَ الطِّبّ، وانْظُرْ إلى نارِ العِلَلِ تَلْتَهِب؛
تِلْكَ الأَصْواتُ الرَّهيبَةُ لَها لِهذا المَنْزِلِ طَريق، مُلِئَ في كُلِّ خُطْوَتَيْنِ بالعَقارِب؛
الرِّيْحُ عاتِيَةٌ وَسِراجي أَبْتَر، سَوْفَ أُشْعِلُ مِنْهُ سِراجاً آخَر؛
فَعَسى يَكُونُ واحِدٌ مِنَ الاِثْنَيْنِ وافِياً، إذا أَطْفَأَتِ الرِّيْحُ ذاكَ السِّراجَ الواحِد؛
كالعارِفِ الَّذي مِنْ سِراجِ البَدَنِ النَّاقِصِ، أشْعَلَ شَمْعَةَ القَلْبِ مِنْ أجْلِ الضِّياء؛
حَتَّى إذا ما ماتَ هذا فَجْأَةً يَوماً، جَعَلَ مِنْ أمامِ عَيْنِهِ شَمْعَةَ الرُّوح؛
هُوَ لَمْ يَفْهَمْ هذا واسْتَبْدَلَ مِنَ الغَرَر ، هذا الشَّمْعَ الفانِيَ بِفانٍ آخَر؛

مَجيءُ المَلِكِ بِعَرُوسٍ إلى وَلَدِهِ خَوفاً مِنْ انْقِطاعِ النَّسْل

إذَنْ يَجِبُ طَلَبُ عَرُوسٍ مِنْ أجْلِهِ، لِيَكُونَ مِنْ هذا التَّزَوُّجِ أَساسٌ للنَّسْل؛
إنْ ذَهَبَ إلى جِهَةِ الفَناءِ هذا البازُ مُجَدَّداً، فَرْخُهُ مِنْ بَعْدِهِ يَصيرُ بازاً مُجَدَّداً؛
صُورَةُ هذا البازِ إنْ ذَهَبَتْ مِنْ هُنا، يَكُونُ مَعْناهُ باقِياً في الوَلَد؛
المُصْطَفى الشَّاهُ النَّبيهُ لِذلِكَ، قالَ الوَلَدُ سِرُّ أَبيه؛
مِنْ أَجْلِ هذا المَعْنى جَميعُ الخَلْقِ مِنْ شَغَف، يَقُومونَ بِتَعْليمِ الأطْفالِ الحِرَف؛
حَتَّى تَبْقى تِلْكَ المَعاني في الدُّنيا، عِنْدَما يَصيرُ قالَبُهُمْ ذاكَ خافِياً؛
الحَقُ بِحِكْمَةٍ أعْطى حِرْصَهُمُ الجِدّ، مِنْ أَجْلِ رَشَدِ كُلِّ صَغيرٍ مُسْتَعِدّ؛
قالَ أنا أيضاً مِنْ أَجْلِ دَوامِ النَّسْلِ مِنِّي، أُريدُ أنْ أُزَوِّجَ وَلَدي الزَّواجَ الحَسَن؛
أُريدُ بِنْتاً مِنَ النَّسْلِ الصَّالِح، لا مِنْ نَسْلِ المُلُوكِ الكالِح؛

الشَّاهُ الحَقيقِيُّ هُوَ الصَّالِحُ وَهُوَ الحُرّ، لا أَسيرُ حِرْصِ الفَرْجِ وَحِرْصِ الحَلْق؛
لَقَدْ لَقَّبُوا هؤلاءِ الأُسارى بالمُلُوك، مِنْ قَبيلِ العَكْسِ كما يُسَمَّى الكافُورُ الأسْوَد؛
وَصارَتِ المَفازَةُ اِسْماً للبادِيَةِ المُهْلِكَة، والعامَّةُ تُسَمِّي الأَبْرَصَ حَسَنَ البَخْت؛
ولأسِيْرِ الشَّهْوَةِ والغَضَبِ والأَمَل، كَتَبُوا الأميرَ أوِ الصَّدْرَ الأَجَلّ؛
ولأُسارى الأجَلِ أَعْطى العَوامّ، اِسْمَ الأُمَراءِ الأجِلَّاءِ في البلاد؛
دَعَوْهُ صَدْراً وَرُوْحُهُ الوَضِيْعَة، في صَفِّ النِّعالِ أي الجاهِ والمال؛
الشَّاهُ حِيْنَ اخْتارَ القَرابَةَ مَعَ زاهِدٍ ، وَصَلَ هذا الخَبَرُ إلى أُذُنِ الحُرُم؛

اخْتيارُ المَلِكِ لِبِنْتِ دَرْويشٍ زاهِدٍ لِلْوَلَدِ واعْتِراضُ الحُرُمِ وَتَعييبُهُنَّ الاِرْتِباطَ بِدَرْويش

والِدَةُ ابْنِ المَلِكِ قالَتْ مِنْ نَقْصِ العَقْل، أنْ يَكُونَ كُفْواً شَرْطٌ في العَقْلِ والنَّقْل؛
أنتَ مِنَ الشُّحِّ والبُخْلِ وَمِنَ الدَّهاء، تُريدُ أنْ تَرْبِطَ بَيْنَ ابْنِنا وَشَحَّاذ؛
قالَ القَوْلُ عَنْ صالِحٍ أَنَّهُ شَحَّاذٌ خَطَأ، إذْ هُوَ غَنِيُّ القَلْبِ مِنْ عَطاءِ الله؛
إنَّهُ فَرَّ مِنَ القَناعَةِ إلى التُّقى، لا مِنْ لُؤمٍ وَكَسَلٍ مِثْلَ الشَّحَّاذ؛
القِلَّةُ الَّتي تَكُونُ مِنَ القَناعَةِ وَمِنَ التُّقى، مُنْفَصِلَةٌ عَنِ الْفَقْرِ وَقِلَّةِ الأدْنياء؛
ذاكَ لَوْ وَجَدَ حَبَّةً مِنَ الذَّهَبِ وَضَعَ الرَّأْس، وَهذا يَفِرُّ مِنْ كَنْزِ الذَّهَبِ بالهِمَّة؛
الشَّاهُ الَّذي مِنَ الحِرْصِ يَقْصِدُ كُلَّ حَرام، ذاكَ يُسَمَّى شَحَّاذاً عِنْدَ الهُمام؛
قالَتْ فَأَيْنَ المَمْلَكَةُ والقِلاعُ لِجِهازِها، أوِ النِّثارُ المَنْثُورُ مِنَ الجَوْهَرِ والدِّينار؛
قالَ اذْهَبي فَكُلُّ مَنِ اخْتارَ غَمَّ الدِّيْن، قَطَعَ اللهُ عَنْهُ بَقِيَّةَ الغُمُوم؛
وَغَلَبَ الشَّاهُ وَزَوَّجَهُ البِنْتَ، بِنْتاً مِنَ النَّسْلِ الصَّالِحِ حَسَنَةَ الجَوْهَر؛
وَكانَتْ مِنَ المَلاحَةِ بلا نَظير، كانَ وَجْهُها أَكْثَرَ إِشْراقاً مِنْ شَمْسِ النَّهار؛
كانَتِ البِنْتُ بِهذا الحُسْنِ وَكانَ لَها، خِصالٌ مِنَ الجَمالِ لا يفي بها البيان؛

قُمْ بِصَيْدِ الدِّيْنِ كَيْ يَأْتي لَهُ في التَّبَع، الحُسْنُ والمالُ والجاهُ والبَخْتُ المُنْتَفَع؛
الآخِرَةُ قِطارُ الإبِلِ فإذا مَلَكْتَها اعْلَم، تأتي تَبَعاً لَها الدُّنيا كالصُّوفِ والبَعْر؛
إنْ اخْتَرْتَ الصُّوفَ فالجَمَلُ لَيْسَ لَكَ، وإنْ كانَ لَكَ الجَمَلُ ما قِيْمَةُ الصُّوف؛
حِيْنَ أَتَمَّ هذا النِّكاحَ ذلِكَ الشَّاه، مَعَ أَصْلِ الصَّالِحِيْنَ لا مِراءَ في صلاحَهِم؛
مِنَ القَضاءِ كانَتْ هُناكَ عَجُوزٌ، عاشِقَةً لِوَلَدِ الشَّاهِ ذي الحُسْنِ والجُود؛
عَمِلَتْ لَهُ السِّحْرَ عَجُوزُ كابُل، الَّتي حَمَلَتْ مِنْ ذلِكَ الحَسَدِ سِحْرَ بابِل؛
وَلَدُ الشَّاهِ صارَ عاشِقَ العَجُوزِ القَبيحَة، حَتَّى تَرَكَ تِلْكَ العَرُوسَ وذلِكَ العُرْس؛
اِمْرَأَةٌ سَوْداءُ شَيْطانَةٌ كابُولِيَّةٌ، صارَتْ لِوَلَدِ الشَّاهِ فَجْأَةً قاطِعَ طَرِيق؛
تِلْكَ العَجُوزُ ذاتُ تِسْعِيْنَ عاماً نَتِنَةُ الفَرْج، لَمْ تَتْرُكْ لِوَلَدِ المَلِكِ عَقْلاً ولا شُعُوراً؛
إلى سَنَةٍ وَلَدُ الشَّاهِ لَها أسيرٌ، نَعْلُ حِذاءِ العَجُوزِ النَّتِنَةِ مَوْضِعُ قُبَلِه؛
صُحْبَةُ المَرْأَةِ العَجُوزِ تُسْقِمُهُ وَتَحْصِدُه، إلى أنْ بَقِيَ مِنَ الضَّعْفِ بِنِصْفِ رُوح؛
والآخَرُونَ مِنْ ضَعْفِهِ في قَلَق، وَهُوَ مِنْ سُكْرِ السِّحْرِ مِنْ نَفْسِهِ بلا خَبَر؛
هذا العالَمُ صارَ على الشَّاهِ كالسِّجْن، وَهذا الوَلَدُ مِنْ بُكائِهِمْ عَلَيْهِ يَضْحَك؛
والشَّاهُ في عَجْزٍ شَدِيدٍ وَفي صِراع، النَّهارَ واللَّيْلَ يُقَدِّمُ القرابينَ والزَّكاة؛
ذاكَ أنَّ كُلَّ حِيْلَةٍ قامَ بِها ذلِكَ الأب، كانَ عِشْقُ العَجُوزِ مِنْها يَصيرُ أَكْثَر؛
فَصارَ لَهُ اليَقينُ أنَّ مُطْلَقَ ذلِكَ الأَمْر، في يَدِهِ فراحَ في التَّضَرُّع؛
سَجَدَ أنْ أَمْرُكَ نافِذٌ، على مُلْكِ الحَقِّ مَنْ لَهُ الأمْرُ غَيْرُ الحَقّ؛
هذا المِسْكينُ يَحْتَرِقُ كالعُود، خُذْ بِيَدِهِ أَيْ رَحيمُ وَأَيْ وَدُود،
حَتَّى مِنْ نِداءِ يا ربِّ وَبُكاءِ الشَّاه ، وَصَلَ ساحِرٌ أُسْتاذٌ إلى أمامِهِ مِنَ الطَّرِيقِ؛

استِجابَةُ دُعاءِ المَلِكِ في خلاصِ وَلَدِهِ مِنْ سِحْرِ الكابُلِيَّة

السَّاحِرُ كانَ سَمِعَ مِنْ بَعيدٍ هذا الخَبَر، أَنَّ ذاكَ الوَلَدَ صارَ أَسِيْرَ امْرَأَةٍ عَجُوز؛
وَأَنَّ تِلْكَ العَجُوزَ كانَتْ في السِّحْر، بلا نَظيرٍ وآمِنَةً مِنَ المِثْلِ والنَّظير؛
يَدٌ مِنْ فَوْقِ يَدٍ تَكُونُ أَيْ فتى، في الفَنِّ وفي القُوَّةِ إلى ذاتِ الله؛
مُنْتَهى الأيادي يَدُ الله، مُنْتَهى السُّيُولِ بلا شَكٍّ البَحْر؛
مِنْهُ أَخَذَتِ الغُيُومُ ما عِنْدَها، وإِلَيْهِ أَيْضاً يَكُونُ مُنْتَهى السَّيْل؛
قالَ لَهُ الشَّاهُ ضاعَ مِنْ يَدي الوَلَد، قالَ هاأنذا جِئْتُ بالعِلاجِ النَّاجِع؛
لَيْسَ هُناكَ نِدٌّ لِهذِهِ العَجُوزِ مِنَ السَّحَرَةِ، إلَّا أنا المُداوِي القادِمُ مِنْ ذلِكَ الطَّرَف؛
أنا مِثْلَ كَفِّ مُوسى بِأَمْرِ الفَعَّال، سَأَرْفَعُ مِنْ سِحْرِها الدَّمارَ تَماماً؛
فَقَدْ أتاني هذا العِلْمُ مِنْ ذلِكَ الطَّرَف، لا مِنْ تَعَلُّمٍ في مَدْرَسَةِ السِّحْرِ المُسْتَخَف؛
لَقَدْ جِئْتُ حَتَّى أرْفَعَ سِحْرَها، كَيْ لا يَظَلَّ وَلَدُ الشَّاهِ أَصْفَرَ الوَجْه؛
اِذْهَبْ إلى المَقْبَرَةِ وَقْتَ السُّحُور، هُناكَ قَبْرٌ أَبْيَضُ إلى جِوارِ السُّور؛
اِفْتَحْهُ مِنْ جِهَةِ القِبْلَةِ فَهُوَ ذاكَ المكان، حَتَّى تَرى قُدْرَةَ وَصُنْعَ الله؛
هذِهِ الحِكايَةُ طَويلَةٌ جِدّاً وَأَنْتَ مَلُول، قُلْتُ لَكَ الزُّبْدَةَ وَتَرَكْتُ الفُضُول؛
ذَهَبَ ذلِكَ الشَّاهُ مُسْرِعاً إلى جِهَةِ المَقْبَرَة، وَفَتَحَ ذلِكَ الشَّاهُ القَبْرَ في اللَّحْظَة؛
رأى الأَسْحارَ مَخْفِيَّةً فيه، رأى مِئَةَ عُقْدَةٍ مَعْقُوْدَةً بِخَيْطِ شَعْرَة؛
قامَ بِحَلِّ تِلْكَ العُقَدِ الخَطيرَة، بَعْدَ المِحْنَةِ أعْطى لِوَلَدِ الشَّاهِ الطَّريق؛
عادَ ذلِكَ الوَلَدُ إلى النَّفْسِ فَسارَ مُسْرِعاً، إلى جِهَةِ سَريرِ الشَّاهِ بِمِئَةِ امْتِحان؛
قامَ بالسُّجُودِ وَأَرْغَمَ الذَّقْنَ على الأَرْض، وَقَدْ وَضَعَ تَحْتَ إبْطِهِ السَّيْفَ والكَفَن؛
الشَّاهُ وَجَدَ النِّظامَ وأَهْلُ المَمْلَكَةِ سُعِدُوا، وصارَتْ تِلْكَ العَروسُ اليائِسُ بلا مُراد؛
العالَمُ صارَ حَيّاً وَمُمْتَلِئاً بالضِّياء، أيْ عَجَباً ذاكَ اليَومَ يَومٌ وَهذا اليَومُ يَوم؛

عَمِلَ الشَّاهُ عُرْساً عَظيماً حَتَّى أَنَّهُ، وَضَعَ جُلَّابَ القَنْدِ للكِلاب؛
السَّاحِرَةُ العَجُوزُ مِنَ الأَسَفِ ماتَتْ، أَسْلَمَتْ وَجْهَها القَبيحَ وَطَبْعَها لِمالِك؛
وَظَلَّ وَلَدُ الشَّاهِ في التَّعَجُّب، أَنْ كَيْفَ اخْتَطَفَتْ مِنِّي العَقْلَ والنَّظَر؛
وَرَأى عَرُوسَهُ الجَديدَةَ كأنَّها قَمَرُ الحُسْن، وَتَقْطَعُ على المَليحاتِ طَريقَ الحُسْن؛
فَصارَ فاقِدَ وَعْيٍ وَوَقَعَ على الأرْض، مَسْلُوبَ الفُؤادِ مِنَ الجِسْمِ لِثلاثَةِ أَيَّام؛
ثلاثَةَ أَيَّامٍ بلَياليها فاقِدَ الوَعْي، حَتَّى أَنَّ الخَلْقَ مِنْ غَشْيِهِ جاشُوا؛
مِنَ الجُلَّابِ والعِلاجِ عادَ للنَّفْس، قَليلاً قليلاً صارَ فاهِماً للخَيْرِ والشَّرّ؛
بَعْدَ عامٍ قالَ لَهُ الشَّاهُ في الحَديث، أنْ أيْ وَلَدُ تَذَكَّرْ ذلِكَ الصَّديقَ القَديم؛
تَذَكَّرْ ذلِكَ الضَّجِيْعَ وَذاكَ الفِراش، لا تَكُنْ لِهذا الحَدِّ بلا وَفاءٍ ولا تكُنْ مُرّاً؛
قالَ اذْهَبْ فَقَدْ وَجَدْتُ دارَ السُّرُور، وَنَجَوْتُ مِنْ بِئْرِ دارِ الغُرُور؛
هكذا يَكُونُ المُؤمِنُ إذا وَجَدَ الطَّريق، يَذْهَبُ جِهَةَ نُورِ الحَقِّ مُسْرِعاً مِنَ الظُّلْمَة؛

في بيان أنَّ ابنَ الشَّاه وَلَدُ آدَم، والخَليفَةُ الشَّاهُ أبُوهُ آدَمُ الصَّفِيّ، خَليفَةُ الحَقِّ وَمَسْجُودُ الملائكَة، وَتِلْكَ العَجُوزُ الكابُلِيَّةُ الدُّنيا الَّتي تَأخُذُ ابنَ آدَمَ مِنْ أبيهِ بالسِّحْر، وأنَّ الأنبياءَ والأولياءَ طَبيبُ التَّدارُكِ ذاك

أيْ أخي اعْلَمْ أنَّ اِبْنَ الشَّاهِ هُوَ أنْت، في العالَمِ القَديمِ المَولُودِ مِنْ كلامِ الله؛
والكابُلِيَّةُ السَّاحِرَةُ هذِهِ الدُّنيا، آسِرَةُ الرِّجالِ باللَّوْنِ والعِطْر؛
ما دامَتْ أَلْقَتْ بِكَ في هذا النَّهْرِ المُلَوَّث، لَحْظَةً بِلَحْظَةٍ اقْرَأْ وَدَمْدِمْ قُلْ أَعُوذ؛
حَتَّى تَنْجُوَ مِنْ هذا السِّحْرِ وَمِنْ هذا القَلَق، أُطْلُبِ الإسْتِعانَةَ مِنْ رَبِّ الفَلَق؛
النَّبِيُّ مِنْ ذلِكَ دعا دُنياكَ سَحَّارَةً، فَهِيَ مِنَ السِّحْرِ أَوْقَعَتِ الخَلْقَ في البِئْر؛
العَجُوزُ الدَّنِسَةُ تَمْلِكُ سِحْرَ قَوْسِ قُزَح، جَعَلَتِ المُلُوكَ أُسارى لأنْفاسِها الحارَّة؛
هِيَ في داخِلِ الصُّدُورِ نَفَّاثات، هِيَ لِعُقَدِ السِّحْرِ الإثْبات؛

الدُّنيا السَّاحِرَةُ امرَأَةٌ قَوِيَّةٌ عالِمَة، حَلُّ سِحْرِها لَيْسَ بِمَسْعى العامَّة؛
لَوْ كانَتِ العُقُولُ تَحُلُّ عُقَدَها، متى كانَتْ هُناكَ حاجَةٌ لإرسالِ الأنبياء؛
هَيَّا كُنْ بِطَلَبِ عَذْبِ نَفَسٍ حلَّالِ عُقَد، عارِفٍ *يَفْعَلُ اللَّهُ ما يَشاء*؛
مِثْلَ سَمَكَةٍ مُعَلَّقَةٍ بِسنَّارَةٍ، وَلَدُ الشَّاهِ ظَلَّ عاماً وَأَنْتَ سِتِّيْنَ عاماً؛
سِتِّيْنَ عاماً وَأَنْتَ مِنْ يَدِها في مِحْنَة، لا سَعِيْدٌ ولا على طَرِيقِ سُنَّة؛
فاسِقٌ سَيِّئُ الحَظِّ لا دُنياكَ حَسَنَةٌ، ولا أنتَ مُتَحَرِّرٌ مِنَ الوَبالِ وَمِنَ الذُّنُوب؛
نَفْخُها جَعَلَ هذِهِ العُقَدَ مُحْكَمَةً، فاطْلُبْ نَفْخَةَ الخَلَّاقِ الفَرْد؛
لِتَكُونَ *نَفَخْتُ فيهِ مِنْ رُوحي* لَكَ، وَتَتَحَرَّرَ مِنَ الذُّنُوبِ وَيُقالَ لَكَ أُعْلُ؛
إلَّا بِنَفْخِ الحَقِّ لا يَحْتَرِقُ نَفْخُ السِّحْر، هذا نَفْخُ قَهْرٍ وَذاكَ نَفْخُ رَحْمَةٍ؛
رَحْمَتُهُ سابِقَةٌ على قَهْرِهِ، تَطْلُبُ السَّابِقَةَ اذْهَبْ وابْحَثْ عَنْ سابِق؛
حَتَّى تَصِلَ إلى *النُّفُوسُ زُوِّجَت*، أَنْ أَيُّها الشَّاهُ الكالُّ هذا مَخْرَجُك؛
بِوُجُودِ المَرْأَةِ العَجُوزِ لا تَقَعُ المَرْأَةُ الحلال، بِيَدِكَ وَتَحْضِنُ تِلْكَ المَلِيْئَةَ بالدِّلال؛
أَلَمْ يَقُلْ سِراجُ الأُمَمِ ذاكَ، هذا العالَمُ وَذاكَ العالَمُ ضُرَّتان؛
فَوِصالُ هذِهِ فِراقٌ لِتِلْك، صِحَّةُ هذا البَدَنِ سِقامُ الرُّوح؛
إذا جاءَ صَعْباً فِراقُ هذا المَمَرّ، يَجِيءُ أَصْعَبَ فِراقُ ذاكَ المَقَرّ؛
إذا كانَ فِراقُ الصُّورَةِ عَلَيْكَ صَعْبٌ، فَكَمْ يَجيْءُ صَعْباً الإنْفِصالُ عَنِ المُصَوِّر؛
أيْ مَنْ لا صَبْرَ لَكَ عَنِ الدُّنيا الدَّنيئَةِ، كَيْفَ صَبْرُكَ عَنِ اللهِ أي صَديقُ كَيْف؛
ما دُمْتَ بلا صَبْرٍ عَنْ هذا الماءِ الأَسْوَد، كَيْفَ تَمْلِكُ الصَّبْرَ عَنْ عَيْنِ الإلٰه؛
ما دُمْتَ بلا هذا الشُّرْبِ بلا سُكُون، كَيْفَ انْفِصالُكَ عَنِ الأبْرارِ وَعَنْ *يَشْرَبُون*؛
لَوْ رَأَيْتَ لَحْظَةً حُسْنَ حُسْنِ الوَدُود، أَلْقَيْتَ الرُّوحَ في النَّارِ والوُجُود؛
تَرى جِيْفَةً بَعْدَ ذاكَ هذا الشُّرْب، إذا رَأَيْتَ كَرَّ وَفَرَّ القُرْب؛
كَيْ تَصِلَ إلى مَحْبُوبِ النَّفْسِ مِثْلَ وَلَدِ الشَّاه، أَخْرِجْ مِنَ القَدَمِ شَوْكَ النَّفْس؛

اِجْتَهِدْ وَجِدِ النَّفْسَ في الوَجْدِ بلا حَواس، أسْرِعْ واللهُ أَعْلَمُ بالصَّواب؛
لا تَكُنْ كُلَّ لَحْظَةٍ شَفيعاً مَعَ النَّفْس،لا تَقَعْ كُلَّ وَقْتٍ في الماءِ والطِّيْنِ كالحِمار؛
مِنْ قُصُورِ النَّظَرِ يَكُونُ ذاكَ العِثار، شَبيهُ الأَعْمى ذاكَ لا يَرى الحُفَرَ والتِّلال؛
واجْعَلْ مِنْ عَبيرِ قَميصِ يُوسُفَ لَكَ سَنَداً، ذاكَ لأنَّ عَبيرَهُ يَجْعَلُ العَيْنَ مُضيئةً؛
الصُّورَةُ الخَفِيَّةُ وذاكَ النُّورُ في الجَبين، جَعَلا عَيْنَ الأنبياءِ بَعيدَةَ الرُّؤيَة؛
خَلِّصْ نُورَ ذاكَ الوَجْهِ مِنَ النَّار، ولا تَكُنْ قانِعاً بالنُّورِ المُسْتَعار؛
هذا النُّورُ الحَالِي يَجْعَلُ العَيْنَ مُبْصِرَةً، وَيُصيبُ الجِسْمَ والعَقْلَ والرُّوحَ بالجَرَب؛
صُورَتُهُ نُورٌ وَفي التَّحْقيقِ نار، إنْ كُنْتَ تَطْلُبُ الضِّياءَ ارْفَعْ يَدَيْكَ عَنْه؛
صاحِبُ العَيْنِ والرُّوحِ بالنُّورِ الحالِي، لَحْظَةً لَحْظَةً يَقَعُ في السَّيْرِ حَيْثُما ذَهَب؛
بَعيدُ النَّظَرِ غَيْرُ ذي الفَضْلِ يرى البَعيد، مِثْلَما يَرى البَعِيْدَ النَّائِمُ في النَّوم؛
تَنَامُ على شَفَةِ النَّهْرِ يابِسَ الشَّفَة، وَتَرْكُضُ نَحْوَ السَّرابِ في الطَّلَبِ رَكْضاً؛
تَرى السَّرابَ مِنْ بَعيدٍ وَتَجْري، تَصيرُ عاشِقاً لِرُؤيَتِكَ تِلْك؛
تَتَباهى جُزافاً مَعَ الأَصْدِقاءِ في النَّوم، أنْ أنا مُبْصِرُ القَلْبِ وَأَشُقُّ الحُجُب؛
رَأَيْتُ الماءَ بِذاكَ الإتِّجاهِ أَسْرِعُوا، حَتَّى نَذْهَبَ إلى هُناكَ وذاكَ سَراب؛
كُلَّ قَدَمٍ تَخْطُو تَبْعُدُ عِنِ الماءِ أَكْثَر، اِجْرِ عَدْواً إلى جِهَةِ السَّرابِ مَعَ الغَرَر؛
عَيْنُ ذاكَ العَزْمِ مِنْكَ صارَ حِجاباً، على الَّذي كانَ بِكَ مُتَّصِلاً وَكانَ لَكَ مُعَدّاً؛
كَمْ مِنْ شَخْصٍ يَعْزِمُ عَزْماً إلى مَكانٍ، مِنْ مقامٍ كانَ غَرَضُهُ ذاكَ فيه؛
رُؤيَةُ وَلَغْوُ النَّائِمِ لا يَعْملانِ العَمَل، هُما مُجَرَّدُ خَيالٍ اسْحَبِ اليَدَ مِنْه؛
إنْ كُنْتَ نائماً فَنَمْ على الطَّريق، اللهَ اللهَ نَمْ على طَريقِ الله؛
إلى أنْ يَكُونَ سالِكٌ يَجيءُ يَصْدِمُك، وَيَرْفَعُكَ مِنْ خيالاتِ نُعاسِك؛
النَّائمُ وَلَوْ كانَ دَقيقَ الفِكْرِ كالشَّعْرَة، هُوَ مِنْ تِلْكَ الدِّقَّةِ لا يَجِدُ طَريقَ الحِمى؛
فِكْرُ النَّائِمِ وَلَوْ كانَ ضِعْفَيْنِ أو ثلاثَةً، هُوَ خَطَأٌ في خَطَأٍ في خَطَأ؛

المَوجُ يَضْرِبُ عَلَيْهِ بلا احْتِراز، وَهُوَ نائمٌ يَبْحَثُ في صَحْراءَ واسِعَة؛
النَّائِمُ يَرى أنواعَ العَطَشِ الشَّديد ، والماءُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الوَريد؛

حِكايَةُ ذلِكَ الزَّاهِدِ الَّذي كانَ في سَنَةِ القُحْطِ سَعيداً وَضاحِكاً
مَعَ إفلاسِهِ وَكَثْرَةِ عيالِه والخَلْقُ يَمُوتُونَ مِنَ الجُوعِ، قِيْلَ لَهُ
أَيُّ وَقْتٍ للسُّرُورِ هذا، هذا وَقْتُ مِئَةِ عَزاء، قالَ لَيْسَ لي

مِثْلَ ذاكَ الزَّاهِدِ الَّذي في سَنَةِ قُحْطٍ، كانَ ضاحِكاً وَكانَ جُمْلَةُ الرَّهْطِ في بُكاء؛
فقالُوا لَهُ أَيُّ مكانٍ للضَّحِك، القُحْطُ اقْتَلَعَ جَذْرَ المُؤمِنين؛
الرَّحْمَةُ أَغْلَقَتْ عَيْنَها عَنَّا، الصَّحْراءُ احْتَرَقَتْ مِنَ الشَّمْسِ الحارَّة؛
الزُّرُوعُ والبساتينُ والكُرُومُ مُسْوَدَّةٌ، لا قَطْرَةً في الأَرْضِ مِنْ أَعْلى ولا أَسْفَل؛
الخَلْقُ يَمُوتُونَ مِنَ القُحْطِ والعَذاب، بالعَشَراتِ والمِئاتِ كالسَّمَكِ خارِجَ الماء؛
أنتَ لا تَحْمِلُ الرَّحْمَةَ للمُسْلِمين، المُؤمِنُونَ إِخْوَةٌ وَبَدَنٌ واحِدٌ مِنَ الشَّحْمِ واللَّحْم؛
أَلَمُ جُزْءٍ واحِدٍ مِنَ البَدَنِ أَلَمُ الكُلّ، أكانَ في الصُّلْحِ أمْ كانَ في المَلْحَمَة؛
قالَ هذا القُحْطُ كائِنٌ في عُيُونِكُم، وأمامَ عَيْني هذِهِ الأَرْضُ كالجَنَّة؛
أنا لا أزالُ أرى في كُلِّ مفازَةٍ وَمَكانٍ، السَّنابِلَ مُمْتَلِئَةً تَصِلُ إلى الخَصْر؛
السَّنابِلُ تَمُوجُ مِنْ ريحِ الصَّبا، أَكْثَرُ خُضْرَةً مِنَ البَقْلِ تَمْلأُ الصَّحْراء؛
أنا أَضَعُ عَلَيْها اليَدَ للاِمْتِحان، كَيْفَ أَنتَزِعُ اليَدَ والعَيْن؛
أَنتُمْ رِفاقُ فِرْعَوْنَ الجَسَدِ أي أدنياء، مِنْ ذلِكَ ظَهَرَ لَكُمُ النِّيْلُ دَماً؛
صِيْرُوا رِفاقَ مُوسى العِقْلِ مُسْرِعِيْن، حَتَّى لا يَبْقى دَمٌ وَتَرَوا النَّهْرَ ماءً؛
يَجْري جَفاءٌ مَعَكُمْ مِنَ الأب، ذاكَ الأبُ يَصيرُ في أَعْيُنِكُمْ كَلْباً؛
الأبُ لَيْسَ كَلْباً ذا تَأْثيرُ الجَفاء، أنْ مِثْلُ تِلْكَ الرَّحْمَةِ بَدَتْ للنَّظَرِ كَلْباً؛

كانَ إخْوَةُ يُوسُفَ يَرَوْنَهُ ذِئباً بالعَيْن، وذاكَ مِنَ الحَسَدِ بِهِمْ والغَضَب؛
عِنْدَما تَصالَحُوا مَعَ الأَبِ ذَهَبَ الغَضَبُ، ذَهَبَ ذلِكَ الكَلْبُ صارَ الأبُ حَبيباً؛

بيان في أنَّ مَجْمُوعَ العالَمِ صُورَةُ العَقْلِ الكُلِّيِّ ، فإذا عَمِلْتَ الجَفاءَ بانحِرافٍ مَعَ العَقْلِ الكُلِّيِّ زادَتْكَ صُورَةُ العالَمِ غَمّاً، أغْلَبُ الأحْوالِ كذلِكَ، القَلْبُ عَمِلَ السُّوءَ مَعَ الأبِ صُورَةُ الأبِ زادَتْكَ غَمّاً ولا تَسْتَطيعُ أنْ ترى وَجْهَهُ مَعَ أنَّهُ كانَ نُوْرَ العَيْنِ قَبْلَ ذلِكَ وراحَةَ الرُّوح

العالَمُ كُلُّهُ صُورَةُ العَقْلِ الكُلِّيِّ ، لأنَّهُ والِدٌ لِكُلِّ مَنْ كانَ مِنْ أهْلِ قُلْ؛
حِيْنَ يَزيدُ كُفْرانُ شَخْصٍ بالعَقْلِ الكُلِّيِّ، الصُّورَةُ الكُلِّيَّةُ تَبْدُو لَهُ كَلْباً أَيْضاً؛
أُتْرُكِ العُقُوقَ تَصالَحْ مَعَ هذا الأب، لِيُظْهِرَ الماءُ والطِّيْنُ فِراشَ الذَّهَب؛
ثُمَّ تَكُونُ القيامَةُ نَقْدَ حالِك، وَيُبَدَّلُ الفَلَكُ والأرْضُ مِنْ أمامِك؛
أنا الَّذي أكُونُ دائماً على صُلْحٍ مَعَ الأب، العالَمُ يَكُونُ لي كالجَنَّةِ في النَّظَر؛
كُلَّ لَحْظَةٍ صُورَةٌ جَديدَةٌ وَجَمالٌ جَديد، حَتَّى مِنَ النَّظَرِ الجَديدِ يَمُوتُ المَلال؛
لا أزالُ أرى الدُّنيا مَمْلُوءَةً بالنَّعيم، والماءَ مِنَ العُيُونِ في دَفْقٍ مُقيم؛
صَوْتُ مائِهِ يَصِلُ إلى أُذُني، فَأَصيرُ سَكْرانَ الضَّميرِ والعَقْل؛
الأغْصانُ راقِصَةٌ كالتَّائبين، الأوراقُ مُصَفِّقَةٌ كالمُطْرِبين؛
مِنَ اللُّبَّادِ لامِعٌ بَرْقُ المِرْآة، فَكَيْفَ لَوْ ظَهَرَتِ المِرْآة؛
أنا لا أَقُولُ مِنَ الآلافِ واحِدَةً، ذلِكَ لأنَّ كُلَّ أُذُنٍ مَمْلُوءَةٌ مِنَ الشَّكّ؛
هذا القَوْلُ إعْطاءُ البِشارَةِ للوَهْم ، العَقْلُ قائلٌ البِشارَةُ لي نَقْد ؛

قِصَّةُ أولادِ عُزَيرٍ عَلَيْهِ السَّلامُ الَّذينَ كانُوا يَسْأَلُونَ عَنْ أحْوالِ الأبِ مِنَ الأب، قالَ عُزَيْرٌ نَعَمْ رَأَيْتُهُ هُوَ آتٍ، بَعْضُهُم عَرَفَهُ فَدُهِشَ والبَعْضُ لَمْ يَعْرِفْهُ فكانَ يَقُولُ لَقَدْ أعْطانا البِشارَةَ فما هذِهِ الدَّهْشَة

مِثْلَ أولادِ عُزَيْرٍ في مَمَرِّ الطَّريق، جاؤوا يَسْأَلُونَ عَنْ أَحْوالِ الوالِد؛
صارُوا شُيُوخاً مِنَ السِّنِّ وأبُوهُمْ شابٌّ، وَجاءَ أبُوهُمْ فَجْأَةً إلَيْهِم؛
فَسَأَلُوهُ أنْ أَيُّها العابِرُ عَجَباً، هَلْ لَكَ عَنْ عُزَيْرِنا خَبَر؛
فَقَدْ قالَ لَنا شَخْصٌ أنَّ ذاكَ السَّيِّدَ، سَيَصِلُ مِنَ الغيابِ اليَوْمَ بَعْدَ اليَأْس؛
قالَ نَعَمْ إنَّهُ سَيَصِلُ بَعْدي، فَواحِدٌ صارَ سَعيداً إذْ سَمِعَ هذِهِ البُشْرى؛
فَصاحَ أَيْ مُبَشِّرُ لَكَ السَّعادَة، وَواحِدٌ عَرِفَهُ فأُغْشِيَ عَلَيْه؛
أنْ ما مَحَلُّ البُشْرى أيُّها الأبْلَهُ، وَنَحْنُ وَقَعْنا في مَنْجَمِ السُّكَّر؛
للوَهْمِ بُشْرى وللعَقْلِ نَقْد، لأنَّ عَيْنَ الوَهْمِ مَحْجُوبَةُ الفَقْد؛
للكافِرينَ أَلَمٌ وللمُؤمِنِ بِشير، نَقْدُ الحالِ كائنٌ في عَيْنِ البَصير؛
لأنَّ العاشِقَ في لَحْظَةِ النَّقْدِ سَكْران، لا جَرَمَ هُوَ أعْلى مِنَ الكُفْرِ والإيمان؛
الكُفْرُ والإيمانُ كلاهُما لَهُ حارِس، فَهُوَ لُبٌّ والكُفْرُ والدِّيْنُ لَهُ قِشْران؛
الكُفْرُ قِشْرٌ يابِسُ الوَجْهِ زائل، والإيمانُ قِشْرُ اللَّذَّةِ الَّتي وُجِدَت؛
القُشُورُ اليابِسَةُ مَحَلٌّ للنَّار، القِشْرُ المُتَّصِلُ بِلُبِّ الرُّوحِ عَذْبٌ جَميل؛
اللُّبُّ نَفْسُهُ أعْلى مِنْ مَرْتَبَةِ العَذْبِ، أعلى مِنَ العَذْبِ الَّذي هُوَ غِلافُ اللَّذَة؛
هذا الحَديثُ لا نِهايَةَ لَهُ فَعُدْ، لِيُثِيرَ مُوسايَ الغُبارَ مِنَ البَحْر؛
هذا الَّذي قِيْلَ مُناسِبٌ لِعَقْلِ العَوامّ، والباقِيْ مِنْ ذاكَ الحَديثِ مَخْفِيّ؛
ذَهَبُ عَقْلِكَ أَيْ مُتَّهَمُ قُراضَة، كَيْفَ أَضَعُ خَتْمَ السَّكِّ عَلى القُراضَة؛
عَقْلُكَ مُقَسَّمٌ على مِئَةِ سَهْم، على أَلْفِ أُمْنِيَةٍ وَطِمٍّ وَرِمّ؛

يَجِبُ جَمْعُ الأَجْزاءِ بالعِشْق، لِتَحْلُوَ مِثْلَ سَمَرْقَنْدَ وَدِمَشْق؛
أُطْلُبْ الجَمْعَ وَصِرْ جَمْعاً مِنَ الاِشْتِباه، تَصِرْ قابِلاً لِيُوضَعَ عَلَيْكَ خَتْمُ الشَّاه؛
وإذا صِرْتَ زائداً عَنِ المِثْقالِ وَأَنْتَ خام، يَصْنَعُ مِنْكَ الشَّاهُ كأساً مِنَ الذَّهَب؛
وَيُوضَعُ عَلَيْكَ اسْمُ الشَّاهِ وأَلْقابُ الشَّاه، وَصُورَةُ الشَّاهِ أَيْضاً أي طالِبَ الوَصْل؛
إلامَ يَكُونُ مَعْشُوقَكَ الخُبْزُ والماء، والسِّراجُ والشَّاهِدُ والنُّقْلُ والشَّراب؛
اِجْمَعِ النَّفْسَ فالجَماعَةُ رَحْمَة، حتَّى أَسْتَطيعَ أنْ أُحَدِّثَكَ بِكُلِّ ما يَكُون؛
ذاكَ لأنَّ الحَديثَ مِنْ أجْلِ التَّصْديق، رُوحُ الشِّرْكِ بَريئَةٌ مِنْ تَصْديقِ الحَقّ؛
الرُّوحُ الَّتي صارَتْ قِسْمَةً لِحَشْوِ الفَلَك، في وَسَطِ سِتِّيْنَ مُعامَلَة؛
فالسُّكُوتُ أعْطاها الثُّبُوت، فَجَوابُ الحَمْقى السُّكُوت؛
أَعْلَمُ هذا وَلكِنَّ سُكْرَ البَدَن، يَفْتَحُ مِنِّي بلا مُرادٍ الفَمّ؛
مِثْلَما مِنَ العَطْسِ وَمِنَ التَّثاؤب ، يَصيرُ هذا الفَمُ مَفْتُوحاً بلا مُرادِك؛

تَفسير هذا الحَديث أنْ إنّي لأَسْتَغْفِرُ اللهَ في كُلِّ يَومٍ سَبْعينَ مَرَّةً

مِثْلَ الرَّسُولِ عَنْ مقالٍ وَعَنْ نِثار، أَقُومُ بالتَّوبَةِ في اليَومِ سَبْعينَ مَرَّة؛
لكِنَّ ذاكَ السُّكْرَ ناقِضٌ للتَّوبَة، سُكْرُ البَدَنِ مُنْسٍ هذا وَمُمَزِّقٌ للثِّياب؛
لِحِكْمَةِ إظْهارِ التَّاريخِ الطَّويل، ألقى بالسُّكْرِ على عالِمِ السِّرّ؛
للسِّرِّ الخَفِيِّ ما يُشْبِهُ الطَّبْلَ والعَلَم، صارَ الماءُ يَغْلي مِنْ *جَفَّ القَلَم*؛
الرَّحْمَةُ بلا حَدٍّ جارِيَةٌ كُلَّ لَحْظَة، أنتُمْ نائِمُونَ عَنْ إدراكِ ذلِكَ أَيُّها النَّاس؛
ثَوْبُ النَّائِمِ يَشْرَبُ مِنْ ماءِ النَّهْر، والنَّائِمُ في النَّومِ يَطْلُبُ السَّراب؛
يَجْري أنْ ذاكَ المَكانُ فيهِ ريحُ ماءٍ، مِنْ هذا التَّفَكُّرِ أَغْلَقَ الطَّريقَ على النَّفْس؛
مِنْ قَوْلِهِ *هُناكَ* ابْتَعَدَ عَنْ *هُنا*، على خَيالٍ صارَ مَهْجُورَ الحَقّ؛
يَرَونَ بَعيداً وَيسيرُونَ كَثيراً في النَّوم، اِحْمِلْ لَهُمُ الرَّحْمَةَ أيْ سالِك؛

أنا لَمْ أرَ عَطَشاً جاءَ بالنَّوم، النَّومُ جاءَ بِعَطَشِ غَيْرِ ذي العَقْل؛
العَقْلُ هُوَ ذاكَ الَّذي يَرْتَعي مِنَ الحَقّ، وَلَيْسَ العَقْلُ ذاكَ الَّذي يأتي بِهِ عُطارِد؛

بيانُ أنَّ العَقْلَ الجُزْئِيَّ لا يرى أبْعَدَ مِنَ القَبْر
وَهُوَ فيما بَقِيَ مُقَلِّدٌ للأولياءِ والأنبياء

رُؤيَةُ الأمامِ مِنَ العَقْلِ تَكونُ إلى القَبْر، وَتِلْكَ مِنْ ذِيْ القَلْبِ إلى نَفْخِ الصُّور؛
هذا العَقْلُ لا يَتَجاوَزُ القَبْرَ والتُّراب، وهذِهِ القَدَمُ لا تَسْلُكُ إلى عَرْصَةِ العَجائب؛
فاتْرُكْ هذِهِ القَدَمَ وَهذا العَقْلَ وَكُنْ عاجِزاً، وابْحَثْ عَنْ عَيْنِ الغَيْبِ وَكُنْ لائقاً؛
مَتى يَجْدُ مِثْلَ مُوسى النُّورَ مِنَ الجَيْب، مُسَخَّرُ الأُسْتاذِ وَتِلْميذُ الكُتَيْب؛
مِنْ هذا النَّظَرِ وهذا العَقْلِ لا يَجيْءُ غَيْرُ الدُّوار، فاتْرُكِ النَّظَرَ واخْتَرْ الإنْتِظار؛
لا تَبْحَثُوا عِنِ الإرْتِفاعِ مِنَ القَوْل، الإسْتِماعُ خَيْرٌ للمُنْتَظِرِ مِنَ القَول؛
مَنْصَبُ التَّعْليمِ نَوعٌ مِنَ الشَّهْوَة، كُلُّ خَيالِ شَهْوَةٍ وَثَنٌ في الطَّريق؛
لَوْ أدْرَكَ فَضْلَهُ كُلُّ فُضُولِيّ، مَتى كانَ اللهُ أرْسَلَ الكَثيرَ مِنَ الرُّسَل؛
العَقْلُ الجُزْئِيُّ مِثْلَ البَرْقِ واللَّمْع، في اللَّمْعِ متى يُمْكِنُ السَّيْرُ إلى مَدِيْنَةِ **وَخَش**؛
لَيْسَ نُوْرُ البَرْقِ مِنْ أجْلِ السَّيْرِ في الطَّريق، بَلْ هُوَ أمْرٌ للغَيْمِ بالبُكاء؛
بَرْقُ عَقْلِنا مِنْ أجْلِ البُكاء، لِيَبْكِيَ العَدَمُ شَوقاً للوُجُود؛
عَقْلُ الطِّفْلِ يَقُولُ اِسْعَ للكُتَّاب، لكِنَّهُ لا يَسْتَطيعُ تَعْليمَهُ مِنْ نَفْسِه؛
عَقْلُ المَريضِ يَجيءُ بِهِ نَحْوَ الطَّبيب، لكِنَّهُ لا يَكُونُ مُصيباً في العِلاج؛
الشَّياطينُ تَذْهَبُ نَحْوَ الفَلَك، تُلْقي السَّمْعَ للأسْرارِ العالِيَة؛
تَخْتَطِفُ القَلِيْلَ مِنْ تِلْكَ الأسْرار، إلى انْ تَطْرُدَها الشُّهُبُ سَرِيعاً مِنَ السَّماء؛
أنِ اذْهَبُوا إلى هُناكَ فَقَدْ أتى رَسُولٌ، كُلُّ ما تَطْلِبُونَ مِنْهُ تَحْصَلُونَ عَلَيْه؛
إنْ كُنْتُمْ باحِثِينَ عَنِ الدُّرِّ بلا ثَمَن، أُدْخُلُوا الأبياتَ مِنْ أبوابِها؛

اِقْرَعْ حَلْقَةَ البابِ تِلْكَ وَقِفْ بالباب، مِنْ جِهَةِ السَّقْفِ لا طَرِيقَ للأفلاك؛
لا حاجَةَ بِكُمْ لِهذا الطَّرِيقِ الطَّويل، لَقَدْ أعْطَيْنا أسْرارَ السِّرِّ لِتُرابِيِّ؛
أقْبِلُوا إِلَيْهِ إنْ لَمْ تَكُونُوا خائِنين، تَصيروا مِنْهُ قَصَبَ سُكَّرٍ رَغْمَ أنَّكُم قَصَبٌ؛
مِنْ طَرِيقِكَ طَلَعَتِ الخُضْرَةُ، ذاكَ الدَّليل، لَيْسَ أقَلَّ مِنْ حافِرِ فَرَسِ جَبْرَائيل؛
تَصيرُ أخْضَرَ وَتَصيرُ غَضّاً مِنَ التَّبْديل، إذا صِرْتَ تُرابَ فَرَسِ جَبرائيل؛
خُضْرَةٌ تَهَبُ الرُّوحَ كالَّتي جَعَلَ السَّامِرِيّ، في العِجْلِ حَتَّى صارَ جَوْهَراً؛
أَخَذَ الرُّوحَ مِنَ الخُضْرَةِ وَصَرَخَ مِنْ تِلْكَ الخُضْرَة، صَرْخَةً صارَتْ للعَدُوِّ فِتْنَةً؛
لَوْ جِئْتُمْ آمِنِيْنَ إلى أهْلِ السِّرّ، تَحَرَّرْتُمْ مِنْ غِطاءِ الرَّأْسِ كالباز؛
غِطاءٌ على الرَّأْسِ وَرِباطٌ على العَيْنِ ورِباطٌ للأُذُن، فالبازُ مِنْهُ مِسْكِيْنٌ وَمغْمُوم؛
فَمِنْ ذاكَ الغِطاءِ على عَيْنِ البُزاةِ سَدٌّ، إذْ كُلُّ مَيْلِهِ يَكُونُ إلى جِنْسِ نَفْسِه؛
فإذا فُصِلَ عَنْ جِنْسِهِ صارَ صَديقاً مَعَ الشَّاه، وَيَفْتَحُ عَيْنَهُ صاحِبُ الباز؛
أَخْرَجَ الحَقُّ الشَّياطِيْنَ مِنْ مِرْصادِه، وَطَرَدَ العَقْلَ الجُزْئِيَّ مِنَ اسْتِبْدادِه؛
أنْ أَقِلَّ العِنادَ لا تَكُنْ مُسْتَبِدّاً، بَلْ تِلْميذَ قَلْبٍ وَمُسْتَعِدّاً؛
اِذْهَبْ على دَرْبِ القَلْبِ فأنتَ جُزْءُ القَلْب، ألا وكُنْ عَبْداً للمليكِ العادِل؛
العُبُودِيَّةُ لَهُ خَيْرٌ مِنَ السُّلْطان، *أنا خَيْرٌ مِنْهُ* نَفَسُ شَيْطان؛
فَلْتَرَ الفَرْقَ واخْتَرْ أي حَبيبي، عُبُودِيَّةَ آدَمَ عَنْ كِبْرِ إبليس؛
قالَ ذاكَ الَّذي هُوَ شَمْسُ الطَّريق، طُوبى لِكُلِّ مَنْ ذَلَّتْ نَفْسُه؛
فانظُرْ إلى ظِلِّ طُوبى وَنَمْ جَميلاً، وَضَعِ الرَّأْسَ في الظِّلِّ بلا عِنادٍ وَنَمْ؛
ظِلُّ ذَلَّتْ نَفْسُهُ حُسْنُ مَضْجَع، هِيَ للمُسْتَعْدِّ لِذاكَ الصَّفاءِ مَهْجَع؛
إنْ تَذْهَبْ مِنْ هذا الظِّلِّ إلى جِهَةِ أنا ، تَصيرُ سَريعاً طاغِياً وَتَضِلُّ الطَّريق؛

بيان يا أَيُّها الَّذينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ، ما دُمْتَ لَسْتَ نَبِيَّاً فَكُنْ مِنَ الأُمَّة ، ما دُمْتَ لَسْتَ سُلْطاناً فَكُنْ مِنَ الرَّعِيَّة

إذَنْ فامْضِ وَكُنْ صامِتاً مِنَ الإنْقِياد، تَحْتَ ظِلِّ أَمْرِ الشَّيْخِ والأُسْتاذ؛
وإلَّا فَرَغْمَ كَوْنِكَ مُسْتَعِدَّاً وَقابِلا، تَصيرُ مِنْ رُؤيَةِ النَّفْسِ مَسْخاً كامِلا؛
كما مِنَ الإسْتِعْدادِ تَتَأَخَّرُ إذا، عَصَيْتَ أُسْتاذَ السِّرِّ والخَبير؛
اِصْبِرْ أنتَ لا تَزالُ في تَعَلُّمِ الخِياطَة، أو تَصيرَ مِنْ انْعِدامِ الصَّبْرِ حائِكَ رِقاع؛
حائكُو البالي لَوْ كانَ لَهُمْ صَبْرٌ وَحِلْمٌ، صارُوا جُمْلَةً حائكينَ للجَديدِ مِنَ العِلْم؛
كَمْ سَعَيْتَ وفي الآخِرِ مِنَ الكلال، تَقُولُ للنَّفْسِ إنَّ العَقْلَ عِقال؛
مِثْلَ ذاكَ الرَّجُلِ المُفَلْسِفِ يَومَ المَوت، يرى العَقْلَ عاجِزاً بلا جَناحٍ وَعَزْم؛
بلا غَرَضٍ يَقُومُ تِلْكَ اللَّحْظَةَ بالإعْتِراف، أنْ مِنَ الذَّكاءِ سُقْنا الفَرَسَ جُزافاً؛
مِنَ الغُرُورِ عانَدْنا وَعَصَيْنا الرِّجال، وَقُمْنا بالسِّباحَةِ في بَحْرِ الخَيال؛
السِّباحَةُ لا تُفيدُ في بَحْرِ الرُّوح، هُنا لا سَبيلَ إلَّا سَفينَةُ نُوح؛
هكذا قالَ شاهُ الرُّسُلِ ذاكَ، أنْ أنا السَّفينَةُ في هذا البَحْرِ الكُلِّيّ؛
أو شَخْصٌ يَكُونُ ذا بَصيرَةٍ مِنِّي، يَكُونُ خَليفَةَ الصِّدْقِ في مكاني؛
أنا سَفينَةُ نُوحٍ في البَحْرِ أَيْ فَتى، كَيْ لا تُعْرِضَ عَنِ السَّفينَةِ بالوَجْه؛
لا تَمْضِ نَحْوَ كُلِّ جَبَلٍ مِثْلَ كَنْعان، اِسْتَمِعْ مِنَ النَّبِيّ إلى *لا عاصِمَ اليَوم*؛
هذهِ السَّفينَةُ تَظْهَرُ وَضيعَةً مِنَ القَيْد، وَجَبَلُ فِكْرِكَ يَظْهَرُ عالِياً جِدَّاً؛
إيَّاكَ أنْ تَنْظُرَ إلى هذِهِ الضَّئيلَةِ باحْتِقار، اُنْظُرْ إلى فَضْلِ الحَقِّ مُتَّصِلاً بِها؛
أَقِلَّ النَّظَرَ في عُلُوِّ جَبَلِ فِكْرِك، فإنَّ مَوْجَةً واحِدَةً تَجْعَلُ عالِيَهُ سافِلَه؛
إنْ كُنْتَ كَنْعانِيَّاً فَلَنْ تُصَدِّقَني، وَلَو نَصَحْتُكَ مِئَتَينِ مِنْ مِثْلِ هذِهِ النَّصيحَة؛
أُذُنُ كَنْعانَ مَتى تَقْبَلُ هذا الكلام، ما دامَ خَتْمُ اللهِ عَلَيْها والخِتام؛

مَتى تَعبُرُ المَوْعِظَةُ على خَتْمِ الحَقّ، مَنْ يُغَيِّرُ حَدَثَ حُكْمٍ سَبَق؛
لكِنْ أَقُولُ أيْ حَسَنَ الخُطى، على أَمَلِ أنَّكَ لا تَكُونُ كَنْعاناً؛
هَيَّا أخيراً قُمْ بِهذا الإقْرار، وانْظُرْ في أوَّلِ النَّهارِ آخِرَ النَّهار؛
إنَّكَ تَسْتَطيعُ أنْ تَرى الآخِرَ فلا، تَجْعَلْ عَيْنَكَ النَّاظِرَةَ للآخِرِ عَمياءَ شائِخَة؛
كُلُّ ناظِرٍ إلى الآخِرِ مَسْعُودُ المَسار، ولا يَكُونُ لَهُ كُلَّ لَحْظَةٍ في المَسِيرِ عِثار؛
إنْ كُنْتَ لا تُريدُ السُّقُوطَ كُلَّ لَحْظَةٍ والقِيام، خُذْ مِنْ تُرابِ قَدَمِ رَجُلٍ حادِّ النَّظَر؛
واصْنَعْ كُحْلاً للعَيْنِ مِنْ تُرابِ قَدَمِه، حَتَّى تُطيحَ بِرُؤوسِ الأوباش؛
فَمِنْ هذا التَّعَلُّمِ وهذا الافْتِقار، إبْرَتُكَ تِلْكَ تَصيرُ ذا الفقار؛
واصْنَعْ كُحْلاً مِنْ تُرابِ كُلِّ مُخْتار، فإنَّهُ حارِقٌ كما أَنَّهُ بانٍ للنَّظَر؛
عَيْنُ الجَمَلِ مِنْ ذاكَ كانَتْ حامِلَةً للنُّور، فَقَدْ أَكَلَ مِنْ أجْلِ نُورِ العَيْنِ الأشْواك؛

قِصَّةُ شِكايَةِ البَغْلِ للجَمَلِ أنْ أنا أَكْبُو للوَجْهِ في الطَّريقِ كَثيراً وَأَنْتَ نادِراً ما تَكْبُو للوَجْهِ فَلِماذا، وَجَوابُ الجَمَلِ له

بَغْلٌ رَأى جَمَلاً يوماً، حِيْنَ اجْتَمَعا مَعاً في الإصْطَبْل؛
قالَ أنا أَكْبُو كَثيراً للوَجْه، في التَّلِّ والدَّرْبِ والسُّوقِ والحَيّ؛
خاصَّةً مِنْ أعْلى الجَبَلِ لِأَسْفَلِ الجَبَل، أَقَعُ على الرَّأْسِ كُلَّ لَحْظَةٍ مِنَ الخَوف؛
أنتَ قَليلاً ما تَقَعُ على الوَجْهِ لِماذا، أمْ لَعَلَّ لِرُوحِكَ الطَّاهِرَةِ دَوْلَة؛
أنْكَبُّ على الرَّأْسِ كُلَّ حِيْنٍ وَأَرُضُّ رُكْبَتي، أمْلأُ الوَجْهَ والرُّكْبَةَ مِنَ الخَطَأِ بالدَّم؛
يَصيرُ مائلاً على رَأْسِيَ السَّرْجُ والحِمْلُ، وَأَتَعَرَّضُ للضَّرْبِ مِنَ البَغَّالِ كُلَّ حِيْن؛
مِثْلَ قَليلِ العَقْلِ الَّذي مِنْ فسادِ العَقْل، يَنْقُضُ التَّوبَةَ وَيَقَعُ كُلَّ لَحْظَةٍ في الذَّنْب؛
فَيَصيرُ مَسْخَرَةً لإبليسَ في الزَّمَن، كاسِرُ التَّوبَةِ ذاكَ مِنْ ضَعْفِ الرَّأْي؛
يَقَعُ على الرَّأْسِ كُلَّ لَحْظَةٍ كحِصانٍ أعْرَجٍ، طَريقُهُ صَخْرٌ وكانَ حِمْلُهُ ثَقيلاً؛

فَيَنالُ مِنَ الغَيْبِ ضَرْباً على الرَّأْس، مِنْ كَسْرِ التَّوبَةِ ذُو طَبْعِ الإدْبارِ ذاك؛
فَيَتُوبُ تَوْبَةً جَديدَةً مِنْ رَأْيِهِ الواهِي، فَيَثْقِلُ عَلَيْهِ إبليسُ ثَقْلَةً واحِدَةً وَيَكْسِرُ تَوبَتَه؛
ضَعْفٌ على ضَعْفٍ وَعِنْدَهُ الكِبْرُ بِحَيْثُ، أَنَّهُ يَنْظُرُ إلى الواصِلينَ باحْتِقار؛
أيْ جَمَلُ أنتَ مِثالُ المُؤمِن، نادِراً ما تَقَعُ على الوَجْهِ ونادِراً ما تَرُضُّ الأنْف؛
أنتَ ما تَمْلِكُ حَتَّى تَكُونَ هكذا بلا آفَةٍ، وبلا عِثارٍ ونادِراً ما تَقَعُ على الوَجْه؛
قالَ رَغْمَ أنَّ كُلَّ سَعادَةٍ مِنَ الله، فإنَّ بَيْني وَبَيْنَكَ تُوْجَدُ فُرُوق؛
رَأْسيْ عالٍ وَعَيْنايَ عالِيَتان، الرُّؤيَةُ العالِيَةُ أمانٌ مِنَ الأذى؛
مِنْ رَأْسِ الجَبَلِ أرى قَدَمَ الجَبَل، وَكُلَّ وَهْدٍ وَنَجْدٍ زَوْجاً زَوْجاً؛
مِثْلَما رأى ذلِكَ الصَّدْرُ الأَجَلّ، سَلَفاً أمْرَ نَفْسِهِ إلى يَومِ الأجَل؛
كُلَّ ما سَيَحْصَلُ بَعْدَ عِشْرينَ عاماً، رأى في الحالِ ذاكَ الحَسَنُ الخِصال؛
لَمْ يَرَ حالَ نَفْسِهِ وَحْدَها ذاكَ المُتَّقِي، بَلْ رأى حالَ المَغْرِبِيّ والمَشْرِقِي؛
في عَيْنِهِ وَقَلْبِهِ للنُّورِ سَكَن، مِنْ أجْلِ ماذا، مِنْ أجْلِ حُبِّ الوَطَن؛
مِثْلَ يُوسُفَ الَّذي رأى أوَّلاً في النَّوم، الشَّمْسَ والقَمَرَ ساجِدَيْنِ لَه؛
وَبَعْدَ عَشْرِ سِنينَ بَلْ أكْثَر، حَصَلَ ذاكَ الَّذي كانَ قَدْ رأى يُوسُف؛
يَنْظُرُ بِنُورِ اللهِ لَيسَتْ جُزافاً، النُّورُ الرَّبَّانِيُّ يَشُقُّ الفَلَك؛
لَيْسَ في عَيْنِكَ ذاكَ النُّورُ فاذْهَبْ، أنتَ رَهِيْنَةٌ في الحِسِّ الحَيَوانِيّ؛
أنتَ مِنْ ضَعْفِ العَيْنِ رَأَيْتَ أمامَ القَدَم، أنتَ ضَعيفٌ وقائِدُكَ ضَعيفٌ أيْضاً؛
العَيْنُ قائِدٌ لليَدِ والقَدَم، فَهِيَ ترى المَوْضِعَ الحَسَنَ والمَوْضِعَ غَيْرَ الحَسَن؛
والشَّيْءُ الآخَرُ أنَّ عَيْني أنْوَر، وَشَيْءٌ آخَرٌ أنَّ خِلْقَتي أطْهَر؛
ذلِكَ لأنِّيْ مِنْ أولادِ الحَلال، لا مِنْ أولادِ الزِّنا وَأَهْلِ الضَّلال؛
وَأَنْتَ مِنْ أولادِ الزِّنا بلا شَكّ ، إذا كانَتِ القَوْسُ رَديئَةً طارَ السَّهْمُ أعْوَجاً؛

تَصْديقُ البَغْلِ أَجْوِبَةَ الجَمَلِ وإقْرارُهُ بِفَضْلِهِ عَلَيْهِ وَطَلَبُهُ العَوْنَ مِنْهُ وَلُجُوؤهُ إِلَيْهِ بِصِدْقٍ وَمُواساةُ الجَمَلِ لَهُ وإظْهارُهُ الطَّريقَ لَهُ وَعَوْنُهُ لَهُ بِشَكْلٍ أَبَوِيٍّ وَمَلَكِيّ

قالَ البَغْلُ أيْ جَمَلُ قُلْتَ حَقّاً، قُلْتَ هذا وَمَلأْتَ عَيْنَيَ بالدَّمْع؛
وَبَكى ساعَةً وَوَقَعَ على قَدَمِهِ، قالَ أيُّها المُخْتارُ مِنْ رَبِّ العِباد؛
ماذا يَضُرُّكَ إذا مِنَ الإقْبال، قَبِلْتَني لَكَ عَبْداً؛
قالَ ما دُمْتَ أَقْرَرْتَ أمامي، اِذْهَبْ فَقَدْ نَجَوْتَ مِنْ آفاتِ الزَّمَن؛
جِئْتَ بالإنْصافِ وَتَحَرَّرْتَ مِنَ البلاء، كُنْتَ عَدُوّاً وَصِرْتَ مِنْ أَهْلِ الولاء؛
طَبْعُ السُّوءِ فيكَ لَمْ يَكُنْ أَصْليّاً، مِنْ سَيِّئِ الطَّبْعِ الأَصْلِيِّ لا يَأْتي سِوى الجُحُود؛
الإقْرارُ مِنْهُ يَكُونُ عارِيَةً فَهُوَ، يَجِيْءُ بالإقْرارِ وَيَكُونُ باحِثاً عَنِ التَّوبَة؛
مِثْلَما كانَتْ زَلَّةُ آدَمَ عارِيَة، لا جَرَمَ أَنَّهُ أظْهَرَ التَّوبَةَ في اللَّحْظَة؛
وَلَمَّا كانَ جُرْمُ إبليسَ أصْليّاً، لَمْ تَكُنْ لَهُ لِجانِبِ التَّوْبَةِ النَّفيسِ طَريقٌ؛
اِذْهَبْ نَجَوْتَ مِنَ النَّفْسِ وَمِنْ طَبْعِ السُّوء، ومِنْ لِسانِ النَّارِ وَمِنْ أنيابِ الوَحْش؛
اِذْهَبْ فَأَنْتَ تَمَسَّكْتَ بالدَّوْلَةِ الآن، وَأَلْقَيْتَ بالنَّفْسِ في البَخْتِ السَّرْمَدِيّ؛
لَقَدْ وَجَدْتَ ادْخُلي في عِبادي، وَوَجَدْتَ ادْخُلي في جَنَّتي؛
جَعَلْتَ لِنَفْسِكَ في عِبادِهِ طَريقاً، ذَهَبْتَ إلى الخُلْدِ مِنْ طَريقٍ خَفِيّ؛
قُلْتَ اهْدِنا الصِّراطَ المُسْتَقيم، فَأَخَذَ بِيَدِكَ وَحَمَلَكَ إلى النَّعيم؛
كُنْتَ ناراً صِرْتَ نُوراً أيْ عَزيز، كُنْتَ الحِصْرَمَ فَصِرْتَ العِنَبَ والزَّبيب؛
كُنْتَ كَوكَباً وَصِرْتَ شَمْساً، كُنْ سَعِيْداً اللهُ أَعْلَمُ بالصَّواب؛
أيْ ضِياءَ الحَقِّ حُسامَ الدِّيْنِ خُذِ الشَّهْدَ، مِنْكَ وَأَلْقِهِ في حَوْضِ اللَّبَن؛
لِيَتَحَرَّرَ ذاكَ اللَّبَنُ مِنْ تَغْييرِ الطَّعْم، وَيَجِدَ مِنْ بَحْرِ الطَّعْمِ تَكْثيرَ لَذَّةِ الطَّعْم؛

يَصيرُ مُتَّصِلاً بِبَحْرِ أَلَسْتُ، فإذا صارَ بَحْراً نَجا مِنْ كُلِّ تَغْيير؛
وَجَدَ مَنْفَذاً إلى بَحْرِ العَسَل، لَمْ يَعُدْ للآفَةِ فيهِ مِنْ عَمَل؛
زَمْجِرْ كما يَفْعَلُ الأَسَدُ أي أسَدَ الحَقّ، لَيَصِلَ مِنْكَ الزَّئيرُ إلى سابِعِ طَبَق؛
أيُّ خَبَرٍ للرُّوحِ مَلُولِ السَّيْر، مَتى يَعْرِفُ الفَأرُ زَئيرَ الأسَد؛
أُكْتُبْ أحْوالَ النَّفْسِ بماءِ الذَّهَبِ، مِنْ أجْلِ كُلِّ بَحْرِ قَلْبِ حَسَنِ الجَوْهَر؛
هذا الحَديثُ ماءُ النِّيْلِ واهِبُ الرُّوح، يا ربِّ اجْعَلْهُ في عَيْنَ القِبْطِيِّ يَظْهَرُ دَماً؛

تَمَلُّقُ قِبْطِيٍّ لِسِبْطِيٍّ أنِ امْلأْ جَرَّةً مِنَ النِّيْلِ بالنِّيَّةِ لِنَفْسِكَ وَضَعْها على شَفَتي لأشْرَبَ بِحَقِّ الصَّداقَةِ والأُخُوَّة ، فالجَرَّةَ الَّتي تَمْلَأونَها أنتُمُ الأسْباطُ مِنَ النِّيْلِ مِنْ أجْلِ أنْفُسِكُمْ ماءٌ صافٍ، والجَرَّةُ الَّتي نَمْلَؤها نَحْنُ الأقباطُ دَمٌ صافٍ

لَقَدْ سَمِعْتَ أنَّ قِبْطِيَّاً أتى، مِنْ شِدَّةِ العَطَشِ إلى وَثاقِ سِبْطِيّ؛
قالَ أنا لَكَ صَديقٌ وَقَريب، وَقَدْ صِرْتُ لَكَ مُحْتاجاً اليَوم؛
لأنَّ مُوسى قامَ بالسِّحْرِ والشَّعْوَذَة، حَتَّى جَعَلَ ماءَ النِّيْلِ لنا دَماً؛
الأسْباطُ يَشْرَبُونَ مِنْهُ الماءَ الصَّافِيَ، وللقِبْطِيّ صارَ دَماً مِنْ رِباطِ العَيْن؛
هاهُمُ القِبْطُ يَمُوتُونَ مِنَ العَطَش، مِنْ إدبارِهِمْ أو مِنْ سُوءِ أصْلِهِم؛
إمْلأْ طَسَّاً مِنَ الماءِ مِنْ أجْلِ نَفْسِك، لِيَشْرَبَ مِنْ مائكَ هذا الصَّديقُ القَديم؛
عِنْدَما تَمْلأُ الطَّسَّ بالماءِ مِنْ أجْلِك، لا يكونُ دَماً بَلْ ماءً طاهِراً وَحُرَّاً؛
أنا طُفَيْلُكَ اسْقِني الماءَ أيْضاً، كَيْ يَخْرُجَ طُفَيْلٌ بالتَّبَعِ مِنَ الغَمّ؛
قالَ أي رُوحي وَدُنيايَ أَقُومُ بالخِدْمَة، عِنْدِي الرِّعايَةُ أي عَيْنَيَّ المُضِيئَتَيْن؛
أمْضي على مُرادِكَ أَقُومُ بالإسْعاد، خِدْمَتي لَكَ حُرِّيَّةٌ لِيْ وإسْعاد؛
مَلأَ الطَّسَّ بالماءِ مِنَ النِّيْلِ، وَضَعَهُ على فَمِهِ وَشَرِبَ نِصْفَهُ؛

أمالَ الطَّسَّ إلى جِهَةِ طَالِبِ الماء، أنْ اشْرَبْ أنتَ أيْضاً صارَ ذاكَ ماءً أسْوَد؛
عادَ وَأَمالَهُ مِنْ هذِهِ الجِهَةِ فَصارَ الدَّمُ ماءً، فَصارَ القِبْطِيُّ في غَضَبٍ وَهِياج؛
جَلَسَ ساعَةً إلى أنْ ذَهَبَ غَضَبُه، بَعْدَ ذلِكَ قالَ أيُّها الصَّمصامُ الكَبير؛
قالَ أيْ أخي ما حَلُّ هذِهِ العُقْدَة، قالَ إنَّما يَشْرَبُ مِنْ هذا الماءِ المُتَّقي؛
المُتَّقي هُوَ ذاكَ الَّذي صارَ عاجِزاً، مِنْ طَريقِ فِرْعَونَ وَصارَ شَبيهاً بِمُوسى؛
كُنْ مِنْ قَومِ موسى واشْرَبْ مِنْ هذا الماء، تَصالَحْ مَعَ القَمَرِ وانْظُرْ نُورَ القَمَر؛
إنَّ مِئاتِ أُلُوفِ الظُّلُماتِ في عَيْنِكَ، مِنْ غَضَبِكَ على عِبادِ الله؛
أطْفِئِ الغَضَبَ وافْتَحِ العَيْنَ واسْعَدْ، وَخُذِ العِبْرَةَ مِنَ الأصْدِقاءِ وَكُنْ أُسْتاذاً؛
كَيْفَ تَكُونُ لي طُفَيْلاً مِنَ الاِعْتِراف، وَعِنْدَكَ الكُفْرُ مِثْلَ جَبَلِ قاف؛
مَتى يَدْخُلُ الجَبَلُ في سَمِّ إبْرَةٍ، إلَّا أنْ يَصيرَ ذاكَ خَيْطاً وَحيداً؛
اِجْعَلِ الجَبَلَ قَشّاً بالاِسْتِغْفارِ والخَيْر، وَخُذْ جامَ المَغْفُورِ لَهُمْ واشْرَبْ بِسلام؛
أنتَ بِهذا التَّزويرِ كَيْفَ تَشْرَبُ مِنْ ذاك، وَقَدْ جَعَلَهُ الحَقُّ حَراماً على الكافرين؛
خالِقُ التَّزويرِ مَتى اشْترى، تَزويرَكَ أيْ مُفْتَري المُفْتَرى؛
كُنْ مِنْ آلِ مُوسى فالحِيْلَةُ بلا نَفْع، حِيْلَتُكَ مِثْلَ وَزْنِ الهَواءِ فارِغَة؛
الماءُ يَمْلِكُ الشَّهامَةَ فَمِنْ أمْرِ الصَّمَد، صارَ للكافِرينَ ماءً آسِناً؛
أمْ تَظُنُّ أنَّكَ تأكُلُ الخُبْز، أنتَ تأكُلُ سُمَّ الحَيَّةِ وإتلافَ الرُّوح؛
مِنْ أيْنَ للخُبْزِ أنْ يَقُومَ بإصلاحِ الرُّوح، وَهُوَ الَّذي يَقْتَلِعُ القَلْبَ بأمْرِ الحَبيب؛
أمْ أنَّكَ تَظُنُّ أنَّ حَرْفَ المَثْنَوي، حِيْنَ قَرَأْتَهُ سَمِعْتَهُ مَجّاناً؛
أمْ أنَّ كلامَ الحِكْمَةِ والسِّرِّ الخَفِيِّ، يَدْخُلُ بالرَّغْبَةِ في الأُذُنِ والفَم؛
يَدْخُلُ ولكِنْ مِثْلَ القَصَص، يُظْهِرُ القِشْرَ لا لُبَّ اللُّبّ؛
يَسْحَبُ الحِجابَ على الرَّأْسِ والوَجْه، مُخَبِّئاً الوَجْهَ مِنْ عَيْنِكَ الجَريئة؛
هكذا مِثْلَ الشَّاهنامه أو كَليلَة، يكونُ القُرآنُ عِنْدَكَ مِنَ العُتُوّ؛

يكُونُ التَّفْريقُ بينَ الحَقّ والمَجاز، إذا جَعَلَ كُحْلُ العِنايَةِ العَيْنَ مَفْتُوحَةً؛
وإلَّا فالبَعْرُ والمِسْكُ للأخْشَمِ، كلاهُما واحِدٌ إذْ هُوَ بلا شَمَّ؛
مَقْصَدُهُ مِنْ كلامِ ذي الجَلال، إشْغالُ النَّفْسِ مِنَ الملال؛
إذْ نارُ الوَسْواسِ والغَمّ، مِنْ ذلِكَ تُطْفَأُ وَيكُونُ لها دَواء؛
مِنْ أجْلِ هذا المِقْدارِ مِنْ إطْفاءِ النَّار، الماءُ الطَّاهِرُ والبَولُ واحِدٌ لِهذا الفَنّ؛
البَوْلُ والماءُ لِنارِ الوَسْواس، كلاهُما مُطْفِئٌ كما وَقْتَ النَّوم؛
لكِنْ إذا صارَ لَكَ الإدراكُ بِهذا الماءِ الطَّاهِر، أنَّهُ كلامُ اللهِ وَرُوحانِيّ؛
تَنْعَدِمُ الوَسْوَسَةُ كُلِّيَّاً مِنَ الرُّوح، وَيَجِدُ القَلْبُ الطَّرِيقَ إلى جِهَةِ الرَّوْض؛
وآنَذاكَ يَطيرُ في الرِّياضِ والأنهار، ذاكَ الَّذي وَجَدَ مِنْ سِرّ الصُّحُفِ العَبير؛
أمْ ظَنَنْتَ أنَّ وَجْهَ الأولياء، يكُونُ هكذا كما نراهُ نَحْن؛
لَقَدْ ظَلَّ النَّبِيُّ في تَعَجُّبٍ مِنْ ذلِكَ، أنْ كَيْفَ لا يَرى المُؤمِنُونَ وَجْهِي؛
كَيْفَ لا يَرى نُوْرَ وَجْهِيَ الخَلْق، وَلَهُ السَّبْقُ على شَمْسِ الشَّرْق؛
وإنْ كانُوا يَرَوْنَ فَلِمَ هذِهِ الحَيْرَة، لِمَ ظَلَّ ذاكَ الوَجْهُ خافِياً حَتَّى جاءَ الوَحْي؛
إلى جِهَتِكَ قَمَرٌ وإلى جِهَةِ الخَلْقِ سَحابٌ، حَتَّى لا يرى عَبَثاً وَجْهَكَ مَجُوسِيّ؛
إلى جِهَتِكَ حَبَّةٌ ونَحْوَ الخَلْقِ شَبَكَةٌ، كَيْلا يَشْرَبَ العامُّ مِنْ هذا الشَّرابِ الخاصّ؛
قالَ اللهُ *تراهُمْ يَنْظُرُون*، هُمْ نُقوشٌ على حَمَّامٍ هُمْ لا يُبْصِرُون؛
يَظْهَرُ لَكَ صُورَةً أيْ عابِدَ الصُّورَةِ، لأنَّ النَّاظِرَ لَهُ عَيْناكَ المَيّتَتان؛
أمامَ عَيْنِ الصُّورَةِ تَجيءُ بالأدَب، أنْ لِماذا لا تَقُومُ بِرِعايَتي عَجَباً؛
لماذا هذِهِ الصُّورَةُ الجَميلَةُ بلا جَواب، لماذا لا تَقُولُ لي جَوابَ السَّلامُ عَلَيْك؛
لا الرَّأْسَ تُحَرّكُ ولا الشَّارِبَ مِنَ الجُود، مُراعاةً لِما قُمْتُ بِهِ لها مِنْ مِئَةِ سُجُود؛
الحَقُّ إذا كانَ لا يُحَرّكُ الرَّأْسَ ظاهِراً، رِعايَةَ ذاكَ الذَّوقِ يَهَبُ في الباطِن؛
فذاكَ يَعْدِلُ مائتَيْنِ مِنْ تَحْريكِ الرَّأْس، أنْ يُحَرّكَ العَقْلُ والرُّوحُ الرَّأْسَ أخيراً؛

قُمْ بِخِدْمَةِ العَقْلِ باجْتِهاد، رِعايَةُ العَقْلِ تِلْكَ أنْ يَزيدَ الرَّشاد؛
الحَقُّ لا يُحَرّكُ لَكَ الرَّأْسَ في الظَّاهِر، لكِنَّهُ يَجْعَلُكَ رئيساً على القادَةِ العِظام؛
لَقَدْ أعْطاكَ اللهُ شَيْئاً في السِّرّ، حَتَّى سَجَدَ لَكَ أهْلُ العالَم؛
ذاكَ الَّذي أعطى الصَّخْرَ الفَضْلَ، حَتَّى صارَ عَزيزَ الخَلْقِ أعْني الذَّهَب؛
قَطْرَةٌ مِنَ الماءِ وَجَدَتْ لُطْفَ الحَقّ، فَصارَتْ جَوْهَراً وَفاقَتِ الذَّهَب؛
الجِسْمُ تُرابٌ وَحِيْنَ أعْطاهُ الحَقُّ الضِّياء،صارَ في تَسْخيرِ العالَمِ أُسْتاذاً كالقَمَر؛
هذا الطِّلَسْمُ والنَّقْشُ المَيّتُ بلا رُوح، عَيْنُهُ حَرَفَتِ الحَمْقى عَنِ الطَّريق؛
إنَّها تُظْهِرُ أنَّها تَطْرِفُ بالعَيْن ، واتَّخَذَ البُلَهاءُ ذاكَ مِنْها سَنَداً؛

طَلَبُ القِبْطِيّ دُعاءَ الخَيْرِ والهِدايَةِ مِنَ السِّبْطِيّ وَدُعاءُ السِّبْطِيّ للقِبْطِيّ بالخَيْرِ والإسْتِجابَةُ مِنْ أكْرَمِ الأكْرَمينَ وأرْحَمِ الرَّاحِمين

قالَ القِبْطِيُّ قُمْ بالدُّعاءِ لي فأنا، مِنْ سَوادِ القَلْبِ لا أمْلِكُ ذلِكَ الفَمّ؛
عَسى يَنْفَتِحُ قِفْلُ هذا القَلْبِ، ويصيرُ لهذا القبيحِ في مَحْفَلِ الطَّيِّبينَ مكان؛
وَيَصيرُ مَسْخٌ مِنْكَ صاحِبَ جَمالٍ، أو يَعُودُ إبليسُ مِنْ جَديدٍ كَرُوبِيّاً؛
أو يَجِدُ الغُصْنُ اليابِسُ بِبَرَكَةِ يَدِ مَرْيَم، عَبِيرَ المِسْكِ والنُّضْرَةَ والثِّمار؛
وَقَعَ السِّبْطِيُّ ساجِداً تِلْكَ اللَّحْظَةَ وَقال، أي اَللهُ عالِمُ السِّرِّ والجَهْر؛
لِمَنْ يَرْفَعُ العَبْدُ يَدَهُ إلَّا إلَيْك، الدُّعاءُ مِنْكَ والإجابَةُ مِنْكَ أيْضاً؛
فَأَنْتَ مِنَ الأوَّلِ أَعْطَيْتَ قَبْلُ الدُّعاء، وَأَنْتَ أعْطَيْتَ في الآخِرِ للدُّعاءِ الجَزاء؛
أنتَ الأوَّلُ والآخِرُ وَنَحْنُ في الوَسَط، هَباءٌ هَباءٌ لا يَجيءُ في البيان؛
ظَلَّ يَدْعُو بِمِثْلِ هذا حَتَّى وَقَعَ هامِداً، بلا حِراكٍ وَصارَ قَلْبُهُ بلا وَعْي؛
عادَ للوَعْي واسْتَمَرَّ بالدُّعا، لَيْسَ للإنسانِ إلَّا ما سَعى؛
كانَ في الدُّعاءِ إذْ أتَتْ صَرْخَةٌ،انفَجَرَتْ فَجْأَةً مِنْ قَلْبِ القِبْطِيّ وَصَوتٌ مَهيب؛

أنْ عَجِّلْ واعْرِضْ عَلَيَّ الإيمان، حَتَّى أُمَزِّقَ مُسْرِعاً زنَّارِيَ القَديم؛
فَقَدْ أَلْقَوا بالنَّارِ في رُوحي، لَقَدْ أَسْعَدُوا هذا الإبليسَ بالرُّوح؛
مَحَبَّةً لَكَ وَمِنْكَ لا عَجَبٌ، الحَمْدُ للهِ أَخَذَ بِيَدي في العاقِبَة؛
لَقَدْ كانَتْ صُحْبَتي لَكَ كيمياءً، لا كانَ مَنْزِلُ قَلْبي خالِياً مِنْ قَدَمِك؛
أنتَ كُنْتَ غُصْناً مِنْ نَخْلِ الخُلْد، تَعَلَّقْتُ بِهِ فَحَمَلَني إلى الخُلْد؛
كانَ سَيْلاً ذاكَ الَّذي اخْتَطَفَ بَدَني، أَخَذَني السَّيْلُ إلى شَفَةِ بَحْرِ الجُود؛
أنا على عَبيرِ الماءِ ذَهَبْتُ للسَّيْل، رَأَيْتُ البَحْرَ أَخَذْتُ الدُّرَّ كَيْلاً بِكَيْل؛
وَجاءَ لَهُ بالطَّسِّ أنِ الآنَ خُذِ الماء، قالَ اذْهَبْ فَقَدْ صارَتِ المِياهُ عِنْدي حَقيرَةً؛
شَرِبْتُ شُرْبَةً مِنْ *إنَّ اللّٰهَ اشْتَرى*، إلى المَحْشَرِ لا يُصيبُني ظَمَأ؛
ذاكَ الَّذي أَعْطى الأنْهارَ والعُيُونَ الماء، فَتَحَ لي في داخِلي عَيْنَ ماء؛
الكَبِدُ الَّتي كانَتْ حَرَّى وَتَطْلُبُ الماء، صارَ الماءُ أمامَ هِمَّتِها حَقيراً؛
كافْ جاءَ كافِياً مِنْ أجْلِ العِباد، صِدْقُ وَعْدِ كهيعص؛
أنا كافٍ أُعْطِيْكَ جُمْلَةَ الخَيْر، بلا سَبَبٍ بلا واسِطَةِ عَوْنٍ مِنَ الغَيْر؛
أنا كافٍ أُشْبِعُكَ بلا خُبْزٍ، أُعْطيكَ الرِّئاسَةَ بلا عَسْكَرٍ وَجَيْش؛
بلا رَبيعٍ أُعْطيكَ النَّرْجِسَ والنِّسْرين، بلا كِتابٍ وأُسْتاذٍ أُعْطيكَ التَّلْقين؛
أنا كافٍ أُداويكَ بلا عِلاج، أجْعَلُ مَيْداناً واسِعاً القَبْرَ والبِئْر؛
أَعْطَيْتُ لِمُوسَوِيِ القَلْبَ بِعَصاً واحِدَةٍ، حَتَّى ضَرَبَ العالَمَ بالسُّيُوف؛
أَعْطَيْتُ يَدَ مُوسى نُوراً وَقُدْرَةً، حَتَّى أنَّها لَتُزري بِنُورِ الشَّمْس؛
جَعَلْتُ العُودَ حَيَّةً بِسَبْعِ رُؤوس، لَمْ تَلِدْها حَيَّةٌ أُنثى مِنْ ذَكَر؛
أنا لا أمْزِجُ ماءَ النِّيْلِ بالدَّم، أنا أجْعَلُ عَيْنَ مائِهِ دَماً بِفَنّ؛
أجْعَلُ مِنْ سُرُورِكَ غَمَّاً كماءِ النِّيْل، فلا تَجِدَ إلى المَسَرَّاتِ السَّبيل؛
فإذا عُدْتَ إلى تَجْديدِ الإيمان، وَصِرْتَ نافِراً مِنْ فِرْعَون؛

تَرى مُوسى رَحْمَةٍ أتى، وَتَرى نِيْلَ الدَّمِ وَقَدْ صارَ ماءً مِنْه؛
إذا حافَظْتَ على طَرَفِ الخَيْطِ في الدَّاخِلِ، نِيْلُ ذَوْقِكَ لا يَصيرُ دَماً أَبَداً؛
أنا فَكَّرْتُ أنْ أجيءَ بالإيمان، حَتَّى أَشْرَبَ مِنْ طُوفانِ الدَّمِ هذا ماءً؛
فإذا بي أعْلَمُ أنَّهُ يَقُومُ بالتَّبْديل، وَأَنَّهُ في طِيْنَتي يَجْعَلُ النِّيْل؛
أنا إلى جِهَةِ عَيْني نِيْلٌ جارٍ، وأمامَ عَيْنِ الآخَرينَ أنا في قَرار؛
مِثْلَما هُوَ هذا العالَمُ أمامَ النَّبِيّ، غارِقٌ بالتَّسْبيحِ وَأمامَنا غَبِيّ؛
العالَمُ أمامَ عَيْنِهِ مَمْلُوءٌ بالعِشْق، وأمامَ عَيْنِ الآخَرينَ مَيِّتٌ وَجَماد؛
المُنْخَفَضُ والمُرْتَفَعُ أمامَ عَيْنِهِ دَرْبٌ قاصِدٌ، سَمِعَ مِنَ الآجُرِّ والطِّيْنِ اللَّطائف؛
هذا العالَمُ للعَوامِّ مُغْلَقٌ كُلُّهُ وَمَيِّت، أنا لا أرى حِجاباً أَعْجَبَ مِنْ هذا؛
القُبُورُ واحِدَةٌ أمامَ أَعْيُنِنا، وَبِعَيْنِ الأولياءِ حُفَرٌ وَرِياض؛
قالَتِ العامَّةُ إنَّ النَّبِيَّ حادٌّ، لِمَ صارَ قاتِلاً للذَّوقِ وَعابِساً؛
قالَتِ الخاصَّةُ يَظْهَرُ عابِساً ، إلى جِهَةِ أَعْيُنِكُم أَيُّها الأُمِّيُّون؛
أُدْخُلُوا لَحْظَةً إلى أَعْيُنِنا لِكَيْ، تَرَوا الضَّحِكاتِ في *هَلْ أتى*؛
على شَجَرَةِ العَرْمُوطِ تَظْهَرُ الصُّورَةُ ، مَعْكُوسَةً لَكَ انْزِلْ للأسْفَلِ أي شابّ؛
شَجَرَةُ الوُجُودِ تِلْكَ شَجَرَةُ عَرْمُوط، ما دُمْتَ هُناكَ يَظْهَرُ الجَديدُ قَديماً؛
ما دُمْتَ هُناكَ ترى حَقْلَ شَوكٍ، مَليئاً بالعَقارِبِ الغاضِبَةِ وَمَليئاً بالحَيَّات؛
حِيْنَ تَنْزِلُ ترى بالمَجَّان ، عالَماً مَمْلُوءاً بالحَواضِنِ وَبِكُلِّ وَرْدِيِّ وَجْه؛

حِكايَةُ تِلْكَ المَرْأَةِ سَيِّئَةِ الفِعْل الَّتي قالَتْ لِزَوْجِها أنَّ تِلْكَ الخَيالاتِ تَظْهَرُ لَكَ مِنْ رَأْسِ شَجَرَةِ العَرْمُوط، إنَّ رَأْسَ شَجَرَةِ العَرْمُوط يُظْهِرُ لِعَيْنِ الآدَمِيِّ مِثْلَ هذِهِ، فانْزِلْ مِنْ على شَجَرَةِ العَرْمُوط تَذْهَبْ تِلْكَ الخَيالات، وَلَو أنَّ شَخْصاً قالَ أَنَّ ما يراهُ ذلِكَ الرَّجُلُ لَيْسَ خَيالاً ،

الجَوابُ أنَّ هذا مِثالٌ لا مِثْلٌ، في المِثالِ نَفْسُ هذا القَدْرِ كانَ كافِياً، أنْ لَوْ لَمْ تَذْهَبْ إلى رَأْسِ شَجَرَةِ العَرموطِ لَمْ تَكُنْ رَأَيْتَ ذاكَ أَبَداً ، سَواءً خيالاً سَواءً حَقيقَةً

تِلْكَ امَرْأَةٌ كانَتْ تَطْلُبُ اللِّقاءَ، بِمَعْشُوقِها أمامَ زَوْجِها الأحْمَق؛
قالَتِ المَرْأَةُ لِزَوْجِها أيْ حَسَنَ البَخْت، أنا سَأَصْعَدُ على الشَّجَرَةِ لأَقْطِفَ الثِّمار؛
عِنْدَما صَعَدَتْ تِلْكَ المَرْأَةُ على الشَّجَرَة، نَظَرَتْ مِنَ الأعْلى إلى زَوْجِها وَبَكَتْ؛
قالَتْ لِزَوْجِها أيُّها المُخَنَّثُ المَأْبُونُ، مَنْ هُوَ ذلِكَ اللُّوطِيُّ الواقِعُ عَلَيْك؛
أنتَ مِنْ تَحْتِهِ نائِمٌ كالمَرْأة، أيْ فُلانُ أحَقّاً أنَّكَ كُنْتَ مُخَنَّثاً؛
قالَ الزَّوْجُ لا لَعَلَّ رَأْسَكِ دائِرَةٌ، فما في هذِهِ البَرِّيَّة مِنْ أحَدٍ غَيْري؛
كَرَّرَتِ المَرْأَةُ أنْ ذُو القُبَّعَةِ ذاكَ، النَّائِمُ على ظَهْرِكَ مَنْ يَكُونُ؟ اتْرُكْهُ؛
قالَ أيْ امْرَأَةُ هَيَّا انْزِلي مِنَ الشَّجَرَةِ، فَرَأْسُكِ صارَتْ دائرةً وَصِرْتِ خَرِفَةً جِدّاً؛
عِنْدَما نَزَلَتْ صَعَدَ زَوْجُها، فَضَمَّتِ المَرْأةُ عَشيقَها ذاكَ إلى الصَّدْر؛
قالَ الزَّوجُ أَيَّتُها الفاجِرَة، مَنْ ذاكَ القابِعُ فَوْقَكِ مِثْلَ قِرْد؛
قالَتِ المَرْأَةُ لَيْسَ ها هُنا أَحَدٌ غَيْري، إنَّ رَأْسَكَ صارَتْ دائِرَةً لا تُخَرِّف؛
وَهُوَ كَرَّرَ ذاكَ القَوْلَ للمَرْأة، قالَتِ المَرْأَةُ هذا إذَنْ مِنْ شَجَرَةِ العَرْمُوط؛
أنا كُنْتُ مِنْ على شَجَرَةِ العَرْمُوط، أراكَ عِوَجاً هكذا أيْ دَيُّوث؛
هَيَّا انزِلْ كَيْ تَرى أنَّهُ لاَ شَيْء، وَأَنَّ هذا كُلَّهُ تَخْييلُ شَجَرَةِ العَرْمُوط؛
الهَزْلُ تَعليمٌ فاسْمَعْ ذاكَ بِجِدّ، لا تَكُنْ رَهِيْنَةً لِظاهِرِ هَزْلِه؛
كُلُّ جِدٍّ هَزْلٌ أمامَ الهازِلين، وَكُلُّ هَزْلٍ جِدٌّ أمامَ العاقِلين؛
العاجِزُونَ يَطلِبُونَ شَجَرَةَ العَرْمُوطِ لكِنْ، لبُلُوغِ شَجَرَةِ العَرْمُوطِ تِلْكَ هُناكَ طَريق؛
اِنْتَقِلْ مِنْ شَجَرَةِ العَرْمُوطِ فأَنْتَ الآن عَلَيْها، صِرْتَ حائِرَ العَيْنِ وحائِرَ الوَجْه؛

هذِهِ الأنا مِنْكَ وَوُجُودُكَ الأوَّلُ، يَجْعَلانِكَ تَرى عِوَجاً كالأحْوَل؛
عِنْدَما تَنْزِلُ مِنْ شَجَرَةِ العَرمُوطِ هذِه، لا يَبقى اعْوِجاجُ الفِكْرَةِ والعَيْنِ والقَوْل؛
ترى هذِهِ وَقَدْ صارَتْ شَجَرَةَ بَخْت، وَصارَ غُصْنُها في السَّماءِ السَّابِعَة؛
عِنْدَما تَنْزِلُ عَنْها وَتَنْفَصِلُ عَنْها، تَصيرُ رَحْمَةُ اللهِ البَديلَ لها؛
فإنَّ اللهَ، مِنْ تَواضُعِكَ بالنُّزُولِ عَنْها، يُعْطِيْكَ الرُّؤيَةَ الصَّحيحَةَ لِعَيْنِكَ تِلْك؛
الرُّؤيَةُ الصَّحيحَةُ لَو كانَتْ يَسيرَةً وَسَهْلَةً، متى كانَ المُصْطَفى طَلَبَها مِنَ الرَّبّ؛
قالَ أظْهِرْ ما علا وما انْخَفَضَ جُزْءاً جُزْءاً،كما يكُونُ ذاكَ الجُزْءُ ظاهِراً أمامَك؛
بَعْدَ ذلِكَ اصْعَدْ على شَجَرَةِ العَرْمُوطِ، فَقَدْ صارَتْ مُبَدَّلَةً وَخَضْراءَ مِنْ أمْرِ كُنْ؛
بِما أنَّ هذِهِ الشَّجَرَةَ صارَتْ شَجَرَةً مُوسَوِيَّةً، أنتَ إلى جِهَةِ مُوسى تَحْمِلُ المَتاع؛
نارُها تَهَبُ خُضْرَةً وَسُرُوراً، غُصْنُها يُعْلِنُ *إنِّي أنا اللَّه*؛
تَحْتَ ظِلّها جُمْلَةُ حاجاتِكَ مُتاحَةٌ، هكذا تَكُونُ الكيمياءُ الإلٰهِيَّة؛
أن إنِّيَّتُكَ تِلْكَ وَوُجُودُكَ حلال، فيهِما ترى صِفاتِ ذي الجَلال؛
صارَتِ الشَّجَرَةُ العَوجاءُ قَويمَةً مُظْهِرَةً للحَقّ، أَصْلُها ثابِتٌ وَفَرْعُها في السَّماء؛

بَقِيَّةُ قِصَّةِ مُوسى عَلَيْهِ السَّلام

فَقَدْ جاءَتْ رِسالَةٌ مِنَ الوَحْيِ المُهِمّ، أنَّكَ تَسيرُ باعْوِجاجٍ الآنَ فاسْتَقِمْ؛
شَجَرَةُ البَدَنِ هذِهِ عَصا مُوسى، جاءَهُ الأمْرُ أنْ أَلْقِها مِنَ اليَد؛
حَتَّى تَرى خَيْرَها وَشَرَّها، بَعْدَ ذلِكَ خُذْها مِنْ أمْرِهِ هُوَ؛
قَبْلَ إلقائِها لَمْ تَكُنْ غَيْرَ عُودٍ، عِنْدَما أَخَذَها بِأَمْرِهِ صارَتْ حَسَنَةً؛
كانَتْ ناثِرَةَ وَرَقٍ للشّياهِ أوَّلاً، صارَتْ مُعْجِزَ تِلْكَ الجَماعَةِ المَغْرُورَة؛
صارَتْ حاكِماً على رُؤوسِ قَومِ فِرْعَون، جَعَلَتْ ماءَهُمْ دَماً ويَلْطِمُونَ الرُّؤوس؛
مِنْ مزارِعِهِمْ يَطْلَعُ القُحْطُ والمَوت، مِنَ الجَرادِ الَّذي يَأكُلُ النَّبْت؛

حَتَّى طَلَعَ مِنْ مُوسى في ذُهُولِهِ الدُّعاء، عِنْدَما وَقَعَ نَظَرُهُ على المُنْتَهى؛
أنْ لِماذا كُلُّ هذا الإعْجازِ والسَّعْي، ما دامَتْ هذِهِ الجَماعَةُ لا تُرِيدُ أنْ تَسْتَقيم؛
جاءَهُ الأمْرُ أنْ قُمْ باتِّباعِ نُوح، واتْرُكْ شَرْحَ رُؤيَةِ النِّهايَةِ؛
تَغافَلْ عَنْ ذلِكَ كداعي الطَّريق، هُوَ أمْرُ *بَلِّغْ* ذاكَ لا يَكُونُ عَبَثاً؛
أَقَلُّ حِكْمَةٍ مِنْهُ أنَّهُ مِنْ إلحاحِكَ، صارَ جَلِيّاً ذاكَ اللِّجاجُ وذاكَ العُتُوّ؛
حتَّى يَصيرَ إظْهارُ الطَّريقِ وإضْلالُ الحَقّ، فاشِياً لِكُلِّ أهْلِ الفَرْق؛
إذا كانَ المَقْصُودُ مِنَ الوُجُودِ الإظْهار، وَجَبَ لَهُ الإمْتِحانُ مِنَ نُصْحٍ وإغْواء؛
الشَّيْطانُ يُلِحُّ إلحاحَ الغِوايَة، والشَّيْخُ يُلِحُّ إلحاحَ الهِدايَة؛
حِيْنَ تَعاقَبَ أمْرُ الشُّجُونِ ذاكَ، جاءَ النِّيْلُ يَجْري كُلُّهُ جُمْلَةً دَماً؛
وَجاءَ فِرْعَوْنُ بِنَفْسِهِ إلى مُوسى، يَتَضَرَّعُ إلَيْهِ وَقَدِ انْحَنَتْ قامَتُه؛
أنْ ذاكَ الَّذي فَعَلْنا أيْ سُلْطانُ لا تَفْعَلْ، لا نَمْلِكُ الوَجْهَ لِنَقُولَ الكلام؛
أنا جُزْءاً جُزْءاً قابِلُ الأمْر، لا تُعامِلْني بِقَسْوَةٍ أنا مَطْبُوعٌ على العِزَّة؛
هَيَّا حَرِّكِ الشَّفَةَ بالرَّحْمَةِ أيْ أَمين، حَتَّى تُغْلِقَ هذا الفَمَ مِنَ النَّار؛
قالَ يا رَبِّ هُوَ يَخْدَعُني، هُوَ إذْ يَخْدَعُني إنَّما يَخْدَعُك؛
أَأَسْمَعُ لَهُ أمْ أخْدَعُهُ أنا أيْضاً، حَتَّى يَعْرِفَ الأصْلَ ذاكَ المُتَمَسِّكُ بالفَرْع؛
فأصْلُ كُلِّ مَكْرٍ وَحيلَةٍ عِنْدَنا، كُلُّ ما على الأرْضِ أَصْلُهُ مِنَ السَّماء؛
قالَ الحَقُّ: ذاكَ الكَلْبُ لا يَسْتَحِقُّ ذلِكَ، أمامَ الكَلْبِ أَلْقِ مِنْ بَعيدٍ عَظْماً؛
هَيَّا حَرِّكْ تِلْكَ العَصا لِيَرُدَّ التُّرابُ، وَيَسْتَرْجِعَ كُلَّ ما أفْناهُ مِنْهُ الجَراد؛
وَذاكَ الجَرادُ يَصيرُ في اللَّحْظَةِ تُراباً، حَتَّى يَرى الخَلْقُ تَبْديلَ الإلٰه؛
أنَّني لَسْتُ في حاجَةِ الأسْباب، ذاكَ السَّبَبُ غِطاءٌ وَمِنْ أجْلِ الحِجاب؛
حَتَّى يَقُومَ الطَّبيعِيُّ بِمُداواةِ نَفْسِهِ، وَحَتَّى يُوَجِّهَ المُنَجِّمُ الوَجْهَ للنُّجُوم؛
حَتَّى يَجيءَ المُنافِقُ مِنَ الحِرْصِ فَجْراً، نَحْوَ البازارِ مِنْ خَوْفِ الكساد؛

لَمْ تَقُمْ بالعُبُودِيَّةِ وَلَمْ تَغْسِلِ الوَجْهَ، صِرْتَ لُقْمَةَ جَهَنَّمَ أيْ طالِبَ اللُّقَم؛
الرُّوحُ العامُّ آكِلٌ وَمَأكُولٌ، مِثْلَ تِلْكَ الشَّاةِ الَّتي تَرْعى مِنَ الحُطام؛
الشَّاةُ تَرْعى والقَصَّابُ مَسْرُورٌ، أنْ هِيَ تَرْعى وَرَقَ المُرادِ مِنْ أجْلي؛
أنتَ بالأكْلِ تَعْمَلُ العَمَلَ للنَّار، أنتَ مِنْ أجْلِها تُسَمِّنُ النَّفْس؛
اِعْمَلِ العَمَلَ لَكَ وارْعَ قُوْتَ الحِكْمَة، حَتَّى يَصيرَ القَلْبُ سَميناً وَذا كَرٍّ وَفَرّ؛
إطْعامُ البَدَنِ مانِعٌ لِهذا الإطْعام، الرُّوحُ مِثْلَ التَّاجِرِ والبَدَنُ مِثْلَ قاطِعِ الطَّريق؛
شَمْعُ التَّاجِرِ يَكُونُ مُضيئاً ذلِكَ الوَقْتَ، الَّذي يَحْتَرِقُ بِهِ قاطِعُ الطَّريقِ كالحَطَب؛
إذْ أنتَ ذاكَ الوَعْيُ والبَقِيَّةُ غِطاءُ الوَعْي، لا تُضَيِّعِ النَّفْسَ لا تَسْعَ عَبَثاً؛
اِعْلَمْ أنَّ كُلَّ شَهْوَةٍ كالخَمْرِ وكالبِنْج، حِجابٌ للوَعْيِ والعاقِلُ يَصيرُ مِنْها أَبْلَهاً؛
لَيْسَتِ الخَمْرُ وَحْدَها سَبَبَ سُكْرِ الوَعْي، كُلُّ ذي شَهْوَةٍ يُغْلِقُ العَيْنَ والأُذُن؛
إبليسُ ذاكَ لَمْ يَكُنْ شارِباً للخَمْر، كانَ سَكْرانَ مِنَ التَّكَبُّرِ وَمِنَ الجُحُود؛
السَّكْرانُ ذاكَ الَّذي يرى ما لَيْسَ مَوْجُوداً، النُّحاسُ والحَديدُ يَظْهَرانِ لَهُ ذَهَباً؛
هذا الحَديثُ لا نِهايَةَ لَهُ مُوْسَيا، حَرِّكِ الشَّفَةَ حَتَّى يَخْرُجَ مِنَ الأرْضِ النَّبات؛
هكذا فَعَلَ وفي اللَّحْظَةِ صارَتِ الأرْضُ، مُخْضَرَّةً مِنَ السُّنْبُلِ والحَبِّ الثَّمين؛
وَقَعَ أولئكَ النَّفَرُ في الطَّعامِ اللَّذيذ، بَعْدَ القُحْطِ وَموتِ البَقَرِ مِنَ الجُوع؛
أكَلُوا للشِّبَعِ عِدَّةَ أيَّامٍ مِنَ العَطاء، مِنْ نباتٍ وآدَمِيٍّ وأنعام؛
عِنْدَما امْتَلأَ البَطْنُ وَأصابُوا النِّعْمَةَ، وَذَهَبَتِ الضَّرُورَةُ صاروا شَديدي الطُّغْيان؛
النَّفْسُ فِرْعَونٌ ألا لا تَقُمْ بإشْباعِها، حَتَّى لا تَتَذَكَّرَ ذلِكَ الكُفْرَ القَديم؛
بلا حَرارَةِ النَّارِ لا تَصيرُ النَّفْسُ طَيِّبَةً، ما لَمْ يَصِرِ الحَديدُ كالجَمْرِ لا تَدُقَّه؛
بلا جُوعٍ لا مُحَرِّكَ للبَدَن، أنتَ تَطْرِقُ على الحَديدِ وَهُوَ بارِدٌ اعْلَمْ؛
وَلَوْ شَكَتْ مِنَ الضَّعْفِ والعَجْزِ وَلَوْ بَكَتْ، هِيَ سَوفَ لَنْ تَصيرَ مُسْلِمَةً انتَبِهْ؛
هِيَ مِثْلَ فِرْعَونَ في القُحْطِ هكذا، وَضَعَ الرَّأْسَ مُتَضَرِّعاً أمامَ مُوسى؛

عِنْدَما صارَ مُسْتَغْنياً صارَ طاغِياً، الحِمارُ عِنْدَما ألقى الحِمْلَ رَفَس؛
إنَّها تَنْسى الآهاتِ والنَّحيبَ والأنين، حِيْنَ تمْضي عنها وَتَعبُرُ مِنْها للأمام؛
لَقَدْ كانَ رَجُلٌ في مَدينَةٍ لِسِنينَ، وَفي لَحْظَةٍ إذْ ذَهَبَتْ عَيْنُهُ في النَّوم؛
رأى مَدينَةً أُخْرى مَمْلُوءَةً بالحُسْنِ والقُبْحِ، فَلَمْ تَعُدْ مَدينَتُهُ تَجيءُ في ذاكِرَتِه؛
أنْ أنا كُنْتُ هُناكَ وَهذِهِ المَدينَةُ جَديدَةٌ، هذِهِ لَيْسَتْ مدينتي أنا هُنا رَهينَة؛
بَلْ ظَلَّ يَعْتَبِرُ أنَّهُ كانَ مُرْتَبِطاً بِها، وأنَّهُ في مَدينَتِهِ هذِهِ ذُو إبداعٍ وانسِجام؛
أيُّ عَجَبٍ أنَّ الرُّوحَ لا تَتَذَكَّرُ مَواطِنَها، الَّتي كانَتْ لَها مَسْكَناً وَمِيْلاداً مِنْ قَبْل؛
فإنَّ هذِهِ الدُّنيا كأنَّها المَنامُ، تُغَطِّيْها كما يُغَطِّيْ السَّحابُ النَّجْم؛
خاصَّةً وَقَدْ طَرَقَتْ كَثيراً مِنَ المُدُن، الغُبارُ مِنْ إدراكِها لَمْ يُكْنَسْ بَعْد؛
لَمْ تَقُمْ بِجَعْلِ الاِجْتِهادِ حارّاً حَتَّى، يَصيرَ القَلْبُ صافِياً وَتَرى ما جَرى؛
لَوْ أخْرَجَ قَلْبُها الرَّأْسَ مِنْ بُرْجِ السِرّ ، لَرَأَتِ الأوَّلَ والآخِرَ بِعَيْنٍ مَفْتُوحَةٍ؛

أطْوارُ وَمنازِلُ الآدَمِيّ مِنَ الاِبْتِداء

لَقَدْ جاءَ أوَّلاً إلى إقْليمِ الجَماد، وَمِنَ الجَمادِيّ وَقَعَ في النَّباتِيّ؛
أمْضى سِنينَ مِنْ عُمُرِهِ في النَّباتِيّ، وَمِنَ الجَمادِيّ لا يَتَذَكَّرُ شَيْئاً مِنَ الخِصام؛
وَمِنَ النَّباتِيّ إذْ وَقَعَ في الحَيَوانِيّ، لَمْ يَعُدْ يَتَذَكَّرُ مِنْ حالِ النَّباتِيّ أيَّ شَيْء؛
إلّا مَيْلَهُ الَّذي لَدَيْهِ إلى ذاكَ، خاصَّةً في وَقْتِ الرَّبيعِ والرَّيْحان؛
مِثْلَ مَيْلِ الأَطْفالِ إلى أُمَّهاتِهِم، لا يَعْرِفُونَ سِرَّ مَيْلِ النَّفْسِ في اللُّبان؛
مِثْلَ المَيْلِ المُفْرِطِ لِكُلِّ مُريدٍ جَديد، إلى ذلِكَ الشَّيْخِ يافِعِ البَخْتِ المَجيد؛
جُزْءُ عَقْلِ هذا مِنْ ذلِكَ العَقْلِ الكُلِّيّ، اهْتِزازُ هذا الظِّلِّ مِنْ ذلِكَ الغُصْنِ الوَرْدِيّ؛
ظِلُّهُ يَصيرُ فانِياً بِهِ أخيراً، فاعْرِفْ إذَنْ سِرَّ المَيْلِ والبَحْثِ والطَّلَب؛
ظِلُّ الغُصْنِ متى يَهْتَزُّ أيْ حَسَنَ البَخْت، مَرَّةً أُخْرى إذا لَمْ تَتَحَرَّكْ هذِهِ الشَّجَرَة؛

ثُمَّ مِنَ الحَيَوانِ إلى الإنسان، سَحَبَهُ ذلِكَ الخالِقُ العالِمُ بِه؛
هكذا ذَهَبَ مِنْ إقْليمٍ إلى إقليم، حتَّى صارَ الآنَ عاقِلاً وَعالِماً وَعَظِيماً؛
لا يَتَذَكَّرُ عُقُولَهُ الأولى، ولا فِعْلَ التَّحَوُّلِ مِنْ عَقْلِهِ هذا؛
لَو تَحَرّرَ مِنْ هذا العَقْلِ المَمْلُوءِ حِرْصاً وَطَلَباً،رأى مِئاتِ أُلُوفِ العُقُولِ العَجيبة؛
رَغْمَ أنَّهُ صارَ نائِماً وَناسِياً لِما سَبَق، متى يَتْرُكُونَهُ في ذاكَ النِّسْيانِ للنَّفْس؛
يَسْحَبُونَهُ ثانِيَةً مِنْ نَوْمِهِ ذاكَ لليَقَظَة، حَتَّى أنَّهُ يَضْحَكُ سُخْرِيَةً مِنْ حالَةِ نَفْسِه؛
أنْ ما غَمَّاً كُنْتُ آكُلُ في النَّوم، حِيْنَ صِرْتُ ناسِياً لأحْوالِ الصَّواب؛
كَيْفَ لَمْ أَعْلَمْ أنَّ ذاكَ الغَمَّ والاِعْتِلال، فِعْلُ نَوْمٍ وَخِدْعَةُ خَيال؛
كذلِكَ الدُّنيا الَّتي هِيَ حُلْمُ نائم، وَظَنَّ النَّائِمُ أنَّ هذا دائم؛
إلى أنَّ طَلَعَ فَجْأَةً صُبْحُ الأجَل، وَتَحَرَّرَ مِنْ ظُلْمَةِ الظَّنِّ والدَّغَل؛
أَخَذَتْهُ ضُحْكَةٌ مِنْ غُمُومِهِ تِلْكَ، حينَ رأى مُسْتَقَرَّ نَفْسِهِ وَمَوْضِعَه؛
كُلَّ ما رَأَيْتَ في النَّومِ مِنْ حَسَنٍ وَسَيِّئٍ، صارَ يَومَ المَحْشَرِ ظاهِراً واحِداً واحِداً؛
وَكُلَّ ما فَعَلْتَ في نَوْمِ الدُّنيا هذا، سَيَصيرُ لَكَ ظاهِراً وَقْتَ اليَقْظَةِ للعَيان؛
حَتَّى لا تَظُنَّ أنَّ عَمَلَ السُّوءِ هذا، كائنٌ في هذا النَّومِ وبلا تَعْبيرٍ لَك؛
بَلْ هذا الضَّحِكُ هُوَ البُكاءُ والزَّفير، يَوْمَ التَّعْبيرِ أَيُّها الظَّالِمُ للأسير؛
والبُكاءُ والأَلَمُ والغَمُّ والعَجْزُ مِنْكَ، اعْرِفْها سُرُوراً لَكَ في اليَقَظَة؛
أيْ مُمَزِّقَ جُلُودِ اليُوسُفِيِّين، سَوْفَ تَنْهَضُ مِنْ هذا النَّومِ الثَّقيلِ ذِئباً؛
صارَتْ طِباعُكَ واحِداً واحِداً ذئاباً، فَهِيَ تُمَزِّقُ أعْضاءَكَ مِنَ الغَضَبِ تَمْزيقاً؛
الدَّمُ لَمْ يَنَمْ بَعْدَ مَوْتِكَ في القَصاص، لا تَقُلْ أنَّني مِتُّ وَوَجَدْتُ الخَلاص؛
هذا القَصاصُ الحاضِرُ جَزاءَ احْتِيالِكَ، أمامَ أَلَمِ ذاكَ القَصاصِ لَعِبٌ؛
مِنْ هذا قالَ اللهُ عَنِ الدُّنيا أنَّها لَعِبٌ، فإنَّ هذا الجَزاءَ لَعِبٌ أمامَ ذاكَ الجَزاء؛
هذا الجَزاءُ تَسْكينُ حَرْبٍ وَفِتْنَة ، ذاكَ كالخِصاءِ وهذا كالخَتْن؛

بيان أنَّ الخَلْقَ في النَّارِ جائعُونَ وَشاكُونَ إلى الحَقِّ أنْ اجْعَلْ أرزاقَنا وافِرَةً وأوْصِلْ لَنا سَريعاً الزَّادَ فَلَمْ يَبْقَ لنا صَبْر

هذا الحَديثُ لا نِهايَةَ لَهُ مُوْسَيا، هيَّا أَطْلِقْ تِلْكَ الحَميرَ في العُشْبِ للرَّعْي؛
حَتَّى تَسْمَنَ مِنْ ذلِكَ العَلَفِ اللَّذيذ، كُلُّها هَيَّا فالذِّئابُ غاضِبَةٌ مِنَّا؛
نَحْنُ مُوقِنُونَ بِبُكاءِ وَأنينِ الذِئاب، فَلْنَجْعَلْ هذِهِ الحَميرَ طُعْمَةً لَها؛
كيمياءُ النَّفَسِ الطَّيِّبِ مِنْ شَفَتِكَ، تُريدُ أنْ تَجْعَلَ مِنْ هذِهِ الحَميرِ بَشَراً؛
كَمْ دُعاءاً دَعَوْتَ مِنْ لُطْفٍ وَجُود، وطالِعُ تِلْكَ الحَميرِ بلا رِزْق؛
غَطِّهِمْ بِلِحافِ النِّعْمَة، لِيَأْخُذَهُمْ سَريعاً نَوْمُ الغَفْلَة؛
حَتَّى إذا نَهَضَ هذا الصَّفُّ مِنَ النَّوم، يَكُونُ الشَّمْعُ قَدِ انْطَفَأَ والسَّاقي قَدْ ذَهَب؛
لَقَدْ جَعَلَكَ طُغْيانُهُمْ في حَيْرَة، فاسْقِهِمْ مِنَ الجَزاءِ أَيْضاً حَسْرَة؛
حَتَّى يَخْرُجَ عَدْلُنا القَديمُ ظاهِراً للخارِجِ، يُعْطي في الجَزاءِ كُلَّ قَبيحٍ ما يُناسِبُه؛
لِيَصيرَ ذلِكَ الشَّاهُ الَّذي لَمْ يَرَوْهُ فاشِياً، وَقَدْ كانَ مَعَهُمْ في الخَفاءِ في المَعاش؛
كما هُوَ العَقْلُ مَعَكَ مُشْرِفٌ على بَدَنِك، رَغْمَ أنَّ رُؤيَتَكَ هذِهِ قاصِرَةٌ عَنْه؛
رُؤْيَتُهُ لَيْسَتْ قاصِرَةً أَيْ فُلان، عَنْ سُكُونِكَ وَحَرَكَتِكَ في الاِمْتِحان؛
أيُّ عَجَبٍ إذا كانَ خالِقُ ذاكَ العَقْلِ أَيْضاً، كانَ مَعَكَ كَيْفَ لا تَسْتَجيزُ ذلِك؛
يَصيرُ غافِلاً عَنِ العَقْلِ في السَّعْيِ للسُّوء، وَبَعْدَ ذلِكَ يَقُومُ بالملامَةِ للعَقْل؛
أنتَ غافِلٌ عَنْ عَقْلِكَ لا العَقْلُ غافِلٌ عَنْكَ، فَمِنْ حُضُورِهِ تَكُونُ الملامَةُ لَهُ؛
لَوْ لَمْ يَكُنْ حاضِراً وكانَ غافِلاً، متى كُنْتَ تُرْسِلُ لَهُ سَيْلاً مِنَ الملامَة؛
وَلَوْ لَمْ تَكُنْ نَفْسُكَ غافِلَةً عَنْهُ، مَتى كُنْتَ تَفْعَلُ هكذا جُنُوناً وَهِياجاً؛
فَعَقْلُكَ هُوَ كما الاِصْطِرلابُ لَكَ، مِنْ هذا تَعْلَمُ قُرْبَ شَمْسِ الوُجُود؛
لِعَقْلِكَ قُرْبٌ بلا كَيْفِيَّةٍ مَعَك، لا عَنْ يَسارٍ وَيَمينٍ وأمامٍ وَخَلْفٍ يَسير؛

كَيْفَ لا يَكُونُ للشَّاهِ قُرْبٌ بلا كَيْفِيَّةٍ، حَتَّى أنَّ بَحْثَ العِلْمِ لا يَجِدُ تِلْكَ الطَّرِيق؛
لَيْسَتْ الحَرَكَةُ في الإِصْبَعِ الطَّرِيَّةِ، أمامَ الإِصْبَعِ أوْ خَلْفَها أوْ عَنْ يَمينٍ وَيسار؛
وَقْتَ النَّومِ والمَوْتِ تَذْهَبُ مِنْها، وَوَقْتَ اليَقَظَةِ تَصيرُ قَرينَةً لَها؛
مِنْ أَيَّةِ طَريقٍ تَجيءُ لإِصْبَعِكَ، فإِصْبَعُكَ مِنْ دُونِها بلا مَنْفَعَة؛
نُورُ العَيْنِ وإنسانِ العَيْنِ في نَظَرِك، مِنْ أيَّةِ طَريقٍ جاءَ بِغَيْرِ الجِهاتِ السِّتّ؛
عالَمُ الخَلْقِ باتِّجاهاتٍ وَجِهات، وبلا جِهَةٍ عالَمُ الأمْرِ والصِّفات؛
اِعْرِفْ بلا جِهَةٍ عالَمَ الأمْرِ أيْ صَنَم، والآمِرُ أكْثَرُ تَنْزيهاً عَنِ الجِهَةِ لا جَرَم؛
العَقْلُ يَكُونُ بلا جِهَةٍ وَعلَّامُ البَيان، أعْقَلُ مِنَ العَقْلِ وأكْثَرُ روحانِيَّةً مِنَ الرُّوح؛
ما مِنْ مَخْلُوقٍ لَيْسَ لَهُ تَعَلُّقٌ بِه، هذا التَّعَلُّقُ هُوَ بلا كَيْفِيَّةٍ أيْ عَمّ؛
فالفَصْلُ والوَصْلُ لا يَكُونانِ في الرُّوح، والخَيالُ لا يُفَكِّرُ بِغَيْرِ الفَصْلِ والوَصْل؛
غَيْرَ الفَصْلِ والوَصْلِ افْهَمْ مِنَ الدَّليل، لكِنَّ هذا الفَهْمَ لا يَشْفي الغَليل؛
واسْعَ دائماً إذا بَعُدْتَ عَنِ الأصْل، إلى أنْ يَأْخُذَكَ عِرْقُ الرُّجُولَةِ إلى الوَصْل؛
هذا التَّعَلُّقُ مَتى سارَ في طَلَبِهِ العَقْل، وهذا العَقْلُ مُقَيَّدٌ بالوَصْلِ والفَصْل؛
مِنْ هذا أوصانا المُصْطَفى أنْ، لا تَطْلُبُوا البَحْثَ في ذاتِ الله؛
ذاكَ الَّذي يقُومُ بالتَّفَكُّرِ في ذاتِهِ، ذاكَ النَّظَرُ مِنْهُ في الحَقيقَةِ لَيْسَ في الذَّات؛
ذاكَ وَهْمُهُ لأنَّ في الطَّريق، مِئاتِ أُلُوفِ الحُجُبِ إلى الإلٰه؛
كُلُّ واحِدٍ في حِجابٍ مُتَّصِلٍ بِطَبْعِهِ، وذاكَ يَكُونُ وَهْمَهُ إذْ ذاكَ عَيْنُ هُوِيَّتِه؛
فالنَّبِيُّ دَفَعَ هذا الوَهْمَ عَنْهُ، حَتَّى لا يَكُونَ عامِلاً العَمَلَ بالغَلَط؛
وَذلِكَ الَّذي في الوَهْمِ تَارِكٌ الأَدَبَ، غَيْرُ ذي الأدَبِ يُعْطيهِ الرَّبُّ الاِنْتِكاس؛
الاِنتِكاسُ ذاكَ أنْ يَسيرَ يَهْوي، إلى الأسْفَلِ وَهُوَ يَظُنُّ أنَّهُ مُنْتَصِرٌ؛
ذاكَ أنَّ حَدَّ السَّكْرانِ يَكُونُ هكذا، أنَّهُ لا يَعْرِفُ السَّماءَ مِنَ الأرْض؛
اِذْهَبْ بالفِكْرِ في العَجائب، صِرْ مَفْقُوداً مِنَ العَظَمَةِ وَمِنَ المَهابَة؛

حِيْنَ أَضاعَ اللِّحْيَةَ والشَّارِبَ مِنْ صُنْعِ الصَّانِعِ، عَلِمَ حَدَّ نَفْسِهِ وَنَزَّهَ الصَّانِعَ؛
غَيْرَ لا أُحْصي لا يَقُولُ مِنَ الرُّوح ، فذاكَ البيانُ خارِجٌ عَنِ العَدِّ والحَدّ؛

ذَهابُ ذي القَرْنَيْنِ إلى جَبَلِ قاف وَطَلَبُهُ أنْ أي جَبَلَ قاف حدِّثْنا عَنْ عَظَمَةِ صِفَةِ الحَقّ ، وَقَوْلُ جَبَلِ قاف أنَّ صِفَةَ عَظَمَتِهِ لا تَجيءُ في المَقال فأمامَ تِلْكَ تَفْنى الإدراكات، وَتَضَرُّعُ ذي القَرْنَيْن أنْ حَدِّثْنا بما تَمْلِكُ في الخاطِرِ عَنْ صَنائِعِهِ ، وَقُلِ القَوْلَ السَّهْلَ في ذلِك

ذَهَبَ ذُو القَرْنَيْنِ جِهَةَ جَبَلِ قاف، رآهُ وكانَ مِنْ زُمُرُّدٍ صاف؛
مُحيطٌ بالعالَمِ كأنَّهُ الحَلَقَة، فَظَلَّ حائراً في ذلِكَ الخَلْقِ البَسيط؛
قالَ ما أنتَ وما الجِبالُ الأُخْرى بالنِّسْبَةِ لَكَ، حَتَّى أمامَ عَظَمَتِكَ تَنْهَزِمُ كاللُّعَب؛
قالَ عُرُوقي مُمْتَدَّةٌ في تِلْكَ الجِبالِ، هِيَ لَيْسَتْ مِثْلي في الحُسْنِ وفي البَهاء؛
لي في كُلِّ مَدينَةٍ عِرْقٌ خَفِيّ، أطْرافُ العالَمِ مَرْبوطَةٌ بِعُرُوقي؛
متى أرادَ الحَقُّ زَلْزَلَةَ مَدِيْنَةٍ، أمَرَني بِتَحْريكِ ذلِكَ العِرْقِ فأُحَرِّكَه؛
أُحَرِّكُ ذلِكَ العِرْقَ بالقَهْر، إذْ كانَ ذلِكَ العِرْقُ مُتَّصِلاً بالمَدينَة؛
فإذا قالَ كَفى صارَ عِرْقي ساكِناً، وأنا ساكِنٌ وَمِنْ وَجْهِ الفِعْلِ في حَرَكَة؛
مِثْلَ المَرْهَمِ ساكِنٌ وَفاعِلٌ جِدّاً، مِثْلَ العَقْلِ ساكِنٌ وَمِنْهُ يَنْبُضُ الكلام؛
عِنْدَ شَخْصٍ لا يَعْرِفُ عَقْلُهُ هذا ، الزَّلْزَلَةُ تَكُونُ مِنْ أبْخِرَةِ الأرْض؛

نَمْلَةٌ كانَتْ تَسيرُ على وَرَقَةٍ ، رَأَتْ خَطَّ قَلَمٍ فأخَذَتْ تُثني على القَلَم ، نَمْلَةٌ أُخْرى كانَتْ أَدَقَّ نَظَراً قالَتْ امْدَحي الأصابِعَ فإنّي أرى هذا الفَنَّ مِنْها، نَمْلَةٌ أُخْرى كانَتْ عَيْنُها أَكْثَرَ ضِياءً مِنَ الاثْنَتَيْنِ قالَتْ أنا أُثْني على السَّاعِدِ فإنَّ الأصابِعَ فَرْعُ السَّاعِدِ إلى آخِرِه

نَمْلَةٌ صَغيرَةٌ رَأَتْ قَلَماً على وَرَقَةٍ، فقالَتْ هذا السِّرَّ لِنَمْلَةٍ أُخْرى؛
أنْ قَلَمُ القَصَبِ ذاكَ عَمِلَ نُقُوشاً عَجيبَةً، كالرَّياحينِ وكحُقُولِ السَّوْسَنِ والوَرْد؛
قالَتْ تِلْكَ النَّمْلَةُ أنَّ الإصْبَعَ هِيَ الفاعِلُ، وهذا القَلَمُ في الفِعْلِ فَرْعٌ وَأَثَر؛
قالَتِ النَّمْلَةُ الثَّالِثَةُ هُوَ مِنَ السَّاعِدِ، والإصْبَعُ النَّحِيْلَةُ مِنَ قُوَّتِهِ عَمِلَتِ النَّقْش؛
وهكذا كُلُّ واحِدَةٍ تَذْهَبُ للأعلى ، إلى قائِدَةٍ للنَّمْلِ كانَتْ أفْطَنَ قليلاً؛
قالَتْ أنتُمْ تَرَونَ هذا الفَنَّ مِنَ الصُّورَةِ، الَّتي تَصيرُ في النَّومِ والمَوْتِ جاهِلَةً؛
الصُّورَةُ جاءَتْ كاللِّباسِ وكالعَصا، إلَّا بالعَقْلِ والرُّوحِ لا تَتَحَرَّكُ النُّقُوش؛
لَقَدْ كانَتْ جاهِلَةً بأنَّ العَقْلَ والفُؤاد، بلا تَقليبِ اللهِ لَهُما جَماد؛
وَلَوْ نَزَعَ اللهُ العِنايَةَ عَنِ العَقْلِ لَحْظَةً واحِدَةً، لَفَعَلَ العَقْلُ الذَّكِيُّ البلاهات؛
لَمَّا وَجَدَ ذو القَرْنَيْنِ الجَبَلَ ذا مَقال، فَقَدْ نَظَمَ جَبَلُ قاف دُرَّ النُّطْق؛
قالَ أَيُّها الخَبيرُ العالِمُ بالسِّرّ، عَنْ صِفاتِ الحَقِّ قُلْ لي البيان؛
قالَ اذْهَبْ فَذاكَ الوَصْفُ أَكْثَرُ هَولاً، مِنْ أنْ يَسْتَطيعَ البيانُ أنْ يَمُدَّ لَهُ اليَد؛
أيُّ قَلَمٍ تَكُونُ لَهُ الجُرْأَةُ حَتَّى يَكْتُبَ، بِرَأْسِهِ على الصَّحائفِ مِنْ ذاكَ خَبَراً؛
قَالَ مِنْ جَديدٍ قُلْ أَقَلَّ الرِّوايات، عَنْ عَجائبِ الحَقِّ أَيُّها الحَبْرُ الجَميل؛
قالَ هذِهِ مفازَةٌ بِثَلاثِمائةِ عامٍ مِنَ الطَّريق، بِجِبالٍ عَظيمَةٍ مَمْلُوءَةٍ بالثَّلْج؛
جَبَلٌ على جَبَلٍ بلا إحصاءٍ ولا عَدَد، يَصِلُ إلى ثَلْجِها في كُلِّ لَحْظَةٍ مَدَد؛
جَبَلٌ مِنَ الثَّلْجِ يُعانِقُ جَبَلاً آخَرَ، يُوصِلُ الثَّلْجُ البُرُودَةَ إلى الثَّرى؛

جَبَلٌ ثَلْجِيٌّ يَرْتَطِمُ بِجَبَلٍ ثَلْجِيٍّ، لَحْظَةً بِلَحْظَةٍ مِنْ مَخْزَنٍ عَظيمٍ بلا حَدّ؛
لَوْ لَمْ يَكُنْ مِثْلُ هذا الوادي مَوجُوداً أيْ مَلِك، كانَتْ مَحَتْني حَرارَةُ النَّار؛
اِعْرِفِ الغافِلينَ جِبالَ ثَلْج، لكَيْ لا تَحْتَرِقَ حُجُبُ العاقِلين؛
لَوْ لَمْ تَكُنْ صُورَةُ الجَهْلِ بِساطَ ثَلْج، لاحْتَرَقَ مِنْ نارِ الشَّوقِ جَبَلُ قاف ذاك؛
النَّارُ مُجَرَّدُ ذَرَّةٍ مِنْ قَهْرِ الله، كالذُّرَّةِ مِنْ أجْلِ تَهْديدِ اللِّئام؛
مَعَ مِثْلِ هذا القَهْرِ العَظيمِ والفائق، انظُرْ بَرْدَ لُطْفِهِ فَهُوَ على قَهْرِهِ سابِق؛
سَبْقٌ بلا كَيْفٍ وَوَضْعٌ مَعْنَوِيّ، رَأَيْتَ سابِقاً وَمَسْبُوقاً بلا اِثْنَيْنِيَّة؛
إنْ لَمْ تَرَ ذاكَ فَذاكَ مِنْ ضَآلَةِ الفَهْمِ، عُقولُ الخَلْقِ مِنْ ذاكَ المَنْجَمِ حَبَّةُ شَعير؛
فَعِبِ النَّفْسَ لا تعِبْ آياتِ الدِّيْن، متى وَصَلَ إلى بُرْجِ الدِّيْنِ طائرُ الطِّيْن؛
مَيَدانُ الجَوَلانِ للطَّيْرِ عالي الهَواء، ذاكَ لأنَّ نُشُوءَهُ مِنَ الشَّهْوَةِ وَمِنَ الهَوى؛
فَكُنْ حَيراناً بِغَيْرِ *لا وبلى*، حَتَّى يَجيءَ مَحْمَلٌ مِنَ الرَّحْمَةِ أمامَك؛
إذا كُنْتَ عَنْ فَهْمِ هذِهِ العَجائِبِ قَليلَ إدراك، إذا قُلْتَ *بلى* أنتَ تَقُولُ تَكَلُّفاً؛
وإنْ قُلْتَ *لا* ضَرَبَتْ عُنُقَكَ *لا*، وأغْلَقَ نافِذَتَكَ القَهْرُ بـِ*لا* تِلْكَ؛
إذَنْ فَكُنْ حَيْرانَ ووالِهاً وَكَفى، حَتَّى يَجيءَ نَصْرُ اللهِ مِنْ أمامٍ وَخَلْف؛
فإذا صِرْتَ حَيْرانَ ووالِهاً وفانِياً، كُنْتَ قائلاً بِلِسانِ الحالِ اِهْدِنا؛
العَظيمُ العَظيمُ حِيْنَ تَصيرُ مُتَزَلْزِلاً، يَصيرُ مَسْحُوقاً ناعِماً وَمُسْتَوِياً؛
ذاكَ لأنَّ الشَّكْلَ المَهِيبَ مِنْ أجْلِ المُنْكِر ، فإذا جِئْتَ عاجَزاً فَلُطْفٌ وَبِرّ؛

إظْهارُ جَبْرائيلَ عَلَيْهِ السَّلامُ نَفْسَهُ للمُصْطَفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ بِصُوْرَةِ نَفْسِهِ، وَمِنَ السَّبْعِمائةِ جَناحٍ لَهُ عِنْدَما صارَ جَناحٌ واحِدٌ ظاهِراً سَدَّ الأُفُقَ وَحُجِبَتِ الشَّمْسُ مَعَ كُلِّ شُعاعِها

المُصْطَفى قالَ أمامَ جَبْرَئيل، أنْ كَيْفَ تكُونُ صُوْرَتُكَ أيْ خَليل؛

اِظْهَرْ لي مَحْسُوساً ظاهِراً، حَتَّى أراكَ مَنْظُوراً بالنَّاظِر؛

قالَ لا تَسْتَطيعُ ولا طاقَةَ لَكَ، الحِسُّ ضَعيفٌ وَضيِّقٌ جِدَّاً لِذاك؛

قالَ اِظْهَرْ لي حَتَّى أرى هذا الجَسَد، إلى أيِّ حَدٍّ هُوَ ضَعيفُ الحَسِّ وبلا مَدَد؛

للآدَمِيِّ حِسٌّ بَدَنٍ سَقيم، لكِنَّهُ في الباطِنِ خُلُقٌ عَظيم؛

هذا البَدَنُ على مِثالِ الصَّخْرِ والحَديد، لكِنَّهُ في الصِّفَةِ مُشْعِلٌ للنَّار؛

الصَّخْرُ والحَديدُ يَلِدانِ النَّار، مَولُودُ النَّارِ للوالِدَيْنِ قَهَّار؛

ثُمَّ إنَّ عَمَلَ النَّارِ يَكُونُ على وَصْفِ البَدَن، شُعْلَتُها مُؤَثِّرَةٌ في البَدَنِ قاهِرَةٌ لَه؛

ثُمَّ إنَّ في البَدَنِ شُعْلَةً كَشُعْلَةِ إبراهيم، مِنْها يَصيرُ مَقْهُوراً بُرْجُ النَّار؛

لا جَرَمَ قالَ ذاكَ الرَّسُولُ ذُو الفُنُون، رَمْزَ *نَحْنُ الآخِرُون السَّابِقُونَ*؛

ظاهِرُ هذينِ الاِثْنَيْنِ مَغْلُوبٌ لِمَطْرَقَة، وَفي الصِّفَةِ عَنْ مَنْجَمِ الحَديدِ زائد؛

فالآدَمِيُّ بالصُّوْرَةِ فَرْعُ العالَم، وَمِنَ الصِّفَةِ أَصْلُ العالَمِ اعْلَمْ هذا؛

ظاهِرُهُ تَجْعَلُهُ بَعُوضَةٌ يَدُور، باطِنُهُ مُحيطٌ بالأفلاكِ السَّبْعَة؛

حِيْنَ قامَ بالإلْحاحِ أَظْهَرَ قليلاً، هَيْبَةً يَصيرُ مِنْها الجَبَلُ مُنْدَكَّاً؛

جَناحاً اسْتَولى على الشَّرقِ والغَرْب، مِنَ المَهابَةِ غابَ المُصْطَفى عَنِ الوَعْي؛

حِيْنَ رأى غِيابَهُ والرَّهَبَ والخَوْف، جاءَ جَبْرائيلُ وَضَمَّهُ إلى حِضْنِه؛

تِلْكَ المَهابَةُ قِسْمَةُ الغُرَباء، وهذا التَّلَطُّفُ عَطاءٌ للأحِبَّاء؛

للمُلُوكِ أوانَ مُلْكِهِمْ مَواكِبٌ، بِهَولِ الأبْطالِ المُبارِزينَ بالصَّوارِمِ باليَد؛

بالرِّماحِ والحِرابِ والسُّيُوفِ، حَتَّى أنَّ الأُسُودَ لَتَرْتَعِدُ مِنَ المَهابَة؛
أصْواتُ الحُرَّاسِ والصَّوالِجَة، مِمَّا تَصيرُ مِنْهُ الأرواحُ واهِيَةً مِنَ الرُّعْب؛
هذا المُرُورُ مِنْ أجْلِ الخاصّ والعامّ، يَجْعَلُهُمْ على عِلْمٍ بِقُدْرَةِ السَّلْطَنَة؛
وَهذِهِ العَظَمَةُ مِنْ أجْلِ العَوامّ، حَتَّى لا تَضَعَ تِلْكَ الجَماعَةُ قُبَّعَةَ الكِبْر؛
حَتَّى تُكْسَرَ النَّحْنُ والأنا، وَتَقِلَّ فِتْنَةُ التَّكَبُّرِ وَرُؤيَةِ النَّفْسِ والشَّرّ؛
وَتَصيرَ البلادُ مِنْ ذاكَ آمِنَةً فالحاكِمُ، عِنْدَهُ العِقابُ بالضَّرْبِ والحَبْسِ والمَشْنَقَة؛
فَتَمُوتَ تِلْكَ الأوهامُ في النُّفُوس، هَيْبَةُ الشَّاهِ مانِعُ ذاكَ النُّحُوس؛
فإذا عادَ المَلِكُ إلى المَحْفَلِ الخاصّ، لا تَكُونُ مهابَةٌ هُناكَ ولا قَصاص؛
حِلْمٌ في حِلْمٍ والرَّحَماتُ جائشَة، لا تَسْمَعُ غَيْرَ نَشيجِ النَّاي والرَّباب؛
الطَّبْلُ والكُوْسُ المَهُولُ وَقْتَ الحَرْب، وَوَقْتَ العِشْرَةِ مَعَ الخَواصّ عَزْفُ الرَّباب؛
ديوانُ المُحاسَباتِ للعَوامّ، والوُجُوهُ الملائِكِيَّةُ لِحَريفِ الجام؛
الدِّرْعُ والخُوْذَةُ لائقانِ بالحَرْب، والحَريرُ والغِناءُ لائقانِ بالمَحْفَل؛
هذا الحَديثُ لا نِهايَةَ لَهُ أيْ جَواد، اِخْتِمْ والله أَعْلَمُ بالرَّشاد؛
ذلِكَ الحِسُّ الغارِبُ في أحْمَد، نائمٌ هذِهِ اللَّحْظَةَ تَحْتَ تُرابِ يَثْرِب؛
عَظيمُ خُلُقٍ ذاكَ الَّذي يَشُقُّ الصُّفُوف، بلا تَغَيُّرٍ فَهُوَ في مَقْعَدِ صِدْق؛
مَحَلُّ التَّغْييراتِ أوْصافُ البَدَن، الرُّوحُ الباقِيَةُ شَمْسٌ مُضِيْئَةٌ؛
مِنْ دُونِ تَغييرٍ فلا شَرْقِيَّةٌ، مِنْ دُونِ تَبْديلٍ فلا غَرْبِيَّةٌ؛
الشَّمْسُ مَتى تَصيرُ مَشْدُوهَةً مِنَ الذَّرَّة، الشَّمْعُ متى يَفْقِدُ الوَعْيَ مِنَ الفراشَة؛
كانَ لِجِسْمِ أَحْمَدَ تَعَلُّقٌ بِذلِك، هذا التَّغَيُّرُ واقِعٌ بالبَدَنِ اعْلَمْ؛
مِثْلَ التَّعَبِ وَمِثْلِ النَّوْمِ والأَلَم، الرُّوحُ مُنَزَّهَةٌ عَنْ هذِهِ الأوصافِ وَمُجَرَّدَة؛
أنا لا أسْتَطيعُ قَوْلَ وَصْفِ الرُّوح، لَوْ قُلْتُ وَقَعَتِ الزَّلْزَلَةُ بِهذا الكَوْنِ والمَكان؛
ثَعْلَبُهُ اضْطَرَبَ لِلَحْظَةٍ واحِدَةٍ، أَسَدُ الرُّوحِ أظْهَرَ أنَّهُ كانَ نائِماً تِلْكَ اللَّحْظَة؛

نائماً كانَ ذاكَ الأَسَدُ المُطَهَّرُ مِنَ النَّوم، هذا هُوَ الأَسَدُ الحَليمُ المَهيب؛
أنامَ نَفْسَهُ الأَسَدُ هكذا، حَتَّى ظَنَّتْهُ نائماً تَماماً هذِهِ الكِلاب؛
وإلَّا مَنْ كانَتْ لَهُ الجُرْأَةُ في العالَم، أنْ يَخْتَطِفَ مِنْ ضَعيفٍ شَيْئاً؛
زَبَدُ أَحْمَدَ مِنْ ذلِكَ النَّظَرِ صارَ مَخْدُوشاً، بَحْرُهُ مِنَ المَحَبَّةِ صارَ يَجيشُ بالزَّبَد؛
القَمَرُ كُلُّهُ كَفٌّ مُعْطِيَةٌ للنُّور، لَوْ لَمْ تَكُنْ للقَمَرِ هذِهِ الكَفُّ قُلْ لَهُ لا تَكُنْ؛
أَحْمَدُ لَوْ فَتَحَ ذاكَ الجَناحَ الجَليل، لَظَلَّ إلى الأَبَدِ مَدْهُوشاً جَبرائيل؛
عِنْدَما عَبَرَ أَحْمَدُ مِنَ السِّدْرَةِ وَمَرْصَدِها، وَمِنْ مقامِ جَبرائيلَ وَمِنْ حَدِّه؛
قالَ لَهُ هيَّا طِرْ في أَثَري، قالَ اذْهَبْ اذْهَبْ لَسْتُ لَكَ حَريفاً؛
أعادَ لَهُ القَوْلَ ثانِيَةً أي خارِقَ الحُجُب، تَعالَ أنا بَعْدُ لَمْ أصِلْ إلى أوجِ نَفْسي؛
قالَ خارِجَ هذا الحَدِّ أَيْ نُورِيَ الجَميل، لَوْ حَرَّكْتُ ريشَةً احْتَرَقَ جَناحي؛
حَيْرَةً في حَيْرَةٍ جاءَتْ هذِهِ القَصَص، ذُهُولُ الخاصِّيْنَ كائنٌ في الأَخَصّ؛
ذُهُولُ الجَميعِ هاهُنا لَعِبٌ، كَمْ رُوحاً تَمْلِكُ لِتَنْثُرَ الأرواح؛
أجَبرائيلُ وَلَو كُنْتَ الشَّريفَ والعَزيز، أنتَ لَسْتَ فراشَةً كما أَنَّكَ لَسْتَ شَمْعاً؛
الشَّمْعُ حَيْنَ يَدعُو الفَراشَةَ وَقْتَ الإشْتِعال، رُوحُ الفَراشَةِ لا تَتَحَرَّزُ مِنَ الإحْتِراق؛
هذا الحَديثَ المُنْقَلِبَ ادْفِنْ، اِجْعَلَ الأَسَدَ على العَكْسِ صَيْدَ حِمارِ الوَحْش؛
ارْبِطْ قِرْبَةَ حَديثِكَ المُنْسَكِب، لا تَفْتَحْ وِعاءَ هَذْرِك؛
ذاكَ الَّذي لَمْ تَعْبُرْ أجْزاؤهُ مِنَ الأرْض، يكُونُ هذا أمامَهُ مَعْكُوساً وَهَذْراً؛

لا تُخالِفْهُمْ حَبيبي دارِهِمْ يا غَريباً نازِلاً في دارِهِمْ

أعْطِ ما شاءوا وراموا أرْضِهِمْ يا ظَعيناً ساكِناً في أرْضِهِمْ

حَتَّى الوُصُولِ إلى بابِ الشَّاهِ وَلُطْفِهِ الجَميل، الرَّازِيُّ مَعَ المَرَوِيِّ تواءَما؛
مُوْسَيا أمامَ فِرْعَونَ الزَّمَن، تَجِبُ الرِّقَّةُ اجْعَلِ القَوْلَ لَيِّناً؛
لَوْ وَضَعْتَ الماءَ في زَيْتٍ يَغْلي، تَجْعَلُ خَراباً المَوْقِدَ والقِدْر؛

قُلْ لَيّناً لكِنْ لا تَقُلْ غَيْرَ الصَّواب، لا تَبِعِ الوَسْوَسَةَ في لِيْنِ الخِطاب؛
جاءَ وَقْتُ العَصْرِ أَقْصِرِ الحَديثَ، أيْ مَنْ عَصْرُكَ جَعَلَ العَصْرَ ذا وَعْي؛
قُلْ لآكِلِ الطِّيْنِ القَنْدُ أفْضَلُ، لا تَعْمَلِ المَسْحُوقَ الفاسِدَ لا تُعْطِهِ الطِّيْن؛
أَلَسْتَ رَوْضَةً لِنُطْقِ الرُّوح، إذْ أنتَ عَنِ الحَرْفِ والصَّوتِ مُسْتَغْنٍ؛
رَأْسُ الحِمارِ وَسَطَ حَقْلِ القَصَب، أي كَمْ مِنْ شَخْصٍ أُصِيْبَ مِنْ ذاكَ بالشَّوك؛
أَخَذَهُ الظَّنُّ بَعيداً أنْ ذاكَ ذلِكَ وَحَسْب، فَعادَ يَتَقَهْقَرُ للخَلْفِ كَكَبْشٍ مَغْلُوب؛
صُوْرَةَ الحَرْفِ اعْلَمْ رَأْسَ الحَمارِ ذاكَ، في كَرْمِ المَعْنى والفِرْدَوْسِ الأعلى يقيناً؛
أيْ ضِياءَ الحَقِّ حُسامَ الدِّيْنِ انْصِبْ، رَأْسَ الحِمارِ هذا في حَقْلِ البِطِّيْخِ ذاك؛
رَأْسُ الحِمارِ إذا ماتَ مِنَ المَسْلَخَة، تَهَبُهُ نُشُوءاً آخَرَ تِلْكَ المَطْبَخَة؛
هيَّا عَمَلُ الصُّورَةِ مِنَّا والرُّوحُ مِنْك، لا غَلَطَ هذا مِنْكَ وذاكَ أيْضاً مِنْك؛
أنتَ مَحْمُودٌ على الفَلَكِ أيْ شَمْساً ظاهِرَة، كُنْ مَحْمُوداً أيْضاً على الأَرْضِ أَبَداً؛
حَتَّى تَصيرَ الأَرْضُ والسَّماءُ العالِيَة، قَلْباً واحِداً وَطَبْعاً واحِداً وَقِبْلَةً واحِدَة؛
فَتَرْتَفِعَ التَّفْرِقَةُ والشِّرْكُ والاِثْنَيْنِيَّةُ، الوَحْدَةُ كائِنَةٌ في الوُجُودِ المَعْنَوِيّ؛
عِنْدَما رُوحي عَرِفَتْ رُوْحَكَ، تَذَكَّرَتا الاِتِّحادَ في ما سَبَق؛
مُوسى وهارُونُ في الأَرْضِ يَخْتَلِطان، الاِخْتِلاطَ الحَسَنَ كاللَّبَنِ والعَسَل؛
عالِمٌ عَلِمَ قَليلاً وَصارَ مُنْكِراً، صارَ إنكارُهُ حِجاباً ساتِراً؛
كَمْ مِنْ عالِمٍ أدارَ الوَجْهَ، أَغْضَبَ مِنْ نُكْرانِهِ ذلِكَ القَمَر؛
مِنْ هذا السَّبَبِ صارَتِ الرُّوحُ الرَّديئةُ، جاهِلَةً بِرُوحِ النَّبِيِّ وَتَراجَعَتْ للخَلْف؛
قَرَأْتَ هذا كُلَّهُ فاقْرَأْ *لَمْ يَكُنْ*، لِتَعْلَمَ لَجَجَ هذا المَجُوْسِيِّ القَديم؛
مِنْ قَبْلِ أنْ تُظْهِرَ صُورَةُ أحْمَدَ المَجْد، كانَ نَعْتُهُ تَعْويذَةً لِكُلِّ مَجُوسِيّ؛
حَتَّى أنَّهُمْ مِنْ خيالِ هذا الشَّخْصِ إذْ يَظْهَرُ، كانَتْ تَصيرُ قُلُوبُهُمْ تَخْفِقُ؛
كانُوا يَسْجُدُونَ أنْ أيْ رَبَّ البَشَر، أظْهِرْهُ لنا عياناً بِأَسْرَعَ ما يَكُون؛

وحينَ كانُوا يَسْتَفْتِحُونَ باسْمِ أحْمَد، كانَ عُتاتُهُمْ يَصيرُونَ مُنْقَلِبين؛

حَيْثُما أَتَتْ حَرْبٌ مَهُولٌ، كانَ غَوثَهُم أحْمَدُ الكَرَّار؛

حَيْثُما كانَ مَرَضٌ مُزْمِنٌ، كانَ ذِكْرُهُ دَواءً شافِياً لَهُم؛

نَقْشُهُ كانَ يَدُورُ في طُرُقاتِهِم، في قُلُوبِهِمْ وَفي آذانِهِمْ وَفي أفْواهِهِم؛

مَتى يَجِدُ كُلُّ ابنِ آوى نَقْشَهُ، بَلْ فَرْعَ نَقْشِهِ يَعْني الخَيال؛

لَوْ وَقَعَ نَقْشُهُ على وَجْهِ جِدار، لَقَطَرَ دَمُ القَلْبِ مِنْ قَلْبِ الجِدار؛

وَلَكانَ نَقْشُهُ مُبارَكاً على الجِدار، وَتَحَرَّرَ الجِدارُ مِنْ كَوْنِهِ ذا وَجْهَيْنِ في الحال؛

وَصارَ بِوَجْهٍ واحِدٍ كَأَهْلِ الصَّفاء، فالكَونُ بِوَجْهَيْنِ عَيْبٌ على الجِدار؛

كُلَّ هذا التَّعْظيمِ والتَّفخيمِ والوِداد، أَخَذَتِ الرّيْحُ حِيْنَ رَأَوْهُ صُورَةً؛

الزَّيْفُ رأى النَّارَ فاسْوَدَّ في الحال، مَتى كانَ للزَّيْفِ طَريقٌ إلى القَلْب؛

الزَّيْفُ يَتباهى جُزافاً بِأَشْواقِ المِحَكّ، حَتَّى يُلْقِيَ بالمُريدِيْنَ في الشَّكّ؛

يَقَعُ في شِباكِ مَكْرِهِ الوَضيع، يَطْلَعُ هذا الظَّنُّ مِنْ كُلِّ خَسيس؛

أنْ لَوْ لَمْ يَكُنْ هذا نَقْداً خالِصاً، متى كانَ صارَ بِحَجَرِ الاِمْتِحانِ راغِباً؛

إنَّهُ يَطْلُبُ المِحَكَّ لكِنْ بِذلِكَ الشَّكْل، الَّذي لا يَصيرُ زَيْفُهُ ذاكَ مِنْهُ عِياناً؛

ذاكَ المِحَكُّ الَّذي يُبْقي في الخَفاءِ الصِّفَة، لا يكونُ مِحَكّاً ولا نُوْرَ مَعْرِفَة؛

المِرْآةُ الَّتي تُخْفي عَيْبَ الوَجْه، مِنْ أجْلِ خاطِرِ كُلِّ دَيُّوث؛

تَكُونُ مُنافِقاً ولا تَكُونُ مِرْآةً ، عَنْ مِثْلِ هذِهِ المِرآةِ لا تَبْحَثْ أَبَداً.

انتهى المُجَلَّدُ الرَّابِعُ مِنَ المَثْنَوي

المَثْنَوِيّ المَعْنَوِيّ

تأليف

جلال الدّين الرُّوميّ

ترجمة

د. علي عبَّاس زليخة

الكتاب الخامس

نسخة رينولد نيكلسون